الوثيقة

دورية تاريخية محكمة

يصدرها

مركز الوثائق التاريخية

بدولة البحرين

العدد الحادي والثلاثون . السنة السادسة عشرة

شعبان ١٤١٧هـ . يناير ١٩٩٧م



بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية نصف سنوية
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

العدد الحادي والثلاثون . السنة السادسة عشرة
شعبان ١٤١٧هـ . يناير ١٩٩٧م

فهرس

القسم العربي

القسم الإنجليزي

الغلاف

شوارع البحرين القديمة

للمهندس التايلندي شارون ميكومول

كلمة العدد

وثائق
من خلف الستار الحديدي

بقلم: سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

عقدت في البحرين ندوة دعي إليها عدد كبير من علماء الاتحاد السوفييتي السابق وخبراء الأرشيفات من مختلف الأنحاء. هذا المؤتمر جاء خطوة على طريق بدأته الأمانة العامة لمراكز الوثائق والدراسات بالخليج والجزيرة العربية. وهي الأمانة التي أتشرف برئاستها أما الطريق فهو يستهدف الإضافات التاريخية التي تحويها الأرشيفات الأجنبية من وثائق تتعلق بالخليج العربي والجزيرة العربية لجمعه ودراسته والاستفادة منه في إلقاء المزيد من الأضواء على بعض حلقات التاريخ على الساحة

الخليجية الممتدة . لقد بقي الاتحاد السوفييتي السابق منطقة شبه مجهولة للكثيرين عندما كان يحوطه ستار حديدي شاهق يمنع الوصول إلى ما لديه على الرغم من أن بعض المؤرخين الروس الذين كتبوا عن الخليج أشاروا فيما كتبوه إلى وجود الكثير من الوثائق المتعلقة بالمنطقة في الأرشيفات الروسية . وإذا كانت الظروف قد تغيرت فقد تهيأت السبل للإطلاع على ما في هذه الأرشيفات وهو ما تحقق إلى حد بعيد في لقاء البحرين الذي حضره عدد ملحوظ من العلماء الروس ليقدموا خلاله مجموعة ممتازة من الأبحاث تم إعدادها اعتماداً على ما في الأرشيفات الروسية من وثائق .

لقد تطلع الروس ومنذ أيام القياصرة إلى المياه الدافئة . وكان هناك بعض النشاط خاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وكان هذا النشاط يظهر ويختفي طبقاً لبعض التوازنات الدولية وانعكاساً لعلاقات الروس مع الدول الكبرى التي كان لها وجود بارز في المنطقة أو استجابة لاتفاقيات أو مكاتبات أو اتصالات بعضها كشف عنه اللثام ومعظمها ما زال مجهولاً حبيساً في الأرشيفات الروسية التي جمعت الكثير من الوثائق من هذه الحقب . وعلى الرغم من أن الدور الروسي في المنطقة كان يتخفى خلال القرن العشرين بعد أن اكتفى الروس بعد الثورة بمحاولة التسلل عبر بعض الحركات الاجتماعية هنا أو هناك إلا أن هذا التخفي لابد أنه جاء بالضرورة انعكاساً لأسباب من المفيد الكشف

عنها ومعرفة أبعادها . لقد انهـار الستار الحديدي الآن وأصبح الكثير مـن الأبـواب المغلقـة مفتوحـاً . وتوفير أو محاولـة توفير الوثائق التي ظلـت مجهولـة سنين طويلـة أمـر في غايـة الأهميـة لمعرفة كيف كان يفكر الروس خاصة أثناء العقود التي كانوا فيهـا إحدى القوتين العظميين اللتين تهيمنان على مصائر العـالم كلـه .

لقد كتب كثير من الروس عن الخليج . بل إن بعضهـم تخصص في هذه المنطقة . وقدموا للمكتبـة العالميـة بعض الإسـهامات الهامـة التي تعكس وجهة نظر لاغنى عن معرفتها لتكتمل أبعاد كثير من الصور . ولكن هذه الكتابات مثلها مثل معظم الكتابـات الأجنبيـة عن المنطقة عليها الكثير من التحفظات . وربما كانت المعطيـات أو المصادر المتاحة أمام الكتاب سبباً في عـدم إحـاطتهم إحاطـة كاملـة بكثير من الظروف الاجتماعيـة أو الاقتصاديـة أو السياسـية الـتي حكمت العلاقات بين الأفراد والجماعات بـل والـدول في المنطقـة .

وإذا كان لقاء البحرين قد فتح نوافذ على بعـض مـا في الأرشيفات الروسية من وثائق فإننا نأمل في أن تظل هذه النوافذ مفتوحة يطـل منها الكتاب الروس الذين حضـروا اللقـاء علـى حقيقـة الحيـاة في المنطقـة ويعرفـون مـن خـلال اتصـالهم بزملائهـم مـن الخليـج أو المنطقة العربية بعامـة كثـيرا ممـا خفيـت عليهـم معرفتـه نظـراً للظـروف التي كانت تحكم حركتهم في الفترة الماضية .

لا شك أن في الأرشيفات الروسية كثيرا من الوثائق التي نريدها ولا شك أن لدينا الكثير مما يريده المؤرخون والكتاب الروس قد حقق هذا اللقاء الكثير في هذا الصدد .

لقد سبق للأمانة أن فتحت قنوات مع الأرشيفات العثمانية ، وأقامت جسوراً مع بعض الأرشيفات الهندية . وكل ذلك يأتي ضمن سعي الأمانة العامة لتحقيق ما يصبو إليه مئات المؤرخين والباحثين من توفير أكبر قدر ممكن أو متاح من المصادر التاريخية اللازمة لحركة التأريخ النشطة في المنطقة ، خدمة للبحث التاريخي وخدمة للدارسين من أبناء المنطقة وخدمة للقراء بصفة عامة . إننا نرجو أن تكون الأمانة العامة قد حققت بعض ما تصبو إليه وهو كثير .

والله الموفق

عبد الله بن خالد آل خليفة

الشيخ محمد

ولادته	تولى الحكم	حكم إلى	عمره	وفاته
١٢٢٨هـ ١٨١٣م	١٢٥٨هـ ١٨٤٢م	١٢٨٥هـ ١٨٦٨م	٧٩ سنة هجرية ٧٧ سنة ميلادية	١٣٠٧هـ ١٨٩٠م



بن خليفة آل خليفة

بقلم :

الدكتور علي أباحسين

هو الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان بن أحمد (الفاتح) بن محمد بن خليفة آل خليفة ، رابع حكام البحرين من الأسرة الخليفية ، ولد في البحرين عام ١٢٢٨هـ /١٨١٣م وبدأ حياته عسكرياً يأتمر بإمرة عم والده الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة حين طلب منه أن يقاتل أبناءه الثلاثة وهم (محمد وأحمد وعلي) الذين اعتمدوا على أخوالهم من آلبنعلي فانشقوا على أبيهم الشيخ عبد الله وبارحوا البحرين فنزلوا (الحويلة) وهي قرية تقع في الطرف الشمالي الشرقي من بر قطر فلبى الشيخ محمد بن خليفة طلب عم أبيه وخرج نحوهم بحر ١٢٥٠هـ



/١٨٣٤ ـ ١٨٣٥م ، وبعد قتال شديد انكسر أبناء الشيخ عبد الله وأذعنوا لطاعة أبيهم وطلبوا العفو فعفا عنهم وسمح لهم بالعودة للبحرين وسميت هذه المعركة بوقعة (الحويلة) ، وكان للنصر الذي أحرزه الشيخ محمد بن خليفة في هذه الوقعة كبير الأثر في تطلعه إلى الحكم خاصة وقد بلغ الشيخ عبد الله من العمر عتيا وخرج عليه بعض أبنائه وشهدت السنوات الأخيرة من حياته السياسية تطلع الدول الأجنبية للتدخل في أمور البلاد وقد لعبت دوراً خطيراً لتحقيق أطماعها فمرت البحرين بظروف قاسية نتيجة الخلافات الأسرية بين الشيخ (عبدالله) والشيخ (محمد بن خليفة) الذي ثار على عم أبيه الشيخ عبدالله (وكأنه يتقاضاه أجر تأديب أولاده)[١] . هذه الرواية كتبها النبهاني بينما كتب أحد مؤرخي البنعلي أن سبب انشقاق أبناء الشيخ عبد الله على والدهم بعد أن حارب في (دارين وتاروت) وحاصر (سيهات) عام ١٢٤٩هـ /١٨٣٣ ـ ١٨٣٤م ثم صالحه أهلها على مال يؤدونه إليه فاستأثر الشيخ عبد الله بما غنمه من المال في حرب القطيف وقد خاطبه أولاده في زيادة معاشاتهم ولم يعطهم ومن هذا السبب زعلوا على والدهم وتحولوا مع أخوالهم البنعلي في بلد (الحويلة) .

أما انتقال البنعلي من البحرين إلى الحويلة وترك أملاكهم في البحرين فالأسباب مجهولة لا نعلمها بالتفصيل إلا أنهم تحولوا مغاضبين لحاكمهم (الشيخ عبدالله بن أحمد) . وحدث أن توفى الشيخ (خليفة بن سلمان بن أحمد) الفاتح في أثناء حصارهم لسيهات والقطيف على أثر حمى أصابته ودفن في البحرين . وفي رواية أنه لم يحدث قتال ولا مناوشة بين أولاد الشيخ عبد الله بن أحمد الثلاثة وهم (محمد وأحمد وعلي) حين لجأوا إلى أخوالهم البنعلي في الحويلة في قطر وغاضبوا والدهم الشيخ عبد ا لله وأرسلوا سفينتين لمواجهة الشيخ (محمد بن خليفة) الذي أرسله والدهم بسفينتين هو الآخر ، إلا أنه لم تحدث واقعة في الحويلة بل انسحب الطرفان دون قتال فلا صحة لما أورده

النبهاني عن وجود وقعة حدث فيها حرب شديدة وترجح الرواية التي تقول أنه تم الصلح بين الطرفين .

وجدير بالذكر فإن الشيخ (عبد الله بن أحمد) كبير السن ولم يعين ولياً للعهد من بعده بل جعل ولاية العهد مفتوحة خاصة وأن أبناء الشيخ سلمان قد توفوا ومنهم الشيخ خليفة والشيخ أحمد لذا أخذ كل من أبناء الشيخ عبد الله وأحفاد الشيخ سلمان يتطلع للحكم ومن هنا بدأ الصراع حول المشيخة دون أن يحسمها الشيخ عبد الله . وعاصر الشيخ (محمد بن خليفة) وهو في العقد الثالث من عمره أحداثاً حدثت في الجزيرة العربية أيام حكم عمه الشيخ (عبدالله بن أحمد) فقد سيطر (خورشيد باشا) على الأحساء وعين (محمد أفندي رفعت) حاكماً عليها وكان الشيخ مبارك بن عبد ا لله بن أحمد وقتئذ في قلعة الدمام فأمر خورشيد باشا (محمد رفعت) أن يزور حاكم البحرين فزار الشيخ عبد الله بن أحمد في قلعته الواقعة في خور حسان (على ساحل قطر في الشمال الغربي) وذلك في ٢٦ يناير ١٨٣٩م / الموافق في شهر صفر ١٢٥٥هـ وعقد معه اتفاقية جاء فيها : أنه وقع الصلح والرأي بيني (محمد أفندي رفعت) وبين (عبد ا لله بن أحمد آل خليفة) فصار العهد منه مطابق الوكالة عن سعادة أفندينا على أنه صديق لصديق أفندينا (خورشيد باشا) وعدو لعدوه وأن عليه زكاة البحرين من حول السُنة إلى حول السنة ثلاثة آلاف ريال فرانسي (لعبد الله بن أحمد) منها خاصة سبعمائة وخمسين ريال والباقي ألفين ومايتان وخمسين ريال يدفعها سنوياً إلى المشار إليه من ابتداء حول ١٢٥٥هـ وعاهدناه على أن أمر البحرين في يده دون غيره ونائبه الذي يحطه من تحت يده وما كان من رعاياه سابق من أهل البحرين أو غيرهم والقاطنين بها . وأهل بلدان ساحل بحر قطر تحت يده ليس لأحد غيره تسلط عليهم والقوانين الذي له عليهم من سابق فهي له ولنا عليه أن يقوم بالمساعدة مع أفندينا المشار إليه فيما يتعلق بالمساعدة على قدر استطاعته والله على ما نقول وكيل . (كتبت هذه الاتفاقية في قلعة الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة في خور حسان على ساحل بحر قطر) وعلى أثر ذلك كثرت المراسلات والاتصالات بين

الإنجليز وشيخ البحرين بهدف إلغاء هذه الاتفاقية .

وقدمت بريطانيا على يد (هينل) المقيم في الخليج احتجاجاً للقائد (خورشيد باشا) بصدد خططه نحو البحرين ، بينما خولت حكومة الهند قائد الأسطول البحري بصلاحية مفاوضته لشيخ البحرين وأن يؤكد له في حالة طلبه الحماية موافقة بريطانية للتدخل من قبل الأسطول البريطاني لحمايته ، ثم طلب (هينل) من الشيخ عبد الله أن يمزق الاتفاقية فرفض طلبه لأن بريطانية رفضت أن تقدم أية مساعدة أو حتى نصيحة منه ، ولما هدده المقيم البريطاني قال الشيخ عبد الله : إن البحرين ملكنا ورثناه عن أجدادنا وليس بيننا شروط لأن نكون رعية (للسركار) أي للحاكم العام ولم أظهر أي سبب لذلك غير الصداقة وليس للسركار أن يتعدى علينا فأما إذا كنتم تشرعون في الحرب قوة واقتداراً فإننا سنبذل كل ما في وسعنا في سبيل حماية ملكنا وأهلنا وعيالنا وديننا وليحصل بعد ذلك ما يحصل . وقد قدم (هينل) للشيخ احتجاجا كتابياً على الاتفاقية . وحدث أن نزل (محمد رفعت أفندي) للبحرين وهو في طريقه للأحساء فقابل شيخ البحرين وشرح له ما دار بينه وبين (هينل) فكتب (محمد رفعت أفندي) لخورشيد باشا حول ذلك مشيراً لأهمية البحرين وضغط بريطانيا على شيخ البحرين ورغبتها بالسيطرة على البحرين ولكن (محمد علي باشا) ألغى الاتفاقية المعقودة بين خورشيد باشا وشيخ البحرين بينما تمسك شيخ البحرين بمبدأ عدم الاستسلام للإنجليز[٢] .

وربما كان ذلك من الأسباب التي جعلت بريطانيا تثير الفتن ضده ، وتؤجج الصراعات الأسرية في عهده حتى تحقق لها ما تصبو إليه من مآرب استعمارية .

وقد بدأت الخلافات بين الشيخ (عبد الله بن أحمد) والشيخ (محمد بن خليفة) بعد انسحاب العثمانيين من الأحساء عام ١٨٤٠م /١٢٥٦هـ واقترح بعض سكان المنطقة هناك على البحرين أن يبقى (الشيخ محمد بن خليفة بن سلمان) في الأحساء وهنا اعترض الشيخ (عبد الله بن أحمد) على هذا الاقتراح فبدأت الخلافات وحدثت المجابهة بينهما وإن توصلا إلى تفاهم مؤقت بعد بضعة أيام إذ طلب الشيخ محمد

مساعدة بريطانيا وغادر البحرين إلى قطر لكي يقيم لنفسه حكماً هناك كان في بعض الأحيان أقوى من حكم عم أبيه[٣].

وهكذا شهد عام ١٨٤٠م/١٢٥٦هـ بداية للاضطرابات والانقسامات القبلية والأسرية.

وقد كتب القبطان (بروكس) في ٢٢ أغسطس ١٨٤٠م والذي عاصر الأحداث فرفع تقريراً إلى المقيم في الخليج (توماس ماكنزي) جاء فيه : أن الشيخ (عبد الله بن أحمد آل خليفة) وأبناءه حاولوا عزل الشيخ (محمد بن خليفة) من كافة السلطات إثر وفاة والده الشيخ (خليفة بن سلمان) ، إلا أن القبائل منعتهم عن ذلك وبلغت الأزمة ذروتها وأعربت القبائل عن ولائها لحكومتها المشتركة وتفانيها بالأموال والأرواح في مواجهة أي عدو أجنبي إلا أنها تلتزم الحياد في النزاعات الداخلية بين آل عبد الله وآل سلمان وكان كل من الطرفين يحاول كسب تأييد أكبر عدد من القبليين وسكان البادية ولكن الصراع كان يتفجر بين الطرفين المتنازعين . خاصة وأن الشيخ عبد الله كان يملك ثلاث سفن حربية وسفينة شراعية وله ستة أبناء إلا أنهم لا يميلون إليه كثيراً فأما ابنه الكبير مبارك فقد سكن الدمام ولديه نحو ألفين من القبائل البدوية ومن المحتمل أن يتمرد على أبيه ويستغل الظروف لنفسه ـ على حد قول بروكس ـ بينما يبلغ عدد تابعي أبناء الشيخ عبد الله الآخرين نحو مائة وخمسين مقاتلاً ورغم أن الشيخ (عبد الله بن أحمد) لا يدفع راتباً للبدو الذين يقدر عددهم بين ٢٠٠٠ ـــ ٣٠٠٠ محارب إلا أنه رجل ثري جداً وبذا فهو يكسب التفوق العددي والمالي على الشيخ (محمد بن خليفة) الذي لا يملك سوى سفينتين حربيتين بينما يملك عمه الشيخ (أحمد بن سلمان) سفينة شراعية ومن حيث المراكب يتساوى الاثنان ويتمتع الشيخ (محمد بن خليفة) بتأييد عدد من أقاربه وأتباعه وهم ما بين مائة تابع ومائتين من الأقرباء مع نحو ١٢٠٠ شخص من عشائر قطر و٣٠٠ من الدواسر وكان يقدم لأتباعه راتباً ضئيلاً. واستطرد القبطان بروكس بقوله : وأخبرني الشيخ (محمد بن خليفة) نفسه بأن (عيسى بن طريف) سيشاركه عند اللزوم لأن الطرفين متساويان من حيث القوة . وقد فقد الشيخ (محمد بن خليفة) شعبيته أخيراً لأنه فرض ضريبة

على جميع سكان البحرين سواء كانوا من العرب أو الأجانب كي يعوض مؤيديه وهذا أمر استغله الشيخ (عبد الله بن أحمد) ليضعف نفوذ الشيخ (محمد بن خليفة) بين أتباعه . ويبلغ مدخول البحرين من ضريبة الأراضي نحو مائة ألف دولار وإن كان بعض القبائل لا يدفعون الرسوم المفروضة التي تبلغ نحو عشرين ألف دولار ، وكان نصف مدخول البحرين يدفع إلى الشيخ (عبد الله بن أحمد) والنصف الآخر يتسلمه الشيخ (محمد بن خليفة) ويفرض الشيخ عبد الله ضريبة على مراكب صيد اللؤلؤ في المياه المحيطة بالبحرين حتى سواحل قطر وفي هذا العام كان مقدار الضريبة دولاراً واحداً لكل غيص ونصف دولار على كل شخص آخر في مركب الصيد كما تفرض حكومة البحرين رسماً جمركياً على السفن البحرينية التي تحمل وثائق التسجيل ويبلغ عدد السفن من طراز (بغلة) نحو ٤١ سفينة وتقوم بنقل البضائع التجارية من الهند إلى البحر الأحمر والساحل الشرقي لأفريقيا وكانت سفينتان تنقلان السلع من وإلى أفريقيا كل عام . ويتمتع الشيخ عبد الله بنفوذ واسع عند القبائل لكني ـــ والقول للقبطان بروكس ـ بناءً على المعلومات التي جمعتها بأنها لن تتردد في القضاء على كل من الشيخ (عبد الله بن أحمد) والشيخ (محمد بن خليفة) فقد قمت بعملية مسح في البحرين في عام ١٨٢٥م / ٤٠ و ١٢٤١هـ ورأيت في هذه الفترة هبوطاً في حماس الناس عامة كما غادر الأثرياء البحرين تاركين وراءهم أملاكهم . وبلغ عدد سكان البحرين في عام ١٨٢٥م نحو ٤٨ ألف نسمة والآن ـ ١٨٤٠م ـ أي بعد خمسة عشر عاماً لا يزيد عددهم على ثلاث وخمسين ألف نسمة ولا يشعر الناس بالأمان تجاه أرواحهم وأموالهم وعائلاتهم ولم يتم أي اتصال بيني وبين الحكومة ، إلا أن الشيخ (محمد بن خليفة) زارني مرة فرحبت به بكل احترام وأثار موضوع نزاعه مع الشيخ (عبد الله بن أحمد) فقلت له أن يراجع المقيم السياسي وأكدت له حياد الحكومة البريطانية تجاه الصراعات الأسرية مادامت مقتصرة على البر ولم تؤد آثارها على سلامة الأمن في مياه البحر ، وقد أبدى الشيخ (محمد بن خليفة) ارتياحه بموقفي وتفهمه الكامل لما شرحت له وختم بروكس تقريره له . وفي هذا العام

كان حصاد صيد اللؤلؤ متوسطاً والسفن التجارية تبحر إلى الهند بأمان .

وكان الشيخ عبد الله بقلعته في (خور حسان) في الساحل الغربي لقطر حيث كان الشيخ عبد الله يقيم فيها نرى أن الشيخ (محمد بن خليفة) يعود إلى البحرين فأسرع الشيخ عبد الله عائداً إلى البحرين ليطرد الشيخ محمد منها وذلك في يونيو من عام ١٨٤٢م / جمادى الأولى ١٢٥٨هـ فاتجه الشيخ محمد إلى قطر ليحتل مكان الشيخ عبد الله الحصين هناك واستولى على حصن (مريبر) بالقرب من (الزبارة) ثم (الفويرط) ومن هناك وجه حملة على جزيرة البحرين كللت بالنجاح(٤) .

وتدهورت الأحوال بين الشيخ (محمد بن خليفة) والشيخ عبد الله الذي توجه إلى البحرين لمحاولة تسوية خلاف شخصي ولكن دون جدوى فبدأ الطرفان بتعبئة أنصارهما من البدو الذين تدفقوا من البر الرئيسي وأصبحت (المحرق) مقراً للشيخ عبد الله بينما جعل الشيخ (محمد بن خليفة) مقره في المنامة وفرض الشيخ عبد الله حصاراً بحرياً على المنامة لأنه يملك أسطولاً أقوى من أسطول الشيخ محمد ونشبت اشتباكات(٥) ولما كان الشيخ (محمد بن خليفة) لا يملك إلا خمس سفن ولم تكن تكفيه لنقل القوات الموالية له لذا فقد أرسل في المقدمة قبيلة النعيم إلى البحرين وأمرهم أن ينضموا إلى ما يجمعه أخوه (الشيخ علي) من المقاتلين فلما وصلوا خرج لهم الشيخ علي يقود جمعاً عظيماً وكان معه سائر آل سلمان من الخليفيين وأتباعهم ماعدا الشيخ محمد و الشيخ حمود إبنا سلمان فإنهما كانا مع عمهما الحاكم فسار الشيخ (علي بن خليفة) بمن معه من الجموع نحو (الرفاع الشرقي) حتى نزل قرب ماء يسمى (الحنينية) والتقى هناك بجيش الشيخ عبد الله يقوده ابنه ناصر وكان قد وصل الموقع قبل وصول قوات الشيخ محمد فحصل القتال بين الطرفين وأسفر عن انتصار جيش الشيخ علي فتقدم إلى الرفاع واستولى عليها بعد أن قُتل الشيخ (محمد بن أحمد بن سلمان آل خليفة) وسميت هذه الوقعة (بوقعة الحنينية) نسبة إلى الماء الذي وقعت بقربه المعركة وذلك سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م وبعد أن استولى (الشيخ علي) على الرفاع وصل إليه أخوه الشيخ (محمد بن خليفة) ببقية الجيوش المتقدم ذكرها إلى البحرين ونزل بجموعه على المنامة فاحتلها وتولى

أخوه الشيخ علي الحكم في المنامة وذلك في مارس ١٨٤٣م برغبة من سكانها الذين ليس لهم ولاء للشيخ عبد الله ولا لأتباعه بسبب تصرفهم نحو سكان المنامة في العام الماضي[٦] فتقلصت قوة الشيخ عبد الله إلى المحرق ولم يبق بيده سواها[٧] فحاصره في المحرق ١٢٥٨هـ /١٨٤٢ - ١٨٤٣م فما كان من الشيخ عبد الله إلا أن جهز جيشين من بني هاجر فيوجه أحدهما بقيادة ابني أخيه (محمد بن سلمان) و (حمود بن سلمان) الساكنين في الرفاع ليقودا هذا الجيش إلى قتال ابن أخيهما الشيخ (محمد بن خليفة) بينما قاد الشيخ عبد الله الجيش الثاني بنفسه متوجها إلى موضع (سوق الخميس) فلما علم الشيخ (محمد بن خليفة) بهذه الخطة العسكرية أراد أن يعزل حركة الجيشين فيضرب كلاً منهما على انفراد فيبدأ بضرب الجيش الأول الذي يقوده عمّاه محمد وحمود قبل وصولهما إلى هدفهما ، ثم يتعرض بالقسم الأكبر من قواته للجيش الثاني الذي يقوده الشيخ عبد الله ، وقد سارت الخطة كما رسمها الشيخ محمد وحال دون وصول الجيش الأول إلى هدفه حين تواقع معه في موضع (الناصفة) ودحره فانسحب إلى (الحورة) في المنامة ومنها التحق بالجيش الثاني في موضع (سوق الخميس)[٨] وهناك تعرضت قوات جيش الشيخ (محمد بن خليفة) لمجابهة ومقاومة شديدة من قِبل جيش الشيخ عبد الله فانسحب الشيخ (محمد بن خليفة) من ميدان المعركة بعد تكبده خسائر كبيرة وقُتل أخوه (دعيج بن خليفة) كما قُتل حفيد الشيخ عبد الله واسمه (محمد بن مبارك)[٩] وهناك ظهر اسم الشيخ (علي بن خليفة) الذي وكله أخوه الشيخ محمد بأن يهيئ جيشاً ينظمه بصورة سرية ويكون متأهباً حيث الطلب . بينما اتجه الشيخ (محمد بن خليفة) نحو نجد يطلب المدد فلم يوفق فعاد إلى قطر واستنجد بـ (آل بن علي) الذين سبق وأن ظعنوا من البحرين مغاضبين الشيخ (عبد الله بن أحمد) فلبوا طلب الشيخ (محمد بن خليفة) خاصة وأنهم أخوال الشيخ (علي بن خليفة) وكان يرأس آل بنعلي شيخهم (عيسى بن طريف) ومعه آل بوكوارة وفي قول أنه هو الذي وصل إلى (الساية) بينما وصل الشيخ (محمد بن خليفة) إلى جزيرة (قيس) ومنها إلى قطر وذهب مع بني هاجر إلى البحرين ، أما

الشيخ محمد فقد اجتمع مع أخيه الشيخ علي في الرفاع وسارا إلى المنامة ومنها إلى المحرق ومن القبائل الأخرى التي لبت طلب الشيخ محمد والشيخ علي قبيلة النعيم ورئيسها الشيخ (**جبر بن ناصر**) والجلاهمة ورئيسهم (**بشر بن رحمة بن جابر**) وكذلك آل بوكوارة ورئيسها (**محمد بن سعد**) ومن البوكوارة آل نبهان(١٠) وفي إبريل ١٨٤٣م / ربيع الأول ١٢٥٩هـ اتجه الشيخ (**محمد بن خليفة**) نحو الشيخ عبد الله في (**المحرق**) ونزل عند ينبوع ماء عذب في البحر يسمى (**الساية**) وبه سميت الوقعة وأمر جميع قومه أن يغرقوا سفنهم هناك وذلك لئلا يتخذوها ملجأ لهم فتحدثهم أنفسهم بالفرار عند المضايقة ، ولما انتهت الوقعة عادوا إليها فأخرجوها وذلك بعد انكسار جيش الشيخ عبد الله الذي كان جيشه ينقصه النظام فلما شعر بهزيمة جنده توجه نحو قلعة (**بوماهر**)(١١) في جنوب المحرق ، بينما اعتصم بعض أبنائه في قلعة (**عراد**) فلم يتعرض لهم الشيخ محمد بل أخذ يثبت حكمه في المحرق وأخذ أتباع الشيخ عبد الله يتسربون إلى خارج البحرين بينما نزل الشيخ عبد الله ومن معه في موضع يقال له (**نخل**

هاشل) من بلدة (**نابند**) على الس... الشرقي للخليج العربي ولم يقتل في الحادثة سوى رجل مختل الشعور ي... له (**صادق**) وأما الجرحى فكثيـ... بينما أصيب الشيخ (**يوسف بن مـ... بن إبراهيم الخليفة**) بجراحـ... مثخنة مات منها بعد بضعة أيام ، أرخ السيد عبد الجليل الطباطبائي الواقعة بقوله (**بوقعة البحرين مال**) وتاريخها ١٢٥٨هـ /١٨٤٢... إبريل ١٨٤٣م الموافق ربيع أول ٢٥٩... وعقب الاستيلاء على المحرق مبا... عادت مفرزة قطرية إلى قطر وقد ك... تحارب مع الشيخ (**محمد بن خلي... وذلك بسبب هجوم المناصير ع... أحيائهم ولم يضعف ذلك من قوة الش... محمد بن خليفة في البحرين(١٢) و... بعض أولاد الشيخ عبد الله إلى الد... فاستوطنوها بينما اتجه الشيخ عبد... نحو (**الكويت**) فحاول الشيخ (**جابر... صباح**) المصالحة بين الشيخ عبد... والشيخ محمد ونزل إلى البحرين ا... الغرض ومعه ثماني سفن ونتي... لوساطة الشيخ جابر فقد أصدر ال... محمد دعوة للشيخ عبد الله أن يحـ... للقائه لكن الشيخ عبد الله تجاهل الدعوة ولم يحضر(١٣) ثم اتجـ...

ساحل قطر فالبحرين فالقطيف في ١٨٤٥م محاولاً غزو البحرين من هناك ففشل وعاد إلى الكويت ومنها إلى الأحساء في سبتمبر ١٨٤٦م ولما حدثت معركة بين الشيخ محمد وعيسى بن طريف والتي قتل فيها عيسى بن طريف ففقد الشيخ عبد الله آخر أمل له فاتجه إلى مسقط وذلك في ١٢٦٥هـ /١٨٤٨م مستنجداً بالسلطان (السيد سعيد) ولكنه توفي بعد وصوله هناك بأيام قلائل وذلك في فبراير ١٨٤٩م الموافق في ربيع الآخر ١٢٦٥هـ وكانت مدة حكم الشيخ عبد الله على البحرين ٢٢عاماً وأشهر، ومن العلماء المشهورين في زمانه : **الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكي والشيخ حسن الدوسري ثم البصري الشافعي**[١٤] .

وفي رواية دوّنها آل بنعلي حول مقتل رئيسهم (**عيسى بن طريف**) في وقعة (**أم سوية**) ١٢٦٤هـ /١٨٤٧م في بر قطر والتي جاء فيها أن سبب الحرب هو أن عيسى بن حمد بن طريف نزل البدع (**الدوحة حالياً**) وبقي فيها ست سنوات وأشهراً وأراد أن يصلح بين أولاد الشيخ عبد الله بن أحمد وبني عمهم ولما توجه نحوهم ولم يكن معه من قومه البنعلي إلا القليل لأنهم كانوا في الغوص وقتئذ وليس معه إلا أبناء عبد الله بن أحمد وبعض المناصير وبني هاجر وأناس من السلطة وبعض الأتباع ولما نشبت الحرب ذهب البدو بالأطماع وأصيب (**عيسى بن طريف**) ولكنه استمر بالرمي حتى إذا تكاثر عليه القوم قتل مع أصحابه .

ثم أعطى الشيخ (**محمد بن خليفة**) الأمان إلى الشيخ (**سلطان بن سلامة**) على أن يرجع ومعه قومه من البنعلي للبحرين وكذلك ألح المعتمد البريطاني على ابن سلامة أن يرجع مع جماعته للبحرين وكان يخشى الشيخ (**محمد بن خليفة**) من مساعدة البنعلي لأولاد الشيخ عبد الله بن أحمد ولما رجعوا منع الشيخ (**محمد بن خليفة**) جماعة البنعلي من زيارة الشيخ (**علي بن خليفة**) رغم أنهم أخواله وحدث أن جرى كلام بين الشيخ (**محمد بن خليفة**) و (**سلطان بن سلامة**) أثار غضبه وأمر الشيخ (**محمد بن خليفة**) أن يرحل البنعلي عن البحرين خلال مدة لا تزيد على خمسة عشر يوماً ورغم أن الوقت في الصيف والبارح شديد فقد كابدوا مشقة في ذهابهم إلى جزيرة قيس وكان ذلك في ١٢٦٥هـ .

وفي العام التالي توفي الشيخ (سلطان بن سلامة) في قيس وصارت رئاسة البنعلي لابنه علي الذي عرف بتقواه وشجاعته وكرمه وساد جماعته حتى وفاته ١٢٧٨هـ وذلك في العبرة وهو قادم من سترة بعد ما نقل جماعة من جزيرة قيس إلى الدمام ولما علم أبناء الشيخ عبد الله أن بين الشيخ (محمد بن خليفة) والبنعلي شقاق أرسلوا لهم وهم في جزيرة قيس يطلبون مساعدتهم فلبوا طلبهم واتجهوا نحو البحرين وكان (علي بن خليفة) محاصراً آل عبد الله في الدمام ولما وصل البنعلي اشتدت عزيمة آل عبد الله وحدثت (وقعة الخالي) وقتل أناس كثيرون حتى ذهب عنهم حصار أهل البحرين وقتل (بشر بن رحمة) و (مريط الهاجري) وآخرون وذلك ١٢٦٧هـ ، ثم طلب البنعلي أن ينزلوا الدمام مع آل عبد الله فسمح لهم الأمير فيصل بن تركي فنزلوا في ١٢٧١هـ[١٥] .

وبعد أن نزل آل بنعلي في الدمام وأكرمهم الأمير فيصل بن تركي أحس الشيخ (محمد بن خليفة) بضيق منهم خشية أن يهاجموه فلام أخاه الشيخ (علي بن خليفة) وكلموا المقيم في الخليج فجاءهم في بارجة كبيرة إلى الدمام وواجه (علي بن سلطان بن سلامة) وكلمه في الرجوع إلى البحرين مكر وتعهد له بأن ليس عليهم زكاة وأ الباليوز أو المقيم رسالة مختومة ب (محمد بن عبد الله بن أحمد) وفيه يدل على أنه غير متعاون معهم و الباليوز للبنعلي أن يتعاهدوا مع مـ وأخيه علي في البحرين وعاد البا ليرسل (علي بن خليفة) لهم ويرضيـ وجاء الشيخ علي ومعه مهر (خت أخيه محمد وتعاهدوا مع (علي سلطان) وعاد مع جماعته إلى البحـ وكان ذلك في عام ١٢٧٢هـ وكتب الـ (علي بن سلطان) إلى الأمير (فيصل تركي) يشكره فأرسل إليه الأمير فيـ رسالة مؤرخة في ذي القعدة ١٢٧٢هـ

ولما وصل البنعلي إلى البحرين الشيخ (محمد بن خليفة) المتولي الجمرك أن يسقط الجمرك عن بغـ (علي بن سلطان) وعن بتيله المـ (طاشان)[١٦] .

الشيخ محمد بن خليفـ آل خليفة (حاكما)

لقد استتب الأمر للشيخ (محمد خليفة) بمساعدة أخيه الشيخ علي ا

كان يشاركه في القيادة والحكم وهو اصغر سنا منه بعام واحد إذ يبلغ عمر الشيخ (محمد بن خليفة) وقتئذ ثلاثين عاما بعد وقعة المحرق سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢ و ١٨٤٣م وكانت المعركة الحاسمة والفاصلة بين الشيخ (محمد بن خليفة) والشيخ (عبد الله بن أحمد) قد حدثت في إبريل ١٨٤٣م الموافق في ربيع الأول ١٢٥٩هـ في المحرق. ووصف النبهاني الشيخ (محمد بن خليفة) بالحزم وأصالة الرأي والشجاعة وشدة البأس وقد جمع بين الحلم والوقار والمهابة مع البشاشة وصدق الفراسة والإصابة في الزكاء والذكاء واغتنام الفرص[١٧] فكان يدّعي الولاء في الخفاء لأكثر من دولتين فإذا تحكمت عليه إحداهما ادعى النسبة إلى الأخرى ولكن ذلك لم يرض بريطانيا فأخذت تحرض القبائل المجاورة عليه ولكنه كان يقظا لما يحاك له في الخفاء[١٨] . وكان يسكن قطر من آل خليفة الشيخ (عبد الوهاب بن عبد الله) و (خليفة بن محمد بن عبد الله)(وخليفة بن محمد بن علي) و (أحمد بن محمد بن علي). ويسكن (البحرين) من آل عبد الله (حسن بن عبد الله بن احمد) وأخواه (راشد وحمود) ويدفع لهم الشيخ (محمد بن خليفة) راتبا شهريا . بينما يسكن (الدمام) محمد بن عبد الله وأبناؤه الثلاثة وإخوته أحمد وعلي وحسن . ويبلغ عدد سكان البحرين وتوابعها على ساحل قطر نحو خمسين ألف نسمة حسب تقرير الكابتن كامبل[١٩] وعرف عن الشيخ محمد تقريبه لرجال العلم لذا امّهُ كثير منهم كالشيخ (عبد اللطيف بن الشيخ عبد المحسن الصحاف المالكي) ، والشيخ (راشد بن عيسى المالكي) والشيخ (حسن بن يوسف الطيور آل يوسف المالكي) المتوفى ١٣١٥هـ والشيخ (عبد المحسن بن جامع الحنبلي) ، والشيخ (عثمان بن جامع الحنبلي) والشيخ (ملا محمد بن عبد ا لله آل محمود الشافعي) الذي تولي القضاء ثم استعفى عنه[٢٠] وبدأ الشيخ (محمد بن خليفة) يوطد حكمه في كل من قطر والبحرين فخضعت له أغلب العشائر . ففي خريف ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م نقل (عيسى بن طريف البنعلي) حليف الشيخ (محمد بن خليفة) مقر إقامته إلى الدوحة في قطر بعد أن استأذن من الشيخ محمد في ذلك فاسند له الحكم في مقر وظيفته هناك مظهرا انه عامل مخلص ومطيع . ولكنه اخذ بجمع العشائر للحرب وقد لبت طلبه معظم

العشائر عدا قبيلة النعيم التي ظلت موالية لآل خليفة فجهز **(عيسى بن طريف)** ما جمع من العشائر خاصة بعد أن رحبت السلطات البريطانية بتعيينه أولا على الدوحة وثانيا باحتمال قيام الحرب إلى الساحل الشرقي من قطر علاوة على رغبة بريطانية بانتزاع الدوحة من أيدي شيخ قبيلة السودان . ولما أمن عيسى بن طريف الجانب البريطاني أرسل إلى أبناء الشيخ عبد الله المقيمين في الدمام يستقدمهم إليه لإتمام مشروعه فلبى الشيخ **(مبارك بن عبد الله بن أحمد)** دعوته وجاء يقود جيشا من بني هاجر وبدأ عيسى بن طريف يغلظ القول في رسالة يطالب فيها بإعادة أملاك وأموال الشيخ مبارك وإلا سوف يشق شقا لا يرفى فأرسل الشيخ محمد الرسالة إلى أخيه الشيخ **(علي بن خليفة)** في المنامة يستطلع رأيه فأجابه الشيخ علي **(بأن الدم هو الذي يرفو ذلك الشق)** وبعد أن تعهد الشيخ محمد بدفع الزكاة للأمير فيصل بن تركي ومقدارها ٨٤ ألف ربية مقابل عدم تشجيع الأمير فيصل لشيخ البحرين السابق وتفرغ الشيخ محمد لوضع خطة يدحر فيها **(عيسى بن طريف)**(٢١) فحشد الشيخ محمد جنوده ووجهها نحو قطر يقودها أخوه الشيخ علي ونزل بها في الجهة الشرقية من قطر في موضع يقال له **(المرونة)** . بينما توجه الشيخ محمد لنجدة قبيلة النعيم التي امتنعت عن الانضمام إلى عيسى بن طريف وقد تهددها بالحرب وشدد عليها ولكنها أصرت على ولائها لآل خليفة فجاء الشيخ **(محمد بن خليفة)** ونزل عندها وكانت قبيلة النعيم قد استعدت للحرب . فما كان من عيسى بن طريف إلا أن يتجه صوب الشيخ محمد بن خليفة قبل أن يصل إلى جيش أخيه **(علي بن خليفة)** وكان مع عيسى بن طريف قبيلة المناصير والشيخ مبارك بن عبد الله يقود بني هاجر وحدثت المعركة في ٩ ذي الحجة ١٢٦٤هـ/ الموافق ٧ نوفمبر ١٨٤٨م قرب موضع ماء يسمى **(أم سويه)** قرب **(فويرط)** شرق قطر وسميت الواقعة بهذا الاسم أو **(خراب الدوحة الأول)** لأنها كانت سكنى عيسى بن طريف فكأنها خربت بعد مقتله وانتهت الواقعة بمقتل **(عيسى بن طريف)** وهزيمة جنده فأرسل الشيخ محمد لأخيه الشيخ علي يخبره بالنصر فقدم إليه وهنأه بالظفر ورجعا إلى البحرين حاملين لواء النصر وجدير بالذكر فان **(عيسى بن طريف)** هو الذي

ساعد في فتح معباسا في شرق أفريقيا مع قبيلة آل بنعلي مساعدة لحاكم مسقط وزنجبار السيد سعيد بن سلطان آل بوسعيدي[٢٢] وذلك في ١٢٥٢هـ بعد أن تجهزوا في ثماني عشرة سفينة .

وفي الثامن من مايو ١٨٤٧م الموافق في ٢٢ جمادي الأولى ١٢٦٤هـ وقع الشيخ (محمد بن خليفة) اتفاقية مع الإنجليز تقضي بمكافحة الرقيق[٢٣] وكتب السيد عبد الجليل بن السيد ياسين الطباطبائي إلى خورشيد باشا في ١٧ جمادي الآخرة ١٢٦٣هـ الموافق ٥ يونيو ١٨٤٧م خطابا فصل فيه الحوادث والأخبار بعد وصوله إلى الكويت واستلامه رسائل من البحرين تفيد أن باليوز بو شهر واسمه (هينل) قدم للبحرين في مركبين فواجهه شيخها (محمد بن خليفة آل خليفة) فقال له: انتم في المدة الماضية لم تكن لكم علاقة بأحد من الملوك فكونوا على ما أنتم عليه من الحال الأول من عدم التعلق بأحد ولا تأخذوا بأقوال السلطان (العثماني) وان خفتم من زيادة العشور على طارفتكم فاني أكتب إلى حكومة بومبي في عدم أخذ الزيادة على المعتاد القديم ترغيبا لهم في ترك الأقوال السلطانية وبهذا المعنى خاطبهم به صراحة و (محمد بن خليفة) قال لهم: أننا إلى اليوم على حالنا الأول لم يحدث لنا تعلق بأحد من الملوك ونتشاور في هذه المادة بيننا ثم يأتيك الجواب ووعدهم الباليوز بأنه سيرسل الفسح لهم عن زيادة العشر وادعى الإنجليز أن لهم أرض في (خرائطهم) وماؤها قريب من البحر ولا يعرف الباليوز اسمها ويجهل محلها وبموجب وصفه لها هي جزيرة الزخنونية قرب العجير بندر الأحساء وموقعها مهم ولابد من إبعاد الإنجليز عنها[٢٤] .

وفي ١٨٤٨هـ اقترح الشيخ محمد للسلطات البريطانية الحماية للبحرين ودارت مشاورات طويلة ما بين السلطات البريطانية حتى رفضت بريطانية في سبتمبر ١٨٤٩م هذا الاقتراح مع أنها أكدت للشيخ الصداقة وحسن النية على الرغم من رفض الحماية رسميا .

وفي الوقت نفسه فقد كان القنصل الإيراني العام يلعب دورا خطيرا بين الجانبين المتنازعين من الأسرة الحاكمة فهو يكاتب كلا الطرفين يمنيهما بالعون الكامل ويضللهما[٢٥] وقد سبق أن كتب تسعة من أهل البحرين رسالة وختموها بأختامهم وأرسلوها إلى الشيخ (عبد الله

بن أحمد) يعرضون عليه أن أحدهم قد مضى بنفسه إلى شيراز وواجه حاكمها وتعهد الحاكم بإمداده بالعساكر والعتاد وما على الشيخ عبد الله إلا أن يرسل الخشب (السفن) لنقلهم وهم عشرة آلاف من الجند النظامي وألفين خيال وعشرين مدفع وثلاثمائة طوبجي وأن يذهب الشيخ عبد الله إلى الدمام ونحن نأخذ لك البحرين ونسلمها لك ونبين لك مدى إخلاصنا لكم[٢٦] .

و في عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م ترك بعض التجار البحرين مغاضبين الشيخ (محمد بن خليفة) نتيجة لإجراءاته التعسفية و اتجهوا نحو جزيرة قيس و اجتمعوا مع بعض العتوب الساخطين على حكم الشيخ محمد و ذلك بعد وفاة الشيخ عبد الله بن أحمد في مسقط فما كان من الشيخ محمد إلا أن أرسل أخاه الشيخ علي للتفاوض مع المقيم في الخليج فطلب منه المقيم أن يكون الشيخ محمد مع هؤلاء اكثر لينا وميلا للتفاهم وتمت المصالحة وعاد التجار وهم : يوسف بن إبراهيم الطيور والشيخ محمد بن سعيد رئيس قبيلة بو كواره والشيخ جاسم بن محمد[٢٧] .

وفي عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م وصل الدواسر من نجد إلى البحرين لأول مرة وقيل انهم أقاموا ردحا من الزمن في جزيرة الزخنونية وانهم جددوا القلعة التي بناها الشيخ علي بن خليفة هناك، ثم انتقلوا إلى البحرين وسكنوا الزلاق والبديع ومنهم من سكن حوار وبنوا فيها البرك وأقاموا لهم قريتين وصفها (بريدو) ١٩٠٩م وقال فيها نحو أربعين بيتا وفيها مسجد وبعض المقابر والتي لازالت آثارها باقية للعيان وأكد ذلك لوريمر في ١٩١٥م[٢٨] .

وشهدت البحرين خلال السنوات من ١٨٤٧-١٨٤٩م سوء الإدارة والضعف نتيجة للصراع الطويل بين شيوخ الأسرة الخليفية الحاكمة.

وكان لوفاة الشيخ (عبد الله بن أحمد) وانكسار ولده مبارك في معركة (أم سوية) كبير الأثر في وضع خطة ضد الشيخ (محمد بن خليفة) ولكن قلة أتباعه من جهة وحزم ويقظة الشيخ (محمد بن خليفة) من جهة أخرى حالت دون تحقيق رغباته . وفي ١٢٦٧هـ/١٨٥٠م اتفق مبارك مع اخوته الخمسة الذين كانوا وقتئذ معه في الدمام على الاستنجاد بأمير نجد الأمير (فيصل

ن تركي) فأمدهم بجيش قاده مبارك
اتجه صوب قطر مع ما جمعه من
موع أخرى ونزل في موضع يقال
مسيمير) ومن هناك اتجهوا نحو
بحرين فما كان من الشيخ (محمد بن
خليفة) إلا أن جهز جيشين أحدهما
ري بقيادة أخيه الشيخ علي وأرسله إلى
طر لمناجزة آل عبد الله بينما قاد
جيش البحري الشيخ (عبد الرحمن بن
بد اللطيف بن عبد الله بن خليفة)
التقى الجيش البحري بآل عبد الله في
وضع (رأس تنورة) وبعد معركة شديدة
كسرت قوات آل عبد الله وقتل مبارك
أخوه راشد ابنا الشيخ عبد الله كما قتل
شر بن رحمه الجلهمي ومريط من بني
اجر وسميت هذه الواقعة (واقعة
لتنورة) وقد حدثت في
١٢٦٠هـ/١٨٥٠م وقد ساءت العلاقات
ين الشيخ محمد وبريطانيا في عام
١٨٥م عندما وجه خطابا اظهر فيه
لغضب والنقد الشديد من تصرفات
لكولونيل (هينل) وبعثت السلطات
لبريطانية بسفينة حربية إلى البحرين
ما كان من الشيخ إلا أن بعث أخاه
لشيخ علي ليعتذر عما بدر من أخيه
لشيخ محمد فهدأت الأحوال(٢٩) .

والباحث في تاريخ هذه الفترة يجد تفاصيل حول أسباب الخلاف الذي حدث بين الشيخ (محمد بن خليفة) والمقيم البريطاني الكولونيل (هينل) في بو شهر وكان (حاجى جاسم) الوكيل المحلي للإنجليز في البحرين وهو من أصل فارسي يلعب دورا خطيرا في إثارة الخلاف بين المقيم وشيخ البحرين ففي الثاني من سبتمبر ١٨٥٠ م كتب حاجى جاسم رسالة إلى المقيم (هينل) ذكر فيها أنه بعد أن نقل رسالة المقيم إلى الشيخ (محمد بن خليفة) وقرأها غضب لأنه رجل متكبر وأن الشيخ قال : المقيم يسخر مني وليست كلماته إلا سخرية وأنني - والكلام للشيخ محمد بن خليفة - كتبت له مرارا عن الشخص الذي قتل وهو من العتوب ومن رعاياي حين قتل في مصايد اللؤلؤ وهو يرد علي قائلا بأنه لا يعرف القاتل ، أنني واثق بأن القاتل من (كونك) ويعرف كل واحد بأنني أستطيع أن أقتل عددا منهم دون أن يعرفه أحد وذلك حينما يزورون قطر أو أي مكان آخر لكن المقيم إذا اطلع على ذلك سيطلب مني تعويضا باعتبار ذلك نوع من الاغتيالات. وأنا كذلك أستطيع أن أتحالف مع الأجانب وأرفع علمهم ولا أريد شيئا من الإنجليز وإذا

زارت سفنهم البحرين لا ألتفت إليها و لن أزورها ولما أن دخل الشيخ (علي بن خليفة) ختم الشيخ (محمد بن خليفة) كلامه إلى حاجي جاسم بقوله لا أريد أن أكتب للمقيم بل أنقل له ما قلت لك .

فلما قرأ المقيم (هينل) رسالة حاجي جاسم أرسل رسالة إلى الشيخ (محمد بن خليفة) مؤرخة في ٢٠ سبتمبر ١٨٥٠م ذكر فيها أنك تتهمني بالإهمال وتستخدم كلمات مهينة ضد الحكومة البريطانية أمام وكيلنا المحلي حاجي جاسم وتقول بأنك تستطيع أن تهزم الأسطول البريطاني بمجرد سفينة واحدة من سفنك واستطرد المقيم في رسالته للشيخ محمد بن خليفة بقوله : وأني أعرض عليك إما أن تنفي ما نسب إليك أو تعتذر للحكومة البريطانية واطلب من الحاكم العام أن يسمح لي أن أطلب من حاكم البحرين اعتذارا رسميا وإن رفض ذلك افرض عليه حصارا بحريا وإن لزم الأمر أدمر أسطول البحرين الحربي .

فكتب الشيخ (محمد بن خليفة) إلى المقيم (هينل) قوله : لقد سمعت من صديقنا محمد بن سعيد بأنك زعلت من الكلمات التي استخدمتها كما نقلها لك بعض الأشخاص وقد يكون له بعض الأساس من الصحة لكنني لم أتصور أن الموضوع يكبر لهذه الدرجة من الخطورة نظرا لأنني شعرت بأني مظلوم تجاه تصرفاتك واستخدمت لهجة خشنة دون أن أقصد أية إساءة فاعتذر لك وأرجو أن يشرح لك أخي الموقف ويزيل سوء التفاهم بيننا لأنه يمثلني تماما ويعتبر كل ما يقوله كأنه صدر عني شخصيا وإن شاء الله هذا يكفينا(٣٠) .

فأجاب المقيم (هينل) بالشكر على رسالته الكريمة وأنه أصبح مسرورا بلقائه لأخيه وبخصوص الأشخاص الذين اعتدوا على واحد من رعاياكم فقد أصدرت لهم إنذارا على أن لا يتكرر ذلك منهم ومن المنتظر أن تبحر بعض سفننا باتجاه (كونك) قريبا وسوف نكرر الإنذار لأهل كونك مرة أخرى وأضاف المقيم (هينل) بأنه يقبل اعتذار الشيخ (محمد بن خليفة) بالنسبة للكلمات التي صدرت ضده ولكن بالنسبة لبريطانيا يفضل أن يعتذر شخصيا لقائد القوات البحرية عند زيارته للبحرين على متن سفينته ثم تطرق الشيخ علي إلى موضوع أبناء الشيخ عبد الله بن أحمد الراحل وتواجدهم في (كونك)

...مهم على شن هجوم على البحرين ...ابه المقيم (هينل) أنه سوف يوجه ...ارا لهم[٣١].

وفي نهاية ١٢٦٨هـ/١٨٥١م أعيدت ...وحة في قطر إلى الشيخ (علي بن ...ليفة) أخ الشيخ محمد شيخ البحرين التي كانت قد انتزعت منه سابقا من ...بل الأمير السعودي (فيصل بن تركي) ...عاد الأمير إلى الهفوف بصورة سلمية ...قد توسط الشيخ طحنون شيخ أبو ظبي في إعادة الدوحة إلى شيوخ البحرين[٣٢] وفي العام التالي رفض الشيخ محمد دفع الزكاة للأمير فيصل بن تركي وذلك لاستقرار أبناء الشيخ عبد الله في الدمام تحت حمايته ولكن توسط المقيم من جهة وحكمة الشيخ علي الذي كان دائما أكثر ضبطا للنفس من أخيه الشيخ محمد فقد دفعت الزكاة وانتهت الأزمة بسلام[٣٣] .

وقد حدث في عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٣-١٨٥٤م أن هاجم آل عبد الله البحرين في وقت الغوص حيث خرج أهل البحرين للغوص كعادتهم فجمع آل عبد الله السفن من أهل قطر وسيروها بالرجال نحو البحرين . وشعر الشيخ علي الذي كان في المنامة بأن السفن القطرية انقطعت عن المجيء كعادتها للبحرين فظن أن في ذلك مكيدة فأخبر أخاه الشيخ محمد بذلك وكان في المحرق وقتئذ واتفق معه أن يطلق طلقتي مدفع إذا هجم آل عبد الله وفي اليوم التالي وصلت طلائعهم فأطلق طلقتين ولكنهم نزلوا في يمين نخل منطقة (سنابس) بالبحرين فبادرهم الشيخ علي بالهجوم وساعده أخوه (راشد بن خليفة) بجيش من الفرسان فأصلياهم نارا حامية بالمدافع والبنادق فخاب ظن آل عبد الله لأنهم اعتقدوا أن البلاد خالية وأن أهلها ذهبوا للغوص فهاجموها على غرة . فما كان من آل عبد الله إلا أن هربوا منكسرين بعد أن تركوا عشرة قتلى فلما وصل الشيخ محمد من المحرق وجد المعركة قد انتهت بفضل بسالة أخيه الشيخ علي فأثنى على شجاعة أخيه وحزمه وفراسته وأصالة رأيه وعلو همته وكان من ضمن جيش الشيخ علي رئيس قبيلة المنانعة واسمه (سالم بن درويش) المعروف بشجاعته وأرخت المعركة بلفظ (خرعت) وسميت بواقعة الدولاب وذلك في ١٢٧٠هـ ولقد حدث حصار بحري على الدمام قام به الشيخ (علي بن خليفة) حيث كان يسكنها آل عبد الله

الذين لجأوا إليها بعد انكسارهم في البحرين وكان القصد من هذا الحصار منع السفن التجارية من الوصول إليهم والتضييق على مصالحهم الاقتصادية وبقي الشيخ علي محاصرا لهم نحو أحد عشر شهرا ولما رأى بالناظور أن إبلا لآل عبد الله تخرج كل يوم قبيل الظهر لترد من عين تقع جنوب البلدة أرسل لأخيه الشيخ محمد أن يرسل له قوما من الفرسان فأرسلهم بقيادة الشيخ (صقر بن محمد بن خليفة)[٣٤] وهناك دبر الشيخ علي خطة عسكرية استطاع بموجبها تحقيق غايته وهي وصول الإبل سالمة للبحرين فلما رأى الفرسان قد أغاروا على الإبل واقتطعوا منها نحو أربعين ناقة عمانية وهو يراقبهم بالناظور تحرك بسفن نحو البلدة وأمر بإطلاق البنادق مظهرا عزمه على إحتلالها فما كان من آل عبد الله إلا أن تركوا أمر الإبل واتجهوا للدفاع عن البلدة حتى إذا ما حملت الإبل بالسفن أمر الشيخ علي أن يكف المقاتلون عن الرمي وقفل راجعا إلى البحرين في عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤-١٨٥٥م وسمي هذا الحصار (شد الدمام) أي حصار الدمام وفي رواية أخرى نرى أنها سميت (وقعة خالي) حيث أن أبناء الشيخ عبد الله أرسلوا إلى البنعلي في جزيرة قيس يطلبون منهم المدد فساعدهم حين اتجهوا نحو البحرين وكانوا على خلاف مع الشيخ (محمد بن خليفة) فانسحب الشيخ (علي بن خليفة) نحو البحرين وفك الحصار الذي ضربه حول آل عبد الله في الدمام .

وفي ١٥ رمضان ١٢٧٢هـ الموافق في العاشر من شهر مايو ١٨٥٦م عقدت اتفاقية في منع تجارة الرقيق وذلك بين القبطان جونس باليوز بريطانيا في الخليج والشيخ (محمد بن خليفة) وهي متممة ومؤكدة للاتفاقية السابقة المعقودة بين الشيخ محمد وبريطانية في ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م وفيها يتعهد الشيخ محمد أن لا يسمح للسفن التي تنقل الرقيق أن تنزل في البحرين وإذا تحقق توصيل الرقيق فيها فأنه يحجزها مع نواخذها ويمنعها من السفر إلى أن يصل الحكم عنها من الباليوز البريطاني .

ونتيجة للحظر الذي فرضه الشيخ (محمد بن خليفة) على السفن التجارية التي تحمل العلم البريطاني من الإبحار للقطيف وزيادة الضرائب على الواردات والصادرات فقد أرسل المقيم فيلكس جونز السفينة الحربية (كليف) لتقوم بتحذير الشيخ (محمد بن خليفة) ولكن

ط الشيخ علي بن خليفة أنهى الأزمة
١٨م ولعل هذا الموقف البريطاني هو
ي دفع الشيخ (محمد بن خليفة)
رجه نحو دول أخرى كالدولة
ثمانية فقد شهد عام
١٢١ هـ/١٨٥٨-١٨٥٩م اهتمام الدولة
شمانية بالبحرين فأرسلت وفدا برئاسة
محمد بيك الديار بكرى) و (عبد
قادر أفندي) إلى الشيخ (محمد بن
خليفة) وطلبا منه رفع العلم العثماني
على جميع مملكته فلبى طلبهما
وعدهما بذلك ورفع العلم العثماني
بالفعل وذلك في زمن ولاية مدحت باشا
على بغداد .

وقد عرض الشيخ (محمد بن خليفة) استعداده لدفع شئ من المال إلى ميرزا مهدي خان وأرسل حصانين هدية له ونصب العلم الفارسي على قلعته كما أهدى لوزير الخارجية الفارسي سيفاً مذهباً وحصاناً من أنجب الخيول وذلك في ٢١رمضان ١٢٧٦هـ/ إبريل ١٨٦٠م . ولكن في فبراير ١٨٦١م اختفى وكلاء تركيا وإيران جميعا من البحرين وفي العشرين من ذي القعدة ١٢٧٧هـ الموافق مايو ١٨٦١م عقدت معاهدة بين الشيخ (محمد بن خليفة) والقبطان فيلكس جونز مأمور البحرية البريطانية والباليوز في الخليج وخلاصتها أنها معاهدة صلح دائم وصداقة مع بريطانية على أن تبقى سائر الاتفاقيات السابقة قائمة وأن لا أتعبث في البحر بحرب ظاهر أم بسبيل البطش ما دامت بريطانية تحافظ على أملاكنا في البحر . ولرعايا الدولة البريطانية أن يتخذوا لهم مساكن في البحرين وتوابعها لأجل التجارة على أن يسلموا العشر وهو خمسة بالمائة على أموالهم التي يتاجرون فيها وأن يقدم لهم كافة التسهيلات كما أن على الإنجليز تقديم كافة التسهيلات لرعايا البحرين القاطنين في الموانئ التي بين حكامها وبين الدولة الإنجليزية رابطة صداقة.

وكان عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣ و١٨٦٤م عام سلام وصلح بين آل عبد الله وآل سلمان إثر توسط أمير نجد (فيصل بن تركي) بعد أن طلب آل عبد الله من الأمير السعودي التوسط للصلح حيث أيقنوا أنهم عاجزون عن المقاومة لضعفهم أمام آل سلمان الذين وافقوا على الصلح وعفوا عن آل عبد الله وسمحوا لهم بالعودة إلى البحرين ولما قدموا أنعموا عليهم وأكرموهم غاية الإكرام فزالت الضغائن والأحقاد وحلت محلها المحبة والاحترام والخضوع لصاحب السلطان

من بني عمومتهم وأرخ هـذا العام بلفظ (فوغ) وتشير إلى انتهاء الخصومات[٣٥].

وفـي ١٢٨١هـ/٦٤-١٨٦٥م حـج الشيخ (محمد بـن خليفـة) وعلى اثر عودته وجد أن أهل قطر عصوا عامله الشيخ (أحمد بن محمـد بـن أحمد بـن سلمان آل خليفـة) وفي عـام ١٢٨٢هـ حدثـت واقعـة في الوكـرة موقـع الحـاكم (أحمـد آل خليفـة) ولما لم يكـن لـدى الحاكم قـوة للدفـاع فاضطر للتوجـه إلى (الخور) الواقع في الطـرف الشمالي من بـر قطر وسميت هـذه الواقعـة بواقعـة (الوكـرة) فأرسل الشيخ (محمـد بـن خليفة له) جيشا يقوده الشيخ علي بـن خليفة إلى الدوحة وحدثت المعركة الـتي أسفرت عـن انتصار الشيخ (علـي بـن خليفـة) وخربت البلدة وسميت هـذه الوقعـة (خـراب الدوحـة الثـاني)[٣٦] وذلك في عـام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م حدثـت معركـة في البحـر أطلق عليهـا معركـة (الحمرور) قرب سـاحل قطـر وانتهـت بأن تفرق الجمعان متناصفين.

وفي السابع من صفر ١٢٨٤هـ/١١ يونيـو ١٨٦٧م حدثـت واقعـة تسـمى (دامسـة) في قطـر وسـببها أن الشـيخ (قاسم بـن ثـاني) توجـه إلى البحريـن يطلب العفـو مـن الشيخ (محمـد بـن خليفة) عما بدر منه من أخطـاء خاصة حينما علم أنه قـد جهـز جيشا عظيما يقصده بـه هـو وقومـه فلمـا وصـل إلى البحرين أمر الشيخ (محمد بـن خليفـة) بالقبض عليه وزجـه في السجن دون أن يواجهـه ليبـدي اعتـذاره فثـار بعـض أتباعه في قطـر وحدثـت معركـة بحرية عظيمة في دامسة انتهـت بانتصـار شيخ البحريـن ولم يكتـف بذلـك بـل تـابعهم ونزل إلى أرض قطـر . وحدثـت المعركـة وأختطـف الشيخ (إبراهيم بـن علـي) وأسـروه لديهـم ولم يطلقـوه إلا بفـك أسيرهم الشيخ قاسم بـن ثـاني[٣٧] . وفي روايـة أخرى أن سـبب حـدوث وقعـة (دامسة) أن الشيخ (محمد بـن خليفـة) كتب إلى الشـيخ (قاسـم بـن محمـد بـن ثاني) يدعوه إلى البحرين ليتفاوض معـه في أمر عامله على قطر (أحمد بن محمد آل خليفـة) فلمـا وصـل الشـيخ قاسـم حبسـه فتوجـه قومـه يطالبونـه بـإطلاق سراحه فأرسل لهم الشيخ محمد السفن بقيادة الشيخ (علي بن خليفة) فكسرهم وأمـر الشـيخ علـي أن يسـتعد لغزوهـم وحدثت معركة تسمى (الوكـرة) في عـام ١٢٨٤هـ وفيها انكسر جيش الشيخ علي وتبـادل الجانبـان الأسـرى[٣٨] . ولقـد

ت المعركة البحرية بين الشيخ (محمد
ن خليفة) وأهالي قطر في (دامسة)
١٢٨هـ/١٨٦٧م إلى تدخل المقيم
بريطاني في الخليج الذي كان مقرة
وشهر مستنكرا هجومه على قطر لأن في
لك خرقاً للاتفاقية الموقعة بين الشيخ
(محمد بن خليفة) وبريطانيا والتي فيها
(أن لا يجهز الشيخ محمد أي حملة
بحرية ولا يتخذ سفن حربية وتتعهد
بريطانيا في الدفاع عن أية غارة بحرية
تحدث على البحرين) ولكن بعض
قبائل قطر هجموا عليه فما كان من
الشيخ (محمد بن خليفة) إلا أن ردهم
وقد رأى أنه إذا انتظر حتى يخبر المقيم
في بوشهر فإنه يخشى على بلاده منهم
فبادر بالدفاع عن ملكه فحدثت وقعة
(دامسة) فاتخذ المقيم من وقعة دامسة
هذه ذريعة للتدخل واتجه ببارجته إلى
البحرين فترك الشيخ (محمد بن
خليفة) البلاد وتوجه إلى قطر بعد أن
عين أخاه الشيخ علي مكانه ليتفاوض
مع المقيم الذي اعتبر خروج الشيخ
محمد من البحرين اعترافا بمخالفته
للاتفاقية فأمر بضرب قلعة بوماهر
فهدمها وأحرق ثلاث سفن حربية من
الأسطول الشراعي الخاص بالحاكم وأمر
الشيخ علي أن يتقلد الحكم . وبعد
جدال عنيف رضى الشيخ علي بالأمر
الواقع وتولى الحكم في ١٢٨٥هـ وأرخت
بلفظ (غرفة) . ومن هنا بدأ الخلاف
بين الأخوين . وفي ١٢٨٥هـ اضطر
الشيخ (محمد بن خليفة) إلى الذهاب
إلى الكويت وتوسط الشيخ (عبد الله بن
صباح آل صباح) في الصلح وحل
الخلاف بين الأخوين برسالة نقلها
الشيخ (محمد آل صباح) إلى الشيخ
(علي بن خليفة) الذي وافق على إرجاع
الحكم لأخيه محمد فقدم الشيخ (عبد
الله بن صباح) مع الشيخ (محمد بن
خليفة) ولكن الأجانب حالوا دون
تحقيق ذلك فقد رجع الشيخ علي عن
فكرة التنازل لأخيه محمد فعاد الشيخ
عبد الله إلى الكويت بينما نزل الشيخ
محمد في دارين ليستعد لغزو
البحرين(٣٩) .

وقصة الخلاف بين المقيم والشيخ
(محمد بن خليفة) أدت إلى خروجه من
البحرين إلى الكويت ورغم مساعي شيخ
الكويت للصلح وعودته إلى البحرين إلا
أن موقف المقيم حال دون ذلك حيث
استقر به المقام في (دارين) مستغلا
الاضطرابات التي حدثت في الأحساء
فاستولى على سبع أو ثمان سفن من
هناك وجهز جيشا من بني هاجر وأتاه

الشيخ (ناصر بن مبارك) من آل عبد الله واتفق معه على أن يسير معه ضمن أتباعه وتوجه نحو البحرين وكانت سفن الشيخ (علي بن خليفة) حاكم البحرين مشغولة بصيد اللؤلؤ ولم يكن يشك الشيخ على بأن أخاه الشيخ محمد يجرؤ على القيام بالاعتداء على البحرين عن طريق البحر ولما نزلوا البر خرج لهم الشيخ على بجيشه ومعه بقية آل عبد الله وعليهم الشيخ (محمد بن عبد الله) إلا أن الشيخ على ارتاب من آل عبد الله حينما علم أن اتفاقا حصل بين أخيه الشيخ محمد وآل عبد الله فطلب من آل عبد الله تجديد العهد فعاهدوه ثانية فأرسل الشيخ على ابنه الشيخ ابراهيم إلى آل عبد الله في معسكرهم يأمرهم بمهاجمة جيش الأعداء فأظهروا له الامتثال وعند عودته كرّ عليه رجل من بني هاجر فطعنه برمح أرداه قتيلا عن ظهر فرسه. ثم تقدم الشيخ (علي بن خليفة) نفسه للقتال فالتحمت الصفوف وانتهت المعركة بمقتل الشيخ (علي بن خليفة) وفر أتباعه إلى بر قطر فعاد الحكم إلى الشيخ (محمد بن خليفة) كما قتل قبيل المعركة خطأ أحد أبناء الشيخ (محمد بن عبد ا لله) المشهور بالحباب لأنه الولد الوحيد له ولا يعرف من قاتله

وقتل الشيخ (خليفة بن علي بن خليفة بن مقرن آل خليفة) والشيخ (سلطان بن عبد الرازق بن إبراهيم آل خليفة) والشيخ (راشد بن عبد الرحمن بن راشد آل فاضل) وأرخت هذه الوقعة التي سميت (وقعة الضلع) في ٢١ جمادي الثانية عام ١٢٨٦هـ/١٨٩٦م وأرخوها بقولهم (وي لأوال خربت) وكان للشيخ (علي بن خليفة) ١٧ ابناً . ولمحمد بن خليفة ١٤ ابناً ودخل كل من (محمد بن خليفة) و (محمد بن عبد الله) و (ناصر بن مبارك) مدينتي المنامة والمحرق وبرزت خلافات حادة بينهم فأسر كل من (محمد بن عبد الله وناصر بن مبارك) شريكهم الشيخ (محمد بن خليفة) وسجنوه في قلعة (بوماهر) في المحرق وتولى الأخ الأكبر لآل عبد الله وهو الشيخ (محمد بن عبد الله) حكم البلدة وتوجه الشيخ (عيسى بن علي) ابن حاكم البحرين السابق الشيخ (علي بن خليفة) إلى قطر ونزل عند قبيلة النعيم وتبعه سائر اخوته وبني عمه الشيخ محمد بن خليفة ماعدا أخيه (أحمد بن الشيخ علي) فإنه توجه إلى نجد فأقام ضيفا لدى الأمير عبد الله بن فيصل آل سعود إلى أن التقى أخوه بالشيخ عيسى الحاكم في البحرين

وكذلك كان (جابر بن الشيخ محمد) قد توجه إلى نجد بعد أن كان مقيما في الكويت وقد اتجه إلى قطر للالتحاق والنزول على ابن عمه الشيخ (عيسى بن علي) وبقى أولئك إلى أن تولى الشيخ عيسى بن علي حكم البحرين .

وفي الأشهر الثلاثة التي حكم فيها الشيخ (محمد بن خليفة) كان يحث القبائل القطرية على مناوأة الشيخ (عيسى بن علي) ومن معه من آل سلمان كما كان الشيخ (قاسم بن ثاني) يهددهم و (جبر بن مهنا المسلمي) يتوعدهم تقربا للحاكم الجديد الشيخ (محمد بن عبد الله). إلا أن الكولونيل (بيلي) طلب من حكومته التحرك بسرعة لأن (آل عبد الله ومحمد بن خليفة) خرقا الهدنة وطلب القبض على الشيخ (محمد بن خليفة) ونعى اغتيال الشيخ (علي بن خليفة) الذي قال عنه المقيم أنه جلب مصيره المشئوم بنفسه بسبب كرامة نفسه والثقة بأخيه التي كانت في غير محلها وجاء بيلي ببارجة واتجه نحو الشيخ (محمد بن عبد الله) وسأله عن مكان الشيخ محمد بن خليفة فأخبره أنه قتل في المعركة ولكنه علم أنه محبوس في قلعة (بوماهر) وقد أخبرته امرأة سرا فأحاط القلعة بالعسكر وأخرجه وأركبه في البارجة ثم اتجه بيلي ببارجته فأطلق عدة قذائف على دار الحكم في المنامة ففر بنو هاجر ومعهم أميرهم الشيخ (ناصر بن مبارك بن عبد الله) ثم استشار رؤساء القبائل والأعيان فيمن تختارونه حاكما عليكم فأجمع الكل على طلب الشيخ (عيسى بن علي آل خليفة) حاكما عليهم فكتب إليه كتابا نقله إليه (علي بن عيسى البنعلي) وقدم للبحرين وسط سرور أهل البلاد وفرحتهم فما كان من الشيخ (محمد بن عبد الله) إلا أن سلم نفسه للمعتمد فوضعه في السفينة وهناك وجد الشيخ (محمد بن خليفة) في السفينة وحدث بينهما مناقشة سخر منها المقيم وأرسلهما ليسجنا في الهند(٤٠) .

وتطالعنا الوثائق العثمانية في مستهل القرن الرابع عشر الهجري وهي تحدثنا عن الشيخ (محمد بن خليفة بن سلمان آل خليفة) الذي رفع العلم العثماني في سماء البحرين وأرسل إلى دار السلطنة العثمانية مبينا ولاءه وحسن صداقته وموضحا أحوال البحرين وطالبا تعيين شخص من الذوات المعتبرين لدى السلطان لأجل الإفادة والاستفادة . وقد أجابه والى ولاية بغداد في شعبان ١٢٧٦هـ بأن طلبه قد قوبل بمزيد من

الاهتمام والمنونية من السدة العلية وأنه تم تعيين صاحب الرفعة (**محمد بك**) وهو من المميزين لدى أمير أمراء عسكرية القائمقام ومعه ذو الرفعة (**عبد القادر أفندى**) رئيس البوابين وأرسل دركاه على ملتزم مقاطعات البصرة إلى الشيخ (**محمد بن خليفة**) رسالة في ٨ ذي الحجة ١٢٧٦هـ /١٨٦٠م يرحب بطلب الشيخ الذي أرسله إلى الدولة العثمانية واعترافه بسيادتها وأنه وصل إلى البصرة في الرابع من ذي الحجة وسوف يبلغكم (**عبد الله بن راشد**) ما ينبغي المذاكرة بشأنه معكم ويختتم رسالته بتقديم تحياته إلى الشيخ علي بن خليفة.(٤١)

وكان موقف التعاون والصداقة بين الدولة العثمانية والشيخ(**محمد بن خليفة**) قد أثار حفيظة السلطات البريطانية ضده وأصبح من أهم الأسباب التي أدت إلى اعتقاله في قلعة بوماهر في البحرين ثم إرساله أسيرا إلى الهند في عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م وفي أسير كره قضى ردحا من الزمن ثم نقل في ٨ صفر ١٢٩٥هـ الموافق ١١ فبراير ١٨٧٨م إلى عدن وفي وثيقة النسب أنه وصل عدن في ٦ فبراير ١٨٧٨م وهناك سجن في قلعتها هذا ما أوردته الوثائق الإنجليزية والعربية ثم أطلق سراحه من عدن ليستوطن مكة المكرمة وهنا أسهبت الوثائق العثمانية فيتفصيل مثير منه المخطوط وآخر مروى يتناقله الخلف عن السلف من أن زوجة شيخ البحرين والتي حفظت اسمها وثيقة عثمانية وهي لطيفة بنت سلمان قدمت رسالة إلى مقام السلطان تتضمن شكرها إلى السلطان العثماني الذي سعى إلى تخليص زوجها (**محمد بن خليفة**) حاكم البحرين والذي كان مسجونا عند الإنجليز منذ عشرين سنة بسبب رفعه العلم العثماني في سماء البحرين(٤٢) . أما الرواية فتقول أن لطيفة هانم زوجة الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين قد شدت الرحال إلى إسطنبول واتصلت بعائلة السلطان وصادف أن ابنة السلطان كانت مضابة بمرض عضال تقول الراوية بصفار وأنها عالجتها بطريقة الكي فتماثلت للشفاء ولما علم السلطان أرسل إليها هدية وكانت مبلغا من المال فرفضت الهدية وقالت إنني زوجة ملك في بلاده ولم يكن قدومي لأجل المال بل ألتمس من السلطان أن يتوسط في إطلاق سراح زوجي الذي سجنه الإنجليز في قلعة بعدن وأن يسمح له بالسكنى في مكة المكرمة والإقامة فيها فما كان من السلطان إلا أن حقق طلبها وأفرج عنه

بعد أن توسط السلطان عن طريق السفارة الإنجليزية للإفراج عنه وذلك في أواخر رجب ١٣٠٤هـ حيث تم تأجير بيت لأمير البحرين في مكة المكرمة وأرسلت له زوجته وأولاده مع اثنين من الخدم[٤٣] وقد حددت الوثائق العثمانية تاريخ وصول شيخ البحرين السابق إلى مكة المكرمة في الرابع والعشرين من شهر كانون الأول عام ١٣٠٣ رومية وقد بلغ عدد أفراد عائلته عشرة أنفار[٤٤] ثم وصل آخرون فأصبح عددهم خمسة عشر شخصا بما فيهم خدمه وقد ورد إلى أبنائه في البحرين كتاب من (**راشد بن سلطان آل زايد**) وهو من وجهاء أهل البحرين وكان إذ ذاك في (**دار الخلافة الإسلامية بإسطنبول**) ينبئهم فيه بتشفيع السلطان (**عبد الحميد الثاني**) في أبيهم وأنه سينقل إلى مكة المكرمة فطلب منه أن يتوجه أحدهم إلى عدن لمساعدة أبيهم على السفر إلى مكة المشرفة فتوجه نجله سمو الشيخ ابراهيم بن محمد إلى البصرة ومنها إلى عدن فلم يجد عند حكومتها خبرا عما جاءه من الخبر فتوجه إلى جدة فمكة فالطائف حيث قابل فيها الشريف (**عون الرفيق بن محمد بن عون**) ووالي مكة (**صفوت باشا**) فشرح لهما المسألة فأبرقا إلى دار الخلافة يسترحمان تأكيد الخبر فصدر الأمر السلطاني إلى عدن بإطلاق سراح الشيخ (**محمد بن خليفة**) فتوجه مع ابنه إبراهيم إلى مكة المشرفة فوصلاها في ١٣٠٥هـ[٤٥] .

توفي الشيخ (**محمد بن خليفة آل خليفة**) في ٢ ذي الحجة ١٣٠٧هـ الموافق ٢١ يوليو ١٨٩٠م ودفن في مكة المكرمة . كما حددت الوثيقة العثمانية تاريخ وفاة الشيخ (**محمد بن خليفة**) شيخ البحرين السابق في ٢ ذي الحجة ١٣٠٧هـ مخلفا زوجة اسمها لطيفة وأخرى اسمها نور هانم ودفن بمكة المكرمة وهو الأصح[٤٦] بينما أوردت الوثائق الإنجليزية أن الشيخ (**محمد بن خليفة**) توفي (بالمدينة المنورة). كما أن وثيقة إنجليزية تذكر أن الشيخ (**محمد بن خليفة**) نفسه طلب موافقة من دولة الهند بأن يقضي بقية عمره في الاعتكاف في الأماكن المشرفة بالحجاز وصدرت الموافقة له في ١٦ فبراير ١٨٨٧م الموافق ٢٢ جمادي الأولى ١٣٠٤هـ ولذلك لا يكون في خواطركم تشويش من أجل هذه المرحمة على الشيخ (**محمد بن خليفة**) الكبير السن ومما يناقض الوثائق الإنجليزية أن التماسا تقدم به ابنه علي بن محمد بن خليفة طالبا إطلاق سراح

والده في عدن وذلك في ٢٣ شعبان ١٢٩٦هـ/١٢ أغسطس ١٨٧٩م أما الشيخ النبهاني فذكر أن وفاة الشيخ (محمد بن خليفة) بمكة المشرفة كانت في الثامن من ذي الحجة ١٣٠٧هـ . رحمه الله تعالى . بينما حددت الوثيقة العثمانية سنة وفاته في مكة المكرمة في الثاني من ذي الحجة ١٣٠٧هـ . وكما أوردنا فإن الوثيقة الإنجليزية جعلت وصوله إلى المدينة المنورة وهذا خطأ بل إلى مكة المكرمة في ٢٢ جمادي الأولى ١٣٠٤هـ بينما الوثيقة العثمانية ذكرت وصوله إلى مكة المشرفة في الرابع والعشرين من كانون الأول ١٣٠٤ رومي وهكذا اختلفت الروايات وأرجحها الرواية العثمانية لأن الدولة كانت قد خصصت راتبا له ولحاشيته واستأجرت له منزلا في مكة المكرمة وليس في المدينة المنورة على حد ما ورد في الوثيقة الإنجليزية فأنظر كيف اختلفت الروايات في مكان وزمان وفاة الشيخ محمد بن خليفة رحمه الله تعالى(٤٧) .

الهوامش

١ ـ محمود بهجت سنان ، البحرين درة الخليج العربي ص ١١٦ / ط ١ / ١٩٦٣م والتحفة النبهانية ، ص ١٥٧ . يقول الريحاني أن السبب في مثل هذه الفتن المألوفة في بيوت أمراء العرب الحاكمين هو غالباً تعدد الزوجات التي تنشأ منه ضغائن بين الإخوان ومنافسات الأمهات خصوصاً إذا كن من قبائل مختلفة . وانظر أر/ ١٥ /١ / ١٤٣ من كمبل إلى أندرسن في ١ / ٧ / ١٨٥٤م .

٢ ـ راشد بن فاضل البنعلي ، المتوفى بدارين ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م شاعر ومؤرخ . والوثيقة ١١ / ٣٠-٤٠ .

٣ ـ لوريمر ، ص ٨٦٦ (الطبعة الإنجليزية) . والمصدر السابق ٣ / ١٢١٢ القسم التاريخي / وذكر لوريمر (حكم عمه) والأصح حكم عم أبيه الشيخ عبد الله بن أحمد .

٤ ـ آر / ١٥ / ١ / ٨٩ / ١٣٠ / تقرير من القبطان بروكس على ظهر السفينة (كوت) إلى المقيم في الخليج (توماس مكنزي) بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٨٤٠م . وانظر تقرير بروكس الذي أعده في ٢١ أغسطس ١٨٢٩م برقم ٥٦٣ حيث يقول : وكانت سيادة شيخ البحرين في قطر تشمل ساحل قطر من رأس ركن إلى البدع شرقاً ومن رأس ركن إلى حوار غرباً . وذكر لوريمر أن الدواسر وصلوا البحرين ١٨٤٥م انظر لوريمر ٣ / ١٢١٢ القسم التاريخي المترجم والقسم التاريخي ص ٨٨٣ النص الإنجليزي . بينما ذكر بروكس عن الدواسر في البحرين كقوة عسكرية عددها ٣٠٠ محارب في عام ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ وهو شاهد عيان وقد عاصر الأحداث وكتب تقريره وهو القبطان (بروكس) لذا فإن ما ذكره (لوريمر) يحتاج إلى دقة في التوقيت .

٥ ـ لوريمر ، ص ٨٦٢ الطبعة الإنجليزية .

٦ ـ دليل الخليج ص ٨٧٠ / ودفن الشيخ محمد بن أحمد بن سلمان في الرفاع الشرقي وقبره معروف في شارع رقم ٣٥١ وقام علي بن أحمد بتحويط القبر بجدار طوله حوالي ١٢ قدماً وعرضه ٨ أقدام وارتفاعه ٥ أقدام وهو غير مسقف وقائم إلى اليوم . أما ا بن الشيخ محمد واسمه أحمد فهو الذي قتل في الحمرور ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م .

٧ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٦٠ .

٨ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٥٧ و ١٥٨ ، ط ٢ سنة ١٣٤٣هـ / والبحرين درة الخليج العربي ، ص١٦٧.

٩ ـ البحرين درة الخليج العربي ، ص ١٦٧ .

١٠ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٥٩ .

١١ ـ سميت قلعة بوماهر نسبة إلى بوماهر وهو وزير الشيخ جبارة . انظر الوثيقة الهولندية ، ودليل الخليج ص ٨٧٠ .

١٢ ـ لوريمر ٣ / ١٢١٣ .

١٣ ـ دليل الخليج ص ٨٧٢ الطبعة الإنجليزية .

١٤ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٦٢ .

١٥ ـ مذكرات راشد بن فاضل البنعلي ، ص ٢١ - ٢٦ ، رسالة من الأمير فيصل بن تركي إلى الشيخ علي بن سلطان بن سلامة مؤرخة في ٢٧ ذي القعدة ١٢٧١هـ .

١٦ ـ مذكرات راشد بن فاضل البنعلي ص ٢٨ / وصورة رسالة من الشيخ محمد بن خليفة إلى ملا حسين متولي الجمرك في البحرين مؤرخة في ١٧ شوال ١٢٧٦هـ وأصل الرسالة محفوظ لدى راشد البنعلي كما ورد في مذكراته .

١٧ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٦٣ .

١٨ ـ البحرين درة الخليج العربي ، ص ١٣٤ .

١٩ ـ ار / ١٥ / ١ / ١٤٣ / من كمبل إلى أندرسن في ١ / ٧ / ١٨٥٤م .

٢٠ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٦٤ .

٢١ ـ دليل الخليج ٣ / ١٢١٣ و ١٣٣٠ والتحفة النبهانية ، ص ١٦٤ و ١٦٥ .

٢٢ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٦٦ .

٢٣ ـ انظر صورة الاتفاقية .

٢٤ ـ انظر الوثيقة المؤرخة في ١٧ جمادى الآخرة ١٢٦٣هـ .

٢٥ ـ دليل الخليج ، ص ٨٨٢ ، الطبعة الإنجليزية .

٢٦ ـ رسالة مؤرخة في ١٨٤٢م .

٢٧ ـ مختارات بومباي عن العتوب ٢٤ / ص ٤٢١ .

٢٨ ـ دليل الخليج ٣ / ص ١٣٣٣ .

٢٩ ـ دليل الخليج ، ص ٨٤٤ ، الطبعة الإنجليزيــة / ٣ /١٣٣٥ و ١٣٣٦ القسـم التـاريخي المترجم .

٣٠ ـ رسالة من الشيخ محمد بن خليفة إلى هينل بتاريخ ٢ أكتوبر ١٨٥٠م وبرقم ١٠٤٥٣

٣١ ـ من هينل إلى الشيخ محمد بن خليفـة برقـم ٤٥٣ ر ١٠ وتـاريخ ١١ أكتوبـر ١٨٥٠م ، وانظر تفاصيل المقابلة في الوثيقة رقم ٧٦ والمؤرخة ١٦ ديسمبر ١٨٥٠م / ٨ .

٣٢ ـ دليل الخليج ١/ ٨٨٥ الطبعة الإنجليزية ٣ / ١٣٣٧ القسم التاريخي المترجم .

٣٣ ـ نفس المصدر ٣ / ١٣٣٧ .

٣٤ ـ ورد في التحفة النبهانية ص ١٧٧ : أنه صقر بن محمدٍ بن علي بن محمد بـن خليفـة ولكن لم يرد في شجرة آل خليفة أن لمحمد بن علي ولـداً اسمـه صقـر ، أنظـر الشجرة التي رسمها خلدون أبا حسين في ١٩٨٢م . وتحقيق مجلس العائلة الخليفية .

٣٥ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٧٩ و (فرغ) الفاء ٨٠ + الراء ٢٠٠ + الغين ١٠٠٠ = ١٢٨٠ هجرية . ودليل الخليج ٣ / ١٣٣٨ ـ ١٣٤٢ ، القسم التـاريخي / ومذكـرات راشـد بـن فاضل البنعلي ص ٢٦/٢١.

٣٦ ـ التحفة النبهانية ص ١٨١ و ١٨٢ .

٣٧ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٨٥ .

٣٨ ـ مذكرات راشد بن فاضل البنعلي ص ٢٨ و ٢٩ .

٣٩ ـ التحفة النبهانية ، ص ١٨٥ ـ ١٨٩ / انظر رسالة المقيم (بيلي) إلى حكومة بومبـاي برقم ١٦٥ / بتاريخ ١١ سبتمبر ١٨٦٩م وكان قد سبق وأخبر المقيم حكومة بومبـاي أن الشيخ محمد بن خليفة قد ذهب إلى الكويت وذلك كما ورد في الرسـالة المؤرخـة في ٢٤ أبريل ١٨٦٩م .

٤٠ ـ رسالة رقم ١٦٥ / ١٨٦٩م من الكولونيل بيلي إلى حكومة بومباي بتاريخ ١١ سبتمبر ١٨٦٩م . والتحفة النبهانية ، ص ١٨٩ ـ ١٩٣ ، ومذكرات راشد بن فاضل البنعلي ص ٢٩ و ٣٠ .

٤١ ـ رسالة من عراق وحجاز أردوي همـايون مشيري وبغـداد أيـالتي واليسـي إلى الشـيخ محمد بـن خليفـة بتـاريخ شـعبان ١٢٧٦هـ . ورسـالة مـن ملـتزم المقاطعـات ورئيـس البوابين (عبيد) إلى الشيخ محمد بن خليفة في ٨ ذي الحجة ١٢٧٦هـ .

٤٢ ـ وثيقة رقم ٨٠٩٠٥ / إرادة داخلية مؤرخة في ٢٣ رجب ١٣٠٤هـ / ٥ نيسان ١٣٠٣ رومي ومرفق أصل للوثيقة باللغة العثمانيـة وترجمتهـا بالعربيـة . أنظـر صـورة الوثيقـة العربية وفيها تاريخ نقله إلى عدن .

٤٣ ـ إرادة ـ داخلية رقم ٧٨٩ م ٨ في ٥ محرم ١٣٠٥هـ / ١٠ أيلول ١٣٠٣ و ١٦ صفر ١٣٠٥هـ .

٤٤ ـ إرادة ـ شورى الدولة العدد ٢٤٢ في ٣ رمضان ١٣٠٥هـ ، في أيار ١٣٠٤ رومي

٤٥ ـ إرادة ـ شورى الدولة العدد ٣١ في ٢٩ / رمضان ١٣٠٥هـ .

٤٦ ـ إرادة ـ شورى الدولة ٤٩ / ١٠ شعبان ١٣٠٨هـ .

٤٧ ـ من كرنل (راجي) باليوز في الخليج إلى الشيخ عيسى بن علي غرة (٧١) / ١٨٩٧ / وانظر الوثيقة رقم ٢٩ ـ هند ٤ / ص ٢٦٢ . التحفة النبهانية ، ص ١٢٥ ، الطبعة الأولى ١٣٣٢هـ / وص ١٩٦ الطبعة الثانية ١٣٤٢هـ .

منهج للتواصل ب

تفعيل الحوار العالمي مسئولية ج

مطلوب إيجاد إطار حضاري عالمي يجم







...ن حضارات العالم

...ع الأطراف بالتساوي والتوازي

...ر قدر من عناصر التميز لكل الشعوب

بقلم معالي الدكتور:
علي فهد الزميع

يعيش العالم الآن فترة انتقال حضاري حافلة بالكثير من قوى التغيير والتفاعلات الثقافية . . وقد جاءت هذه المرحلة في ختام قرن من الصراعات الفكرية والاقتصادية والصدامات العسكرية والاستراتيجية . . كانت دماء وأرواح الكثير من البشر وقودا لها . .

وفي هذه المرحلة تبرز الحاجة إلى الحوار كمطلب ضروري يكتسب أهمية بالغة ، لتمهيد طريق التواصل وإرساء ودعم وتعزيز منهج التقارب والتعاون بين الحضارات المختلفة ، ومساهمة في البحث عن إيجاد الإطار الحضاري الذي يقوم على عناصر القوة المستمدة من خلاصة التجارب الحضارية للبشرية جمعاء .

وتنطلق القناعة بضرورة وأهمية الحوار الحضاري من دواع شرعية ، ومن ضرورات واعتبارات عملية يفرضها الواقع العالمي المعاصر . .

الدواعي الشرعية

يؤصل الإسلام منهج الدعوة إلى الحوار الحضاري واعتماد التواصل الإنساني والتعايش والتفاهم بين الأمم والشعوب المختلفة على مجموعة من المبادئ من أبرزها ما يلي :

الحوار بالنسبة لنا كمسلمين فريضة واجبة وضرورة شرعية . . . فنحن أصحاب دعوة ورسالة عالمية ، لا تخص جنساً ولا لوناً ، ولا عرقاً ، ولا بلداً معيناً ، والخطاب القرآني الكريم يتوجه في الكثير من آياته إلى البشر جميعاً ، مؤكداً على التعايش والإخاء الإنساني ، مستهدفاً خير وتقدم ونماء الإنسانية كلها .

ويصبح واجباً علينا حمل أمانة الدعوة إلى ا لله وتبليغ رسالته . . وتعريف العالم والإنسانية كلها بالإسلام ومبادئه ، وقيمه ، ومثله ، ومقاصده السامية ، وتصحيح الكثير من التصورات ، والانطباعات ، والمفاهيم السلبية الخاطئة التي راجت لدى العديد من الأوساط الدولية عن الإسلام والمسلمين ، ولن يتحقق لنا ذلك إلا بالحوار والتواصل مع الآخرين .

- هذا فضلاً عن أن الدعوة إلى الحوار ، والالتقاء بالآخر ومجادلته بالتي هي أحسن ، هي دعوة قرآنية وتكليف شرعي قائم ، " **قل : يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله** " ﴿ آل عمران : ٦٤ ﴾ .

ومن ثم علينا نحن أن نبادر إلى الدعوة إلى هذا الحوار ، وأن نكون أكثر حرصاً عليه من غيرنا . . وأن نحاور وندعو ، ونتواصل بمنهج الإسلام القائم على الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، والرفق واللين ، وحسن العرض " **ادعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** . ." ﴿ النحل : ١٢٥ ﴾ .

- لقد أسس الإسلام منهجاً متكاملاً للتعامل بين الشعوب والحضارات المختلفة . . فقد أقر باختلاف الناس والأجناس . . وقنن هذا الاختلاف ،

وربط المسلمين مع سائر البشر – على اختلاف أجناسهم وانتماءاتهم الحضارية – برباط من الأخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشري . . وألزم المسلمين بالتعاون والتعايش والتعارف مع غيرهم وإشاعة الخير مع الجميع وبين الجميع – بغض النظر عن الديانة أو الجنس أو اللون – " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا " ﴿ الحجرات : ١٣ ﴾ ، وقد اعترف الإسلام بواقع الديانات السابقة وعلاقاته بها قائمة وقديمة ، وجعل الإيمان برسل الله وأنبيائه وكتبه عنصراً هاماً في عقيدة المسلم ، كما أرسى مبدأ حرية الاعتقاد : (لا إكراه في الدين) كأساس للإخاء والتعايش الإنساني ومن ناحية أخرى فقد قرر الإسلام بان السلم ونبذ العدوان هو الأصل في العلاقة بين الشعوب " ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " ﴿ البقرة : ١٩ ﴾ .

الضرورات الواقعية والعملية

يقوي من دواعي الحوار ضرورات عملية وواقعية معاصرة نجمل بعضها فيما يلي :

• يدخل العالم مع بدء القرن الحادي والعشرين مرحلة من المتغيرات الجذرية والتطورات والتحولات الكبرى والسريعة ، والثورة الهائلة في وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات ، وما تفرضه من إمكانيات غير مسبوقة للتواصل الثقافي والفكري والقومي بين الحضارات المختلفة ، وفي عالم الاتصال المفتوح ، وتدفق المعلومات ، واختفاء الحواجز الثقافية ، تفرض هذه المعطيات الجديدة نفسها علينا – ولا يمكن الانعزال عنها أو الإحجام عن التعامل معها ، والحوار حولها ، والعمل المشترك على توظيفها في خدمة الإنسانية ن ومواجهة وتقليص تداعياتها السلبية .

• من الواضح أن هذه النقلة الحضارية الراهنة تأتي في أعقاب مرحلة شهدت أكثر الصراعات والصدامات دموية في العالم . . وإذا ما علمنا أن هذه الصدامات كانت الأطراف الأساسية فيها تنتمي إلى نفس الحضارة ، فإنه يمكننا تصور مدى ضراوة هذه الصدامات إذا كانت بين أطراف تختلف في انتماءاتها الحضارية . . وعليه ، فإن الدرس الذي وجب أن تعيه البشرية من هذه التجربة القاسية هو ضرورة الالتقاء

حضارياً ، والتعاون بين الشعوب على صالحها العام .

• ومن دواعي اللجوء إلى الحوار الحضاري – أنه لا تزال بعض التيارات الفكرية في العالم تفكر بمعايير عصر الصدام ، وترى أن الصدام أمر حتمي . . وأن انتهاء حلقة من هذا الصدام ، لابد وأن تتلوها حلقة أخرى تختلف فيها أطراف الصراع ومضامينه . . ومن هذا ما نشاهده من بعض الآراء التي ترى في الإسلام العدو المرشح للغرب بعد سقوط الشيوعية .

• وأخيراً يجب أن نعترف بأن ميزان القوى في العصر الحالي قد مال لصالح الغرب . . ولهذا فهو يسعى إلى نشر ثقافته ، ونمطه الحضاري على العالم بادعاء أنه السبيل لتحقيق حياة أفضل للبشرية من وجهة نظره . . ولهذا يلاحظ أن هناك تيارات تدعو إلى فرض نمط الحضارة الغربية باستخدام كافة وسائل الهيمنة الثقافية والاقتصادية ، وهو ما ظهر في مناسبات ومحافل دولية مختلفة (مثل : مؤتمر السكان بالقاهرة ١٩٩٤م ، ومؤتمر المرأة في بكين ١٩٩٥م) . . ومن شأن هذه الدعوات أن تغذي مظاهر الصراع الحضاري بين البشر ، وتدخله في حلقات جديدة أكثر عنفاً وضراوة . .

ومن ناحية أخرى فإن هناك تيارات تدعو إلى التعايش بين الحضارات ، والتواصل الإيجابي بينها لإبراز العناصر التي تعزز تقدم البشرية ، ويجب على جميع القوى المستنيرة في العالم – ومن بينها نحن المسلمين – أن تدعم هذه التيارات التي تدعو إلى احترام مختلف الحضارات .

أهداف الحوار الحضاري

◆ لعل في الاعتبارات التي تبرز أهمية اللجوء إلى الحوار الحضاري إيحاء بما يجب أن تكون عليه أهداف هذا الحوار . . ويجب أن نعي أن هذه الأهداف يجب أن تلقى قبولاً لدى مختلف الأطراف . . وهذا لا يتنافى مع مفهوم الإسلام للتدافع بين البشر . . بمعنى التنافس الحضاري بين الأمم . . وهو الذي يتيح لجميع الأطراف فرصة تقديم ما يعمل على خدمة البشرية جمعاء . .

ويمكن أن نعطي إشارة موجزة إلى ما يلوح الآن من أهداف للحوار الحضاري العالمي . . والتي تتركز في :

- ♦ التعريف بالإسلام وقيمه ومبادئه ومقاصده السامية على النحو السابق الإشارة إليه .
- ♦ تجنب الأطروحات التي تدفع الشعوب نحو صدامات جديدة تستخدم فيها شتى أساليب القوة وعدم احترام الإرث الحضاري للبشر .
- ♦ الاعتراف بالتعددية الحضارية ، وبأهميتها لتقدم البشرية . . وتكريس احترام الخصوصية الثقافية لمختلف الأمم .
- ♦ توجيه ما تأكله الحروب من طاقات بشرية ومادية إلى تحقيق مزيد من التقدم والرفاهية للبشرية جمعاء .
- ♦ تيسير التعاون بين أمم العالم وشعوبه والذي سيكون أمراً محتماً نتيجة دخول عصر ثورة المعلومات والاتصالات ، وما سيفرضه من أنماط ومعايير جديدة لحياة البشر وأنشطتهم .
- ♦ تحقيق الاستفادة المشتركة من الإنجازات الحضارية المختلفة ، والسعي نحو العمل على إيجاد إطار حضاري عالمي يجمع في تكوينه أكبر كم ممكن من عناصر التميز الحضاري التي تتمتع بها ثقافات الشعوب المختلفة . . إذ أنه من غير الجائز القبول بإهدار أي رصيد حضاري إيجابي ساهم في ازدهار وتقدم البشرية في أي مرحلة من مراحل التاريخ .

من هم أطراف الحوار الحضاري العالمي ؟

إن تفعيل الحوار الحضاري العالمي مسئولية جميع الأطراف بالتساوي والتوازي . . ولن يكون هذا الحوار هادفاً دون مشاركة الجميع وحرصهم المخلص على إنجاحه وتفهم الأطروحات المتبادلة من خلاله ، ولن تتحقق الغايات النبيلة والآمال الكبيرة من الحوار ، والتي ترمي إلى تعزيز أواصر التفاهم والتقارب والتعاون بين الحضارات إذا انفردت به القوى السياسية والاقتصادية وحدها ، دون بقية القوى الحضارية الأخرى .

وعلى ذلك يمكن تصنيف الأطراف المشاركة في الحوار بأكثر من معيار . . وذلك على النحو التالي :

• **المعيار الثقافي** : وهو المعيار الذي يتعامل مع مختلف الحضارات ، والتي يجب أن يشارك ممثلون لها

جميعاً كأطراف متساوية في الحوار الحضاري .

• **المعيار الإنمائي** : من المعروف أن هناك تفاوتاً كبيراً في المستوى الإنمائي الذي حققته مختلف شعوب العالم . . وهذه الشعوب يتساوى حقها ومسئوليتها في إحداث الحوار الحضاري العالمي وفي إنجاحه . . ووفق هذا المعيار ينبغي أن يشارك في الحوار ممثلون عن الدول الصناعية ، والدول النامية (وهي إجمالاً الدول التي في سبيلها إلى تحقيق مستويات متقدمة من النمو) ، والدول الأقل نمواً .

• **المعيار المؤسسي** : من الضروري لإنجاح الحوار الحضاري العالمي أن تساهم فيه جميع الدوائر والمؤسسات التي تنظم انتماءات البشر على مختلف الأصعدة . . ولذلك فإن المؤسسات التي يمكن اعتبارها أطرافاً في هذا الحوار يمكن الإشارة إليها على النحو التالي :

◆ **التنظيمات الدولية** ، وهي هيئة الأمم المتحدة ، والتنظيمات التابعة لها . . وفي مقدمتها هيئة اليونسكو . . التي تتمتع بما يؤهلها بدور مميز في تنظيم الحوار الحضاري والدعوة إليه .

◆ **التجمعات الإقليمية** . . مثل : منظمة المؤتمر الإسلامي ، وجامعة الدول العربية ، ومجلس التعاون لدول الخليج العربية ، ,منظمة الدول الأمريكية ، والاتحاد الأوروبي ، ومنظمة دول جنوب شرق آسيا ، ومنظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة دول عدم الانحياز . . وغيرها من المنظمات الإقليمية والمؤسسات المتخصصة التابعة لها .

◆ **المنظمات والمؤسسات التطوعية القُطرية والدولية** .

◆ **الجامعات ومراكز البحوث والدراسات** .

◆ **الأحزاب والتجمعات السياسية والفكرية** .

◆ **المؤسسات الاقتصادية** (ودورها يتميز من خلال المساندة والتمويل اللذين يمكن أن توفرهما لفاعليات الحوار الحضاري العالمي) .

• **المعيار التخصصي** : وهنا نتطرق إلى الأفراد والشخصيات ذات الإسهام الخاص في عملية الحوار الحضاري العالمي . . وتتسع دائرة هؤلاء الأفراد بحسب تخصصهم لتشمل الفئات المؤثرة . . مثل رجال الدين ، والمفكرين ، والسياسيين ، ورجال

الثقافة والفنون ، ورجال الاقتصاد والمال ، والعلماء والباحثين ، ورجال الإعلام والصحافة ، والقيادات والرموز المجتمعية وقيادات الحركات النسائية . . . إلخ .

محتوى الحوار ومضامينه

من العسير أن نلم في عجالة بمحتوى الحوار الحضاري العالمي ومضامينه . . وذلك لاتساع هذه القضية ، وتعدد أبعادها ، وتجدد أطروحاتها مع تجدد الحقائق المتغيرة في العالم ، إلا أنه يمكن الإشارة إلى عدد من الملامح الرئيسية لمادة هذا الحوار وأهمها :

♦ احترام جميع الأطراف لخصوصية الحضارات المختلفة :

يجب أن يركز الحوار الحضاري على إشاعة قيم احترام الرصيد الحضاري لمختلف الأمم . . إيماناً بأن في التنوع مصدر قوة . . وبالتالي يصبح لزاماً أن نبحث في إيجاد الأساليب التي تمكن من مراعاة الخصوصية الحضارية لكل من الشعوب والأمم من خلال الإطار الحضاري العالمي المشترك الذي نسعى إليه .

♦ إبراز العناصر المشتركة بين الحضارات السائدة في العالم :

وهنا يحاول الحوار الحضاري أن يعالج بعض الآثار التي خلفتها الصراعات القديمة . . فطالما عم الجهل بالمفاهيم ، والقيم الحضارية المشتركة بين مختلف الأمم . . وتم التركيز في حالات كثيرة على مواطن الاختلاف والتباين بأسلوب غير موضوعي يدفع إلى تغذية عوامل الصدام والصراع والهيمنة والسيطرة والاستعلاء .

♦ التكامل بين مكامن القوة في الأنماط الحضارية المختلفة :

وهذه نقطة البداية ، ومحور عملية الحوار ذاتها . . لأن نجاح الجهود الساعية إلى إيجاد إطار حضاري عالمي مشترك لن يتم من خلال اجتياح حضارة لغيرها من الحضارات - كما كان يحدث في مراحل التاريخ الأولى . . ولكن من خلال دعم وتعزيز التوجهات المعاصرة التي تؤمن بالتعايش والتفاعل ، والاحترام المتبادل بين الحضارات ، لذا فإن الحوار الحضاري يجب أن يركز على كيفية تحقيق التكامل بين مكامن القوة في الأنماط الحضارية السائدة في العالم الآن .

◆ البرامج التنفيذية للحوار لحضاري العالمي :

النتيجة والثمرة التي نسعى للحصول عليها من خلال الحوار الحضاري العالمي يجب أن تتمثل في شكل برامج ومشروعات تنقل هذا الحوار ومضامينه إلى واقع البشر وحياتهم . . ودون ذلك يكون الحوار – في الحقيقة – غير هادف ، ومجرد شيء من النزف الفكري . . كما يجب في هذا السياق أن يتم رسم أدوار للعمل الإيجابي لمختلف الأطراف ، والمؤسسات في عمليات تنفيذ هذه البرامج والمشروعات وفي دعمها .

من هذا كله نجد أن المنهج الإسلامي يؤصل الدعوة إلى الحوار الحضاري واعتماد مبدأ التواصل الإنساني والتعايش ، والتفاعل بين الحضارات المختلفة من أجل استمرار عملية النهوض الحضاري للبشر جميعاً بالاعتماد على العطاء الإيجابي للثقافات المختلفة .

◆ متطلبات إسلامية للحوار :

تساعد مجموعة من العوامل والمتطلبات على توفير الشروط اللازمة لإنجاح حوار الحضارات كما تؤثر إيجاباً على تقدمه في المسار الصحيح وبالفاعلية المرجوة . .

وفيما يلي أبرز تلك المتطلبات . . .

تأهيل الخطاب الفكري لمواجهة تحديات الحوار :

إذا كانت هناك مقتضيات ، ودواعٍ عديدة تدفع إلى ضرورة تجديد مفردات خطابنا الفكري ولا مجال للتعرض لها في هذا السياق ، إلا أن الحوار مع الآخر يأتي ليكون سبباً إضافياً ضمن دواعي هذا التجديد . . . وذلك لأن هذا الحوار سوف يشهد تركيزاً مرجعياً بالغاً على الخطاب الديني كخطاب ثقافي وحضاري متكامل ، مطالب باستدعاء ، وتقديم القيم والمفاهيم والرؤى والأطروحات الإسلامية ، لتحرير موضوع الحوار ومناقشاته ومداولاته وسجالاته المتوقعة ، وهو ما يقتضي ويتطلب ضرورة العمل على تأهيل خطابنا الفكري لمواجهة تحديات هذا الحوار .

وإذا جاز لنا أن نشير بإيجاز لبعض العناصر التي ينبغي أن تضبط وتوجه مسار عملي التأهيل ، فإننا نرى التركيز فيما يتصل بالحوار الحضاري على التوجهات التالية :

الانطلاق من الخصوصية الحضارية

تصدر نقطة الانطلاق في الحوار مع الآخر من الخصوصية الحضارية التي تتميز بها أمتنا ، وهي خصوصية تستند إلى واقع لا سبيل إلى إنكاره . . واقع التعدد الحضاري في الجماعة الإنسانية المعاصرة ، التي تعرف وجود عدة بنى وتشكيلات حضارية مختلفة ومتنوعة ، ولكل واحد منها خصوصياته وسماته ومكوناته الذاتية .

وهذا الاختلاف في الخصائص الحضارية من أمة إلى أمة يقتضي بالضرورة تعدد طرق ومشاريع النهوض والتقدم لأن كل طريق منها يجسد المعطيات الخاصة بالأمة ، ومكوناتها القيمية ، والتراثية ، والاجتماعية ، والثقافية ، كما يلبي طموحاتها وتطلعاتها نحو النهوض الحضاري ، ومن ثم فإننا نرى خطأ القولة التي تقول بأن للتطور الإنساني طريقاً واحداً يجب الأخذ به ، وأن الحضارة المعاصرة حضارة كونية يتعين تعميم وفرض معاييرها ومبادئها على الجميع . . .

إن علينا - على طاولة الحوار - أن نكرس مبدأ الحق في الاختلاف الحضاري ، وفي أن يكون لنا مشروعنا النهضوي الحضاري المستقل في مضامينه ومناهجه ووسائله . وذلك في مواجهة من ينكرون هذا الحق . ويشككون في قدرة وإمكانيات هذا الاختيار المستقل .

. . على أن ذلك يفرض علينا في المقابل تكثيف الجهود والمحاولات الإبداعية التي تعمل على إبراز الخصوصية الإسلامية ، واستجلاء عناصرها المميزة ، والكشف عما يمكن أن تضيفه للمسيرة الإنسانية المعاصرة من قيم ومبادئ ، ومفاهيم تترجم التواصل ، والتفاعل بين الحضارات الذي تدعو إليه .

الانفتاح على الحضارات الأخرى

إن الاعتزاز بالهوية ، والخصوصية الحضارية ، لا يعني إهمال الحضارات الأخرى أو الانغلاق في مواجهتها وادعاء التميز عليها ، ورفض نتاجها الإنساني ، فمثل هذا الموقف الإنعزالي السلبي لا ينسجم مع متطلبات الحوار ومقتضياته ، وهو يصدر عن فهم غير موضوعي للتاريخ الحضاري الذي هو في مجمله ثمرة الجهد الهائل ، والمتراكم للمسيرة الإنسانية على مدار التاريخ .

لقد كان جوهر العلاقة بين الحضارات على ما شابها من مظاهر الصراع والحروب هو التفاعل والأخذ والعطاء . . وعلى هذا النحو كانت حضارتنا الإسلامية حضارة عالمية وإنسانية ، وكانت الثقافة العربية الإسلامية ثقافة متفتحة قابلة لاستيعاب كل أنواع الثقافات التي احتكت بها .

إننا ندرك على ساحة الحوار أنه لا تعارض إطلاقاً لدينا بين الالتزام بالثوابت الدينية والمحافظة على الهوية ، وبين الأخذ والاقتباس من الحضارات الأخرى ، والإفادة من التراث والنتاج المشترك للحضارات الإنسانية على مدى العصور المختلفة ، ومنها النتاج الحضاري المعاصر ، بما يساعدنا على حل مشاكلنا ، ويخدم قضية تقدمنا وتطورنا . . ذلك أن الأخذ والتفاعل والتواصل ، يتم بميزان من قيمنا الأصلية وبمراعاة خصوصيات هويتنا . . وهو تفاعل وتواصل تفرضه وبدرجة غير مسبوقة الحقائق الجديدة في عالم اليوم ، الذي أضحى أكثر اتصالاً وترابطاً ، وتشابكاً في مصالحه وقضاياه . . .

إبراز الطابع الإنساني للفكر الإسلامي

إن خطابنا الإسلامي المعاصر في حاجة إلى التركيز على إبراز الخاصية الإنسانية في الإسلام على وجه ملائم بعد أن ظل طرحنا لهذا البعد الإنساني الهاء ضعيفاً ومحدوداً ، ومما يضاعف من هذ الحاجة ، ما نلاحظه على الصعيد الإسلامي من ضآلة الوعي بالقي والمنطلقات الإنسانية المستمدة مر شريعتنا ، والتي يتعين أن تشكل نسيجاً للعلاقات والروابط الداخلي والخارجية للمسلمين لصالح تنامي بعض التيارات والاتجاهات والنزعات والسلوكيات الخاطئة التي لا تعطي لهذ البعد اعتباره الواجب ، وتقدم علي بعض الممارسات والرؤى الخاطئة فضلاً عما نلاحظه من تنامي الهجمات الإعلامية المعادية والمغرضة في بعض الدول والتي تعمل على تشويه صو الإسلام ، وتصويره للرأي العام الد على أنه دعوة للعنف والتطرف وردة ، ومعادٍ للتطور، ولقيم الحري وحقوق الإنسان.

ومن هنا تبدو الأهمية البالغة لإ الكشف عن الحقائق الأصلية الخا

بمنظومة القيم الإنسانية المتكاملة التي تميز الإسلام ، والتركيز على إبراز تلك القيم الإنسانية الأساسية والجوهرية في خطابنا الحواري وتبدو تلك الأهمية على أكثر من مستوى منها :

- ترسيخ الوعي بأبعاد الطابع الإنساني للثقافة الإسلامية في العقل والوجدان الإسلامي المعاصر ، وما يرتبه ذلك من آثار إيجابية ثقافياً ، وسلوكياً .
- إظهار حقيقة الوجه الحضاري والإنساني للإسلام على الصعيد العالمي .
- دعم الاتجاه الذي يرى الانفتاح على نتاج الفكر ، والحضارة المعاصرة ، والإفادة من التعايش الحضاري واتخاذ الحوار كأساس للعلاقات بين الحضارات المختلفة .
- التأكيد على قدرة الإسلام على وضع مبادئ وقيم أخلاقية روحية ذات أهمية عالمية توجه وترشد تطور المجتمع الإنساني المعاصر ، خاصة مع تزايد الإحساس العالمي بأزمة الإنسانية في ظل التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المتسارعة ، حيث يؤكد هذا الطابع الإنساني قدرة الإسلام على أن يوفر لحركة الحياة كلها قيماً حافظة للعلاقات الإنسانية قادرة على زرع بذور الاستقرار والأمن والسكينة ، في عالم يشوبه القلق وفقدان الشعور بالأمن وضحالة وتصدع المشاعر ، والعلاقات الإنسانية .

التأكيد على المضمون الحضاري للخطاب

ينبغي أن يكون خطابنا في مواجهة الآخرين خطاباً حضارياً متكاملاً ، وفي مقدمة الخصائص التي تكسب الخطاب طابعاً حضارياً اتسامه بالواقعية . . أي ارتباط الخطاب بحركة الواقع الراهن إسلامياً ودولياً ، وبإشكالياته وقضاياه وتحدياته . . وعلى ذلك يبدو ضرورياً أن يمتلك الخطاب القدرة على قراءة وفهم هذا الواقع والتعرف على عناصره ، ومكوناته ، وقواه المختلفة وتطوراته ، ومتغيراته ، وتحولاته المتسارعة بأشكالها وصورها ، وميادينها المختلفة ، والتي تفرض أوضاعاً محلية وإقليمية ودولية جديدة تتطلب الحاجة إلى إدراكها والتعامل معها ، وأن يعمل على صياغة تصورات ومفاهيم وحلول ملائمة تستجيب

لمتطلبات واحتياجات النهوض بهذا الواقع ، انطلاقاً من المبادئ والقيم والمقاصد الإسلامية .

ولأن الكثير من القضايا والإشكاليات المطروحة على ساحة الحوار سوف تتعلق أصلا بأزمات التخلف والنمو ، والتراجع والتقدم الحضاري ، وهي قضايا اكتسبت في المرحلة الراهنة أهمية بالغة على صعيد العلاقات الدولية ، فإن المحتوى والمضمون التنموي لخطابنا الفكري يبرز ليكون محوراً جوهرياً ورئيسياً من محاور الطرح الحضاري . . غير أن المهمة الكبيرة التي تنتظرنا في هذا الصدد ، هي تأكيد حيوية خطابنا وقدرته على الإبداع الحضاري ، وذلك بالكشف عن القيم والمفاهيم ، والتصورات التنموية في المنظور الإسلامي ، والتعريف بما يمكن أن يقدمه الفكر الإسلامي من معالجات ، وصيغ متميزة في المجالات التنموية المختلفة .

ويبرز أخيراً المستقبل – مستقبل الأمة ومستقبل البشرية – بصوره وآفاقه ومتطلباته ليكون واحداً من أبرز القضايا المطروحة على الحوار وذلك بالنظر إلى الأولوية التي يحتلها على سلم اهتمامات الأطراف الأخرى . . وهي أولوية ينبغي أن نلتفت إلى خطورتها البالغة . . وعلينا هنا أن نقبل على هذا التدافع الحضاري ، وألا يتخلف خطابنا نحو التوجه إلى المستقبل ، واستشرافه ورسم وصياغة مساراته ، وأن ينشغل بتحدياته المتوقعة حتى تأتي تطوراته ومتغيراته – وهي قادمة لا مفر منها – واعية ومقصودة .

ارتباط حوار الداخل الإسلامي بالحوار مع الآخر

يبدو أمراً هاماً وضرورياً لنجاح حوارنا مع الآخر أن يسبق هذا الأخير ويواكبه ، ويرتبط به حوار إسلامي – إسلامي يتصل بمجمل قضايا وإشكاليات الشأن الإسلامي ، وتكون قضية الحوار الحضاري بالضرورة في مقدمة هذه القضايا . . إن الأمر يتصل أساساً بأهمية العمل في البيئة الإسلامية على توفير ثقافة حوارية بدرجة كافية ، وأرضية صحيحة وسليمة ومتينة تستند إليها ، وتنطلق منها وتنمو فيها علاقاتنا الحوارية ، وتولد وتتأدلم فيها التقاليد ، والأعراف الحوارية كمنهج وأداة ووسيلة لازدهار وإثرا حياتنا الفكرية والثقافية .

والحوار هو الأداة الحضارية لتبادل الآراء ومناقشة الأفكار والتعرف على المواقف المتباينة ، والبحث عن فهم أو أرضية مشتركة . . ولقد أصبح الحوار في عالم اليوم لغة ضرورية لدوام التعايش وتحقيق المصالح بين الشعوب ، والأمم وإدارة الاختلاف والتنوع بين التجمعات والقوى والتيارات المختلفة ، وبينما الحال كذلك من حولنا فإننا نأسف لتراجع هذا النهج الحضاري من على قائمة العلاقات بين التيارات والمدارس الفكرية على الساحة الإسلامية لحساب شيوع منهج خاطئ يشكل واحداً من أبرز الإشكاليات الإسلامية الراهنة .

إنه منهج المواجهة والصراع والخصومة ، والعداء والتجريح المستمر ، وتبادل الاتهامات ، منهج الضيق بالمخالفين ، والمسارعة إلى اتهامهم في أفكارهم ونياتهم ، وأخذهم بالشبهة ، وسوء الظن ، ، أو النيل من دينهم وتقواهم . . ولقد كان من آثار شيوعه انقطاع سبل الاتصال والحوار . . وفقدان القدرة – في حالات كثيرة – على الحوار والمناقشة ، والمناظرة والشورى ، والتقويم والنقد الذاتي ، وبروز ضروب من التخويف والإرهاب والتعصب الفكري ، دفعت بعض العلماء والمفكرين إلى العزوف عن الجهر بآرائهم والمشاركة في إثراء وإنماء الفكر ودفع مسيرته نحو تجاوز حالة الأزمة التي يمر بها .

علينا إذن أن نعمل على الأخذ بمبدأ الحوار ، وأن نجعله مبدأ المبادئ الذي يحكم العلاقات بين الأطراف ، والمدارس ، والتيارات الإسلامية وأن نحرص على تأكيده وإشاعته في العقل المسلم ، وأن نضع له أكثر الصياغات سعة ومرونة ، والأسس والضوابط التي تضمن تحوله من ممارسة عشوائية إلى ممارسة منظمة وواعية ، لأنه بالحوار والثبات عليه نفتح الطريق رحباً فسيحاً لبناء علاقات صحية قوامها التآلف ، والتفاهم والمشاركة البناءة من أجل صياغة المفاهيم والتصورات الملائمة التي تساعدنا على حل الكثير من مشاكلنا ، ومواجهة الكم المتراكم من قضايانا .

آلية إسلامية للحوار

لن تتحقق لنا القدرة على التعامل الصحيح ، والسليم مع الحوار بندية وكفاءة مرجوة ، إلا بامتلاك الأداة والآلية التي يناط بها إدارة كل ما يتعلق بالحوار الحضاري في مراحله المختلفة ، والإحاطة بكل ما يتصل به على نحو علمي منظم ومؤسسي .

إن مثل هذه الآلية تصبح ضرورية لدواع عديدة ، ومنها مواجهة القنوات المتاحة للحوار اليوم وهي في معظمها لدى الأطراف الأخرى (*مثل لجنة الحوار بالفاتيكان ، ومجلس الكنائس العالمي ، ومجلس كنائس الشرق الأوسط*) فضلا عن أن التخطيط للحوار ووضع البرامج الخاصة به والإعداد له ، وتحديد أهدافه وأولوياته وأسلوبه وكيفية التعامل معه ، وتعبئة أفضل الطاقات الفكرية المتاحة لخدمته ، وإنجاز البحوث والدراسات المتصلة به . . وطرح وتحليل الرؤى المختلفة . . والتوصل إلى صياغات مشتركة . . وتوجيه وتقويم ومراجعة نتائجه ، وتحديد مساراته المستقبلية ، والتنسيق بين البلدان الإسلامية بخصوصه . . وغير ذلك من الأمور التي تتصل به هي في حاجة إلى عمل مؤسسي يضطلع بمهامها ، ويضع كل الجهود ضمن منظومة موحدة توفر المقومات والإمكانات والشروط اللازمة لإنجازه على وجه ملائم وتضمن له الاستمرارية والفاعلية معاً .

وليكن هذا البناء المؤسسي المقترح ، والخاص بشئون الحوار في شكل مكتب دائم أو سكرتارية دائمة لدى منظمة المؤتمر الإسلامي .

المبادرة إلى الحوار والتصدي بصراحة لإشكالياته

إذا كانت هناك الكثير من الأسباب الحقيقية التي دفعت إلى عدم اهتمامنا بالحوار مع الآخرين ، وإلى تزايد الشكوك والمخاوف لدى البعض من حقيقة الدعوة إلى هذا الحوار وجدواه ، وهي أسباب تقف وراءها الموروثات التاريخية للصراع التاريخي الطويل بين الإسلام والمسيحية ، ومرحلة الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية وأخيرا محاولات الهيمنة الحضارية الراهنة ، والتي اكتسبت صوراً عديدة . . إلا أنه في المقابل ، ولأسباب أشرنا إلى بعضها علينا أن نعي بأن حاجتنا للحوار لا تقل عن حاجة الآخرين له إن لم تزد .

ولهذا فواجبنا أن نبادر به وأن نكون أكثر حرصاً عليه . . وأن نمتلك الجرأة على الإقدام عليه والإصرار على مواصلة مسيرته مهما كانت العقبات ، ويغدو الاعتراف بإشكاليات ومصاعب الحوار وتعقيداته في هذا السياق أمرا ضروريا لنجاحه . . ولن نتمكن من مواجهة وتقليص تلك العقبات والإشكاليات ، وتجاوز أزمة الثقة ، وحالة سوء الفهم المتبادل - إلا

بالمكاشفة الشجاعة ، والوضوح والصراحة التي تستند إلى اعتبارات موضوعية تعبر عن نفسها بلغة خطاب عقلاني بعيدا عن الطابع الدعائي ، والانفعال العاطفي .

لجنة تحضيرية للإعداد للحوار

وحتى يمكن أن نتوفر على أفضل الشروط والظروف الموضوعية المواتية لإجراء الحوار فإننا نقترح تشكيل لجنة تحضيرية للإعداد للحوار من نخبة متميزة من علماء ومفكري العالم العربي والإسلامي - تضع أمامها مجموعة من الأسئلة الجوهرية التي تتصل بالحوار ، وتعمل على الإجابة عليها لتكون تمهيداً ومقدمة ضرورية تهيئ وتوجه للحوار المقترح . . إن اللجنة التحضيرية مطالبة بالإجابة على تساؤلات من مثل . . تحديد المقصود بالحوار ومبرراته ، وأهدافه وغاياتها وأطرافه . . والمشاركين فيه . . وأصوله ووسائله ، ومستوياته التنظيرية ، أي إطاره الفلسفي . . والقضايا التي يجب أن تحظى بالاهتمام قبل غيرها . . والمفاهيم الأساسية التي تشكل تصورنا الثقافي والحضاري . . . إلى غير ذلك من العناصر والقواعد الرئيسية التي تتصل به . . .

* * * * * *

إننا نأمل في صياغة علاقات حضارية متكافئة بين الإسلام والحضارات الأخرى ، تكون أكثر عدلا وإنصافاً وتوازناً ، وتقوم على إرساء دعائم الاحترام المتبادل ، والتفاهم والتعاون الإيجابي ، والعمل المشترك لخير الإنسانية كلها ، وتلك مسئولية على درجة بالغة من الأهمية . علينا أن نضعها في مقدمة همومنا وانشغالاتنا .

معالي الدكتور

علي فهد الزميع

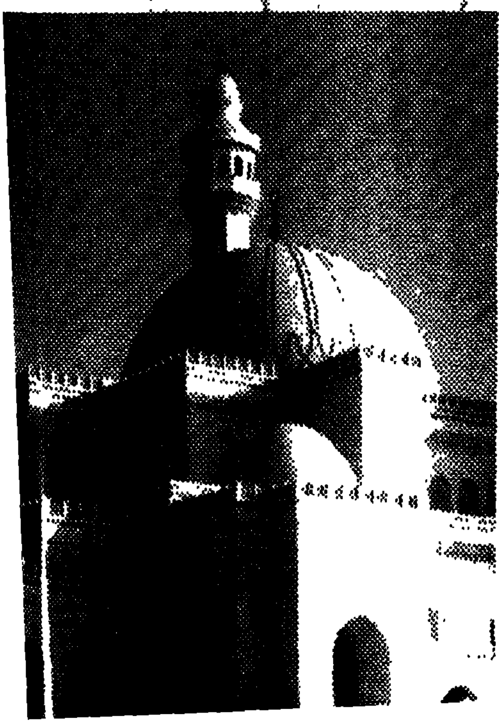
(الكويت)

نظرة على الحوار العرب

مازالت آثار غزو الشمال للجنوب تحز في النا

القوة الوحيدة المتوفرة للعرب حالياً هي في نبذ الخلافات و

أكثر كتب التاريخ التي تدرس في أوروبا تحتاج إلى مراجعة تخم





أوروبي

ير القلق

كلمة وتوحيد الصف

ية وتتوخى الحقيقة

بقلم الدكتور :

ناصر الدين الأسد

حوار الثقافات ، أو حوار الحضارات ، أو حوار الأديان ، أو الحوار الإسلامي المسيحي أو حوار الشمال والجنوب ، أو حوار الإسلام والغرب ، أو الحوار العربي الأوروبي ، كلها عناوين لموضوع واحد ، أو لموضوعات متقاربة متداخلة ، لا تكاد تتمايز إلا بشيء من التعميم أو التخصيص . وهي موضوعات كثر تناولها في عدد من الكتب والمقالات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات . وقد سبق لكاتب هذه الدراسة تناولها ، أو تناول جوانب منها ، في مناسبات واجتماعات مختلفة ، وعرض حينئذ جوهر الأفكار الواردة هنا في صور متعددة . ومع ذلك فالموضوع جدير بإعادة القول فيه ، والصبر عليه ومداورته ، لتوسيع نطاق المتفهمين له والمقتنعين به من الجانبين ، عسى أن ينتقل الأمر من مرحلة الفهم والاقتناع إلى مرحلة التعاون على العمل المشترك بين جميع المؤمنين بالسلام والعدل واقتلاع بذور الأحقاد بين الشعوب.

ولقد كان هذا الحوار قديماً قِدَمَ وجود الشعوب ذات الحضارات المتجاورة ، بحيث كانت دائماً تتبادل المعارف والخبرات والسلع وأنماط الحياة من : سلوك وملبس ومأكل وطرز عمارة وأثاث ، وتستعير الألفاظ والعبارات وتقاليد المجتمع ، وتصبح جزءاً من مفردات لغاتها وأساليب تعبيرها وتدخل في نسيجها الاجتماعي فتنمو بذلك الثقافات وتزدهر . ولولا تغاير الشعوب واختلاف الحضارات ما كان لشيء من ذلك أن يحدث . ومن أجل هذا خلقنا الله سبحانه شعوباً وقبائل لنتعارف(1). ولو شاء سبحانه لجعلنا أمة واحدة (2). ولكن حكمته عزَّ وجلَّ اقتضت أن يخلقنا مختلفين ، وأن نظل كذلك ، ربما من أجل هذا التعارف والتبادل والحوار . وحين كانت العلاقات تضطرب بين هذه الشعوب المختلفة ، فتقوم بينهم الحروب ، كان يحدث من خلالها الاتصال والتعارف والتبادل والتمازج ، فتتحقق الأهداف نفسها بالوسائل المتناقضة .

وقد قام في الآونة الأخيرة من يرى أن العلاقة بين الثقافات والحضارات علاقات صراع لا ينتهي إلا بغلبة حضارة وثقافة بعينهما ، وسيادتهما على الثقافات والحضارات الأخرى . من ذلك ما ذهب إليه المؤرخ الأمريكي (من أصل ياباني) فوكوياما في كتابه " نهاية التاريخ " الذي رأى فيه أن تفكك الاتحاد السوفييتي وسقوط الشيوعية قد أنهيا الصراع في العالم بسيادة ثقافة النموذج الليبرالي الأمريكي على ثقافات الأمم الأخرى . وما ذهب إليه أيضاً الأستاذ الأمريكي صمويل هنتنجتون في مقالته التي نشرها في مجلة " فورين أفيرز " Foreign Affairs بعنوان " صراع الحضارات " Conflict of Civilizations فقد رأى فيها أن الصراع الحالي _ بعد تفكك الاتحاد السوفييتي والشيوعية – هو صراع بين الثقافات ، وأن الثقافة الغربية الأمريكية تقف – في هذا الصراع – في مواجهة الثقافة الإسلامية والكونفوشيوسية .

وربما كان من المفيد أن أشير – في مقدمات هذه الدراسة أيضاً – إلى أن "البلاد الإسلامية"و"البلاد الأوروبية" تقسيمان جغرافيان – على تجاورهما بل تداخلهما – يمثلان عالمين مختلفين كل الاختلاف ، اصْطُلِحَ على تسمية أحدهما بالعالم الأول ، وتسمية الآخر بالعالم

الثالث . ويفصل بينهما زمن يمتد ثلاثة قرون أو أكثر . فالعالم الأول قد ودع القرن العشرين وبدأ منذ حين يستقبل القرن الحادي والعشرين قبل مجيئه ، في حين ينظر هذا العالم الأول إلى العالم الثالث - المقابل والمجاور له - على أنه لازال يعيش في القرون الوسطى الأوروبية .

وللقرون والتقسيمات الزمانية بين أوروبا والمسلمين مفهومان مختلفان : فالعصور الوسطى - التي هي عصور ظلام في أوروبا - ، هي عصور نور وازدهار وحضارة عند المسلمين ، وعصر النهضة وعصر التنوير عند الأوروبيين هما بدايات عصور التخلف والتراجع عند المسلمين . وقد تسارع التقدم والارتقاء عند الأوروبيين منذ ذلك الحين ، وتسارع التدني والتقهقر عند المسلمين في شتى أقطارهم . وهكذا أخذت الفجوة بين هذين العالَمَيْن في الاتساع إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الآن ، بالرغم من بعض التشابه في مظاهر الحضارة والتقدم بينهما : في الملبس والمسكن والمطعم والمشرب ووسائل التنقل ، فهي مشابَهة تحمل في طياتها بذور الاختلاف الكبير بين عالَمٍ مبدعٍ منتِجٍ متطور ، وعالَمٍ مستوردٍ مستهلِكٍ لما ينتجه ويبدعه العالَم الأول . وتحت هذه القشرة من التشابه يصطخب التباعد والتناقض والاختلاف .

ومع ذلك فإننا لا نعدم فريقاً من الباحثين يرون أن وراء هذا التطور في الحياة العلمية والتكنولوجية في دول الاتحاد الأوروبي ، بقايا واضحة من التمييز العرقي والديني ، ومن العنف والإرهاب في التعبير عن هذا التمييز ، ومن انتهاك الحريات العامة وحقوق الإنسان ، واستعمال معيارين مختلفين في النظرة إلى الموقف الواحد والحكم عليه . وهم يستشهدون على ذلك بما يجري بين الحكومة الإنجليزية وأيرلندة الشمالية ، وما تقوم به الحكومة الفرنسية من التضييق على الحريات الدينية للمسلمين فيها ، وما يفعله النازيون الجدد وبعض المتطرفين في ألمانيا من اضطهاد الأقليات العرقية والدينية ومحاولات قتل أفرادها وإحراقهم وتدمير مساكنهم ، وما حدث في البوسنة من التدمير والتطهير العرقي والاغتصاب . . . ولا يعدو أن يكون كل ذلك سوى أمثلة قليلة تغني عن الاستقصاء .

ويتبادل العالَمان المخاوف والاتهامات . فلا تزال آثار غزو الشمال للجنوب تحز في النفوس وتثير القلق ، فمن الحروب الصليبية ، إلى الاستعمار الأوروبي ، إلى الاستعمار الجديد ، إلى مناصرة القوى الغاشمة والتدخل في الشئون الداخلية لأكثر دول هذا العالم الإسلامي ، والطمع في ثرواتها . . إلى غير ذلك من آثار هذه العلاقة المضطربة بين العالَمين .

وللشمال ، أو الاتحاد الأوروبي ، مخاوفه أيضاً ، وهي مخاوف لها دويّها الإعلامي ، ولها علماء ، ومراكز بحوث وساسة يروجونها ، ويقترحون من وسائل مقاومتها ما يُصبح خططاً استراتيجية تتبناها الحكومات . ويتمثل أهم هذه المخاوف في أمرين ؛ هما : هجرة عدد كبير من أهل الجنوب إلى دول الاتحاد الأوروبي ؛ وتهديد ما يسمونه خطأً بالأصولية الإسلامية لتلك الدول .

ومع كل هذه المخاوف والاتهامات المتبادلة فإن محاولات إقامة علاقات ثقافية بين الجانبين مستمرة في صورة أنواع مختلفة من مؤتمرات الحوار وندواته ؛ فمن حوار عربي أوروبي ، إلى حوار الشمال والجنوب ، إلى حوار إسلامي مسيحي ، ومع أن هذا الحوار بمختلف أنواعه بدأ – في صورته المنظمة الحديثة – منذ ما يزيد على عشرين عاماً ، فإن كثيرين يشككون في جدواه ، ويرون أنه لم يحقق شيئاً ذا قيمة .

* * *

في خضم هذا الجو من عدم الثقة ، ومن عقابيل الماضي والحاضر ، لم يعد يكفي أن يقف المرء موقف الشاهد غير المبالي ، ولا موقف التسامح السلبي ، أو أن تكتفي الشعوب بأن تكون متجاورة ، بينها علاقات سلام ، بل لابد من موقف إيجابى من التفاهم وإقامة علاقات متداخلة تقوم على تبادل مصالح مشتركة . وكذلك لابد من محاولة تفهم الآخر ، وتقبله كما هو دون أن يعني ذلك تطابق جميع الآراء والاتجاهات أو الموافقة عليها . فالتواصل – شأنه شأن التعددية – إنما يعني احتفاظ كل فريق بخصائصه وصفاته ، وقبول الآخر على حاله ، وإلا انتفى معنى التواصل والتعددية .

ولابد في هذا المجال من التفرقة بين الأفكار والمواقف وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية . وكذلك لابد

في المجال الديني من التفرقة بين العقيدة والمعاملة . فإن المرء - أو الشعب - يستطيع أن يحتفظ بآرائه ، وبمواقفه القومية والوطنية ، وبعقيدته الدينية ، وفي الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ (٣) ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم . . . ﴾ (٤) ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم ا لله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾(٥) .

هذا هو الموقف السليم من التعامل مع الآخر على ألا يكون من أحدهما اعتداء أو ظلم ، كاحتلال أرض من يراد إقامة العلاقات معه ، وعلى ألا يكون من الفريق الثاني تفريط في عقيدته ، ولا تنازل عن حقه إلا بالقدر الذي يأخذ مقابله حقاً يعادله أو يفوقه ، ليتحقق معنى التواصل والتبادل والتعاون والعلاقات المشتركة .

* * *

وفي خضم هذا الجو المضطرب ينشأ السؤال المهم ، وهو : كيف نستطيع إقامة علاقات ثقافية بين أوروبا والبلاد الإسلامية ، وما مستقبل هذه العلاقات؟

لابد أولاً من البدء بالنظر فيما وراء الخلافات القائمة ، سواء كانت ظاهرة أم مستترة ، لتلمس أسبابها ثم لتوضيح وجوه الشبه والتقارب التي يبنى عليها مستقبل العلاقات الثقافية . وربما كان من أوضح المواقف في هذا المجال وأصدقها الموقف الذي اتخذته الفاتيكان في عام ١٩٦٩م حين أصدرت باللغة الإنجليزية كتاباً عنوانه " دليل الحوار بين المسلمين والمسيحيين " (٦) . وهو مجموعة مبادئ وجهتها " لجنة شئون غير المسيحيين " بالفاتيكان إلى المسيحيين أنفسهم . وقد ذكر الكاردينال بول ماريلا ، رئيس تلك اللجنة حينئذ، في مقدمته للكتاب ما يوضح الهدف منه بقوله (٧) : " إننا - حين نخص المسيحيين بخطابنا - فإنما نرغب في أن تحفز قراءة هذه الأوراق إلى بدء حوار مع هذه اللجنة ليصل كل منا - بالتعاون

معاً – إلى تهذيب شعورنا بالاحترام للعالم الإسلامي . وبهذه الطريقة نستطيع أن نعد أنفسنا للدخول في حوار حقيقي مع المسلمين ، حين نخلص للحقيقة ونتجرد من الأنانية في صداقتنا " .

ومن أهم ما جاء في هذا الكتاب – وكله مهم – ما ورد في الفصل الثاني بعنوان " يجب علينا أن نعمل على معرفة قيم الإسلام ومثله " وفيه عرض موجز ولكنه صحيح دقيق لبعض مبادئ الإسلام . وكذلك ما جاء في الفصل الرابع بعنوان " كيف نعد للحوار " . ومن عناصر هذا الفصل : " علينا – نحن المسيحيين – أن نعترف بالمظالم التي ارتكبت في الماضي .

ونحن إنما أردنا بإيراد هذه الاقتراحات أن نتخذ من ذلك الكتاب مدخلاً للإجابة عن موضوع هذه الدراسة . ويتضح من محتويات الكتاب أن الفهم الصحيح للفريق الآخر : لتاريخه وحاضره ولتراثه وثقافته ، هو أساس التفاهم ، وأنه لا تفاهم بغير فهم . ولا يكون الفهم صحيحاً إلا إذا تحلى بروح العدل والإنصاف والموضوعية ، لأن كثيراً من محاولات الفهم هي محاولات تؤدي إلى فهم سقيم قائم على الهوى والغرض ، ثم يُبث ويُنفث كما تنفث السموم فتسري في عقول الكثيرين ونفوسهم فتسممها . وتقف حواجز بين الشعوب تحول دون تفاهمها وتعاونها . ثم إن الفهم الصحيح لا يكفي وحده حين يكون كامناً أو ساكناً ، ولابد من الجهر به ، وإشاعته وإعلانه ليصبح قادراً على مد جسور الثقة وقنوات التقارب بين هذه الشعوب ، كما فعلت الفاتيكان في الكتاب الذي أصدرته علناً فدل على الصدق والشجاعة .

وعلى قيمة كل ما تقدم فإنه وحده لا يحقق الغرض ، إذ يظل محصوراً في نطاق ضيق مهما يبلغ انتشاره ، ولا يتاح له التأصيل والتأسيس إلا إذا توافرت له عوامل أخرى ، من أهمها : ما يمكن أن يسمى بتوازن المصالح . فكما أن لدول أوروبا مصالح في البلاد الإسلامية تحرص على تحقيقها ، فإن لدول هذه البلاد الإسلامية مصالح كثيراً ما تتجاهل وتُهدَر ، فينشأ من ذلك شعور بالظلم ، وتسود المخاوف من إقامة أي علاقات لأنها ستكون علاقات غير متوازنة بين قوي وضعيف .فمعرفة هذه المصالح والاعتراف بها وإقامة تبادل

نافي بينها عامل مهم من عوامل بناء
نة . وفي مقدمة هذه المصالح مصلحة
ـة في تحقيق ذاتها . وفي حرية
رفها في ثرواتها ، وفي الاعتراف
تها وثقافتها وعقيدتها ، بعيداً عن
ـاولات تذويب تلك الذات وطمس
لها ، وبعيداً عن فرض ثقافة الآخر
نيان لغته ومصطلحا ته ومفاهيمه .

ثم إنه لا يعقل أن تقوم علاقات
بعية بين شعوب يُنَشَّأ أطفالها في
رسهم على كتب تزخر بالطعن على
خرين ، وتتهمهم بأسوأ الاتهامات ،
زل بهم من مصاف البشر إلى منزلة
حوش ، وتزري بهم وبعقيدتهم
حياتهم الاجتماعية والثقافية ، وتحط
، شأن مكانتهم في تاريخ الحضارة
ـسانية ، وما يلقنه التلاميذ في
رسهم من الكتب وشرح معلميهم
سخ في أذهانهم ونفوسهم ويصاحبهم
مراحل حياتهم (٨) . فلا بد إذن من
ية هذه الكتب الدراسية مما فيها من
ومات أملاها روح التعصب
' ستعلاء العرقي والنظرة
ستعمارية ، فجاءت بعيدة عن
حقيقة ,النظرة الموضوعية في معرض
حديث عن الشعوب الأخرى .

والحديث عن الكتب المدرسية يقود إلى الحديث عن كتب التاريخ عامة للصغار والكبار ، لجمهرة القراء وللمتخصصين . فهي كتب في أكثرها تحتاج إلى مراجعة وإعادة كتابة بحيث تلتزم الموضوعية وتتوخى الحقيقة ، وتجيء بعيدة عن الإثارة وزرع الأحقاد ، دون جَوْرٍ على وقائع التاريخ ولا حذف شيء من حقائقه . فتلك الوقائع والحقائق أصبحت ملكاً للماضي الذي لا سبيل إلى تغييره . وحذفها عمل من أعمال التزوير والتزييف ، لا يقل نكراً عن إقحام وقائع لم تقع ، وإضافة أحداث لم تحدث . وإنما المقصود بالدعوة إلى الابتعاد عن الإثارة وتجنب زرع الأحقاد هو أسلوب العرض والتناول وطريقة التعامل مع الوقائع والحقائق التاريخية . هذا إذا كانت آثار ذلك الماضي بوقائعه قد زالت ، ولم يعد لها أثر في حياة أبناء الحاضر .

فالحروب الصليبية مثلاً ، قد انقضت وزالت آثارها ، وأصبحت لا تعدو أن تكون ذكرى تاريخية ، تُدرَس وتُمَحَّص ، ويجتهد الباحثون من المؤرخين في بيان أسبابها وشرح مراحلها ، واستخلاص العبر منها ، فهي حقيقة حدثت ، ومن غير القبول

ولا المعقول أن يُغْفَل ذكرها ، وأن تحذف من سجل التاريخ . ولكن البحث فيها لا يجوز أن يكون عاملاً من عوامل إحياء الصراع وتأجيج الأحقاد . وهذا كله يختلف كل الاختلاف عن التأريخ لعدوان لا يزال قائما وظلم لا يزال واقعاً . فإن من غير العدل أن ترتفع ، في هذه الحالة ، دعوات إلى نسيان الماضي ، وتصفية النفوس ، وبدء مراحل جديدة . فذلك الماضي – في الحقيقة – لم يصبح ماضياً ، فهو مازال مستمراً في صورة هذا العدوان الواقع في الظاهر، والذي يزداد استفحالاً وتفاقماً . ومثل هذه الدعوات إنما هي دعوات إلى تثبيت الواقع الذي فرضته القوة ، وإلى اعتراف بالظلم وقبول به ، وليست دعوات إلى تصحيح الخطأ وإحقاق الحق .

ولا يقل تأثيراً في نفوس الناس تلك " الأفلام السينمائية " ، والبرامج التلفازية والإذاعية ، والمقالات الصحفية، التي تشوه صورة الشعوب وحياتها الاجتماعية والثقافية ، وتسخر من عقائدها ، فتقف حائلاً دون التفاهم والتقارب ، بما تثير من عوامل النزاع ، وعوامل الصراع . والأمثلة على كل ذلك أكثر من أن تسرد في هذا النطاق الضيق . وحسبنا أن نستشهد هنا بمثالين : أولهما تلك المقالة التي نشرها(9) جاك شاهين (مستشار شبكة سي. بي. إس التليفزيونية لشئون الشرق الأوسط ومؤلف كتاب " العربي كما يظهرها التليفزيون ") وهي تتضمن عرضا موجزا للأفلام السينمائية والمسلسلات التليفزيونية التي أنتجتها هوليوود من سنة ١٩٦٠ إلى ١٩٩٦م وأحدثها فيلم " قرار تنفيذي ". وهي كلها تظهر العرب والمسلمين في صورة كاريكاتورية مشوهة غالباً ما تكون صورة الإرهابيين . وبالرغم من احتجاجات الهيئات العربية والإسلامية الأمريكية ، واعتذار الشركات المنتجة اعتذارات شكلية ، فإن شيئاً جدياً لم يحدث ، ولم تقدم تلك الشركات أي برنامج يبرز صورة إيجابية عن العرب والمسلمين يمكن للمشاهد الأمريكي التعاطف معها . ثم علق جاك شاهين على ذلك بقوله : " . . . إن صانعي الأفلام بإثارتهم مشاعر المشاهدين يستثيرون الأحقاد ، ومتى اشتعلت نار الحقد فهي لا تبقي على شيء . . . " ويقول أيضاً : " ويوحي منتج الفيلم (فيلم قرار تنفيذي) من بدايته إلى نهايته أن العنف جزء لا يتجزأ من

الديـن الإسـلامي والقـرآن الكريـم ، وتحـاول مشاهد الفيلم الربط ما بـين الممارسات الدينية الإسلامية والإرهاب فيما يردد الإرهابيون صيحات : الله أكبر " .

أما المثال الثاني فتلك المقالة التي كتبها صمويل هنتنجتون أستاذ العلوم السياسية ومدير معهد جون م أولين للدراسات الإستراتيجية في جامعة هارفرد ، ونشرتها مجلة " فورين أفيرز " الأمريكية سنة ١٩٩٣ بعنوان " صدام الحضارات " (١٠) وهي مقالة تحذر شعوباً من شعوب بسبب من ثقافتها ، ويرى كاتبها أن ثقافات بعينها - وفي طليعتها ثقافة الإسلام وحضارته - هي مصدر الخطر وعامل التهديد لثقافة الغرب وحضارته ، بل هي العدو الذي تجب محاربته والقضاء عليه . وقد نالت هذه المقالة منذ نشرها شهرة مدوية حتى قيل أنها أصبحت الخطة " الإستراتيجية " للولايات المتحدة في مواجهة تحديات المستقبل . وتوالت عليها الردود المؤيدة والمفندة (١١) .

فإذا كانت هذه هي آراء جمهرة من الذين يتكلمون ويكتبون ويخططون وهم في مركز القوة ، فهل يجدي أن يرفع الذين هم في مركز الضعف أصواتهم وينادوا بالتعاون والتفاهم بين الثقافات والحضارات ؟ نعم ، إن ذلك مجدٍ ، بل هو واجب ، لأن المنادين به هم أصحاب دعوة ، وحملة رسالة ، ينطلقون من موقف إنساني يؤمن بالشعوب ومستقبلها والتعاون بينها ، على حين ينطلق الآخرون من موقف معادٍ للإنسانية ، مليء بالشك في الشعوب ومستقبلها ، وهم لا يرون الحضارة والرقي إلا في أمتهم التي عليها أن تشن الحروب وتخوض أنواع الصراع لإخضاع الشعوب الأخرى دفاعاً عن الحضارة ومستقبل البشرية .

* * *

ومع ذلك فإن حملة رسالة التفاهم والتعاون بين الشعوب ، وأصحاب الدعوة إلى بناء علاقات ثقافية حقيقية بينها ، موجودون في كل جانب ، وهم يجهرون بكلمة الحق ، ويقفون مواقف العدل والصدق . وكما استشهدنا في مطالع هذا الحديث بالكتاب الذي أصدرته لجنة شئون غير المسيحيين في الفاتيكان ، واقتبسنا بعض عباراته ، فإن واجب الإنصاف يقتضينا أن نشير إلى رجل جهر بما يعتقد أنه الصواب ،

هو الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا ، الذي وقف محاضراً في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية (١٢) عن " الإسلام والغرب " . وما يدخل في صميم موضوعنا أن نستشهد بالرجل وموقفه وأن نقتبس بعض عباراته . وكان مما قاله (١٣) :

" . . . إن سوء الفهم بين الإسلام والغرب مازال مستمراً ، بل ربما أخذ يزداد . إن سوء الفهم هذا ، بالنسبة للغرب لا يمكن أن يكون حصيلة الجهل . . . إن الإسلام يحيط بنا من كل جانب ومع ذلك يستمر الشك والخوف وانعدام الثقة . . . فالذي يربط بين عالمينا أقوى بكثير مما يقسمهما . . . لقد عانى حكمنا على الإسلام من التحريف الجسيم . . . أرجو أن تتذكروا أن دولاً إسلامية مثل تركيا ومصر وسوريا منحت نساءها حق التصويت في نفس الفترة التي منحت أوروبا نساءها الحق نفسه ، بل قبل فترة طويلة من اتخاذ سويسرا نفس الخطوة (١٤) . وفي هذه البلاد تتمتع النساء منذ وقت طويل بالمساواة في مجال الأجور . . . كما أن القرآن الكريم قد نص قبل أربعة عشر قرناً على حقوق المرأة المسلمة في الأملاك والإرث وبعض الحماية في حالة الطلاق وممارسة التجارة . . . وفي بريطانيا على الأقل كانت بعض هذه الحقوق غريبة حتى على جيل جدتي . . . فالتطرف ليس حكراً على الإسلام بل ينسحب على ديانات أخرى بما فيها الديانة المسيحية (١٥) . . . إذا كان هناك قدر كبير من سوء الفهم في الغرب لطبيعة الإسلام ، فإن هناك أيضاً قدراً مساوياً من الجهل بالفضل الذي تدين به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي . . إن هذين العالمين ، الإسلامي والغربي ، قد وصلا الآن إلى ما يشبه مفترق طرق في علاقاتهما ، ولا يجوز أن ندعهما يفترقان ، وأنا لا أوافق على مقولة إنهما يتجهان نحو صدام في عهد جديد من الخصومة والعداء ، بل إنني على قناعة تامة بأن لدى عالمينا الكثير الذي يقدمانه إلى بعضهما . . . ".

والمحاضرة - لنفاسة معانيها وسلامة اتجاهها - تغري بكثرة الاقتباس منها ، وهو ما فعلنا ، وحسبنا منه ما قدمناه لاتصاله الوثيق بموضوعنا ولتوضيح جوانب منه .

* * *

وكل ما ذكرناه كلام قيل مثله وأضعافه في مناسبات كثيرة ، ولم ينته إلى شيء حقيقي ، سوى ما عبر عنه ذلك الكلام من فكر سديد ونيات حسنة . وهما لا يغنيان شيئاً في الواقع العملي إذا لم يرتبطا بتحقيق مصالح عملية أو معنوية . وقد نشط الحوار العربي في بدء عهده حين أدركت أوروبا مدى قوة النفط العربي وشدة حاجتها إليه . فأخذت زمام المبادرة واتصلت بجامعة الدول العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبعض الحكومات العربية ، ودعت إلى تنظيم عدد من ندوات الحوار للتقارب والتفاهم ، وكانت تلح عليها وتتابعها ، ثم أخذت تحرص على نوع واحد من الحوار وهو الحوار الاقتصادي ، وتركز عليه ، وتتغاضى عما سواه من أنواع الحوار ، وخاصة الحوار الثقافي الذي كانت تحرص عليه المنظمات والدول العربية وتطلبه . ومع الزمن تراخت الجهود ، وسقط الحوار كله ولم ينته – بعد عشرين عاماً – إلى نتائج ذات قيمة ، وإن استمر مظهر الحوار وإطاره الخارجي بعد أن فرغ من مضمونه ، حين فقدت أوروبا اهتمامها الحقيقي به لأنه لم يعد يحقق لها المصالح التي كانت تتوقعها في البداية ، ولأن هذه المصالح قد تحققت من خلال الاتصال المباشر بالحكومات العربية بوسائل مختلفة ونتيجة لتفرق الصف العربي . إن تبادل المصالح هو الذي يُحدِث التوازن بين طرفي معادلة الحوار والتعاون . ولابد لحدوث هذا التوازن من وجود قوة وراءه . والقوة الوحيدة للعرب في الوقت الحاضر تتمثل في التضامن وجمع الكلمة وتوحيد الصف . وبذلك تعود للحوار حرارته وقوته ، ويصبح الحديث عن التعاون الثقافي حديثاً مؤدياً إلى الغاية محققاً للهدف . ولا يكون ذلك إلا إذا قامت بهذه الرسالة هيئة أو مؤسسة أو منظمة عربية مشتركة أعضاؤها من ذوي الخبرة والتصور الصحيح والرؤية المستقبلية السليمة ، تدعمها الحكومات العربية دون أن تملي عليها هذه الحكومات علاقاتها المتقلبة فيما بينها ولا علاقاتها الخارجية ، وعلى أن تترك لها حرية التحرك في نطاق المصالح القومية . وما ينطبق على الحوار العربي الأوروبي ينطبق – من حيث الإطار ووسائل التنفيذ والتوجهات – على الحوار الذي ننشده بين المسلمين والأوروبيين ، إذ من غير الطبيعي أن نستمر في علاقات

يواجهنا فيها غيرنا بمواقف موحدة أو متقاربة ، وبتصورات وخطط واضحة ونظل نحن متفرقين دون وضوح في التصورات والخطط ، بل ربما كنا أحياناً نقبل على الندوات والمؤتمرات دون إعداد كاف ودون أن نعرف ما نريد ، فتذهب مشاركتنا أدراج الرياح . وحين يعود ممثلونا ووفودنا بشيء ذي قيمة - وما أقل ما يحدث ذلك - فإنه يضيع في غياهب الأدراج . أما بقيام هذه الهيئة أو المؤسسة المستقلة فإنها تضع الخطط والبرامج ثم تتولى التنسيق والمتابعة . وكل عمل ليس له متابعة هو عمل منقطع يضيع قبل الوصول إلى غايته . وما أكثر الأعمال التي تبدأ ثم لا تنتهي الى شيء ! !

الأستاذ الدكتور

ناصر الدين الأسد

عمان - الأردن

الهوامش

١ – قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ الحجرات : ١٣ .

٢ – قال تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولايزالون مختلفين إلا من رَحِم ربُّك ، ولذلك خلقهم . . ﴾ هود : ١١٨ و ١١٩ .

٣ – النحل : ١٢٥ .

٤ – العنكبوت : ٤٦ .

٥ – الممتحنة : ٨ – ٩ .

٦ – Guideines for a Dialogue Between Muslims and Christians أصدرته بالفاتيكان : Secretariatus Pro Non - Christians ورئيسها : Cardinal Paul Marella .

٧ – Guidelines for a Dialogue ... pp. 5 - 6 .

٨ – أنظر : الدكتورة مارلين نصر ، صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية ، والإشارات الواردة فيه إلى كتب أخرى أُلِّفت في الموضوع عن الكتب المدرسية في أقطار أخرى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٩٥م .

٩ – جريدة الحياة التي تصدر في لندن ١٣١٠٩ ، ١٩٦٩/٤/٢٠م .

١٠ – Huntington, Samuel P. , Foreign Affairs, Summer, 1993 .

١١ – أنظر المقالة المسهبة المنشورة في : The Economist, August 6th - 12th 1994 والتعليقات على هذه المقالة في العدد التالي من المجلة بتاريخ ١٩٩٤/٩/٣م .

١٢ – وهو مؤسسة مرتبطة بجامعة أوكسفورد ببريطانيا ، وانظر المحاضرة في النشرة الصادرة عن المركز باللغة العربية ، والتي طبعتها شركة يونيسكيل ، إنشام ، أوكسفورد .

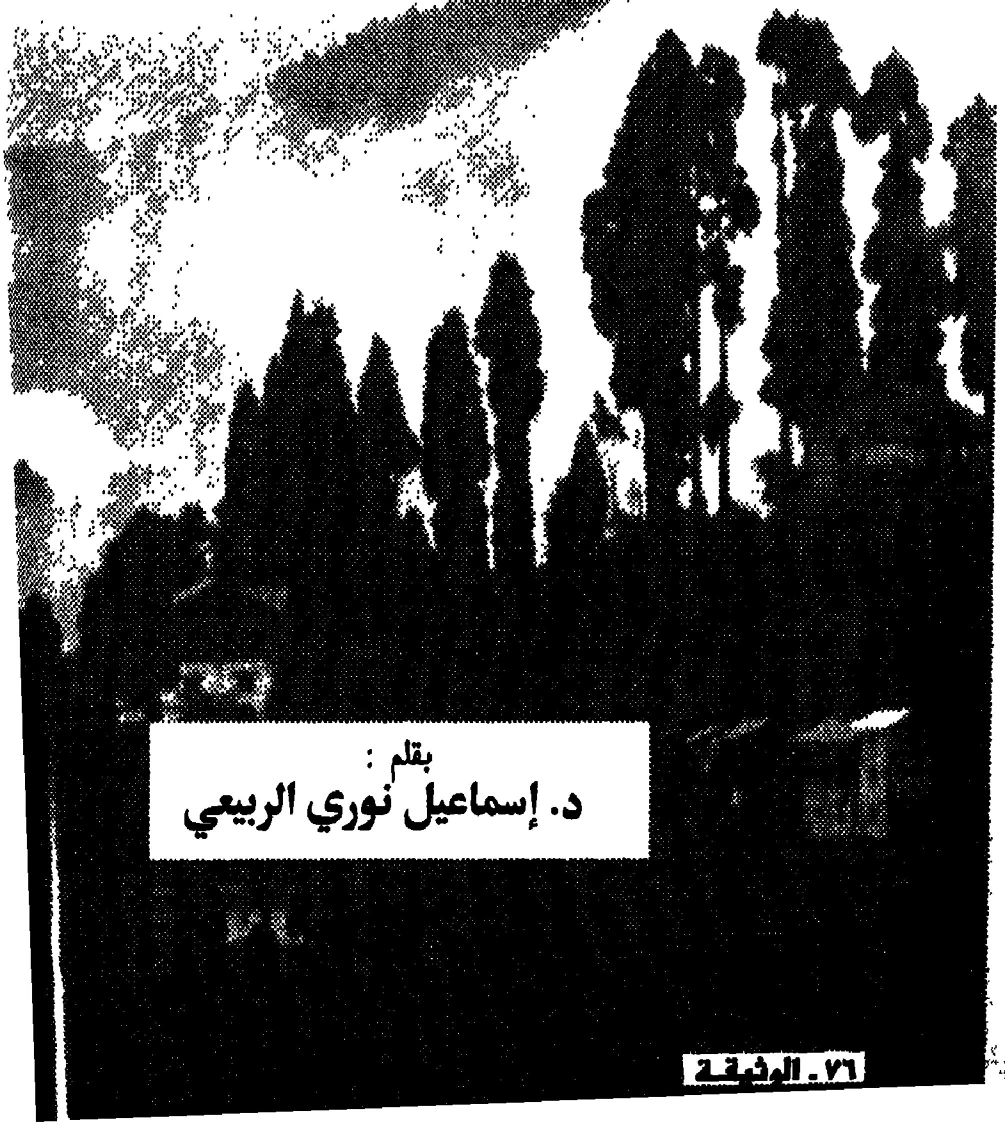
١٣ – ص ١٠ وما بعدها ، وقد حافظنا على الترجمة العربية كما جاءت في النشرة مع أسلوبها .

١٤ – لم يذكر الأمير تشارلز أن النساء في زمن البعثة النبوية منذ أربعة عشر قرناً كان لهن حق التصويت ، وبيعة النساء لرسول الله صلى الله عليه وسلم معروفة ، بالإضافة إلى النساء اللاتي بايعنه عليه السلام مع الرجال في عدة مناسبات .

١٥ – في هذا عدم دقة وخلط بين الدين نفسه وبين أتباعه الذين يتطرفون لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية ، ويوهمون أنفسهم وغيرهم أنهم إنما يفعلون ذلك دفاعاً عن دينهم ويستشهدون بنصوص من الكتب المقدسة يسيئون فهمها وتفسيرها .

البحث الأوروبي عن بدائل لمواد

البرتغاليون كانوا أولى القوى الأورو



بقلم :
د. إسماعيل نوري الربيعي

[ت]جارة مع آسيا ١٥٠٠ ـ ١٨٠٠م

[illegible] حظيت بعلاقات تجارية مع آسيا

تفردت التجارة الأوروبية مع آسيا بميزة ذات طابع خاص . كان تمثلها واضحاً في توجه الأوروبيين وحرصهم في الحصول على بضائع آسيا المتنوعة والمثيرة ، ويكاد يكون التنوع في الإنتاج الآسيوي أحد أهم العوامل ، بالإضافة إلى تحقق تفوق بارز لآسيا في الميزان التجاري على حساب أوروبا ، التي كانت تدفع " الذهب والفضة " في سبيل الحصول على البضائع الآسيوية . مما جعل العديد من الباحثين الأوروبيين يشيرون إلى تلك العلاقات التجارية ، وتحملها وزر الأوضاع الاقتصادية المتردية التي نالت أوروبا وجعلتها تعاني [illegible] (١)

[illegible] أواخر القرن الخامس عشر [illegible] التجار الأوروبيين [illegible] الحصول على [illegible] من البضائع الآسيوية [illegible] الأسواق الآسيوية أحد العوامل التي [illegible]

وبقدومهم الذي حفزه التوابل والنفائس ، لم يكن لديهم ما يبادلون به تجار الموانئ الآسيوية . والواقع أن مستوى الإنتاج الذي بلغه حرفيو آسيا ، وتراكم خبراتهم ، وحصولهم على الموارد الطبيعية التي تكفل لهم حياة مستقرة دون عوز أو حاجة ، كان من العوامل التي وضعت قادة الأسطول البرتغالي في حيرة من أمرهم . فمن أين لهم بسلع توازي أهمية الأرز أو الشاي أو المنسوجات القطنية والحريرية والتوابل والأعشاب [٢] .

كانت أوروبا تحصل على البضائع الآسيوية عبر منطقة الشرق الأدنى وبجهود حثيثة من قبل التجار الإيطاليين الذين احتكروا ذلك العمل وتخصصوا في نقل التوابل والفلفل والحديد . إلا أن عبور البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م ، ساهم في تحويل الصورة إلى حد بعيد ، إلا أن الطلب الأوروبي شهد زيادة في الإقبال ، حتى كانت البضائع تقسم إلى أصناف وفق شدة الرغبة والإقبال ، فكانت التوابل والفلفل والأنسجة القطنية تحتل المرتبة الأولى ، فيما كانت سلع الحرير والنحاس والسكر والقهوة والملح الصخري والنيلة والألماس والأفيون في المرتبة الثانية (٣) ، واحتلت الأعشاب المرتبة الثالثة في الطلب .

على مدى الفترة الممتدة من ١٥٠٠ - ١٨٠٠م ، توجه الأوروبيون في تركيز حصولهم على البضائع الآسيوية عن طريق دفع الفضة والذهب ، التي كانوا يحصلون عليها من مناجم العالم الجديد " أمريكا " فيما تمكنوا من الحصول على بعض المال لتمويل تجارتهم واستمرارها عن طريق بيع بعض السلع في الموانئ الآسيوية . ولم تكن غائبة الفعالية التي برعوا فيها ونشطوا ، ممثلة في توسيع أنشطة تجارة الموانئ الآسيوية والتي وفرت لهم موقعاً مميزا في طبيعة الاتصال التجاري والحصول على الأرباح الوفيرة . ولا يمكن إغفال الأعمال العسكرية التي أقدم عليها الأوروبيون والنهب الذي مارسوه في سبيل الحصول على الموارد والأموال والمواقع المميزة ، حتى كان القرن السادس عشر شاهدا على فظائع البرتغاليين ، والقرنان السابع عشر والثامن عشر حيث نشط الهولنديون [٤] في أرخبيل الملايو ، وما فعله الإنجليز خلال القرن الثامن عشر في الهند .

ساهم الذهب الأمريكي في تنشيط عرى العلاقات التجارية الأوروبية – الآسيوية ، وبحاستهم التجارية المستندة إلى الخبرة وتراكم السنين ، استوعب الآسيويون الرغبة الملحة التي كانت تعتمل في نفوس الأوروبيين ، حتى كانت مسألة رفع أسعار السلع ليست بالأمر العسير ، لاسيما وأن أوروبا ، بدأت تظهر عليها تخمة الذهب مما كان له وقعه على اندفاع السفن الأوروبية بكل قوتها نحو نقل البضائع من آسيا إلى أوروبا . والواقع أن الكميات الوفيرة التي تم نقلها من أميركا ، كان لها الوقع الكبير في حجم التجارة مع آسيا ، فقد تم نقل ثلث الفضة الأميركية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، على شكل مدفوعات نقدية من أجل بضائع آسيا . فعلى مدى الأعوام ١٥٧٠ – ١٧٨٠م نقل حوالي من أربعة آلاف إلى خمسة آلاف طن من الفضة إلى آسيا ، فيما قدر بعض الباحثين كمية الفضة الواصلة إلى الشرق خلال الأعوام ١٥٠٣ – ١٦٥٠م ما يعادل سبعة عشر ألف طن .

وكان لتركيز التبادل السلعي على معدني الفضة والذهب ، أن اتجهت اهتمامات الشركات الشمالية ، لاسيما شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، إلى حث خطواتها للاستفادة القصوى من ذلك المعدن ، ونتيجة لارتفاع معدل سعر صرف الفضة إلى الذهب في أوروبا والبالغ خمسة عشر إلى واحد ، عمدت إلى تركيز محاولتها في أوروبا مقارنة بمعدل الصرف الموجود في آسيا والبالغ تسعة إلى واحد ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (٥) .

احتلت الفضة مكانة واسعة في حجم النشاط التجاري الأوروبي الآسيوي ، وكانت تنقل بأشكال متنوعة منها ما هو مسكوك يحمل شعار المناطق التي جلب منها ومنها ما يؤتى به بالكميات ، وكانت فعالية البيع والتبادل تتم عادة بالوزن . ومن أبرز المسكوكات الأوروبية ، أو التي جلبوها ، كانت عملة " دوكاتون " الفضية التي يتم سكها في هولندا لغرض التبادل التجاري مع آسيا بالذات . وحظيت تلك العملة بعناية خاصة من قبل التجار الآسيويين نتيجة لارتفاع نسبة معدن الفضة فيها ، بالإضافة إلى التصميم الفني المثير والذي كان يستقطب رغبات وأهواء الآسيويين بشكل عام . إلا أن هذه العملة وبنسبة النقاوة العالية فيها ، تعرضت للكثير

من عمليات الصهر [٦] ، ليعاد سكها في عملات محلية جديدة تمثلت في الروبيات .

وظهر في الأسواق الآسيوية عملات أسبانية ومكسيكية مثل " البيسترز " ، كما ظهرت عملة " ريال المارك " والتي كان يتم التعامل بها بالوزن . وقد شاعت تلك العملة خلال القرن الثامن عشر وساهمت الشركات التجارية الأوروبية في نشرها ، وإذا ما كان اهتمامنا منصباً على دراسة تمويل التجارة الأوروبية ، فإن المناجم الأميركية كانت تقدم المعادن الثمينة بوفرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى أن أوروبا كانت تحصل على الفضة من مناجم المكسيك ، فيما كان الذهب يصل إليها من البرازيل . وقد قيض للصادرات الأوروبية والتي بدأت تأخذ مكانها في الأسواق الآسيوية ، من تقليل الاعتماد الواسع والمباشر على المعادن الثمينة . إلا أن هذا القول لا يعني أن بضائع أوروبا قد احتلت منزلة رفيعة في التجارة الآسيوية ، فقد كانت على درجة من المحدودية ولم تحقق لناقليها سوى الحصول على أسعار التكلفة بالإضافة إلى قلة تنوعها ومحدودية الإقبال والرغبة فيها . ويمكن حصر البضائع الأوروبية بالأنسجة الصوفية وبعض الكميات من الحديد والنحاس والرصاص والزئبق وسكاكين المطبخ ، وإبر الخياطة وقدور الطبخ ،وعلى الرغم من النشاط الذي كان يبديه التجار الأوربيون في ترغيب السكان المحليين في بضائعهم المكدسة مقابل وكالاتهم التجارية ، إلا أن الفشل كان حليفهم [٧] .

لم يحظ من البضائع الأوروبية بالأهمية ، سوى بعض المواد المتعلقة بالأسلحة النارية وصناعة السفن ، إلا أن رصانة القوى المحلية الحاكمة وقوتها ، كانت حائلاً دون اتساع تلك الأهمية ، فقد كان لآسيا جيوشها المحكمة التأسيس والتي غالباً ما كانت تعتمد في تسليحها على إمكاناتها الذاتية ، ومن أبرز تلك القوى ، جيش الإمبراطور المغولي أورنجزيب ١٦٥٨ - ١٧٠٧م ، وجيوش الإمبراطورية العثمانية ، وجيش نادر شاه في بلاد فارس ، وجيش الإمبراطورية الصينية . والواقع أن تجارة السلاح ، كانت من المشاكل التي واجهت الأنشطة التجارية الأوروبية في آسيا ، فقد حرصت العديد من القوى الحاكمة على منع وصول تلك الأسلحة إلى الفئات المتنفذة داخل

كياناتهـا السياسـية . فخـلال القـرن السـابع عشـر عمـدت اليابـان إلى منـع التجـارة الأوروبيـة داخـل أراضيهـا ، خشية من وصول الأسلحة الأوروبيـة إلى طبقة " الدايميوز " (٨) .

كـان البرتغـاليون أولى القـوى الأوروبية التي حظيت بعلاقات تجاريـة مباشرة مع آسيا ، ولم يجدوا صعوبة في تنظيم شئون تجارتهم ، حيـث اعتمـدوا علـى مصـادر متنوعـة للتمويـل ، تمثـل الأول في المعـادن الثمينـة المجلوبـة مـن مناجم أميركا ، فيما كان الثـاني يتمثـل في النقود المحصلـة مـن الضرائـب الـتي فرضوها على الموانئ التي وقعـت تحـت سيطرتهم . والمصدر الثالث كان يتم عـن طريق عمليـات السطو والنهـب المباشـر التي كانت تباشرها السفن البرتغاليـة في المياه الآسيوية . وبقـدوم الهولنديـين إلى المنطقـة بـدأ التفكـير الجـدي في مسـألة توفـير مصـادر التمويـل ومـا يمكـن أن يجلبوه معهم من بضائع إلى آسـيا حتـى وجدوا ضالتهم في الاتجاه نحو " تجـارة الموانئ الآسيوية " وتوسيع آفـاق العمـل بها مـن أجـل الحصـول علـى أربـاح ، تضمـن لهـم اسـتمرار تدفـق البضـائع الآسـيوية نحـو أوروبـا . أمـا الشـركات الشمالية والتي برزت إلى ساحة النشـاط خلال القرن السابع عشر ، فقد حرصت علـى خلـق نـوع مـن الموازنـة في عمليـة التبادل السلعي ، لاسيما في مجال دفـع الكميـات الهائلـة مـن المعـادن الثمينـة ونقلها إلى آسيا . ولا يمكـن إغفـال أثـر التحـولات في السياسـة التجاريـة الأوروبية ، حيث مثل النشاط التجـاري البرتغالي احتكاراً حكومياً ، في حـين أن شركـة الهـند الشـرقية الإنجليزيـة ١٦٠٠ ، وشـركة الهنـد الشـرقية الهولندية ١٦٠٢م بالإضافة إلى شـركات أخـرى قـد اعتمـدت في أنشـطتها علـى مساهمة رؤوس الأمـوال الخاصـة ، ممـا كان له أبلـغ الأثـر في تحديـد مجـالات الأنشطة وتهذيبها بمـا يتوافـق والأربـاح المتوقعة ، فلم يعد الحمـاس والرغبـة في توكيد عوامل أخرى كالسياسية والدينية في الاتجاه نحو الشرق ، بقدر ما تركـز الاتجـاه نحـو الامتيـازات التجاريـة وطموحات الأرباح (٩) .

وإذا مـا كنـا بصـدد التعـرض لتلـك الشركات ، فإنه من الأجـدى أن نشـير إلى طبيعة الفعاليات التي كانت تؤديهـا تلك الشركات والظروف المحيطة بهـا . فالشركة الهولندية أفادت وبشكل ملفت للنظر من الرفاهية التي بلغتها هولندا ، خلال حكم الإمـبراطور شـارل الخـامس

١٥١٩ – ١٥٥٦م والذي جعلها تحت نفوذ السيادة الأسبانية وقدم لتجارتها امتيازات هائلة كان لها الأثر البالغ في تنشيط عملياتها . حتى كان لهم السيطرة وبشكل مطلق على تجارة أوروبا الغربية خلال القرن السادس عشر ، فيما انشغل الأسبان والبرتغاليون في توسيع رقعة نفوذهم في آسيا وأميركا ، وعدم ظهور أي بادرة من قبل الإنجليز في دخول حلبة المنافسة إبان تلك الحقبة . لقد أفادت الشركة الهولندية من وفرة الأموال في بلادها ، حتى تمكنت من الانطلاق في فعالياتها برأسمال ثابت بلغ ما يعادل عشرة أضعاف رأسمال الشركة الإنجليزية . وبرأسمال كهذا توافرت لها الإمكانيات الهائلة في تدعيم موقفها في السوق الآسيوي ، حتى تمكنت من فرض سيطرتها التامة على جزر أرخبيل الملايو ، وجعل تلك الجزر في خدمة أهدافها التجارية بالإضافة إلى توسيع رقعة علاقاتها التجارية مع مناطق أخرى من آسيا ، حتى قيض لها الحصول على الفضة من اليابان مقابل تقديمها لبعض السلع المنتجة في أوروبا (١٠) .

تتسم فعاليات شركة الهند الشرقية البريطانية بالمحدودية ، إذا ما قورنت بما كانت تقوم به الشركة الهولندية خلال القرن السابع عشر . والواقع أن الشركة الإنجليزية كانت تحت وطأة العديد من العوامل ، يقع أهمها في عدم وجود رأسمال ثابت ، بقدر ما كانت تعتمد على رأس المال المساهم وتوزيع الأرباح بعد عودة السفن إلى أوروبا ، ولم تحقق الشركة سعة في حركة السفن حتى أن قيمة ما تم نقله على مدى الأعوام ١٦١٥ – ١٦٢٤م قد بلغ خمسين ألف باوند استرليني سنوياً علما بأن هذا المبلغ لم يبلغ نصف الأرباح التي كانت تحققها الشركة الهولندية ، التي تمكنت من الحصول على الفضة من نشاطها التجاري مع موانئ الخليج العربي ، مما مكنها من تنويع مصادر تمويلها (١١) .

إزاء النجاحات المطردة التي كانت تحققها الشركة الهولندية ، تعرضت الشركة الإنجليزية للعديد من المشاكل ، والتي برزت في شكل خاص في إنجلترا

وتكمن تلك المشاكل في الانتقاد الذي وجه من قبل الاقتصاديين والمؤكد على طرفين للنهوض بالاقتصاد الإنجليزي يتمثلان في ضرورة المحافظة على المعادن الثمينة والإبقاء عليها في

البلاد ، أما الطرف الثاني فيتركز في توسيع الأسواق للصناعة الوطنية وتصريفها والإقلال من استيراد المواد الاستهلاكية . وكان الاتجاه السائد في ضرورة توسيع نشاط التصدير من أوروبا إلى آسيا قد برز في الشرط الذي وضع في الامتياز الجديد الذي وقعته مع الحكومة الإنجليزية عام ١٦٩٣م والقاضي بتصدير بضائع إنجليزية إلى آسيا بما يقدر بمائة ألف باوند استرليني سنوياً . وقد حاولت الشركة تصدير الأنسجة الصوفية لاسيما في مناطق نفوذها الممثل في الهند ، إلا أن حرارة مناخ الهند ، جعل المهمة غير مجدية ، مما حفزها للبحث عن أسواق جديدة ، حتى وجدت ضالتها في بلاد فارس ذات الشتاء الطويل نسبياً ، إلا أن المنافسة التي برزت من قبل الشركات الأخرى كان لها الأثر البالغ في تحديد ذلك النشاط ، ولم تكن المنافسة تأتي من البحر فقط ، بقدر ما كانت كميات كبيرة تصل فارس عن طريق الشمال (١٢) وعبر الطرق البرية المتصلة بموانئ البحر المتوسط .

وإذا ما كان الوصف الذي ألصق بالشركة الإنجليزية ، والنشاطات الواسعة والعملقة الاقتصادية التي بلغتها ، فإن هذا الأمر لم يمنع من ظهور العديد من المشاكل والمعاناة التي أحاطت بأنشطتها . لاسيما في مجال تصدير البضائع الإنجليزية إلى آسيا . فمعظم المنسوجات الصوفية الإنجليزية التي بلغت البنغال ، كانت تعاني الكساد ولم تكن الحال هذه مقتصرة على منطقة واحدة ، بقدر ما كانت تشمل مختلف مناطق الهند التي شملها النفوذ الإنجليزي . وعلى الرغم من الشكوى التي كان يرفعها الوكلاء إلى مقر الشركة في لندن ، إلا أن اتجاه تصدير البضائع الإنجليزية إلى مناطق آسيا ، كان جزءا من السياسة التجارية التي حرصت على تطبيقها الحكومة الإنجليزية لاسيما في النصف الثاني من القرن الثامن عشر(١٣).

لم تحقق البضائع الأوروبية المصدرة إلى آسيا ، أي نتائج إيجابية في مجال تعديل الميزان التجاري أو الإقلال من ضخ الفضة والذهب إلى آسيا . وقد وجدوا ضالتهم بتعزيز دورهم في تجارة الموانئ الآسيوية . والتي كان محيطها في أرخبيل الملايو وموانئ الصين واليابان والهند والبحر الأحمر والخليج العربي وشرق أفريقيا . وتقوم على تبادل البضائع التي تنتجها آسيا ، حيث

برزت الهند في إنتاج الأنسجة القطنية ، والصين بالحرير والفخار والخزف ، واليابان بالفضة والنحاس ، وأرخبيل الملايو بالتوابل ، وبلاد فارس بالحرير والسجاد ، وبلاد العرب بالخيول والأعشاب الطبية (١٤) .

وجد الأوربيون في تجارة الموانئ الآسيوية مجالاً هائلا للربح ، حتى أنهم وبمقارنة أرباحهم مع التجارة الأوروبية ، اتجهوا نحو تعميق نشاطهم وتركيزه . والواقع أن البرتغاليين لم يتنبهوا إلى تلك التجارة ، وإنما تركوها للتجار الآسيويين ، ليؤدوا جميع الفعاليات المتعلقة بها . في حين أن مقدم الشركات الشمالية إلى آسيا ، ساهم في إحداث نقلة هائلة في النشاط التجاري بصفة عامة خلال القرن السابع عشر . أما الهولنديون فقد ركزوا جهودهم على تجارة التوابل ، وحاولوا أن يوطدوا نفوذهم في منطقة مركزية لتسهل لهم عملية النشاط التجاري ، حتى كانت جزر أرخبيل الملايو مركزاً ومحطة لأنشطتهم ، وقد وجدت الشركة الهولندية أن الاتجاه نحو الموانئ الآسيوية أكثر جدوى وأكثر ربحاً من الاتجار مع أوروبا وذلك للكميات الكبيرة من المعادن الثمينة التي يجب جلبها من أوروبا لغرض دفع ثمن التوابل الذي ركزت عليه الشركة الهولندية بصفة خاصة (١٥) .

وضع الهولنديون نصب أعينهم السيطرة على التجارة الأوروبية – الآسيوية بشكل كامل . والتركيز بشكل واضح على احتكار تجارة الصين . وتتألف خطتهم في إنتاج السفن الهولندية بعدد كبير وضمان التسليح الجيد وتوفير التمويل اللازم . وقد وضع للخطة مرحلتان ، الأولى تمثلت في الساحل الجنوبي الشرقي للهند ، حيث الحصول على الأرباح الواسعة ، ومن بعدها يتم العمل بالمرحلة الثانية والمركزة على بلوغ الصين بالأرباح التي يتم جنيها من الاتجار مع الموانئ الآسيوية ودون الحاجة إلى نقل المال من هولندا(١٦) .

حققت الشركة الهولندية أرباحا طائلة خلال القرن السابع عشر من نشاطها التجاري مع الموانئ الآسيوية . فقد حصلت في العام ١٦٣٨ – ١٦٣٩م على أرباح في ميناء بندر عباس بلغت مائتين وستين ألف جلدرز . وكانت توجهات التبادل السلعي قد بلغت أنواعاً ومناطق آسيوية مختلفة ، حتى

كانت الوكالة التجارية الهولندية في ميناء بندر عباس تحصل على جوزة الطيب والقرنفل من جاوة وسومطرة ، والقرفة من سيلان والهيل من ساحل المليبار ، والزنجبيل من الصين والهند ، والسكر من الصين وتايوان ، وتمكنت من الحصول على النيلة والصمغ وخشب الصندل . بالإضافة إلى القصدير من آجن الواقعة شمال سومطرة ، والنحاس من اليابان ، والخزف من الصين ، والبخور والكافور من سيام . وكان لميناء بندر عباس من الأهمية ، أن المال الهولندي(١٧) المتداول فيه ، قد فاق جميع المال الذي استخدمه البرتغاليون في تجارة الفلفل مع آسيا.

لم تبق الصورة على حالها ، إذ برزت عدة مؤثرات ساهمت في تقدم الشركة الإنجليزية على حساب الشركة الهولندية خلال القرن الثامن عشر ، وكانت السياسة التي اعتمدها الإنجليز أحد أهم الدعائم التي ساهمت في بروز دورهم ، فقد تم السماح للنشاطات التجارية الخاصة التي يقوم بها الإنجليز في الموانئ الآسيوية وقدمت لأولئك التجار الدعم والرعاية والأمن . فيما تفرغت الشركة لأداء فعالية التجارة الأوروبية - الآسيوية . وكان هذا الأمر ينبع من الإمكانات المادية الشحيحة للشركة الإنجليزية . في حين أن الهولنديين لم يسمحوا لأي من رعاياهم في إبداء أي نشاط خارج عن احتكار ونطاق شركتهم . مما أفسح المجال أمام الأطماع الشخصية والخلافات أن تتفاقم وتؤدي إلى ضعف عمَّ مفاصل أداء الشركة (١٨) وجعلها تتراجع أمام منافسة الشركة الإنجليزية التي تمكنت من فرض هيمنتها على تجارة الموانئ الآسيوية في النصف الثاني للقرن الثامن عشر ، لتحقق لبلادها أرباحاً هائلة ساهمت في تدعيم القوة الاقتصادية ، التي كان لها الأثر البالغ في اتساع رقعة الإمبراطورية البريطانية .

وطدت الشركة الإنجليزية نظاماً إدارياً صارماً ، حقق لها المزيد من الأرباح وترصين الموقف . حتى أن مصادر تمويلها قد تعددت ، ولم تقصرها على مجال واحد . فاتجهوا نحو تحصيل الضرائب من التجار الإنجليز الذين يشحنون بضائع على سفن الشركة ، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد ، بل كان دور التجار ذوي النشاطات الخاصة في دعم التجارة الأوروبية وتقليل الاعتماد على عملية نقل الأموال من

أوروبا [١٩] . بعد أن وجـدوا ضـالتهم في اتساع أنشطتهم مع الموانئ الآسيوية .

احتلـت تجـارة الصـين أهميـة استثنائية في آمـال وتطلعـات الشـركة الإنجليزيـة ، إلا أنهـا جوبهـت بعـائق التكـاليف العاليـة الـتي تتطلبهـا تلـك التجارة . وبالعزوف الذي تعلمه الشركة لـدى الآسـيويين بالنسـبة للبضـائع الأوروبيـة . فوجـدت أن البديـل الـذي يمكن أن توفره ، يأتي مـن خـلال نقـل البضائع الهندية إلى الصين ، لتوفر المال الـلازم للمضـي بتلـك التجـارة وتوسـيع آفاقها ، لاسـيما وأن النفـوذ البريطـاني كان قد تغلغل في الهنـد خـلال النصـف الثاني من القرن الثامن عشر . مما جعل من الهند وما تنتجه من بضـائع مكرساً لخدمـة أهـداف شـركة الهنـد الشـرقية البريطانية ، ومصدراً هائلاً يوفر للشركة المال اللازم لإتمام التجـارة مـع الموانـئ الآسـيوية ، فعلـى سـبيل المثـال كـانت الشـركة تصـدر مـن الهنـد المنسـوجات القطنيـة والأفيـون إلى الصـين[٢٠]، لتحصل بالمقابل علـى الشـاي والبضاعـة التي برز الإقبال عليها بشـدة في أوروبـا إبان تلك الحقبة .

د. إسماعيل نوري الربيعي

الجامعة الأردنية

كلية الآداب – قسم التاريخ

الهوامش

١ - Simkin, The Traditional Trade of Asia, London 1968 . P.252 .

٢ - Michal Greenberg, British Trade and the Opening of China 1800 - 1842, Cambridge 1969 .

٣ - Quoted in R.C. Dutt, The Economic History of India, Vol. 1, P.215 .

٤ - Simkin, Op.cit, P. 252 .

٥ - Pierre Choraunu, Les Philippines et Le Pacifique des Iberiques . XVI, XVII, XVIII Siecles, Paris 1960, P. 269 .

٦ - Parry, *Trade and Dominion*, New York *1971*, P. *67* .

٧ - Ibid. P.66 .

٨ - د. عبد الأمير محمد أمين ، نظرة جديدة للإنجازات السياسية والعسكرية والتجارية البرتغالية في آسيا ، مجلة دراسات ، الجامعة الأردنية ، ١٩٨٨ .

٩ - Masselman, The Caidle of Colonialism, London 1963, P.72 .

١٠ - Carlton Hayes and others, History of Europe, New York 1955, P. 453 .

١١ - Wilson, Holand and Britain, London 1946, P.75 .

١٢ - Van Luer, Indonesian Trade and society, The Haghe 1955, P. 6 .

١٣ - Saldanha, Selections from State Papers, Bombay, Regarding the East India Company's Connection with the Gulf, with Summary of Events 1600-1800, Calcutta 1908.

١٤ - Van Luer, OP. cit, P.6.

١٥ - Masselman, OP. cit, P. 195.

١٦ - Simkin, Op. cit. P.184.

١٧ - Steensguard, The Asian Trade Revolution of the Seventeenth Century, London1974, P. 407.

١٨ - Furber, Rival Impires of Trade in the Orient 1600-1800, Oxford 1976, P. 273.

١٩ - Ibid,P. 275.

٢٠ - Greenberg, Op.cit. P. 9.

نظرة جديدة على العلاقات الع

تمثل بداية العصر الحديث في العالم الإسلامي ،
عصر التأخر أو على أحسن تقدير عصر الجمود . . فا
شهدت هذه البداية تدهور ثلاث إمبراطوريات كبي
ورئيسية هي الإمبراطورية الصفوية ، والإمبراطوري
المغولية ، والإمبراطورية العثمانية . . . ولكن هـ
التدهور لم يكن متماثلا مما يشد الباحث إلى البحث :
الإستثناءات وسط هذه التعميمات السلبية (١) . وفي رأ
أن التغييرات التي تتابعت على المحيط الهندي والخا
العربي تصلح لكي تعتبر من ضمن هذه الاستثناءات ،
كنت أركز هنا على مصطلح التغيير مفضلة له على مص



ـة البحرينية ١٧٩٩ - ١٨٠٣م

وجهة نظر كندية

التدهور . إن دراسة هذه المنطقة البحرية الشاسعة خلال الفترة المبكرة من العصر الحديث ، أي قبل هيمنة بريطانيا في القرن التاسع عشر ، مازالت في حاجة إلى مزيد من البحث والتقصي ، نظراً لما يشوب الدراسات الموجودة بالفعل من مظاهر النقص والقصور . خاصة بعد أن بدأت الأبحاث التاريخية في الاستفادة من معطيات العلم الحديث ومن الأساليب المبتكرة في وسائل البحث . . وهذا يفتح المجال لوضع أسس جديدة لتدوين التاريخ وتقييم المصادر التاريخية والتفكير في الأسباب وتأثيراتها .

بقلم الدكتورة

باتريشا ريسو (كندا)

لقد شهدت منطقة الخليج في القرن الثامن عشر سلسلة مشوقة من الصراع للسيطرة على البحرين ، هذه السلسلة التي يظهر فيها الفرس والهولة والعتوب والمساقطة وآل مذكور .

فعندما حاول نصر بن مذكور – من بوشهر – أن يدافع عن سيطرته على البحرين ضد آل خليفة ، حكام الزبارة ١٧٨٢م ، لم تظهر مسقط على مسرح الأحداث في هذا الصراع . . وكان هذا العام هو العام الأخير في حياة أحمد بن سعيد مؤسس الأسرة البوسعيدية الذي كان منهمكاً في الشئون الداخلية لبلاده مما لم يجعله يولي اهتماماً كبيراً للحروب البحرية رغم وجود الكثير من النصائح التي كانت تدعوه لذلك . في نفس الوقت شهد هذا العام نشاطاً كبيرا لتجار مسقط من العرب أو الهنود الذين كان لهم دورهم البارز في ترسيخ أقدامهم في تجارة الخليج . ورغم أن البحرين كانت في ذلك الوقت كما كانت في كل الأوقات تحظى بشهرة واسعة في تجارة اللؤلؤ ، إلا أننا لم نسمع كثيراً عن هذه الجزر حتى نهاية القرن . مع ملاحظة أن كل ما كنا نعرفه عنها في تلك الفترة ، إنما جاء بطريق غير مباشر .

وقد حاولت مسقط ثلاث مرات في الفترة بين ١٧٩٩ و ١٨٠٢م السيطرة على البحرين ، وسوف أحاول في هذه السطور تحديد تعاقب الأحداث وتطورها ، مع التدقيق في البواعث التي كانت كامنة وراء هذه المحاولات الثلاث .

أولاً : الأحداث

في سنة ١٧٩٩م كان يحكم البحرين الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة ، وكان يحكم مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي الأول . وكان سلطان بن أحمد متحمساً أكثر من أبيه للشئون البحرية والتجارية . . وقد اتخذ في سنت ١٧٩٩م من عدم دفع البحرين لضريبة متفق عليها ذريعة لإعداد حملة على البحرين . . وقد طلب سلطان بن أحمد من الإنجليز في بومباي منع أي سفينة متجهة إلى آل خليفة ، واستجاب الإنجليز لهذا الطلب (٢) ، ثم حاول سلطان بن أحمد بعد ذلك الحصول على مساعدة بحرية من موانئ جنوب فارس دون جدوى ، فأبحر بمفرده . وقد أحرزت هذه الحملة نجاحاً محدوداً . . وقد بدأ سلطان بن أحمد باحتجاز ثلاث سفن تجارية من

سفن آل خليفة أثناء عودتها إلى البحرين قادمة من الهند . وقد بادر شيخ البحرين بالكتابة إلى الشيخ ناصر حاكم بوشهر وكان شبه تابع للقاجار أو تحت حمايته مقابل خراج يحصل عليه القاجار ، باعتبار سكان بوشهر رعايا إيرانيين . وقد تلقى الشيخ ناصر رسالة آل خليفة فاتجه إلى البحرين على رأس قوة بحرية مما أجبر سلطان بن أحمد على الانسحاب . وانتقاماً من الشيخ ناصر قام سلطان بن أحمد باحتلال جزيرة خرج بالقرب من بوشهر ، وكانت تابعة للشيخ ناصر . . وهكذا وجد سلطان بن أحمد والشيخ ناصر نفسيهما متورطين في صراع دام ستة شهور كاملة (٣) ، وتحولت الحملة الأولى إلى مجرد مناوشات صغيرة بعيداً عن البحرين ودون أن تحقق نتائج ملموسة .

* * *

أما حملة مسقط الثانية على البحرين فحدثت في خريف عام ١٨٠١م . وحدثت في ظروف مختلفة تماماً .

فقد تدهورت العلاقات بين البحرين والقاجار فتح علي شاه بسبب توقف البحرين عن دفع الخراج له وهو الخراج الذي اتفق على دفعه مقابل الدفاع عنهم . . وفي موجة غاضبة للشاه أصدر أمره للشيخ ناصر حاكم بوشهر وللولاة الساحليين التابعين له لإعداد حملة على البحرين . . في نفس الوقت لجأ شيخ البحرين إلى مناقشة الأمر مع سيد سلطان حاكم مسقط في ذلك الوقت في اتجاه معاكس لما حدث في الحملة الأولى، ووعد شيخ البحرين حاكم مسقط بأن يدفع له نصف ما كان يدفعه للشاه مقابل مساعدته للبحرين على تأكيد استقلالها عن العلاقة مع إيران . وقد يبدو موقف مسقط غريباً للبعض ، ولكن سيد سلطان قدم تفسيراً له في خطابه إلى الوكيل البريطاني في مسقط (٤) ، فقد قال له أن هناك خطراً حقيقياً من حملة قاجار إيران على البحرين . فإن مهاجمة آل خليفة في ذلك الوقت لم يكن في صالح مسقط ، لأنهم كانوا عائقاً هاماً ومؤثراً في وجه الامتداد الأصولي في الأحساء .

ولكن هذا التحالف بين مسقط والبحرين لم يدم طويلاً بسبب عدم دفع البحرين للخراج . وهكذا وجد آل خليفة أنفسهم في مواجهة كل من إيران

ومسقط. ومما جعل الموقف أكثر حرجاً حصول سيد سلطان على دعم الشيوخ العرب من الهولة على الساحل الإيراني. وأخطر نائب السلطان بومباي بأن الهولة من بندر ريق إلى بندر عباس قد تمردوا على الفرس وقبلوا الخضوع لمسقط ، وبأن أحداً الآن لا يجرؤ على التنفس دون إذن من سيد سلطان (٥) .
وحتى القاجار نفسه أرسل بعض سفن الداو المسلحة ومعها تعليمات سرية بأن تدعم الجانب الذي يلوح النصر في جانبه آملاً بذلك مطالبة المنتصر بجزء من عائد الغنيمة . . وتقول المصادر أن عدد القوة العمانية بلغ ٢٤٥٠ شخصاً مدعومين بالهولة والإيرانيين . وكان الأسطول مكوناً من سفينة كبيرة وسفينتين شراعيتين ، وعدد كبير من السفن الصغيرة . ولم تكن هذه القوة سوى جزء صغير من أسطول عمان الذي كان يمكن تعبئته من كل من مسقط وصحار وصور وقلهات (٦) . من ناحية أخرى لم أجد أي تفاصيل عن أسطول البحرين الدفاعي ، وإن كانت الظروف كلها تشير إلى أنه كان صغيراً خاصة بعد فقد ثلاث سفن في سنة ١٧٩٩م ومنع مغادرة أي سفن بحرينية لميناء بومباي. إضافة إلى أن بعض المواطنين البحرينيين من الموالين لإيران اتصلوا بمسقط ووعدوا بتعاونهم مع سلطان مسقط (٧) وبدا في الجو المحيط بأن الحملة سوف تنجح تماماً إلا أن النتيجة كانت على خلاف ذلك .

فعندما نزلت القوات العمانية إلى البحرين في بداية سبتمبر ١٨٠١م انتقل معظم آل خليفة إلى البر الرئيسي ، إلى الزبارة وموانئ العتوب الأخرى . ويقال إن بعض العائلات التي بقيت في البحرين قد نقلت إلى عمان حيث احتجزت هناك . وقد عين سلطان بن أحمد ابنه " سالم " والياً من قبله على البحرين على أن يحكم بالتعاون مع محمد بن خلف الشيعي . . إلا أن ذلك لم يكن نهاية المطاف ، فقد قرر السلفيون الذين احتلوا أجزاء واسعة من شرق الجزيرة العربية ، وشنوا عددا من الغارات في عمق عمان نفسها التعاون مع آل خليفة ، وشنت كل من القوتين هجوماً مضاداً ضد عمان من الزبارة وأجبرا كلاً من سالم ومحمد بن خلف على الفرار إلى مسقط (٨) .

لم يسكت سلطان بن أحمد وأرسل ممثلاً له إلى شيراز في إبريل ١٨٠٢م لالتماس المساعدة في حملة أخرى ولكنه

فشل في الحصول على أي مساعدة من أعدائه التقليديين أي القواسم الذين سبق لهم التحالف مع السلفيين . ولكن في مايو استقبل سلطان بن أحمد سفيري شيراز وبغداد اللذين عبرا عن قلقهما بسبب ضغط السلفيين على كربلاء وتقدمهم نحو مشهد علي بالقرب من بغداد . ووعد السفيران بمساعدة حكومتيهما لسلطان بن أحمد في أي محاولة جديدة لاحتلال البحرين حتى يخفف السلفيون ضغطهم على العراق [٩] ولكن هذه الوعود لم تتحقق مما فرض العزلة على مسقط التي قامت بمحاولة لغزو ضعيف ونهائي وغير ناجح ضد آل خليفة في صيف ١٨٠٢م ، ولكن التوسع السلفي في شرق الجزيرة العربية أجبر سلطان بن أحمد على التخلي نهائياً عن طموحاته في البحرين .

...

على الرغم من أن هذه الأحداث واضحة ، إلا أنها رغم ذلك يحوط بها عدد من علامات الاستفهام ، منها معرفة أهداف سلطان بن أحمد . وهنا يبرز سؤال هو لماذا البحرين وليس الكويت أو رأس الخيمة ؟ ولماذا الإصرار في المحاولة وتكرارها ؟

قد تكون الإجابة السهلة هي رغبة سلطان مسقط في احتلال شواطئ البحرين الغنية باللؤلؤ ، وهو تفسير لوريمر [١٠] ومما لاشك فيه أن مسقط كانت تشارك في تجارة اللؤلؤ وذلك يظهر من قراءة رسائل تيبو سلطان حاكم ميسور الذي ذكر فيها أنه استورد كميات كبيرة من اللؤلؤ وقام بتجارة ضخمة مع مسقط ، وكان له وكلاء يشترون اللؤلؤ إما من مسقط وإما من البحرين طبقا لانخفاض الأسعار هنا أو هناك [١١] . فهل كان ذلك سبباً في محاولة انتزاع حكم هذه الشواطئ الغنية من أيدي آل خليفة ؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب أن نشير إلى أن بعض المؤرخين تفوتهم دقة التعبير عندما يشيرون إلى ما سمى " مراقبة " تجارة اللؤلؤ وكأن هذه كانت بناءً محكماً ومنظماً وهو ما لم تكن عليه في الواقع [١٢] ، فإن النظام المعقد عن الحقوق الإقليمية وفرض الضرائب ، لم يكن في يد حاكم بمفرده ، أو تحت تصرف أسرة حاكمة . ولو كان الأمر كذلك لكان لدى هذا الحاكم دخل طائل

مكنه مـن بنـاء أسطول ضخـم للحفـاظ على هذه الثروة . ولكن الواقع يقول أنـه م يكن بالإمكـان لأي حـاكم أن يراقـب صناعة اللؤلؤ بمعنى أن يستغل الأرباح أو يدخلها إلى بيت المال ، بل إن الحق الذي كان متاحـاً لـه هـو فـرض ضريبـة على الذين يمارسون صيـد اللؤلـؤ خـارج الشـواطئ المتصلـة بالمينـاء . فـإذا كـان الحاكم تاجراً أيضاً ، كمـا كـان الحـال بالنسبة لآل خليفة ، فقد كان بالإمكـان أن يصبح عضواً في المجموعة التي كانت تراقب أربـاح تجـارة اللؤلـؤ أي التجـار الدوليين مـن الهنـد والعـراق وإيـران والجزيرة العربية . ولم يكـن في الإمكـان إذن لحـاكم مسـقط أن يتـولى مراقبـة صناعة اللؤلؤ عن طريق إقامـة مفرزة في ميناء بحريني . . لذلك فأنا لا أعتقد أن الطمـع في اللؤلـؤ كـان سـبب محـاولات الغزو . يؤيد ذلك أن مصائد اللؤلؤ كانت ومنذ وقت طويل ملفتة للنظر ورغم ذلـك لم تقـم مسقط بـأي محاولـة منـذ عـام ١٧١٨م مـع أنهـا في ذلـك الحـين كـان لديها قوة بحرية عملاقة . . هنـاك إذن أسباب أخرى وراء حملة ١٧٩٩م .

أشـار الدكتـور مرسـي عبـد الله إلى مصدر لم أره من قبـل [١٣] ، وهـو عبـد الله صلاح المطوع من الشـارقة . . فهـو يفسر الهجمات المتكررة التي شنها سـيد سلطان بن أحمد ، إذ يرى أنهـا كـانت من أجـل تحويـل أنظـار السلفيين عـن عمان نفسها . . هذا التفسير قد يكتسب وزناً خاصاً فيمـا يتعلـق بحملـة ١٨٠٢م وقد سبق لي أن ذكرت بأن هـذه الحملـة سبقها وعد سفيري شيراز وبغداد بتقديـم العون لمسقط ، وقلت أن الدولتـين كانتـا ترغبان في تحويـل القوات السـلفية مـن هجوم وشيك ضد العراق (اهتمام شـيراز جـاء مـن الالـتزام بالدفـاع عـن الأمـاكن الشـيعية المقدسـة في العـراق) وبنفـس الأسلوب ربما أمل سيد سلطان في صرف أنظار السلفيين عـن عمـان . يضـاف إلى ذلك أن سـلطان مسقط أمـر أسـطوله في ١٨٠٣م بالقيام بدوريات في الخليج لمنـع القواسم والعتوب من بيع المواد الغذائيـة القادمـة مـن الهنـد للسـلفيين [١٤] ومـن المهـم هنـا أن نؤكـد أن الأراضـي الـتي سيطر عليها القواسم - الصـير ومينـاءهـا رأس الخيمة - تعرضت أخيراً للسـيطرة السلفية وقد تركـز الصـراع الطويـل بـين القواسـم والمسـاقطة على مينـاء صحـار وعقب فـرض السـلفيين سـيطرتهم علـى الصـير ، زادت الاحتمـالات بـانتزاع صحـار مـن أيـدي العمـانيين وإقامتهـا

افس لمسقط . ومن وجهة نظر سلطان
ط فإن ذلك كان كفيلاً بشد نظر
لفيين إلى موضع صراع بعيد ، أي
البحرين ، كما أننا لا يمكن أن
ل الموقع الإستراتيجي للبحرين
سبة لعمان . وربما اعتقد سلطان
ط أنه يحمي نفسه من السلفيين ،
تطيع أن يمارس حربه المستمرة ضد
اسم بطريقة أفضل ، إذا كان له
ئ قدم في البحرين [١٥] .

ولكن السبب الحقيقي للحملات
البحرين يرجع لمصدر آخر [١٦] .

إن سبب الحملة أولاً بأول كان
ن آل خليفة دفع الضريبة (الجمرك)
قط وكانت تعادل ٢.٥٪ من قيمة
سائع التي تمر بمسقط على متن
فن المحلية [١٧] . وقد رتب سلطان
أحمد مع عرب السودان الذين
وطنوا هرمز لتنفيذ نظام دفع
مرك . ولكن آل خليفة رفضوا
. فكانت السفن البحرينية العائدة
، الهند تحرص على تجنب المرور
قط . وكثيراً ما نجحوا في تجنب
ودان الذين كان عليهم مهاجمة
فن التي لا تدفع هذا الجمرك وليس
نا تقدير كامل لحجم هذه الجمارك

ولكن كان من الواضح أن سفن آل خليفة كانت تبحر مباشرة إلى الهند وتنافس في عمليات النقل التي كان المساقطة يريدون احتكارها [١٨] .

ويجب أن نلاحظ هنا أن الأمر لم يكن بسيطاً وأن عملية نقل البضائع كانت أمرا جديراً بالقتال من أجله وخاصة في وقت تدهورت فيه تجارة الإنجليز والأوروبيين والتي كانت كما وصفها شارلز عيسوي مجرد قطرة في بحر نشاط النقل المحلي بل إنها انتقلت إلى شواطئ الخليج الجنوبية والجنوبية الشرقية بعيداً عن الشواطئ الشمالية والشمالية الشرقية التي كانت تحت مراقبة العرب . هذا الأمر لم يكن واضحاً تماماً للمؤرخين لأن أغلب المصادر كانت بريطانية وكانت تهتم بتجارة شركة الهند الشرقية بصورة مباشرة وإن كنا لا نعدم معرفة حجم نشاط النقل البحري الحالي ، وإن كان بشكل غير مباشر من المراجع الإنجليزية والفرنسية والقليل من المصادر المحلية .

لقد كانت موانئ جنوب إيران غير آمنة بسبب الحروب الأهلية التي نشبت في المنطقة عقب وفاة نادر شاه سنة ١٧٤٧م وتأثرت تجارة البصرة بالطاعون

الذي انتشر هناك في سنة ١٧٧٣م ، ثم بسبب الحصار الإيراني من سنة ١٧٧٥م إلى سنة ١٧٧٩م وتأثرت حركة التجارة التقليدية بين الهند والموانئ الإيرانية والبصرة لسبب آخر هو موجة تصدي القوى المحلية للغزاة الأجانب التي انتظمت الخليج كله ، وهي الموجة التي يمكن وصفها بأنها حرب بحرية محلية . وإزاء كل ذلك ، فقد وجد التجار الهنود بأن إرسال البضائع إلى الخليج عن طريق مسقط ، كان وسيلة آمنة وأكثر ربحية من إرسالها إلى الخليج . إذ كان الأسطول المسقطي يبحر في شكل قافلة آمنة شديدة الحراسة ويقوم في أمان بنقل البضائع إلى الأماكن المقصودة في الخليج . ومن ناحية أخرى فقد ضمنت هذه العملية لحاكم مسقط ولأصحاب السفن الناقلة دخلاً ضخماً . . . لحاكم مسقط نظير الجمارك ، ولأصحاب السفن نظير أجور الشحن . وإزاء ذلك فقد رغبت كل من البحرين والكويت ورأس الخيمة في الحصول على نصيبهم من هذه الكعكة[19] .

يضاف إلى ذلك أمر آخر في غاية الأهمية . فقد قامت مسقط بشراء عدد من السفن الأوروبية النوع ، وذلك في وقت مبكر ، أى في السبعينات والتسعينات من القرن الثامن عشر مما ساعدها على الإبحار إلى الهند عبر أعالي البحار لشراء البضائع مباشرة . أو لتأجير هذه السفن لآخرين لنقل بضائعهم لموانئ جنوب إيران والبصرة . وكان هذا الأسلوب أسرع وأكثر ربحاً من الأسلوب التقليدي الذي كانت سفن الداو تقوم فيه بالانتقال من ميناء إلى آخر وتشتري من أحدهما لتبيع في الثاني . وطبقاً لما ورد في تقرير بريطاني لعام ١٨٠٠م فقد كان حجم التجارة في الخليج ١٦ ملين روبية [حوالي ٢ مليون جنيه استرليني][20] وكان ذلك مبلغ ضخماً إن لم يكن هائلا بالنسبة لذلك الوقت . ونحن لا نعرف نصيب آل خليفة من هذا المبلغ ، وإن كان الإنجليز يرون أن نصيبهم كان صغيراً[21] . وهنا يجب أن نذكر أن آل خليفة حكموا الزبارة أيضاً . وكان هذا الميناء ميناءً نشطاً في تجارة شرق الجزيرة العربية . وحسب التقديرات المنشورة ، فإن حجم البضائع المستوردة من الهند إلى البحرين والمناطق المجاورة للساحل العربي ، مبلغ مليون روبية إضافة إلى مليون آخر قيمة تصد

اللؤلؤ[٢٢] وكما ذكرت سابقاً فقد كان لدى تجار البحرين بعض السفن التي كان باستطاعتها أن تبحر مباشرة إلى الموانئ الهندية وخاصة إلى سورت حيث تشتري الأقمشة والمعادن الأساسية والبهارات ، والسكر الذي جاء من جافا الهولندية أصلاً . وكان تجار البحرين يبيعون هذه البضائع في سائر شرق الجزيرة العربية وفي البصرة منافسين بذلك التجار المساقطة [٢٣] . وفي بعض الأحيان عندما كان الطريق الشمالي للقوافل من الأحساء يغلق كما حدث في عام ١٨٠١ - ١٨٠٢م . كان آل خليفة يبيعون البضائع الهندية التي كانت لديهم في البصرة ، مما سبب إزعاجاً أكبر للعمانيين [٢٤] . قد يكون مبلغ مليون روبية مجرد تخمين بارع ، ولكن علينا أن نلاحظ أن هذا الرقم عشر تخمين نفس المصدر لقيمة التجارة في مسقط . . ولم يكن ذلك هو السبب الرئيسي للمنافسة . ولكنه لفت الأنظار . والغريب أن المنافسة جاءت من جزء من الخليج لم تكن فيه موانئ مثل مسقط أو صحار ، إضافة إلى قدرة السفن البحرينية على تجنب دفع الجمارك لمسقط . مما كان السبب الأساسي للحملات المتتالية التي وقعت بين ١٧٩٩ و ١٨٠٢م .

وأود هنا حتى يكتمل تسلسل الأحداث أن أشير باختصار إلى سنوات الدخول إلى القرن التاسع عشر ، وهي فترة موثقة أكثر ، ومعروفة أكثر . كانت القضية الرئيسية عند البحرين في بداية القرن التاسع عشر ، هي إخراج المفارز السلفية التي فرضت عليهم نتيجة التعاون المشترك ضد المساقطة في ١٨٠١م[٢٥] . وكان شيوخ آل خليفة ، الشيخ سلمان بن أحمد والشيخ عبد الله بن أحمد في ذلك الوقت موافقين على دفع الضريبة لمسقط مقابل مساعدتهم ضد السلفيين وإن كنت لا أعلم ما إذا كانت هناك دراسة عن التجارة البحرينية خلال تلك السنوات الصعبة[٢٦] .

ولكن أوضاع مسقط كانت قد تدهورت في أوائل القرن التاسع عشر بسبب الغارات السلفية ، وإلى حد ما بسبب الحرب الأهلية في عمان ١٨٠٤ - ١٨٠٧م . ولكن الحاكم الجديد سيد سعيد بن سلطان استمر في طموحاته تجاه البحرين ، وقام بغزوات فاشلة في كل من الأعوام ١٨١١ و ١٨١٦ و ١٨٢٨م . وقد أدى التدخل البريطاني

في الخليج بعد إبرام معاهدة السلم العامة في ١٨٢٠م إلى كبح جماح سعيد بن سلطان ، ودفعه إلى تركيز جهوده في شرق أفريقيا .

وحتى بعد الهزيمة القاضية في سنة ١٨٢٨م ، ظل سعيد بن سلطان راغباً في فتح البحرين ، وقدم إلى الإنجليز أكثر من اقتراح – ثلاثة على الأقل خلال العقود التالية – لكي يرتبوا له السيطرة على البحرين مقابل طرده للنفوذ الفرنسي وموافقته على طلب الإنجليز بمنع تجارة الرقيق . ولكن هذه الصفقة لم تتحقق .

* * *

والخلاصة أن الأسباب التي دفعت عمان للقيام بسلسلة من الهجمات على البحرين كانت قدرة آل خليفة على تجنب ميناء مسقط وقدرتهم على منافسة تجار عمان والاتجار مع الهند مباشرة ومنافستهم في عمليات النقل البحري . هذه الأسباب تشير بطريقة غير مباشرة إلى نجاح البحرين في تسعينات القرن الثامن عشر في عمليات نقل وشحن البضائع إلى الشواطئ العربية وذلك بعد قليل من تولي آل خليفة للحكم في البحرين . وبعد أن وجه سيد سعيد بن سلطان أنظاره لشرق أفريقيا ، أصبح آل خليفة في موقف آمن واستطاع الاستفادة من تقلب الأوضاع التجارية التقليدية في الخليج .

د . باتريسا ريسو (كندا)

جامعة ماكجل (كندا)

الهوامش

١ – طوماس ناف و روجر أوون ، دراسات في التاريخ الإسلامي للقرن الثـامن عشر (كاربون ديل ، الينوي ١٩٧٧)

٢ – سجلات مكتب الهنـد ، لنـدن ، مختـارات بومبـاي ، رينـج ٣٨١ في ٣ مـن الـوالي دنكـان في بومباي إلى سيد سلطان بن أحمد في مسقط ، ٣٠ مايو ١٧٩٩ ، ص ٣٠٧١ .

٣ – المصدر السابق . في ٥ ، خطاب ويلسون ، ٢١ يوليـو ١٧٩٩ ص ٤٦٢١–٤٦٢٣ ، في ٦ ، خطـاب من مترجم شركة الهند الشرقية في بوشهر إلى بومباي ص ٤٦١٦ – ١٨

٤ – المصدر السابق . في ٢٠ ، كابتن ديفيد سيتون في مسقط ينقل حواراً مع سـيد سـلطان بـن أحمـد ١٨ فبراير ١٨٠١ ، ص ٦٩٦ – ٩٧ .

٥ – المصدر السابق ، في ٢٦ ، نائب سيد سلطان بـن أحمـد إلى الحكومـة البريطانيـة في بومبـاي ، حوالي سبتمبر/أكتوبر ١٨٠١م .

٦ – المصدر السابق ، في ٣٣ ، سيتون إلى بومباي ، ٩ يوليو ١٨٠٢م ، ص ٣٦١٠ ، في ٢٥ ، سيتون إلى بومباي ٢٠ يوليو ١٨٠١م ، ص ٤٩٦٨ – ٧١ .

٧ – محمد النبهاني ، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية (القـاهرة ١٣٤٢هـ) الفصـل الأول ، ص ١٣٠ .

٨ – سجلات مكتب الهند ، بي بي إس بي رينج ٣٨١ ، ٥ – ٢٦ ، سيتون إلى بومباي ، ٤ أكتوبر ١٨٠١م ، ص ٥٨٧١ – ٧٣ ، حميد بن محمد بن رزيق ، الفتـح المبـين في سـيرة السـادات آل بوسعيديين (مكتبة جامعة كمبريدج ، مخطوط ٢٨٩٢) ص ١٩٣ .

جيه – جي – لوريمر ، دليل الخليج وعمـان ووسط الجزيـرة العربيـة (كلكتـا – ١٩٠٨ – ١٥ ، طبعة جديـدة لـ جريج ١٩٧٠م) ٥ – المجلد الأول ، قسم ١ (ا) ، ص ٤٢٣ و ٥ – المجلد الأول (ب) ص ٨٤١ – ٤٢ ، النبهاني ، التحفة النبهانية ، الفصـل الأول ص ١٢٩

- ١٣١ ؛ مرسي عبد اللـه ، إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ -١٨١٨م (القاهرة ١٩٧٨) ص ١٨٧ - ٩٠ .

٩ - سجلات مكتب الهند ، بي بي إس بـي رينـج ٣٨١ (٥) - ٣٢ سيتون إلى بومبـاي ، ٧ مـايو ١٨٠٢ ، ص ١٤٤ ، و ١٠ مايو ١٨٠٢ ص ٢١٤٧ - ٤٨ ، أيضاً سـجلات المقيميـة (آي أو آر) بوشهر (آر - ١٥ - ١) سيتون إلى مهدي علي خان في بوشهر ، ٢٥ إبريـل ١٨٠٢ ، ص ١٨ و ١٨ مايو ١٨٠٢م ، ص ١٩ .

١٠ - لوريمر ، دليل الخليج (٥) المجلد الأول جزء ١ (أ) ص ٤٢٢ .

١١ - على سبيل المثال ، رسالة رقم ٢٠٠ من تيبو سلطان إلى وكيله مير قاسم في مسقط ، ١٢ يناير ١٧٨٦م ، في وليام كرك باتريك ، الرسائل المنتخبة لتيبو سلطان (لنـدن) ١٨١١ ، ص ٢٣١ - ٣٤ وفي هذه الرسالة يطلب تيبو من وكيله أن يشتري اللؤلؤ لـ ١٠٠٠٠ روبية إمـا في مسـقط وإما في البحرين أينما كانت أرخص .

١٢ - يوجد بحث عن تجارة اللؤلؤ في جيه - سـي - ولكنسـون ، " المـاء والمستوطنات القبليـة في جنوب شرق الجزيرة العربية " أكسفورد ١٩٧٧م ص ٢٠ - ٢٥ ، أنظـر أيضـاً لوريمـر (٥) أ (الجزء الثاني) الملحق ج .

١٣ - مرسـي عبـد اللـه " السـلالة السـعودية الأولـى وعمـان ١٧٩٥ - ١٨١٨م " في الدراسـات العربية (٤) ١٩٧٠ ص ٣٧ ، أنظر كتابه إمارات الساحل - ص ١٨٨ .

١٤ - آني أو آر ، بي بي إس بي ، رينج ٣٨١ ، (٥) ٤٨ ، سيتون إلى بومباي ٥ سبتمبر ١٨٩٣م ، ص ٦٥٢٣ .

١٥ - ثاني علي بشير " دراسة حكم آل خليفة في البحرين ١٧٨٣ - ١٨٢٠ " أطروحة غير مطبوعة لدرجة ماجستير ، جامعة ماك جل ، ١٩٧٩م ص ٥٥ - ٥٦ .

١٦ - هذا يوافق التعليقات العامة لـ آر - جي - لاندن ، عمان منـذ ١٨٥٦ (برنسـتون ، ١٩٦٧) ص ٦٢ و مرسي عبد اللـه ، إمارات الساحل ، ص ١٨٨ و ١٩٣ .

١٧ - كان المبرر لدفع الجمرك أن السيد سلطان بن أحمـد " حرَّر الخليج من الغزاة " (آي أو آر - بي بي إس بي رينج ٣٨١ في ٢٠ ، سيتون إلى بومبـاي ، ١٢ مـارس ١٨٠١م ، ص ١٠٢١ - ٢٢ ولكن في الحقيقة أنـه استأجر غزاة لتنفيذ دفع الجمارك .

١ – قبل حملة ١٨٠١م تشاجر السودان مع السيد سلطان حول حجز البضائع الإنجليزية التي دخلت إلى الخليج . وبناء على إصرار بومباي طرد سيد سلطان السودان من هرمز الذين استوطنوا قطر وتحالفوا مع السلفيين أنظر آ ئ أو آر ، بي بي إس بي رينج ٣٨١ – ٥ (٢٥) سيتون إلى بومباي ، ٢٠ يوليو ١٨٠١م ، ص ٤٩٦٧ و ٤٩٧٠ ، وانظر أيضاً محضر جلسة مجلس بومباي لـ ١٤ أغسطس ١٨٠١ ، نفس المصدر ، ص ٥٠٠٠ – ٥٠ . إن طرد السودان خفّض حدة مسألة الجمرك وجعل جمع الضريبة أكثر صعوبة .

١ – يوجد بحث شامل عن تحويل تجارة النقل والشحن في أطروحة لـبي ريسو (دوبوسون) " تاريخ مسقط وعمان ١٧٥٠ – ١٨٠٠م " غير مطبوعة ، للدكتوراه في جامعة ماك جل ، ١٩٨٢ ، الفصل الخامس نافست مسقط التجار الهنود البريطانيين بالنجاح . أنظر نفس المصدر الفصل العاشر .

٢ – " تقرير حول التجارة في الخليج " لـ جون مالكولم ، ١٨٠٠ ، آي أو آر مكتبة الرسائل السياسية والسرية . (إل/ بي انداس/ ٢٠) ٥ – ٢٢٧ سي ، الملحق "ح" فقرة ٣٠ وحسب تقديرات مالكولم أن حجم المبلغ الذي مرَّ بمسقط تجارياً كان عشرة ملايين روبية (أنظر فقرة ٣٩) .

٢ – تقرير مالكولم – فقرة ٤٦ – أنظر أيضاً " تقرير عن تجارة الجزيرة العربية " لـ ساموئيل مانستي وهارفورد جونس ، ١٧٩٠ في " آي أو آر فاكتوري ريكوردس " – "إيران والخليج" ، (جي/ ٢٩ (٥) – ٢٥) ، ص ٢٠٠ – ٢٨٩ .

٢ – تقرير مالكولم – فقرة ٣٦ .

٢ – آي أو آر (بي بي إس بي) رينج ٣٨١ ، (٥) ٣٣ ، سيتون إلى بومباي ، ٩ يوليو ١٨٠٢م، ص ٣٦١١ .

٢ – نفس المصدر ، ص ٣٦٢٢ .

٢ – النبهاني ، التحفة النبهانية ، ١٣١ – ٣٢ .

٣ – أنظر كلاً من النبهاني وابن رزيق ولوريمر بالنسبة إلى التورط البريطاني في الشئون البحرينية والعمانية خلال القرن التاسع عشر . أنظر أيضاً جيه بي كيلي . " بريطانيا والخليج ١٧٩٨ – ١٨٨٠م " (أكسفورد ١٩٦٨م) .

صورة من صور النشا

دراسة تاريخية وتحليلية



بشيري في الخليج

اط الإرســـاليــات الأمـــــــــــريكيـــة

إعداد : الدكتورة فاطمة حسن الصايغ

مقدمة

" عندما تتفحص خارطة الخليج فستلاحظ وجود قطعة أرض كبيرة تظهر على هيئة لسان في منتصف الخليج تقريبـا هـي شبه جزيرة قطر ، ولكن عندما تسأل عنها أعضاء الإرسـالية الأمريكية في أي مكان ، فستكتشف كأنما هي قارة لم تطأهـا أقدام المكتشفين بعد ! " . هذه هي قطر في كتابـات المبشرين التابعين للإرسالية الأمريكية (التابعة للكنيسة الإصلاحيـة الأمريكية) والتي تأسست عام ١٨٨٩م ، ووضعت لهـا هدفـا رئيسيا هو الوصول إلى قلب الجزيـرة العربيـة والعمـل علـى إقامة كنيسة المسيح الكبرى هناك . فطوال العقد الأخـير مـن القرن التاسع عشر كان رجال الإرسالية يجوبون مـدن وقـرى الخليج العربي من الكويت وحتى رأس مسندم ، ولكن أبواب قطر ظلت موصدة في وجوههم . وترجع أسباب عزلة قطـر إلى وجود الحكم العثماني التركي الذي رفـض السماح بدخـــول أي أجنـبي إلى شبه جزيـرة قطـر ، وعلـى وجـه الخصـوص الغربيين .

وعلى الرغم من موقف الأتراك العدائي تجاه الغربيين عامة ورجال الإرسالية خاصة ، إلا أن روح المغامرة والمجازفة غلبت على رجال الإرسالية ، فحاولوا الدخول إلى قطر عام ١٩١٥م . فقد بدأت محاولات اكتشاف تلك " القارة " كإغراء قوي صعب على رجال الإرسالية تحمله ، خاصة وأن قطر تقع على بعد مرمى البصر من البحرين ، وهي محطة رئيسية للإرسالية في الخليج . وبدأ أطباء الإرسالية يعدون العدة ويضعون الخطط ، خاصة وأن تلك الرحلة لن تكلفهم في تلك الفترة إلا بضع مئات من الروبيات وحقيبة دواء . وبالفعل امتطى الدكتور بول هاريسون Paul Harrison وأحد مساعديه سفينة أقلتهم من البحرين إلى سواحل قطر ، التي يبدو أن أهلها والحامية التركية قد تسامعوا بخبر وصول هؤلاء الغرباء ، فتجمهروا على البحر لرؤيتهم . وما إن وصل الفريق التابع للإرسالية حتى كان حوالي خمسين جندياً من الحامية التركية في انتظارهم ، وقد فشل الفريق الأمريكي بعد محاولات يائسة في النزول إلى قطر وعاد أدراجه إلى البحرين ، حيث كانت تلك هي أول محاولة لزيارة قطر من قبل الإرسالية . وعلى الرغم من الفشل الذريع الذي منيت به ، إلا أن ذلك لم يقلل من عزم رجال الإرسالية الذين سرعان ما استغلوا ظروف الحرب العالمية الأولى لمعاودة الاتصال بقطر من جديد .

وبالفعل نجح الفريق الطبي التابع للإرسالية في زيارة قطر في عام ١٩١٨م والإقامة فيها فترة من الزمن ، تعرفوا خلالها على طبائع وعادات الناس واحتياجاتهم الفعلية من الخدمات الطبية الحديثة ، التي كانت تفتقر قطر وقراها إليها في تلك الفترة . وتكررت زيارات أطباء ورجال الإرسالية لقطر في فترة ما بين الحربين مستغلين حاجة الأهالي للخدمة الطبية الحديثة من ناحية ، وعدم وجود الوعي الكامل لدى الأهالي لأهدافهم الحقيقية من ناحية أخرى ، حيث كان العلاج عادة ما يبدأ بالصلوات الدينية وقراءات من الكتاب المقدس . لذا فقد كانت حاجة الأهالي للخدمة العلاجية المتطورة هي التي أدت إلى استمرارية عمل الإرساليات .

عملت الإرساليات الأمريكية حوالي ثلاثة عقود في تقديم الخدمة العلاجية للأهالي عن طريق زيارات منفردة قام بها أفرادها لقطر . إلى أن قام شيخ قطر ، عبد الله بن جاسم آل ثاني (١٩١٣ ـ ١٩٤٩م) عام ١٩٤٧م ببناء أول مستشفى في قطر . حيث طلب

المساعدة من أطباء الإرسالية في تسيير شئون المستشفى الذي اعتبر أول مستشفى حديث في قطر . وعلى الرغم من وجود هذا المستشفى ، إلا أن عمل أطباء الإرسالية ظل مستمراً حتى عام ١٩٥٢م مستغلين حاجة المستشفى لوجود كادر مؤهل ، وفي ذلك العام تم إغلاق المستشفى الأمريكي في قطر نظراً لنقص الإمكانيات المادية وعدم تحقيق هذه الإرساليات لهدفها الأول وهو التنصير .

كانت كتابات المبشرين عن قطر طوال الفترة التي عملوا فيها في المنطقة تنضح بالأمل ، فقد اعتبرت قطر حقلاً بكراً يمكنهم من زرع أفكارهم خاصة وأنها أبدت ترحيباً بأطباء الإرسالية ، الأمر الذي اعتبر ترحيباً بممثلي الإرسالية البروتستينية في قطر . وعلى الرغم من النتائج الفاشلة التي حظي بها النشاط التبشيري في دول الخليج الأخرى ، إلا أن الأمل كان لا يزال حياً في أذهان رجال الإرسالية الأمريكية في إمكانية نجاحهم في قطر . ولكن النشاط التبشيري في قطر لاقى نفس مصير النشاط التبشيري في مناطق الخليج الأخرى . فقد رحب السكان بالخدمة العلاجية ورفضوا الجانب الديني المرتبط بعمل الإرساليات ، وانتصرت المبادئ العميقة لهؤلاء السكان البسطاء على التقنية الغربية الحديثة .

لذا فهذه الدراسة هي محاولة لدراسة المحاولات التنصيرية الأمريكية في قطر وتحليل أسباب فشلها . وقد اعتمدت هذه الدراسة على الوثائق الأمريكية غير المنشورة والمحفوظة في مكتب الإرسالية الأمريكية في نيو برونزويك في نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية .New Brunswick, N.J وعلى الوثائق المحفوظة في مكتبة اللاهوت في جامعة جورج تاون الأمريكية بواشنطن Wood Stock Theological Library . بالإضافة إلى ذلك فقد شكلت تقارير أعضاء الإرسالية إلى مقرها في نيو برونزويك والتي نشرت جميعها في مجلتهم الدورية المعروفة باسم "الجزيرة العربية المنسية" Neglected Arabia" والجزيرة العربية تناديكم" Arabia Calling مصدراً لاغنى عنه لأي باحث في أعمال الإرسالية الأمريكية . كما شكلت مذكرات أعضاء البعثة الأمريكية في الخليج مصدراً مهماً في معرفة الأوضاع السائدة ، حيث وصفوا تلك الأوضاع بدقة متناهية . لذلك جاءت مذكرات كورنيلا دالنبيرج وبول هاريسون وهارولد

ستورم وجانيت بويرسم وغيرهم لتزيد من معرفتنا عن نشاط الإرساليات من ناحية ، والأوضاع السائدة في الخليج من ناحية أخرى .

بالإضافة إلى المصادر الأولية ، فقد اعتمدت الباحثة - أيضاً - على عدد لا بأس به من المصادر الثانوية العربية والأجنبية ، التي اهتمت بعمل الإرساليات الأمريكية في هذه البقعة من العالم .

أما منهج الدراسة فهو منهج البحث التاريخي ، فقد تم اختيار فترة زمنية تبدأ في العام ١٩١٨م وهو العام الذي شهد بداية النشاط الكبير التبشيري للإرسالية الأمريكية في الدوحة ، وينتهي في العام ١٩٥٢م وهو العام الذي شهد إغلاق المستشفى الأمريكي في قطر وتقلص عمل هذه الإرساليات وتسلم الحكومة لهذا المستشفى . ولغرض البحث العلمي فقد تم تقسيم البحث إلى أربعة أقسام يتناول أولها خلفية تاريخية تبحث في أهداف الإرسالية الأمريكية وأساليبها في التبشير بالإضافة إلى وصف للأوضاع العامة في قطر قبل بدء عمل الإرسالية . أما القسم الثاني فيتناول عمل الإرسالية في الفترة ما بين ١٩١٨ - ١٩٣٩م وما تميز به النشاط التبشيري في هذه الفترة من سمات جعلته أقرب إلى العمل الحماسي منه إلى التبشيري . أما القسم الثالث فيبحث في عمل الإرسالية في الفترة ما بين ١٩٣٩ - ١٩٥٢م وهي الفترة التي ركزت فيها الإرسالية جهودها على افتتاح مستشفى ليكون مقراً دائماً لها في الدوحة . أما القسم الرابع والأخير فيتضمن تحليلاً لأهداف الإرسالية العربية في قطر وأسباب فشلها .

أولاً : خلفية تاريخية

اعتبر اختراق شبه الجزيرة العربية وصحرائها المترامية الأطراف حلماً طالما داعب أذهان الغربيين . فالصحراء لا تمثل لهم – فقط – كثباناً رملية مترامية الأطراف ، تتهادى برفق على رمالها الجمال والإبل ، بل فضاءً شاسعاً يتيح للفكر الخيال واستكمال عصر الرومانسية الذي عاشته أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . واعتبر اختراق الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها عملاً لا يحلم به الرحالة فقط ، بل المستشرقون الذين كانوا يأملون في الكتابة عن الشرق وإبهار معاصريهم بهذا "العالم المجهول" بكتابات اختلط الواقع فيها بالخيال وامتزجت الحقيقة بالمغالطة . وكان أكثر ما يشد الغربيين في شبه الجزيرة هي مكة المكرمة قلعة الإسلام الحصينة ، والتي تعتبر منطقة محرمة على غير المسلمين . وسرعان ما توافد بعضهم إلى مكة تحت غطاء الإسلام ، وتوافد البعض الآخر إلى قلب شبه الجزيرة العربية بصفة تجار ، آملين في الوصول إلى مكة . وبالفعل تمكن عدد غير قليل منهم من الوصول إلى قلب شبه الجزيرة . وظهرت مجموعة من الكتب أهمها كتاب أوغسطس راللي ، "مسيحيون في مكة" (لندن ١٩٠٩م) ، و "مكة المكرمة منذ مائة عام" أو ما عرف بمجموعات كريستيان سنوك هيرجرونج ، وهي عبارة عن مجموعة من الصور التي صورها في مكة في نهاية القرن التاسع عشر .

شجعت هذه المشاهدات الغربيين ، وبالذات الأمريكيين على محاولة اقتحام شبه الجزيرة ، وسرعان ما تكونت في الولايات المتحدة إرسالية هدفها الوصول إلى قلب شبه الجزيرة ونشر المسيحية فيها . ووضعت هذه الإرسالية لنفسها خطة أو ما عرف باسم Charter عام ١٨٨٩م ، وبدأت العمل في عام ١٨٩٠م مركزة عملها على مناطق الخليج وشبه الجزيرة التي اعتبرت هدفاً من أهداف التنصير . وسرعان ما جاب منصرو هذه الإرسالية أقاليم عمان والبحرين

والأحساء والكويت والبصرة انطلاقاً من قواعدهم فيها ، مستخدمين وسائلهم التنصيرية المتعارف عليها وهي تقديم الخدمات الطبية الحديثة مغلفة برداء التنصير . وما إن أوشك العقد الأول من القرن العشرين على الانتهاء حتى كان المبشرون قد جابوا معظم أراضي الخليج وشبه الجزيرة غير عابئين بالمعارضة التي أبداها السكان ولا بالظروف الطبيعية السيئة من حر وجفاف ومعارضة في بعض المناطق من السلطات التركية الحاكمة .

ولم تكن قطر - على الرغم من عزلتها - بعيدة عن أذهان المنصرين الذين اعتبروها جزءاً من "الجزيرة العربية المنسية" Neglected Arabia، ووجهوا حملاتهم نحوها أملاً في إدخالها ضمن نطاق نشاطهم الدائم . ولقد كانت معلومات المبشرين عن قطر معلومات مبعثرة ، فلم يزورها أي أمريكي قبل زيارة الرحالة الإنجليزي وليم بلجريف الذي زارها في منتصف القرن التاسع عشر وكتب عنها واصفاً إياها بالمكان البائس الذي لا يصلح لشيء إلا للموت(١) .

ولكن تلك الظروف لم تكن عقبة في وجه رجال الإرسالية الذين عقدوا العزم على اختراق أي منطقة حتى لو كلفهم ذلك حياتهم . فقد كان لديهم اقتناع تام بأنهم يعملون لخدمة رسالة المسيح وأن أي تضحية إنما هي تضحية مقدسة من أجل الهدف الأكبر ، ألا وهو استرداد شبه الجزيرة العربية وإنشاء كنيسة المسيح الكبرى هناك .

كانت الظروف السياسية في قطر مختلفة عن مثيلاتها في مناطق الخليج الأخرى . فبينما كانت دول الخليج تتشابه في كونها اعتبرت في تلك الفترة " **إمارات مستقلة تحت الحماية البريطانية** " ، كانت قطر خاضعة للنفوذ التركي العثماني الذي امتد إلى قطر من الأحساء بعد حملة مدحت باشا الشهيرة عام ١٨٧١م . وخلال فترة حكم الشيخ جاسم آل ثاني (١٨٧٦ - ١٩١٣م) تأصل النفوذ التركي وتم الاعتراف بالشيخ جاسم قائمقاماً للسلطان العثماني في قطر ، وازداد ارتباط قطر بإقليم الأحساء . وقد وصف لوريمر الشيخ جاسم بأنه واحد من السلفيين الأوائل في قطر وأنه قد أصبح حنبلياً ، وهو - في الواقع - ما كان يطلق على السلفيين(٢) .

حتى الثلاثينيات من القرن العشرين كانت اقتصاديات قطر ، كغيرها من مناطق الخليج الأخرى ، تعتمد اعتماداً رئيسياً على صيد اللؤلؤ . وقد اعتمد عدد كبير من أهالي قطر على هذه الحرفة ، وفي بداية القرن العشرين كان حوالي نصف سكان قطر يعملون في هذه المهنة – كما أورد لوريمر في كتابه " دليل الخليج " . لذا فقد خضع السكان لظروف هذه المهنة من تذبذبات ، صعوداً وهبوطاً ، طبقاً للطلب العالمي على اللؤلؤ . ومن الناحية الاجتماعية فقد سكنت قطر قبائل متعددة ، أهمها المعاضيد التي تنتسب إليها أسرة آل ثاني ، وآل بوكوارة والنانعة وآلبوعنين وغيرهم . ومارست هذه القبائل حرفة صيد اللؤلؤ والرعي الذي وفر للسكان قوتهم اليومي . وعلى الرغم من ذلك فقد عاش معظم سكان قطر تحت مستوى خط الفقر . فقد كانت الأوضاع المعيشية والصحية ، وكانت الأمراض والأوبئة والأمية منتشرة ، مما أدى إلى تهيئة الفرصة لدخول الإرساليات الأمريكية إلى المنطقة ، مغلفة برداء الخدمات الصحية .

ظلت قطر حتى الحرب العالمية الأولى تمثل عقبة للمبشرين يصعب اجتيازها . ولكن اندلاع الحرب العالمية عام ١٩١٤م أدى إلى الكثير من المتغيرات أهمها هزيمة الدولة العثمانية وانتهاء النفوذ التركي من إقليم الأحساء وقطر . كما أدت الحرب إلى ظهور الكثير من المناطق المستقلة وشبه المستقلة ، وأصبح جزء كبير من منطقة الخليج العربي تحت الحماية البريطانية ، حيث أسفرت تلك الأوضاع عن نتائج سياسية استغلت لصالح عمل الإرساليات التبشيرية التي كانت تمارس عملها تحت الغطاء الذي كانت توفره لها السلطات البريطانية بوصفها هيئات بروتستينية . وما إن انتهت الحرب حتى عادت الإرسالية في التخطيط لاختراق قطر ، ذلك الإقليم الذي وقف رجال الإرسالية حائرين أمام أبوابه .

وكانت المحاولة الأولى لرجال الإرسالية الأمريكية للنزول في قطر خلال فترة الحرب العالمية وعلى ما يبدو في عام ١٩١٥م ، عندما حاول الطبيب المبشر بول هاريسون دخول قطر عن طريق البحر قادماً من البحرين . وقد استطاع وبصعوبة شديدة الحصول على

إذن بالنزول في الميناء ، ولكن بعد دقائق قليلة من نزوله ، أجبرته السلطات التركية - وكما يقول " بفظاظة وخشونة " - على الرجوع بسرعة إلى السفينة والعودة إلى البحرين في الحال(٣).

على الرغم من فشل المحاولة الأولى للنزول إلى قطر ، إلا أن الأمل لم ينقطع باكتشاف تلك " القارة الغريبة التي لم تطأها أقدام المبشرين بعد " ، خاصة وأن قربها من البحرين - المحطة الرئيسية ومركز الإرسالية الضاج بالحركة - جعلها قريبة من أنظار رواد الحركة التبشيرية في الخليج . وكما سبق وأن ذكرنا ، فقد خلفت الحرب العالمية الأولى الجو المناسب لعمل الإرساليات ، حيث أسفرت الحرب عن هزيمة الدولة العثمانية وتقلص دورها وانسحابها من منطقة الخليج وشبه الجزيرة وتأكيد النفوذ البريطاني الذي وفر الحماية والجو النفسي لعمل الإرساليات وفتح أبواب قطر الموصد أمام رجال الإرساليات .

ثانياً : المحاولات التبشيرية في قطر

في فترة ما بين الحربين ١٩١٨ - ١٩٣٩م

ظلت أبواب قطر موصدة أمام النشاط التبشيري حتى وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها . فقد أسفرت نتائج الحرب عن هزيمة الأتراك وتأكيد النفوذ الإنجليزي في شبه جزيرة قطر . ففي عام ١٩١٦م عقدت بريطانيا مع قطر معاهدة ١٩١٦م التي وضعت قطر - رسمياً - تحت الحماية البريطانية ، وأصبح اتصال المبشرين البروتستانت بقطر أكثر سهولة من ذي قبل . ففي أغسطس ١٩١٨م تلقى الدكتور بول هاريسون دعوة شخصية من الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني ، حاكم قطر ، يطلب منه التوجه إلى العاصمة الدوحة في أقرب وقت لتقديم العلاج لأسرته .

وجدت الإرسالية الأمريكية في هذه الدعوة الفرصة الذهبية التي طالما تمنتها . وهكذا حزم الطبيب بول هاريسون ومرافقه الأسقف ج. بننجس Gerrit Pennings أمتعتهما متوجهين إلى الدوحة . وقد تعمد هذا الطبيب - كما سيفعل كافة الأطباء من بعده - على أن يرافقه قسيس من الكنيسة في رحلته كشرط لإتمام تلك الرحلة . وقد أبحر الفريق من ميناء المنامة ووصل بالفعل إلى الدوحة في أول اتصال بين قطر ورجال الإرسالية الأمريكية وقد وصف بننجس قطر في تقاريره قائلاً " **عندما تتفحص خارطة الخليج فستلاحظ وجود قطعة كبيرة تظهر على هيئة لسان في منتصف الخليج تقريباً هي شبه جزيرة قطر ، ولكن عندما تسأل عنها أعضاء الإرسالية الأمريكية في أي مكان فستكتشف أنها قارة لم تطأها أقدام المكتشفين من المبشرين بعد** "(٤) .

وصل الفريق إلى قطر بعد حوالي ٢٤ ساعة من الإبحار ، قطع خلالها المسافة التي تقدر بحوالي ١٠٠ ميل تقريباً ، وهي الفاصلة بين قطر وجزيرة البحرين . وعند الشاطئ " **بدت لنا هذه القارة المدهشة بشكل كبير . . . ففي وسط الصحراء الفاصلة والخالية من الأشجار أو حتى الأعشاب البرية تقع**



الدكتور ستورم وزوجته المبشرة الأمريكية في إحدى رحلاتهما التبشيرية إلى قطر

الدوحة التي يسكنها حوالي عشرة آلاف نسمة ، والتي اضطررنا لقطع مسافة ميل واحد من الشاطئ للوصول إليها "[٥] . وللوهلة الأولى بدت الدوحة للمكتشفين الأمريكيين كالكويت . " فبيوتها الرمادية المبنية من مواد مستخرجة من الصحراء متراصة بانتظام في هذه البقعة من الأرض ، وعلى هضبة صغيرة في شرق المدينة رأينا بقايا ثكنة عسكرية تركية متهدمة ، كان الأتراك يستخدمونها على ما يبدو في المحافظة على وجودهم البائس هنا "[٦] .

وقبيل الغروب قام الفريق بزيارة الشيخ والسلام عليه في قصره الذي كان يقع في أقصى المدينة . وقد وجدوا الترحاب من الشيخ ، ووصفوه بأنه " رجل مهيب ولم يكن طاعناً في السن . . . واستقبلنا بودية ، وأقام لنا الضيافة العربية المعتادة ، وألح على بقائنا للمشاركة في العشاء الذي احتوى على مائدة وافرة من الأرز ولحم الضأن ، وهي الوجبة التي يقدمها الشيوخ عادة لضيوفهم "[٧] .

وبعد العشاء ذهب الفريق إلى البيت المخصص لهم للإقامة والاستراحة ، حيث بدأ الفريق في اليوم التالي بالعمل الذى جاء من أجله ، ألا وهو تقديم العلاج للمرضى . وقد وفرت هذه الفرصة - بالذات - للفريق كما قال " الفرصة للتجول في الدوحة وزيارة الأسواق وبعض الأماكن العامة وهي الفرصة التي ستجعلهم يقومون بالاتصال الفعلي مع الأهالي وجهاً لوجه " . كما وصف الفريق الدوحة وسكانها بأنهما " مزيج متنوع من سكان الخليج ، رغم أن العرب يشكلون النسبة الكبرى من السكان . . . وعندما سألنا بعض الشخصيات هنا بدهشة حقيقية عن كيفية حصول هذا العدد الكبير من الناس على أرزاقهم وسط هذه الصحراء القاحلة ، جاءنا الجواب : إنه اللؤلؤ "[٨] .

ومضى الفريق في تقريره عن الأوضاع الاقتصادية في الدوحة قائلا " إن الدوحة ترسل حوالي ٢٠٠ سفينة غوص كل عام توفر العمل والرزق لآلاف العائلات ، والمال الذي يجنى من اللؤلؤ يستثمر في العاصمة لبقية الأشهر التي يتوقف فيها الغوص على اللؤلؤ . وتجارة اللؤلؤ هي في غالبيتها في يد العرب ، بينما التجارة وبقية الأعمال في يد الأجانب " أما سوق

لدوحة فقد وصفه المبشرون بأنه " يحتوي على حوالي ٢٠٠ دكان ، وهو مكان مزدحم جداً ، لا يزود سكان المدينة باحتياجاتهم فقط ، بل يأتي إليه سكان القرى وآلاف البدو لشراء مخزونهم السنوي من المؤن والاحتياجات "[٩] .

وعلى الرغم من أن الهدف الرئيسي من دعوة الدكتور بول هاريسون هو تقديم العلاج الطبي لأهالي قطر ، إلا أن الفريق استغل تلك الزيارة لدراسة الأوضاع تمهيداً لنشاطهم التنصيري ، ولكن يبدو أن أهالي قطر كانوا قد أدركوا حقيقة الأغراض المبطنة للفريق . فقد كتب القس بننجس قائلاً : " بسرعة يمكن اكتشاف أن الدوحة بارعة جداً في إغلاق نفسها عن بقية العالم . . . وبسبب التعصب الديني الذي وجدناه في المدينة ، فقد كنت أتوقع أن مرافقة قس مثلي للدكتور بول هاريسون والتي لم تكن مشمولة في دعوة الشيخ – طبعاً – لن تلقى ترحيباً ، إلا أنني وجدت الاستقبال عادياً لي رغم شعورهم بعدم الرضى من وجودي "[١٠] .

بدأ الفريق عمله في استقبال المرضى حالما انتهى رجال الشيخ من تجهيز المكان المخصص للمستوصف . وكما أورد بننجس في تقريره ، فقد بدأوا في استقبال حشود من المرضى على الرغم من أنها الزيارة الأولى لهم لقطر ، مما يعكس " سمعة الإرسالية الأمريكية الطبية في جميع مدن الخليج "[١١] ووصل عدد المرضى الذين تم علاجهم في المستشفى إلى أكثر من مائة مريض في اليوم .

ظل الفريق يعمل في الدوحة حوالي عشرة أيام حتى اقترب موعد شهر رمضان ، حيث عاد جميع الغواصين في أواخر شهر شعبان من البحر تمهيدا لبدء شهر الصوم ، وعلى الرغم من أن عمل مستشفيات الإرسالية عادة ما يشهد تضاؤلاً في عدد المترددين خلال شهر رمضان ، إلا أن هذا المستشفى – كما أورد القس – بدأ فجأة بالعمل كخلية نحل " بسبب الحشود الضخمة التي جاءت إلينا من كل مكان وأكثرهم من الغواصين طبعاً "[١٢] . وعلى الرغم من هذا النجاح الكبير الذي لاقاه عمل المستشفى ، إلا أن الطبيب اكتشف فجأة أن الأدوية التي سيعطيها للمرضى في أيام رمضان القادمة ستجعلهم يفطرون في النهار ، وهذا – كما اعترف – يسبب لهم مشكلات دينية كبيرة .

ولذلك فإن إقامتهم في بلاد جديدة وخلال شهر رمضان بالذات لن يكون مناسباً على الإطلاق . وهكذا زاروا الشيخ وطلبوا منه الإذن بالسفر مبررين مغادرتهم بعدم رغبتهم بالعمل في شهر رمضان ، حيث يرفض الناس أخذ الدواء . وفي الواقع فإن سبب مغادرتهم هو انصراف الناس عن دعوتهم التبشيرية ، خاصة وأن العلاج الطبي يبدأ دائماً بالصلوات الدينية التي يرفض الأهالي سماعها . وهكذا ، وقبل حلول شهر رمضان كان الفريق الطبي يحزم أمتعته في طريقه للبحرين . وكما أورد المبشرون في تقريرهم ، فقد أدت الظروف الجوية السيئة التي واجهت الفريق الطبي إلى عودتهم مرة أخرى إلى أقرب نقطة في قطر ، حيث نزلوا في ضيافة شيخ قطر وشاركوه في تناول وجبة الإفطار الرمضاني ، حيث كان ذلك هو أول يوم من أيام شهر رمضان . وفي صباح اليوم التالي غادر الفريق قطر وسط رياح شمالية أجبرتهم مرة أخرى على العودة للساحل القطري ، حيث وصلوا إلى قرية "الرويس" التي تحتوي على ٢٠٠ بيت تقريباً . وفي القرية استقبلهم شيخها بود . وشاركوه أيضاً تناول الإفطار الرمضاني . وبالرغم من هذا التأخير الطويل في مغادرة الدوحة إلا أن الفريق اعترف بأنه حصل على فرصة ذهبية لزيارة بعض القرى والمدن القطرية ومعرفة طبائع الناس وعاداتهم خلال شهر رمضان . وأخيراً ففي فجر الثالث من رمضان تمكن الفريق من الحصول على سفينة أقلتهم إلى البحرين .

اعتبر رجال الإرسالية رحلتهم الأولى إلى قطر "نزهة جميلة" واعتبروا أنفسهم بأنهم كالسندباد الذي نسي مشاق رحلاته ، واعتبروها عوائق بسيطة أمام تلك الرحلة الجميلة . والظاهر أن الاستقبال الودي الذي قوبل به رجال الإرسالية من قبل الشيخ ومن قبل الأهالي شجع أطباء الإرسالية على التفكير في العودة مرة أخرى لقطر فقد وجدوا الحل لفتح كافة الأبواب الموصدة في وجوههم ، ألا وهو استخدام العلاج الطبي كوسيلة لفتح كافة الأبواب وهو المفتاح السحري القادر على فتح كافة الأبواب والقلوب المغلقة .

كانت الزيارة الأولى زيارة ناجحة حسب مقاييس الإرسالية الأمريكية . فقد تم استقبالهم بود ، الأمر الذي أنساهم مرارة الفشل في محاولاتهم الأولى

ام ١٩١٥م ، والذكرى الوحيدة الباقية ذلك الفشل - كما أوردوه في تقاريرهم - هي وجود بعض المدافع لتركية القديمة أمام قصر الحاكم ، والتي تمثل بقايا الوجود التركي . والفرق الوحيد - كما ذكر بول هاريسون - بين الزيارتين هو " وجود جنود من حلفائنا الإنجليز الذين قدموا لنا كل المساعدة وخاصة في التجول في البلد بسياراتهم الفورد "(١٣).

لقد شجع هذا النجاح أطباء الإرسالية الأمريكية على تكرار زيارتهم لقطر ، بل وعلى إنشاء مستشفى دائم يكون مقراً لهم ، خاصة وأن قطر كانت تفتقر لوجود مثل هذا المستشفى . وقد وعد الحاكم بإنشاء مستشفى صغير يضم عشرين سريراً ، يعالج الرجال في الصباح والنساء في المساء .

خلال سنوات العشرينات والثلاثينات لم تنقطع علاقة أفراد الإرسالية الأمريكية بقطر . فعلى ما يبدو فقد كانت الحاجة ماسة إلى تواجد الأطباء والمرضين ، بل كان يحدث في بعض الأحيان أن يحزم الأطباء الأمريكيون حقائبهم متوجهين إلى قطر دون دعوة ، إذا ما أحسوا أنهم ابتعدوا قليلاً عن هذا الحقل الذي يمثل لهم حقلاً بكراً من حقول التنصير . وكما تقول المبشرة والمرضة كورنيلا دالنبيرج Cornila Dalenburg والمشهورة بين العرب باسم " شريفة الأمريكانية " - التي زارت قطر عدة مرات - في مذكراتها بأنهم في كثير من الأحيان يحزمون حقائبهم من دون أي دعوة متوجهين إلى القرى ومقدمين خدماتهم دون أن يطلب الأهالي منهم ذلك(١٤) . بل وفي أحيان كثيرة كان المبشرون يقومون - بدافع من أنفسهم - بزيارات إلى القرى رغبة منهم في تقديم خدماتهم للناس والتعريف بعملهم كما تقول المبشرة كورنيلا دالنبيرج(١٥) . وخلال هذه الفترة قام الطبيب ستورم وزوجته والدكتور بول هاريسون ، بالإضافة إلى كورنيلا بعدة رحلات طبية لتقديم الخدمة الطبية ودراسة الأوضاع في شبه جزيرة قطر .

ففي بداية العشرينات بدا للمبشرين أن الأوضاع في قطر تتطلب وجود طبيب مقيم ، حيث كان الكثيرون من المرضى يأتون إلى مستشفى الإرسالية في البحرين . فقد كتب الدكتور لويس ... في تقريره عام ١٩٢٣م إلى مقر الإرسا...

ـ المرضى القطريين قائلاً : " إنهم ـهون إلى حد ما سكان ساحل ـارات فهم يعتدّون بأنفسهم ولا ـد على ظهر الأرض أناس أكثر ـاداً بأنفسهم من سكان قطر "(١٦) .

ـلت قطر طوال العشرينات مفتوحة أطباء الإرسالية الأمريكية . ففي ـو ١٩٢٣م أبحر الأسقف جريت ـس G Bennings ومرافقوه من ـرين إلى الدوحة في زيارة تبشيرية . ويصف الأسقف بننجس رحلته بأنها رحلة مهمة ورخيصة الثمن لم ـه سوى روبيتين هنديتين لرحلة قد يوماً واحداً أو أسبوعاً ، اعتماداً ـ سرعة الريح ، يقطعون خلالها ـفة تبلغ ١٠٠ ميل ، هي المسافة البحرين وقطر . ويصف بننجس ـه تلك بأنه ركب سفينة اجتمع ـ أناس من مختلف الأجناس ، ـهم من فارس والبعض الآخر من ـ والهند وبلوشستان وقلب الجزيرة ـية . هذا الخليط - كما يقول ـس - يعكس مجتمع الدوحة . ـ بننجس أنه من المستحيل - مع الخليط البشري - أن تكون هناك ـدة شعور وفكر "(١٧) . ومن ـح هنا أن الأسقف بننجس كان قلقاً على نتائج عمله في قطر وسط هذا الخليط البشري .

خلال العشرينات والثلاثينات ظلت قطر على اتصال دائم مع أعضاء البعثة الأمريكية في البحرين . فلم تكن تمضي سنة واحدة دون زيارة يقوم بها كل من الدكتور ستورم أو هاريسون أو ديم أو شاندي أو كورنيلا دالنبيرج أو الدكتور تومس . وقد شجع شيخ قطر -آنذاك - الشيخ عبد الله آل ثاني - الذي كون علاقات وطيدة مع أطباء الإرسالية - زيارات الأطباء تلك ، لتقديم الخدمة الطبية لرعاياه ، بل كان يستضيفهم أحياناً كثيرة في قصره " الريان "(١٨) . وقد شجعت تلك العلاقة أطباء الإرسالية على معاودة اتصالهم بقطر ، خاصة بعد أن أدركوا تأثير الخدمة الطبية في فتح الأبواب المغلقة ، فإرسال أسقف - مثلا - لن يجذب الأهالي لسماع صلواته وأقواله كما كان الأهالي ينجذبون نحو الطبيب المعالج . والواقع أن تلك الوسيلة كانت أسلوباً متبعاً في جميع مناطق شبه الجزيرة العربية ، حيث يتعمق الإسلام ولا يجد المبشرون وسيلة أخرى للنفاذ لتلك المجتمعات سوى الخدمات الطبية .

ومن ناحية أخرى ، فقد كانت لإدارة العامة للإرسالية في الولايات لمتحدة وأتباع تلك الإرسالية ، بالإضافة إلى المتبرعين بالأموال ، في شوق لسماع ومعرفة المزيد من الأخبار عن زيارات جديدة لمناطق لم تزرها الإرساليات من قبل ، بالإضافة إلى التأكيد على أهمية الإبقاء على صلة دائمة مع الأراضي التي دخلتها الإرساليات كساحل الإمارات وقطر . فقد كان لدى أفراد تلك الإرساليات قناعة تامة بأنه " طالما تم بذر البذور في منطقة ما ، فلابد لهذه البذور أن تؤتي ثمارها "[١٩] .

وطوال فترة الثلاثينات ، استمرت العلاقة قائمة بين أفراد الإرسالية الأمريكية وقطر . فقد قام طبيب الإرسالية هارولد ستورم- مثلاً - في عام ١٩٣٨م بزيارة لقطر استمرت حوالي أسبوعين . وكما ذكر أطباء الإرسالية بأنه كان من الممكن لهذه الزيارة أن تستمر لفترة أطول لولا النقص الحاد في الأطباء[٢٠] . فالترحيب الذي كانت تلاقيه الخدمات الطبية شجع الإرسالية وأطباءها على الإبقاء على صلة دائمة مع هذه المنطقة .

من الواضح أن قطر كانت إحدى المناطق التي استأثرت باهتمام الإرسالية منذ أن وطأتها أقدام مبشريها في أيام الحرب العالمية الأولى وحتى مرحلة ماقبل الحرب العالمية الثانية . ولم يفت في عضد المبشرين فشل مهمتهم الدينية ، وعدم وجود صدى بين الأهالي لرسالتهم تلك . فقد كان لديهم اقتناع تام بأنهم لابد وأن يجنوا ثمرة جهودهم عاجلاً أم آجلاً .

لذا ، فإن هذه العقبات - وفيما بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية - لم تؤثر على جهود الإرسالية في اقتحام هذا الجزء من "الجزيرة العربية المنسية" ، بل تحمست الإرسالية للعمل أكثر وشجعت فكرة إقامة مستشفى دائم ليكون مقراً لعملياتها المقبلة

ثالثاً : النشاط التبشيري الأمريكي في الفترة مابين ١٩٣٩ - ١٩٥٣

لى الرغم من تقلص الخدمات
ة للمبشرين الأمريكيين خلال
رب العالمية الثانية (١٩٣٩ -
١م) ، بسبب تقلص العون المادي
ري الذي كانت تتلقاه الإرساليات
يكية في مناطق الخليج ، إلا أن
لم يؤثر على الدعم المعنوي الذي
يقدم إلى هذه الإرساليات . فعلى
من المصاعب التي كانت تواجه
هذه الإرساليات ، والمتمثلة في
ن الحاد في الأدوية والمعدات الطبية
كانت تصل إلى الخليج ، والنقص
د الأطباء ، إلا أن هذه الإرساليات
رت في عملها معتمدة على الخبرات
ة التي كانت تتواجد لديها ،
الرغبة الأكيدة والقناعة التامة لدى
الإرسالية في تقديم خدماتهم رغبة
في خدمة المسيح . فالحرب - كما
الدكتور بول هاريسون - قد قربتنا
لناس . وأصبحنا نحس ونشعر
هم أكثر . بالإضافة إلى ذلك ، فقد

ارتفعت أعداد المرضى الذين يأتون لنا في المستشفيات حتى أصبح مستشفانا في البحرين قبلة لهم ، فقد أصبح يستقبل حوالي ٢٧٠ مريضاً في آن واحد مما سبب لنا ضغطاً كبيراً[٢١] لكن الإرسالية استغلت أحلك ساعات الألم لتحقيق أهدافها . فكما يقول هاريسون " نأمل أن يحقق لنا هذا الجمع في المستشفى ما نأمل به وهو نشر كلمة المسيح . فالمستشفى المزدحم القذر أفضل من المستشفى النظيف الخالي من الناس لتحقيق أهدافنا وهي نشر كلمة المسيح "[٢٢] . لهذا لم يكن أمام أطباء الإرسالية إلا طلب المزيد من العون من الولايات المتحدة أو حتى من السلطات البريطانية في الخليج ، وذلك بطلب المزيد من الأدوية والأسرّة والمعدات الطبية لتلبية الضغط عليهم من المرضى في الخليج والقادمين إليهم من شتى الأنحاء .

لم تكن قطر في تلك الفترة بمعزل عما يدور في الخليج العربي . فقد كان القطريون المحتاجون لتلقي العلاج أو الجراحة يسافرون إلى البحرين أو مسقط أو البصرة في سبيل الخدمة العلاجية المتطورة . وقد أراد الشيخ مساعدة رعاياه بتوفير هذه الخدمة في قطر نفسها .

ففي عام ١٩٤٠م تقدم الشيخ عبد الله بن جاسم آل ثاني بطلب إلى شركة الامتيازات البترولية القطرية Petroleum Concessions Ltd. (Qatar) يطلب منها إرسال طبيبة لمعالجة رعاياه من النساء . وتم تحويل الطلب إلى الدكتور هارولد ستورم Harold Storm في إرسالية البحرين الأمريكية ، الذي أخبرهم بدوره بعدم وجود طبيبة في ذلك الوقت ، ولكنه مستعد لإرسال ممرضة ، حيث وقع الاختيار على الممرضة كورنيلا دالنبيرج ، المعروفة في أوساط النساء العرب باسم "شريفة الأمريكانية" . ورضي الشيخ بالبديل ، واستعدت كورنيلا أو شريفة لمغادرة البحرين إلى قطر ، بعد أن حصلت من الوكيل السياسي البريطاني في البحرين على تصريح بالسفر . وأبحر الفريق المكون من الممرضة ومساعدتين عربيتين إلى الدوحة ليبدأوا بذلك أول رحلة تبشيرية نسائية إلى قطر . وقد استغرق سفر الفريق بحراً حوالي ٦ - ٧ ساعات . وتصف كورنيليا قطر في تلك الرحلة بأنها صحراء جرداء ليس بها أي زراعة على الرغم من الروايات التي كانت تسمعها عن وجود خضرة في قطر خلال فصل الشتاء . كما وصفت كورنيلا الدوحة بأنها مدينة غير مسورة ، وتبدو للناظر إليها من الخارج صغيرة نسبياً ، ويبلغ عدد سكانها حوالي ٧ - ١٠ آلاف نسمة . ومضت كورنيلا تصف رحلتها تلك " وعند وصولنا إلى المدينة نفسها تم أخذنا إلى منزل درويش فخرو ، وقد استقبلنا رب وربة الدار بالضيافة العربية الأصيلة التي أشعرتنا في الحال أننا في بيتنا . . . والتفت حولنا النساء اللاتي بدت أعينهن سوداء وبراقة وجميلة على الرغم من البراقع اللاتي كن يلبسنها ، وجلسنا جميعا للغداء ، على أن نبدأ عملنا بعد انتهاء الطعام "[٢٣] .

بدأت الممرضة كورنيلا المهمة التي جاءت من أجلها وهي تقديم الخدمة الطبية والتنصير الذي قالت عنه في مذكراتها أنه "هدف حياتي

الأول "(٢٤). وبالفعل توافدت عليها الكثير من النسوة الراغبات في الخدمة العلاجية الحديثة وتم فحصهن وتقديم الدواء لهن .وقد قامت شركة البترول القطرية بتقديم المساعدة أيضا عن طريق جلب الأدوية اللازمة من البحرين ، وتقديم النصيحة الطبية في أحيان كثيرة من قِبل طبيب الشركة ، حيث أن كورنيلا لم تكن طبيبة مؤهلة . وبدأت الأمور سهلة – كما تقول كورنيلا – فكل نساء الدوحة جئن يطلبن الخدمة الطبية الحديثة . وبدا الشيخ مسروراً من تقديم العون لرعاياه ، بل إنه عمل جاهداً على تسهيل مهمة أفراد الإرسالية في تقديم رسالتهم الإنسانية لرعاياه . وكما تقول كورنيلا في رسالتها لمقر الإرسالية "فقد ساعدنا مدير الجمارك في استخدام بيته كمستشفى لاستقبال المرضى المترددين لمدة أسبوعين تقريباً ، وهي فترة بقائنا في الدوحة . وقد تمكنا من تقديم العلاج لحوالي ٨٠٠ من النسوة القطريات(٢٥) . كما تصف كورنيلا المعاملة التي كانت تلقاها من الأهالي بأنها معاملة حسنة وودودة جدا فالناس لطفاء " وقد استضافنا الناس في حوالي ٢٠ منزلا ، وقمنا بزيارات طبية لحوالي عشرة منازل "(٢٦) .

وتصف كورنيلا رحلتهم تلك قائلة : " وقد قمنا بزيارة قصر الحاكم في [الريان] حوالي ثلاث مرات ، وكانت إحدى المرات لقضاء اليوم بالكامل هناك ، وقد قابلنا الشيخ عبد الله بن جاسم بكل لطف ، وكان كثير الامتنان لكل ما نفعله من أجل رعاياه ولما سبق أن قدمه أطباء الإرسالية السابقون مثل بول هاريسون ولويس ديم وتومس وستورم وغيرهم لأهالي قطر "(٢٧) .

وتمضي كورنيلا في تقريرها عن وضع النساء في القصر ، فتقول " يبدو أن نساء القصر متعودات على رؤية النساء الغربيات وعلى أسلوب حياتهن ، فقد سبق لهن أن رأين السيدة ديم (مبشرة وزوجة الطبيب لويس ديم) مرات عديدة من قبل . ولكنهن كن متعجبات من ملابسنا الإفرنجية . فقد كانت النساء الأمريكيات اللاتي زرن قطر من قبل يلبسن الملابس العربية (الثوب الطويل والعباءة) ، لذلك طلبت النسوة مني أن ألبس لهن ملابسي الغربية الغريبة بالنسبة لهن "(٢٨) .

ومضت كورنيلا في تقريرها تصف الحياة في قصر الحاكم أو الحريم كما أطلقت عليه فتقول "إنه مجتمع صغير

قائم بذاته ، فكل شيخ لديه عدد من الزوجات ، وحتى الخدم يبدو أنهم قد تأثروا بأسلوب حياة أسيادهم ، فلديهم أيضاً عدد من الزوجات ، وكنا نتناول كل وجباتنا في منزل درويش فخرو ماعدا وجبة الإفطار ، وفي بعض الأمسيات عندما لا نكون مدعوين ، كنا نتناول وجبة العشاء في منزل درويش فخرو أيضاً ، حيث تجلس بجوارنا حوالي ٢٠ –٣٠ امرأة في الفناء الداخلي للحوش الكبير ولكي نجذب انتباه النساء كنا نريهن صورا ملونة جميلة ، وعند الانتهاء من مشاهدة الصور كنا نقرأ لهن بعض الفقرات من الإنجيل ، وكانت النساء يطلبن منا كل ليلة أن نقرأ لهن بعض الفقرات "(٢٩) .

ومن الواضح هنا أن كورنيلا دالنبيرج التي تمرنت أصلاً لتكون ممرضة ومبشرة ، قد استغلت كل الوسائل المتاحة لها للتبشير بين صفوف النساء . فاستغلت ذلك المنفذ ووجودها بين النساء لتقوم بمهمة التبشير الذي كان أهم هدف لرحلة كورنيلا كما اعترفت في مذكراتها فيما بعد . أما العمل في المستشفى فقد كان من وجهة نظر كورنيلا وغيرها من المبشرات وسيلة للتبشير ، وهو يوفر حقلاً مهماً للتنصير ، حيث كان دوماً يبدأ بتلاوة فقرات من الإنجيل والصلوات الدينية . وقد أمضت كورنيلا دالنبيرج حوالي أسبوعين في الدوحة ، وقبيل ذهابها كانت قد تلقت دعوة أخرى للقدوم لقطر حالما يتحسن الطقس .

كانت زيارة كورنيلا دالنبيرج زيارة مهمة على الصعيدين الصحي والاجتماعي . فقد قامت الآنسة دالنبيرج بزيارات لمعظم قرى قطر ، قدمت خلالها خدماتها الطبية للمئات من النساء اللاتي كن يفتقدن الخدمة الطبية الحديثة وقد نفدت كل الأدوية التي كانت تحملها ، وطلبت المزيد من البحرين ، مما يدل على نجاح مهمتها . ومن الناحية الاجتماعية تعتبر تقارير كورنيلا تقارير مهمة من الناحية الوصفية ، فهي تصف أوضاع النساء والعادات والتقاليد السائدة بدقة متناهية ، مما يعتبر نظرة واقعية في أوضاع المجتمع القطري خلال الأربعينات من القرن العشرين .

ومع تطور الأوضاع العامة في قطر أصبحت الحاجة ملحة لوجود مستشفى في العاصمة الدوحة بالإضافة إلى طبيب مقيم . ويبدو أن أقرب طبيب مقيم في

قطر هو طبيب شركة البترول القطرية الهندي والمقيم في منطقة نائية تبعد حوالي ٦٠ ميلا عن الدوحة . حيث تقع معسكرات شركة البترول وقد اقتصر عمله على تقديم خدماته الطبية لموظفي الشركة ، وإن كان يقوم في بعض الأحيان بزيارات للدوحة ، حيث يقوم بتقديم العلاج للرجال فقط دون النساء اللاتي كن يرفضن السماح لرجل بالكشف عليهن .

لذا ، فقد بدأت فكرة إنشاء مستشفى تلح على الشيخ ، خصوصاً وأن رعاياه كانوا يضطرون أحياناً للسفر الطويل لتلقي الخدمة العلاجية الحديثة . وبدأ الشيخ بالفعل منذ بداية الأربعينات في دراسة إمكانية افتتاح مستشفى صغير يعمل على تقديم خدماته للناس . ويبدو أن كلاً من الشيخ عبد الله آل ثاني ، وولي عهده الشيخ حمد ، قد أدركا أهمية افتتاح ذلك المستشفى ، فعملا على دراسة الفكرة تمهيداً لطلب المساعدة من الحكومة البريطانية وأطباء الإرسالية في البحرين .

أما الحكومة البريطانية فقد رأت في هذه الفكرة فرصة سانحة لزيادة نفوذها في قطر . فتروي بعض المصادر بأن المقيم السياسي في الخليج قد تقدم باقتراح لحكومته لكي توافق على إرسال طبيب مقيم في قطر على شرط أن يكون هذا الطبيب وكيلا سياسياً سرياً لبريطانيا . وكان تبرير بريطانيا لهذا التصرف بدعوى أن الشيخ كان يمنع دخول الأجانب إلى قطر والإقامة فيها [٣٠] . وعلى الرغم من أن ذلك الاقتراح لم ينفذ لأن الحكومة البريطانية لم يكن لديها استعداد آنذاك لتحمل المزيد من النفقات ، إلا أن الفكرة تنم عن رفض الشيخ للمساعدات المقيدة بشروط . وهكذا توجه الشيخ بالطلب للإرسالية الأمريكية .

تحمست الإرسالية الأمريكية في البحرين لفكرة إنشاء مستشفى في قطر ، وعبر أطباء الإرسالية عن ترحيبهم بالخدمة في هذا المستشفى ، حتى لو كان لفترات متقطعة يعمل خلالها طبيب هندي يكون متواجداً بصفة دائمة ، نظراً لأن الوضع الصحي والسكاني في قطر كان يتطلب وجود مستشفى . فقد بلغ سكان قطر في هذه الفترة حوالي ٢٥ ألف نسمة ، وكما تقول إيدا ستورم ، وهي مبشرة زارت قطر عام ١٩٤١م بأن الأمراض الشائعة بينهم كانت كثيرة ،

وأهمها التراخوما والتيفوئيد وحالات المصران الأعور والحمّى وغيرها من الأمراض التي تحتاج إلى رعاية دائمة ومستمرة لا يمكن أن يقدمها الطبيب الذي يزور قطر لفترة بسيطة ثم يرحل(٣١) .

وخلال سنوات الحرب فقد كان أطباء الإرسالية على اتصال دائم بقطر . ففي عام ١٩٤٣م قام الدكتور شاندي Chandy وهو طبيب هندي الجنسية ، يعمل في مستشفى الإرسالية الأمريكية في البحرين بثلاث رحلات إلى قطر ، كما قام كل من الدكتور ستورم والسيدة مليري برحلات مماثلة ، وكان للنقص الحاد في المعدات الطبية خلال الحرب العالمية الثانية أثر سلبي على رحلات المبشرين وإن لم يحد من نشاطهم .

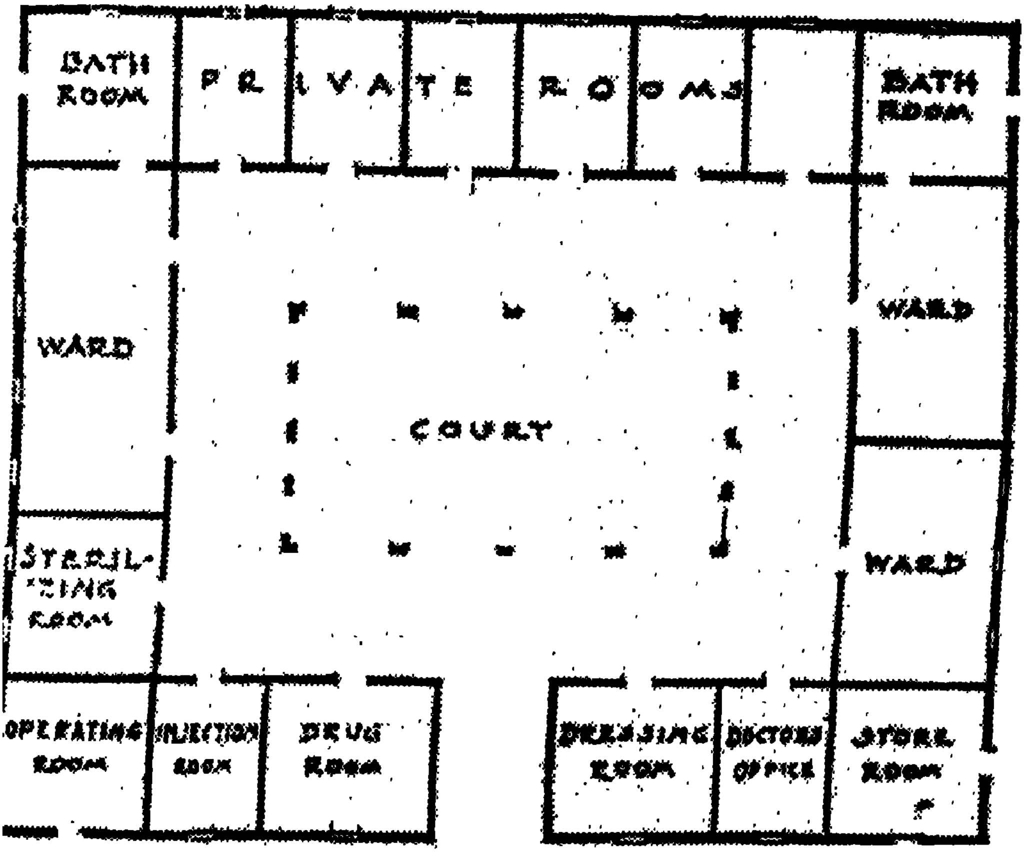
من الواضح هنا أن المبشرين عرفوا منطقة قطر جيداً من خلال رحلاتهم العديدة ، كما نمت بينهم وبين شيخها علاقات من الصداقة والثقة ، حيث ساعدوه في إحدى زياراتهم الأولى في تركيب طاحونة هوائية Wind Mill لجلب المياه(٣٢) . هذه العلاقة الشخصية بين أفراد الإرسالية وبين الشيخ شجعت الشيخ لكي يطلب من الإرسالية تزويد بلاده بالخدمات الطبية بشكل دائم . كما وعد الإرسالية بأنه سيقوم ببناء مستشفى في الدوحة يعهد بإدارته إلى الإرسالية الأمريكية على أن يكون محطة فرعية تابعة للبحرين(٣٣) .

ويروي الدكتور هارولد ستورم قصة هذا المستشفى قائلاً إنه في عام ١٩٤٥م أثناء رحلة طبية تبشيرية إلى قطر . رافقه خلالها الأسقف جـ. فان بيرسم G. Van Peursem التقى بالشيخ عبد الله آل ثاني الذي طلب منه فحص ضغط دمه ، وسأله الشيخ " لماذا لا تأتون وتقيمون في قطر بصفة مستمرة "، فأجابه ستورم " لو قمتم ببناء مستشفى فبالتأكيد سوف نرحب بالمجيء والإقامة بصورة مستمرة . وفي حالة غيابنا سوف يقوم الطبيب الهندي بسد الفراغ " . وهنا رد الشيخ قائلاً : " ضعوا تصميماً لبناء المستشفى وسنقوم بتنفيذه فوراً "(٣٤) . وكما يقول ستورم : " لم نضيع أي دقيقة ، فحال تسلمنا الضوء الأخضر من الشيخ ، بدأنا في الحال برسم تصميم لبناء المستشفى يحدونا أمل عظيم . وقد وضعنا تصميماً لبناء مستشفى يحوي حوالي ٢٠ سريراً ، وفي اليوم لتالي أطلعنا الشيخ على هذا التصميم ، وإن

الحال أمر بالبدء في بنائه فوراً . وقد غادرنا قطر إلى البحرين ، ولكننا سمعنا فيما بعد أن البناء كان على وشك الانتهاء ، فكتبت إلى الشيخ رسالة أطالبه فيها بمبلغ من المال لشراء الأسرة والمعدات الطبية . وقد أرسل لنا الشيخ – حالاً – مبلغ ٥٠٠٠ روبية هندية (*حوالي ١٥٠٠ دولار أمريكي*) ، واستخدمنا هذا المبلغ في طلب بعض المعدات الطبية من بريطانيا "[٣٥] . وعلى الرغم من صعوبة الوضع الاقتصادي أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، والنقص الحاد في أدوات البناء والمعدات التي أخرت تجهيز المستشفى ، إلا أن ذلك لم يكن عائقاً . وبالفعل في خريف ١٩٤٧م كان المستشفى جاهزاً للعمل . وقد أبحر الدكتور ستورم وزوجته بالإضافة إلى عدد من أعضاء الهيئة الطبية العاملة في مستشفى ماسون التذكاري بالبحرين في نوفمبر ١٩٤٧م لافتتاح المستشفى .

اعتبرت الإرسالية الأمريكية افتتاح المستشفى في قطر خطوة كبيرة في سبيل تحقيق هدفها الأول وهو التنصير ، حيث يتيح لأفراد الإرسالية الإقامة الدائمة في قطر ، مما يخدم أغراض الإرسالية الجوهرية . وعبر أطباء الإرسالية عن سعادتهم لافتتاح المستشفى في قطر قائلين : " لقد تحقق أخيرا حلمنا ، وهاهو مستشفى الإرسالية الأمريكية في البحرين يحظى بابن له في أقصى بقعة من شبه الجزيرة العربية . وهكذا نستطيع الالتقاء بعشرات الأشخاص يومياً لنقدم لهم العلاج وكلمة المسيح "[٣٦] . وقد ضم هذا المستشفى بالإضافة إلى العيادة الداخلية In-patients ، عيادة خارجية Out-Patients ، بالإضافة إلى غرفة للأشعة ومختبر وصيدلية . وبالفعل بدأ مستشفى الدوحة في استقبال المرضى الذين توافدوا عليه من شتى أنحاء قطر . وقدمت شركة بترول قطر كافة التسهيلات المتاحة لنجاح المستشفى من سيارات وأدوية ، بالإضافة إلى المساعدة في تكاليف تنقل الأطباء بين قطر والبحرين .

ولكن ماذا عن هدف المستشفى الحقيقي ألا وهو التنصير ؟ فكما اعترف أطباء المستشفى فقد أتاح لهم هذا المستشفى الالتقاء بعشرات الأهالي من المرضى وغير المرضى . وأحياناً كثيرة – حسب قول الأطباء – كان الأهالي " يطلبون منا أن نمارس شعائرنا الدينية ، خاصة أيام الآحاد حتى يرى



تصميم المستشفى الجديد في قطر

أهل قطر الشعائر المسيحية "[٣٧] . أما من كان يرتاد هذه المستشفى ؟ فقد كان يرتاده أهالي قطر من جميع مشاربهم وأجناسهم ، وخاصة مرضى الملاريا والعبيد المحتاجين للمساعدة الطبية والمعنوية ومرضى العيون والأسنان[٣٨] ، وأحياناً كثيرة يرتاده الأهالي لمجرد الزيارة العادية .

وقد كان المستشفى في بداية افتتاحه يستقبل الجنسين في وقت واحد ولكن حالما انتظم العمل في المستشفى ، نُظمت مواعيد الزيارة وجعلت الفترة الصباحية للرجال والفترة المسائية للنساء . وكما جرت العادة في جميع المستشفيات التابعة للإرسالية ، كان الدوام يبدأ بقراءة من الإنجيل وبالصلوات ، وعلى المرضى حضور هذه الصلوات . وكما تقول السيدة ستورم " نبدأ بعد ذلك في استقبال المرضى وتقديم العلاج لهم سواء في العيادة الداخلية أو الخارجية . . . وكانت تلك أسعد أيامنا . فهانحن هنا نرى مستشفى آخر تابعاً لمستشفانا الرئيسي ، ونحمد الله الذي أتى بنا إلى قطر لنحضر معنا الخير إلى هذه البلدة "[٣٩] .

كان العمل في مستشفى قطر تجربة جديدة للمبشرين الأمريكيين . فقد كان الأطباء الأمريكيون يحلمون بإنشاء مستشفى هنا . . . وهاهو حلمهم يتحقق كما يقولون " بأموال عربية "[٤٠] .

ويبدو أن نشوة إنشاء مستشفى قد أنست الأطباء هدف الشيخ الشخصي من إنشاء هذا المستشفى ، فقد قام الشيخ بإنشاء هذا المستشفى لخدمة رعاياه وتوفير العلاج الحديث لهم حتى لا يضطروا إلى مشقة السفر للخارج . وهكذا كان هذا المستشفى يمثل الجانب الإنساني لوجهة نظر كل من الطرفين .

بعد افتتاح المستشفى أصبحت فكرة إبقائه مستمرا تلح على أطباء الإرسالية الأمريكية ، إذ أنه ليس من السهل - مع النقص الحاد في الأطباء - إبقاء أطباء متواجدين طوال الوقت في قطر ، ولكن الإرسالية الحريصة على إبقاء هذا المستشفى مفتوحا وجدت الحل في التناوب بين أطباء الإرسالية في شبه الجزيرة على العمل به ، وبذلك تضرب عصفورين بحجر واحد ، فأولاً إبقاؤه مفتوحاً طوال السنة ، وثانياً إفساح المجال أمام أكبر عدد من أطباء وممرضي الإرسالية في شبه الجزيرة للعمل به ، وبالتالي الالتقاء بأكبر عدد من الأهالي .

ففي عام ١٩٤٨م وجهت الدعوة إلى الدكتورة ماري بيرنس أليسون Mary B. Allison والتي سبق لها أن عملت سنوات طويلة في مستشفى الكويت ، للحضور إلى قطر واستلام العمل في المستشفى . ففي كتابها (الطبيبة ماري في شبه الجزيرة) تروي هذه الطبيبة قصة اختيارها للسفر إلى قطر ورحلتها تلك إلى شبه جزيرة قطر ، وتجربتها في تلك المنطقة من شبه الجزيرة العربية فتقول : " في اجتماعها السنوي ، تلقت الإرسالية عام ١٩٤٧م طلبا من حاكم قطر بافتتاح المستشفى ، وهكذا أصبح علينا في ظل نقص الإمكانيات أن نتناوب الذهاب لقطر . وفي عام ١٩٤٨م وقع الاختيار عليّ، وفي يناير من ذلك العام رحلت إلى قطر عن طريق البحرين . وفي قطر وفر لي الشيخ منزلا عربيا للإقامة ، يقع بالقرب من قصره ويكون أيضاً مقرا لعيادتي "(٤١) .

وتمضي الدكتورة ماري أليسون في وصفها للأوضاع في قطر في تلك الفترة قائلة : " ذهبت لزيارة الحاكم مرات عديدة ولكن مجلسه الكبير كان دائماً يغص بالزائرين الرجال . لذلك فضلت زيارة مجلس النساء اللاتي رحبن بي وطلبن مني تكرار الزيارة ، حيث كن يتوقعن مني أن أحدثهن دوماً عن الحياة خارج أسوار الحريم ، لذلك كنت آخذ لهن بعض المجلات التي تحتوي على صور ملونة " . وتمضي الدكتورة اليسون بقولها : " إن خلف أسوار الحريم ، هناك العديد من المآسي ، فإحدى النسوة - مثلاً - فقدت طفلتها الرضيع وكانت في حالة نفسية سيئة ، فطلبت مني إحدى قريباتها أن أقرأ لها بعض القراءات التي قد تهدئ من سرها " . وكما تقول أليسون " وجدت أنها فرصة مناسبة لي لقراءة بعض الفقرات من الكتاب المقدس "(٤٢) .

ظلت الدكتورة ماري في قطر حوالي أربعة شهور ، وجدت خلالها - كما قالت - الترحيب من كافة المستويات ، ولكن في نهاية رحلتها تلك ، حدث ما لم تتوقعه الدكتورة أليسون . فقد تغير موقف أهالي قطر منها ولم تعد تجد - كما تقول - الترحيب الحار ، بل أوصدت الأبواب في وجهها . وقد بررت الدكتورة ماري موقف القطريين هذا بالغيرة والمنافسة التي أحسها الإنجليز ، خاصة العاملين في شركات البترول ، من المكانة الكبيرة التي أصبحت تحظى بها ، وأوعز ا إلى

القطريين بعدم استقبالها لأنها تتدخل في المسائل الدينية[٤٣] .

ولكن من الواضح هنا أن كلاً من الحاكم والأهالي قد أحسوا بالمهمة الرئيسية التي جاءت هذه الطبيبة من أجلها ، خصوصاً بعد أن أخذت تبشر علناً وتتدخل في القضايا الدينية للمسلمين . وعلى الرغم من الحاجة الماسة لخدماتها في المستشفى إلا أنهم قد أعرضوا عنها بعد أن تيقنوا من الرسالة الخطيرة التي جاءت تبلغها ، وقاطعوها تماماً ، مما جعل منها شخصاً غير مرغوب فيه ومن ثمة طلب منها الرحيل .

في بداية الخمسينات بدأ مستشفى قطر يواجه نقصاً في الإمدادات البشرية وفي الكادر الطبي ، خاصة بعد أن اضطرت الظروف الصحية الدكتور نايكرك Dr. Nykerk إلى مغادرة العمل فجأة بسبب مرضه ، ووجدت الإرسالية نفسها أمام خيار لابد منه وهو التفكير في التخلي نهائياً عن العمل في هذا المستشفى وتسليمه للحكومة القطرية .

ولكن مستشفى الدوحة ظل يعمل حتى عام ١٩٥٢م ، إلا أنه لم يكتب للخدمة الطبية في هذا المستشفى أن تستمر . فقد اضطرت الإرسالية إلى التوقف عن العمل في قطر بسبب الصعوبات المتعلقة بتأمين الهيئة الطبية ، فتم في ذلك العام إرجاع المستشفى إلى الحكومة القطرية . وهكذا ضاعت على الإرسالية فرصة العمل في قطر أو افتتاح محطة فرعية فيها إلى الأبد . وعلى الرغم من ذلك استمرت رحلات الأطباء والمبشرين المتقطعة لقطر حتى أوائل الستينات ، وإن أخذت طابعاً مختلفاً بعض الشيء عن زياراتهم السابقة ، فكما تقول كورنيلا التي زارت قطر في عام ١٩٥٩م " منذ أعوام كنا نحن الإرساليين ندخل بيوت العرب بثقة زائدة ، والتي كانت من الأمور الطبيعية ، حيث كنا رسل المسيح وننتمي إلى بلدان لطالما احترمت لقوتها ولمعرفتها ، ولكن بعد اكتشاف البترول في الخليج يجب أن أعترف بأن الأمور قد تبدلت . . . فمع أننا مازلنا رسل المسيح ، إلا أن الدول العربية بدأت تكون لنفسها قوة وعظمة ، وتستخدم عناصرها للحصول على أية معلومات . . . وأصبحنا بالفعل نشعر ببعض التواضع في حضرة ثروة النفط "[٤٤] .

رابعاً : الخاتمة

[تحليل للنشاط الطبي التبشيري في قطر]

بدأ التبشير في الخليج العربي في القرن التاسع عشر ، عندما توافدت العشرات من البعثات والإرساليات البريطانية والفرنسية والهولندية ، لكن أي من هذه البعثات لم يحقق نجاحاً . فمن الواضح أنها كانت إرساليات حماسية أكثر منها إرساليات تبشيرية ذات أهداف معينة تعمل بدعم مادي ومعنوي من قِبل مجموعة من الكنائس ، لذلك لم تنجح في افتتاح مقرات دائمة ولا حتى دكاكين صغيرة دائمة لبيع الكتب الدينية . ومن المؤكد أن هذا الفشل لم يغب عن بال المبشرين الجدد في الإرسالية الأمريكية عندما قرروا غزو قطر في بداية القرن العشرين ، وضمها - كما كانوا يأملون - إلى خطتهم الكبرى الرامية إلى إدخال المسيحية إلى شبه الجزيرة(٤٥) .

لم تكن الظروف مهيأة في تلك الفترة لهذا التحدي الحضاري ولا لهذا الصراع

الديني والفكري بين فئتين : الف
الأولى هي فئة المبشرين ، خريجي أ
الجامعات الأمريكية والتي تقف وراء
مؤسسات دينية ، تدعمهم ماليـ
ومعنوياً . والفئة الثانية هي شعب ق
البسيط الذي لم يكن معظمه يعـ
القراءة والكتابة ، ولكنهم يقدسـ
مبادئهم الدينية ويعيشون بعيداً ع
الحضارة الغربية المادية التي كا
تغزو أوروبا . ورغم عدم التكافؤ في
الصراع ، إلا أن النشاط التبشيري
قطر واجه مقاومة كبيرة غير متوقعـ
قلبت الخطط التي وضعتها الإرسـ
الأمريكية لنفسها في شبه الجزيرة .

انطلقت معظم رحلات التبشير
قطر من البحرين ، عابرة تلك المسـ
القصيرة التي تفصل البحرين عن شـ
جزيرة قطر . وكانت قطر واحدة
المناطق التي استأثرت باهتمـ
الإرسالية ، حيث تعتبر امتـ

لصحراء شبه الجزيرة من الناحية الطبيعية . وقد قام مبشرو الإرسالية بزيارة المنطقة عدة مرات قبل أن يحصلوا على إذن بالسماح لهم بمزاولة العمل هناك . والمبشرون الذين زاروا قطر هم : القس جيريت بننجس Gerrit Pennings ، والدكتور بول هاريسون Poul Harrison ، والدكتور لويس ديم Louis Dame ، وتومس Thoms ، والآنسة كورنيلا دالنبيرج Miss Cornelia Delenberg ، والدكتور ستورم Dr. Storm ، والدكتورة ماري بيرنس أليسون Dr. Mary Burnis Allison والقس جـ. فان بويرسم G. Van Peursom والممرضة جانيت بويرسم . ويتضح من هذه القائمة أن هؤلاء جميعاً زاروا قطر في رحلات طبية تنصيرية[٤٦] . وما لاشك فيه أن البعثات التبشيرية في قطر قد قدمت خدمات إنسانية جليلة للأهالي ، وإن كان هدفها الحقيقي وهو جذب الأهالي لرسالتهم واضحاً .

ارتبط النشاط التنصيري في قطر منذ البداية ارتباطاً وثيقاً بالخدمة الطبية التي استغلت كوسيلة سهلة تمكن أفراد الإرسالية من النفاذ للمجتمع القطري دون أن تثير أعمالهم الشك والريبة وحتى تجد صدىً وقبولاً لدى الأهالي . وقد استخدم المبشرون الرحلات الطبية إلى القرى والمناطق النائية كجزء مهم من نشاطهم ، حيث تنقلوا بين قرى قطر حاملين حقيبتهم الطبية في يد وصندوقاً مليئاً بالكتب الدينية وأجزاء من الكتاب المقدس في اليد الأخرى .

وظفت الإرساليات الأمريكية الأوضاع الصحية والإجتماعية لصالحها ، حيث استغلت الفقر والمرض للوصول إلى غاياتها . فكما يقول أحد المبشرين " **حيث تجد بشراً تجد آلاماً ، وأينما تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب ، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير** "[٤٧] . فكما أوردت إحصائيات الإرسالية الأمريكية في قطر ، فقد تم علاج حوالي ٢٥,٠٠٠ حالة في العيادة الخارجية ، وحوالي ٨٥٣ حالة في العيادة الداخلية طوال فترة عملهم مما يعكس حجم العمل الذي قاموا به . فقد أورد هاريسون في تقرير له إلى الإرسالية بأن الدوام يبدأ – عادة – بالصلوات بأن يهدي الله الناس للمسيح ويشفي أسقامهم . كما أن المستشفيات لها هدف وهو " تعريف الناس رجالاً ونساءً بالمسيح . وأظن أن

الناس هنا محتاجون للرحمة ومحتاجون للمسيح الذي أظن أنه يبكي على قطر كما يبكي على القدس "(٤٨) .

ولكن الملاحظ هنا أن تقارير أعضاء الإرسالية في قطر لم تورد ذكراً لأية مبيعات للكتب الدينية كما أوردوا في تقاريرهم عن مناطق الخليج الأخرى . ومن الجائز أن يكون سبب ذلك هو شعورهم بعدم جدوى هذا العمل . فالأمية كانت منتشرة بشكل كبير ، كما أن الصلوات - في معظم الأحيان - لم تكن تلاقي آذاناً صاغية . فعادة ما يتساءل الناس بعد الانتهاء من الصلاة عن ماهية الكلام الذي قيل .

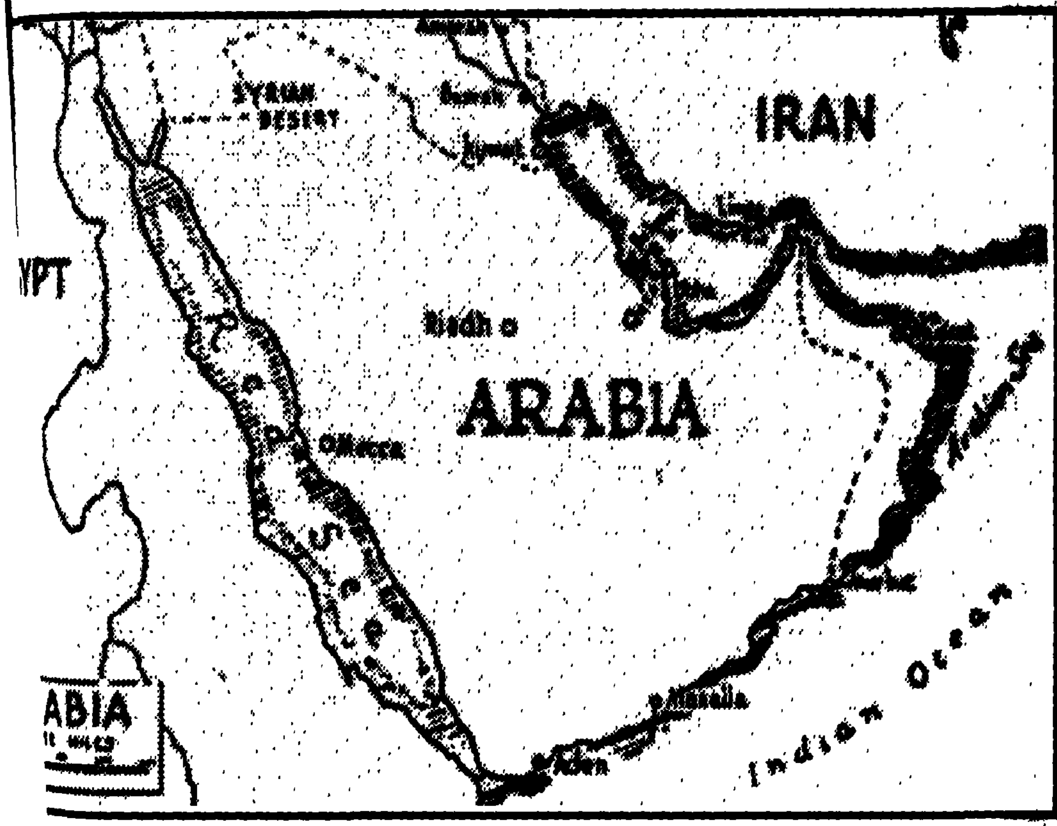
من الناحية العلمية تعتبر تقارير الإرساليات الأمريكية ضرباً من ضروب الأدب . فقد قامت هذه التقارير بوصف الأوضاع الاجتماعية والعادات والتقاليد والوضع السكاني وصفاً دقيقاً ، مما يجعل من تلك التقارير مرجعاً مهماً لتاريخ المنطقة الاجتماعي في النصف الأول من القرن العشرين . ومما لاشك فيه أن تلك البعثات الطبية ، قدمت خدمات طبية جليلة للمنطقة ، نحسها ونشعر بها ونحن نراجع التقارير التي كتبت وحالات المرضى العديدة والحالات المستعصية التي كان المستشفى يزخر بها .

ولكن ماذا عن الأهداف الحقيقية لهذه البعثات ، ألا وهي التبشير ؟ من الواضح من خلال مراجعة نشاط الإرساليات الأمريكية في الخليج عامة وفي قطر خاصة أن الخدمات الإنسانية لها قد فاقت العمل الديني . وقد خرج المبشرون من المنطقة خروج الخاسرين وإن استطاع العديد منهم تكوين علاقات تعاطف وحب مع العرب ، استمرت إلى ما بعد انتهاء عمل الإرسالية وانكماش العمل التبشيري . أما فيما يخص قطر فينطبق عليها ما ينطبق على مناطق الخليج العربي الأخرى ، التي تعرضت للغزو التبشيري . فإذا كانت المهمة التي عملوا من أجلها مهمة دينية فإنهم بذلك يكونون قد فشلوا فشلاً ذريعاً ، أما إذا كانت مهمة إنسانية فيكون التوفيق قد حالفهم في ذلك بدليل الثقة التي أولاها إياهم أهالي قطر في أحلك ساعاتهم

ملحق رقم (١)

المبشرون الذين زاروا قطر في الفترة ما بين ١٩١٨ - ١٩٥٢م

الاسم	المهنة	السنة
Dr. Paul Harrison	طبيب	١٩١٥ - ١٩١٨
Mrs. A. M. Harrison	مبشرة وزوجة طبيب	١٩٤٧
Gerrit Pennings	أسقف	١٩١٨ - ١٩٢٨
Dr. W. Thomas	طبيب	١٩٤٠ - ١٩٤٩
Dr. Louis Dame	طبيب	١٩٣٠ - ١٩٣٢
Mrs. Louis Dame	مبشرة	١٩٣٠ - ١٩٣٢
Dr. Chandy	طبيب	١٩٤٣
Dr. Harold Storm	طبيب	١٩٤١ - ١٩٤٨
Mrs. I. H. Storm	مبشرة	١٩٤١ - ١٩٤٨
Dr. C. S. Mylrea	طبيب	١٩٤٠ - ١٩٤١
Mrs. B. Mylrea	مبشرة	١٩٤٠
Miss Cornelia Dalenberg	ممرضة	١٩٤١ و ٤٧ و ٤٩ و ٥٢
Rev. Gerrit Van Peursem	أسقف	١٩٤٥
Dr. Mary Baruns Allison	طبيبة	١٩٤٨
Jeanette Boersma	ممرضة ومبشرة	١٩٤٠ - ١٩٤٩
Dr. Gerald Nykerk	طبيب	١٩٥٢
Rose Nykerk	مبشرة	١٩٥٢



خريطة توضح مسار الإرساليات الأمريكية إلى قطر

الحواشي والمراجع

١ - لمزيد من المعلومات أنظر :

Alfred De Witt Mason & F. Barny, History of The Arabian Mission, New York, 1926.

٢ - انظر جي. جي. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، الجزء الثالث ، طبع على نفقة حكومة قطر ، ١٩٦٩م ، ص ١٢٢٠ و ١٢٦٦ .

٣ - The Arabian Mission, Neglected Arabia, No. 108, Jan. - March, 1919 .

٤ - المصدر السابق ،

أيضاً انظر : خالد البسام ، القوافل ، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر ، البحرين ، ١٩٩٣م ، ص ١٤٦ - ١٥١ .

٥ - المصدر السابق .

٦ - المصدر السابق .

٧ - المصدر السابق .

٨ - المصدر السابق .

٩ - المصدر السابق .

١٠ - المصدر السابق .

١١ - المصدر السابق .

١٢ - المصدر السابق .

١٣ - Paul Harrison, The Old and The New in Arabia, 1948, Arabian Mission Correspondence, Box 754, New Brunswick, N.J., U.S.A.

١٤ ـ كورنيلا دالنبيرج ، مذكرات شريفة الأمريكانية ، مطبوعات بانوراما الخليج ، البحرين ، ١٩٨٩م ص ١٩٩ .

١٥ ـ المصدر السابق .

١٦ ـ The Arabian Mission, Neglected Arabia, No. 125, April - June, 1923 .

١٧ ـ The Arabian Mission, Neglected Arabia, No. 128 Jan. - March, 1924 .

١٨ ـ Ibid., No. 212, March, 1948 .

١٩ ـ Ibid .

٢٠ ـ Ibid, No. 212, March, 1948 .

٢١ ـ Ibid No. 204, Oct. - Dec., 1944 .

٢٢ ـ Ibid .

٢٣ ـ Arabian Mission Correspondence, A Trip to Qatar, C. Dalenberg, Feb. 21, 1941, Box 754, New Brunswick, N. J. U.S.A.

٢٤ ـ كورنيلا دالنبيرج ، مذكرات شريفة الأمريكانية ، ص ١٧٩ .

٢٥ ـ Arabian Mission Correspondence, Dalenberg, Feb. 21, 1941.

٢٦ ـ المصدر السابق .

٢٧ ـ المصدر السابق .

٢٨ ـ المصدر السابق ، أنظر أيضاً مذكرات جانيت بويرسم :

Jeanette Boersma, Grao in The Gulf, Wm. B. Eerdmans Publishing Co. Michigan, 1991, p. 34 .

٢٩ ـ Arabian Mission Correspondence, Box 754,1941 .

٣٠ ـ Rosemarie Zahlan, The Creation of Qatar, 1979, p. 98 .

٣١- The Arabian Mission, Neglected Arabia No. 193, July - Sep., 1941 .

٣٢- Ibid., No. 212, March, 1948 .

٣٣- أنظر : عبد المالك خلف التميمي ، التبشير في منطقة الخليج العربي ، الكويت ، شركة كاظمة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٢ .

٣٤- The Arabian Mission, Neglected Arabia, No. 212, March, 1948 .

٣٥- المصدر السابق .

٣٦- المصدر السابق .

٣٧- المصدر السابق .

٣٨- المصدر السابق .

٣٩- المصدر السابق .

٤٠- المصدر السابق .

٤١- Mary Briuns Allison, Doctor Mary in Arabia, University of Texas Press, Ausin, 1994, p.122 .

٤٢- Ibid., p. 123 .

٤٣- المصدر السابق .

٤٤- كورنيلا دالنبيرج ، مذكرات شريفة الأمريكانية ، ص ٢٥٠ .

٤٥- يقال أن قطر قد أصبحت أسقفية سنة ٢٢٥م للحركة النسطورية التي ازدهرت في شرقي الجزيرة العربية . للمزيد أنظر : عبد المالك التميمي ، ص ١٩ .

٤٦- أنظر الملحق المرفق بالبحث .

٤٧- أنظر عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١٩٩٣ ، ص ٣١ .

٤٨- Paul Harrison, The Old and The new in Arabia, Box 754, New Brunswick, N. J., 1948 .


تاريخ الخليج والبحر ال
ملوك هرمز ومقتطفا
ترجمه إلى الإنجليزية : ويليام إف . سنكلايد
(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة في بومبي)
مقدمة وحاشية بقلم : دونالد فيركسيوسوف
ترجمه إلى العربية دكتور : عيسى أمين
بيدرو

في أسفار بيدرو تينخسيرا

من كتاب ملوك فارس

حباً في معرفة تاريخ الخليج ، ورغبة في دراسة أصول التدخل الأجنبي وأسبابه ، أقدم هذه الترجمة لكتاب نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية .

د. عيسى أمين

نحن لا نعلم الكثير عن بيدرو تينحسيرا بقدر ما يذكره هو عن نفسه في كتابه . ولقد جاء ذكره في مقدمة الدكتور إم. كايسر لينج (Dr. M. Kayserling) لكتاب آي . جي . بنجامين (I. J. Benjamin) [ثماني سنوات في آسيا وأفريقيا] طبعة هانوفر ١٨٦٣م قائلاً " أن بيدرو تينحيسرا يهودي من البرتغال ومن اليهود الذين لم يجرؤوا بالإفصاح عن ديانتهم أو تعليم أبنائهم ديانة الآباء ، ورغم أنه ولد لعائلة يهودية في لشبونة ، إلا أن تعليمه لم يكن له صلة بالعقيدة ؛ ولذلك فإنه يبدو



لنا وكأنه لم يكن يحفل بالوازع الذي يفرض عليه التسليم الكامل للخالق (والمغروز فيه بالفطرة) الأمر الذي سوف نرى ملامحه في كل صفحة تقريباً من كتاب أسفاره . . . ورغم ذلك فنحن نعتقد ومن خلال ملخص أسفاره بأنه ولفترة طويلة سابقة لوصوله إلى (أنتورب) كان بيدرو ملتزما بالعقيدة المسيحية ، وأنه كان كاثوليكيا ملتزما - رغم وجود كتابات أخرى تنفي ذلك .ويبدو أن نصيبنا في معرفة أي شيء عن عائلته سوف يكون أقل من معرفتنا له شخصيا ، حيث أنه كان يفضل كتمان الأمر مع تصريح عابر بأنه كان عاشقاً للتاريخ في حداثة سنه .

وبما أننا قد سلمنا منذ البداية بجهلنا لهذه الشخصية ، فإننا نستطيع أن نقول الآن أننا نجهل أيضاً مهنته ، أو حتى نشأته العملية في بداية حياته ، مع احتمال بسيط في أنه ربما كان طبيبا أو له صلة بالعقاقير النباتية وذلك لما يذكره هو عن التداوي بالأعشاب ومنافعها في كتابه أثناء رحلاته في الشرق .

ونظراً لعدم ذكره الأسباب الرئيسية لسفره إلى الشرق (الهند) ووصوله إليها عام ١٥٨٧م مع إحدى سفن الأسطول البرتغالي قادما من البرتغال في عام ١٥٨٦م، فإننا أصبحنا نعتقد أن رواية كوتو (Couto) في كتابه ديكادا ديسيما (Decada Decima) تكاد تبين لنا هذه الأسباب حيث يقول : " لقد بُلغ الملك أن بريطانيا تجهز أسطولها للتوجه إلى جهة غير معروفة حتى الآن - ولكن ، وخوفا من اتجاه هذا الأسطول إلى الهند أو مناطق قريبة من ملقا (Malaka) ، فإنه - أي الملك - يود أن يرسل رسالة عاجلة إلى القبطان المسئول عن القلعة هناك بأخذ الحيطة ، وأن يبلغ نائب الملك في الهند عن الاستعداد لمساعدة الأول في وقت حاجته . لذا أصدر الملك أوامره إلى سفن الأسطول (الغلايين) وخاصة السفينة ريس ماغوس (Reys Magos) للاستعداد بالتوجه إلى ملقا . وتم تعيين القبطان جوا كاكو دي أندرادي (Joao

(Gago de Andrade الرجل الذي سبق له زيارة الهند .

أبحر القبطان المذكور من البرتغال في ٥ يناير ١٥٨٦م وقد أمره الملك استيفاو دا فيجا (Estevao da Veiga) بتسليم رسالة إلى نائبه _ نائب الملك - د. دوارتي (D. Duarte) ورسالة أخرى إلى القبطان في قلعة موزمبيق ، والتي أخبره الملك فيها بإعداد السفن استيفاو دا فيجا وإرسالها إلى الهند للغاية المطلوبة . . . أما باقي سفن الأسطول فقد توجهت من البرتغال إلى الهند في مارس بقيادة القبطان دي جورينمو كوتينو (D. Jeronymo Coutinho) في السفينة القديس توما (s. Thome) ويرافقه القباطنة أنطونيو جوميز (Antonio Gomes) في السفينة كرنجه (Caranja) ومعه مانويل ديسوزا كوتينو (Manoel de sousa Coutinho) والذي قُلِّد الأوسمة لقيادته حامية ملقا ، ورحلته إلى اليابان ، وزواجه من ابنة رجل مسيحي ذي ثروة ، وترشيحه لمركز نائب الملك في الهند ، والذى قتلوه بعد وفاة (دي دوارتي) .

أما السفن الأخرى فكانت السفينة سلفادور (Salvadoar) وقبطانها ميجويل دي ابرو (Miguel de Abreu) والسفينة ريليكوياس (Religuias) وقبطانها فرانسسكو كافاليرو (Francisco Cavalleiro) والقديس فيليب (s. Filippe) وقبطانها جوا تريجيروس (Joao Trigueiros) . ولقد أخذت كل هذه السفن الحيطة والحذر في إبحارها خوفاً من مواجهة مع الأسطول الإنجليزي . ولو فرضنا أن بيدرو تينحسيرا كان على ظهر إحدى هذه السفن فإنه يكون قد وصل إلى جوا في الهند سبتمبر ١٥٨٦م .

ولكن يبدو مرة أخرى أن تينحسيرا لم يهتم بوصف ما رآه في جوا مثل ما فعله قبله الهولندي جان هويجن (Jan Huyghen) الذي ترك لنا وصفاً مصوراً للمدينة التي سكنها لعدة سنوات قبل وصول تينحسيرا .

ولكن نستطيع من خلال قراءة التاريخ أن نجزم أن وصول تينحسيرا إلى جوا تزامن مع استعدادات بحرية أخرى من قبل البرتغاليين للانتقام من الأتراك وحكام سواحل شمال غرب أفريقيا الذين هزموا الأسطول البرتغالي (في البحر الأحمر في شهر مايو١٥٨٧م تحت قيادة روي قونسالفس دا كامارا (Ruy Qon Salves da Cammara) وأسروا الكثير من بحارته .

انتهز تينحسيرا قرار نائب الملك بإرسال أسطول تأديبي للبحر الأحمر والخليج والتي كانت مسئوليته الأولى الإبحار إلى هوفر ، ومن ثم إلى مسقط لبناء قلعة فيها لردع الأسطول العثماني .

في ٩ يناير ١٥٨٧م وتحت قيادة القبطان مارتيم الفونسو ديملو (Martim Alfonso di Mello) أبحرت اثنتان من الغلايين البرتغالية ، ترافقهما ست عشرة سفينة أخرى بجنودها وبيدرو تينحسيرا بعد حصوله على تصريح خاص لمرافقة الأسطول .

كان أول مكان يصل إليه الأسطول في الساحل الأفريقي أمبازا (Ampaza) وقتل ملكها ومساعدوه وأحرقت المدينة وبعدها توجه الأسطول إلى باتي (Pate) حيث طلب الحاكم فيها الرحمة والمغفرة من البرتغاليين ، ثم إلى جزيرة لامو (Lamo) حيث سبق لملكها أن قام بتسليم روكو دي برتو (Roqe de Brito) ومرافقيه إلى الأسطول العثماني .

هرب ملك لامو قبل وصول الأسطول تاركاً زوجته التي قام البرتغاليون بتنصيبها ملكة على الجزيرة انتقاماً من زوجها . . . وواصل الأسطول إبحاره إلى مالندي ، وقام ملكها باستقبال البرتغاليين استقبالاً عظيماً ورافقهم إلى ممباسا .

دخل البحارة البرتغاليون مومباسا بعد استسلام ملكها وسقوط قلاعها وحصونها ، فأحرقوها بعد أن خرج منها ملكها ورعاياه طالباً من البرتغاليين الصفح عنه ومساعدته في عودته إلى ملكه . ورغم وساطة ملك مالندي لم يوافق ماريم

ألفونسو على ذلك وغادرها هو وأسطوله إلى الخليج ماعدا سفينة واحدة أرسلت إلى نائب الملك في الهند حاملة رأس ملك إمبازا المشوه .

تزامنت مغادرة السفن البرتغالية مع وصول السفينة سلفادور والتي كانت قد أبحرت من (كوشين) في الهند إلى أوروبا في نهاية ١٥٨٦م ، محملة بالتوابل وكانت قد صادفتها عاصفة في الطريق ، قرر قبطانها - بعد الخلل الذي أصاب سفينته - الالتحاق بالأسطول البرتغالي في البحر الأحمر وتم قطرها إلى هرمز حيث تحطمت بعد نقل البضائع إلى سفن أخرى .

ويذكر تينحسيرا لنا أنه في زيارته لمسقط شاهد فيها الكم الهائل من السمك وتعجب من طرق صيده بواسطة البحارة العمانيين .

وصل الأسطول بعدها إلى هرمز ليواصل رحلته إلى جزيرة قشم ولكنه يقفل عائداً لمرض القائد العام مارتيم ألفونسو الذي توفى بعد عودته إلى هرمز ودفن فيها .

في سبتمبر ١٥٨٧م غادر الأسطول البرتغالي هرمز متوجهاً إلى (جوا) تحت قيادة والد زوجة مارتيم ألفونسو ، سيماو دي كوستا ليصل إلى جوا في أكتوبر من نفس العام .

ورغم أن تينحسيرا كان مرافقاً لهذا الأسطول منذ بداية الرحلة في جوا فإننا نجد أن الوصف الوحيد الذي تركه لنا هو عن مدينة مسقط فقط أما المناطق الباقية فلم يذكرها على الإطلاق .

لقد كان الوجود البرتغالي آنذاك يمتد إلى بحر الصين ويتمتع بمراكز عسكرية وتجارية مهمة أسست لثلاث مهمات ، الأولى عسكرية والثانية تجارية ، والثالثة - في بعض المناطق فقط - إدارية ، تدير أمور البلاد الواقعة فيها . ولقد كانت ملقا أحد المراكز الاستراتيجية المهمة في بحر الصين والتي دخلها الملك راجال (Rajal) ملك جوهور (Johor) ، ودمرها في بداية عام ١٥٨٧م ، بعد أن أغلق المسارات المائية بين الهند والصين في مضيق ملقا ، الأمر الذي أدى إلى المجاعة

والتشـرد ، بالإضافـة إلى التدمـير السابق .

في مـارس ١٥٨٧م دعـي نـائب الملـك إلى اجتمـاع المجلـس الأعلـى لـلإدارة فـي جـوا ، وباسـين ، وشول ، لمساعدة المدينـة المنكوبـة .

وفي ٢٨ أبريـل ١٥٨٧م توجـه الأسطول البرتغـالي - المكون مـن ست عشـرة قطعـة مـن الغلايـين والسـفن الأخـرى بكـامل عتـاده وجنـوده الخمسـمائة وتحـت قيـادة د. بـاولو دي ليمـا - ووصـل إلى مدينـة جوهـور وأحرقها ودمرهـا تدميراً كـاملا .

لقـد كـان الأسـطول البرتغـالي موزعـاً آنـذاك بـين هرمـز ، وشـرق أفريقيـا ، وجـوا . وتدعمـه حاميـات عسـكرية يتحـول بواسـطتها إلى أسـطول حربـي في وقـت الحاجـة ، ويباشـر مهمـات التجـارة في أغلـب الأوقـات . لقـد باشـر البرتغـاليون سياسـة الأرض المحروقـة والقتـل والتنكيـل والاضطهـاد أينمـا حلـوا في الشرق ، ولقـد طبقـت هـذه السياسـة في هرمـز ، ومسـقط ، وعـدن ، وشـرق أفريقيـا ، والبحريـن ، وجـوا ، وملقـا ، وفي سيلان (كولمبـو) عندمـا ثـار عدوهـم الأول كمـا يطلقـون عليـه (راجـا سينهـا) ضـد الوجـود البرتغـالي في سيلان . وكـانت هـذه الثـورة مـن أخطـر التهديـدات الـتي واجههـا البرتغـاليون في الشـرق ، حيـث استلزم القضـاء عليهـا مشـاركة كـل الأسـاطيل البرتغاليـة .

ويـروي لنـا المـترجم عـن هـذا العصيـان وبدايتـه في عـام ١٥٨٦م عندمـا حـاصر راجـا قلعـة كولمبو ومنـع عنهـا المـؤن ، فـاضطرت الحاميـة المتمركـزة في هـذه القلعـة إلى طلـب المسـاعدة مـن الهنـد . ونظـراً لعـدم وجـود سـفن الأسـطول المطلوبـة آنـذاك ، تـأخر وصـول المـدد البحـري حتـى سـبتمبر ١٥٨٧ وذلـك بعـد إلحـاح مـن قـائد حاميـة كولمبو (جـو كـوريا دي بريتـو) . في ذلـك الوقـت ، قـرر نـائب الملـك (دوم دوارتـي) ومجلسـه الحـاكم في جـوا ، إرسـال أسطول ضخـم إلى كولمبو علـى أن يلتحـق بـه أسـطول (د. بـاولو دي ليمـا) والـذي تم إبلاغـه بالتوجـه الفـوري إلى سـيلان . . . واختـير لقيـادة سـفن الأسـطول المشـتركة القبطـان (مـانويل ديسوزا كوتينهـو) والذي لقـب بقبطـان بحـر الهنـد بربـة

(عميد) . ومع استعدادات جوا لإرسال أسطولها وصل أسطول هرمز والخاص بـ (ألفونسو دي ميلو) بقيادة (سيما دي كوستا) ورحالتنا (بيدرو تينحسيرا) ، والذي انتهز فرصة توجه (مانويل ديسوزا) إلى سيلان فالتحق به بعد حصوله على تصريح خاص بذلك .

في ٤ فبراير ١٥٨٨م توجه الأسطول البرتغالي من جوا إلى سيلان وفي مقدمته الغلايين البرتغالية تحت قيادة (مانويل ديسوزا) و (دي جورينمو دي أزفيدو) ومعها ست عشرة سفينة أخرى وستمائة رجل ، ليصل إلى جزيرة (رامس فارام – Rames Varam) ومنها إلى جزيرة (منار – Manar) ثم في النهاية إلى (كاريتيفو – Karaittivu) .

وفي الموقع الأخير أرسلت الرسائل لقائد حامية كولبو تطلب منه إرسال ضابطين برتغاليين وجنوداً محليين إلى القبطان (مانويل ديسوزا) والذي كان قد قرر إحراق وتدمير المنطقة الواقعة بين (كاريتيفو) و (وكولبو) .

وصلت المجموعة المطلوبة بقيادتها البرتغالية إلى الموقع المعين بعد أن دمرت كل القرى في طريقها وتم إبلاغ مانويل ديسوزا عن التحصينات الأهلية لمدينة كولبو وبلدة شيلاو .

بعد وصول هذه الأخبار ، قرر مانويل ديسوزا التوجه إلى بلدة شيلاو التي وصلها بعد أن سبقه دي جورينمو دي أزفيدو إليها وقام بتدميرها وسلبها ثم أحرقها . فتابع مانويل ديسوزا إبحاره إلى كولبو في ١٨ فبراير مطلقاً مدافع سفنه الحربية ابتهاجاً بالنصر ورفع الحصار عنها .

بعد دخول القوات البرتغالية إلى كولبو ولقائها مع الجنود المحاصَرين في قلعتها ، عقد مجلس الحرب اجتماعه الأول لتخطيط الأعمال الحربية المطلوبة ضد (راجا) . في هذا الاجتماع كان مانويل ديسوزا مصراً على الهجوم المباشر رغبة منه في الحصول على الثناء والشهرة قبل وصول أسطول (دي باولو دي ليما) .

ومع انعقاد هذا المجلس أرسل راجا سفراءه إلى القادة البرتغاليين طالباً منهم مهلة زمنية ، حتى يتمكن من القيام بالشعائر الدينية في مدينته وعاصمته سيتا فاكا (Sitavaka) ، الأمر الذي جعلهم يعتقدون أنه خدعة وتمهيدا للانسحاب . لذا تقرر الهجوم الفوري في ليلة ٢١ فبراير ، ودمرت القوات البرتغالية تحصينات الملك راجا ، وقتلت رجاله ، وأحرقت قراه . في اليوم التالي وصل أسطول دي باولو دي ليما إلى كولمبو وشارك في أعمال التدمير التي استمرت إلى بداية مارس ١٥٨٨م عندما غادرت الأساطيل كولمبو عائدة إلى جوا .

ورغم الأحداث الجسيمة والتي يتحاشى بيدرو تينحسيرا ذكرها ، نجده يذكر رحلة العودة إلى جوا فقط وينقلها لنا كوتو عن الرحالة تينحسيرا قائلاً : " عاد مانويل ديسوزا في أسطول حضر إلى كوشين وغادرها بعد أن ترك وراءه سفينة كبيرة بقيادة دي جورينمو ومعه سفينتان صغيرتان ، وذلك من أجل لقاء سفن الأسطول العائدة من الصيد وقيادتها إلى جوا .

انتهز بيدرو تينحسيرا فترة بقائه في كوشين ليقوم بزيارة قلاع (كنارا وكانانور) .

في نهاية مارس وصل مانويل ديسوزا إلى جوا ودخلها دخول الأبطال حيث كان في استقباله نائب الملك ومواطنو المدينة . بعدها بأيام وصل دي باولو دي ليما وقام نائب الملك ورعاياه باستقباله استقبالاً أعظم من سابقه . وفي ٤ مايو ١٥٨٨م توفى دي دوارتي دي منزيس (نائب الملك) ودفن في احتفال مهيب في كنيسة ريس ماجوس ونقلت رفاته بعد ذلك إلى أبرشية (الثالوث المقدس) في سانتاريم .

وبعد وفاة نائب الملك فُضّ الوثيقة الخاصة بتولية السلطة والتي ذكر فيها أن الحاكم القادم يجب أن يكون ماتياس دي البوكيرا (Mathias de Albuquerque) على أن يحكم الهند إلى أن يصل مانويل ديسوزا والذي عُين حاكماً احتفال مشهود .

بعد عودة بيدرو تينحسيرا - كوشن يبدو أنه بقي في جوا ← -

عام ١٥٨٨م ، ولكنه كعادته السابقة نراه قد وجد لنفسه حجة أخرى للسفر ثانية ، فقد تواردت أنباء عن نية القائد البحري التركي علي بك (والذي هاجم المواقع البرتغالية في شرق أفريقيا عام ١٥٨٦م) في هجوم آخر يتم الاستعداد له ومتوقع حدوثه بنهاية ١٥٨٨ أو بداية ١٥٨٩م .

وكما توقعت السلطات البرتغالية في جوا ، توجه القائد البحري التركي علي بك إلى الصومال ، متوقفاً في مقديشو حيث استقبله الأهالي استقبالاً رائعاً ومنها اتجه جنوباً ، وكان أهالي المدن الساحلية يزودونه بالمال والمؤن ليصل إلى مالندي ليلاً حيث كان القائد البرتغالي فيها (ماتياس منديس دي فاسكونيلوس) على علم بتقدم الأسطول التركي - الذي كانت بعض سفنه قد صودرت في هجوم سابق على الساحل الأفريقي من البرتغاليين - وقد قام القائد البرتغالي بنصب بعض المدافع على التلال الرملية والتي أدى قصفها لسفن الأتراك إلى انسحابها وتوجه علي بك إلى مومباسا لإقامة قلاع تحصينية فيها .

وفي ٣٠ يناير ١٥٨٩م أبحرت سفن الأسطول البرتغالي من جوا متوجهة إلى شرق أفريقيا بعد وصول أنباء عن دخول الأسطول التركي في مياه شرق أفريقيا - وكما كان الاستعداد البرتغالي كبيراً للحملة المتوجهة إلى سيلان فإن الأسطول المتوجه إلى شرق أفريقيا وبقيادة أخي مارتيم ألفونسو (توما ديسوزا كوتينو) كان كبيراً أيضاً حيث اشتمل على عشرين سفينة بين كبيرة وصغيرة ، وتسعمائة من الرجال المسلحين .

واجه هذا الأسطول عواصف قوية أدت إلى فقدان ثلاث من سفنه . ومع وصول السفن الباقية إلى برافا (Brava) في ٢٠ فبراير ، نقلت إلى قائده أخبار علي بك فتوجه في ٢٣ من نفس الشهر إلى أمبازا ، وإلى قلعتها وأميرها الموالي للبرتغاليين ومنها إلى جزيرة لامو ، حيث تلقى أخباراً بمغادرة علي بك من مالندي إلى مومباسا .

في ٣ مارس وصل الأسطول البرتغالي إلى مالندي محاولاً اللحاق بالأسطول التركي ومنعه من الهرب من مومباسا ، وغادر مالندي يوم الأحد ٥ مارس متوجهاً إلى مومباسا ليواجه مقاومة بسيطة من الأسطول التركي .

في ٧ مارس دخل البرتغاليون مومباسا للمرة الثانية ومعهم ملك مالندي وأمير بمبا ليجدوا أن الأتراك قد توغلوا في الغابات .

لم يكن التخطيط التركي جيداً حيث حوصر علي بك وبحارته بين الأسطول البرتغالي بحراً وقبائل الزمبا من جهة اليابسة وفتكت القبائل المذكورة بالجيش التركى مما اضطر قائده وما تبقى من الجنود للتوجه إلى البحر ثانية لتلتقطهم السفن البرتغالية .

وفى ٢٢ مارس غادر توما ديسوزا مومباسا عائداً إلى مالندي يرافقه الجنود الأتراك وقائدهم علي بك والسفن التركية ، وقبل مغادرة البحر الأحمر قام هذا القائد البرتغالي باعتقال ملك لامو وقتله في باتي ، ونصب مرة أخرى ملك بمبا بعد ثورة الأهالي عليه وأخذ وعداً من أمراء أمبازا وملوك باتي وسيو بالولاء لأسيادهم البرتغاليين والتاج البرتغالي . وفي طريق عودته في ١٥ أبريل توقف في سوقطرة في ٢٨ من نفس الشهر للتزود بالماء ، ثم توجه إلى جوا حيث وصلها في ١٦ مايو ودخلها في استقبال مهيب يرافقه علي بك وبيدرو تينحسيرا .

في هذه المرة يبقى بيدرو تينحسيرا لمدة عامين ١٥٩٠ - ١٥٩١ في مدينة كوشين . ويذكر لنا أن وباء الموت الصيني انتشر فيها (الكوليرا الآسيوية) .

وفي ١٥ مايو ١٥٩١م وصل نائب الملك الجديد (ماتياس دي البوكيرك) على ظهر السفينة (بوم جيسوس) بعد سنة من مغادرته لشبونة . وقام (مانويل ديسوزا كوتينو) بتسليمه سيف القيادة .

وفي العاشر من يناير ١٥٩٢م أبحرت نفس السفينة التي جاءت بـ البوكيرك وعلى ظهرها الحاكم السابق مانويل ديسوزا وزوجته وكل متعلقاته النفيسة مع منقولات ثمينة أخرى - متجهة إلى البرتغال

ولكـن ، وفي طريقها إلى موزمبيق تحطمت واختفى كل من فيها وما كانت تحمله إلى الأبد .

ولوعدنا إلى مذكرات بيدرو تينحسيرا ، نجد أنه في عام ١٥٩٣م عاد من الهند إلى هرمز وبقي فيها حتى عام ١٥٩٧م باذلاً كل جهده في دراسة الفارسية وتاريخ فارس ، ومترجماً بصورة ملخصة روايات ميرخواند وتوران شاه . ومقدماً لنا صورة مفصلة من هرمز وأحداثها أيام إقامته فيها .

يذكر المؤلف أنه قام بزيارة مدينة مازاندران وشمال فارس في عام ١٥٩٧م . وفي نفس العام رافق الأسطول مرة أخرى إلى ملقا حيث طلب نائب الملك في الهند من الأساطيل البرتغالية التوجه مرة أخرى إلى هناك استعداداً لهجوم وشيك من البرتغاليين .

بعد وصوله إلى أرخبيل الملايو ، قضى بيدرو تينحسيرا جل وقته في رصد الحياة الفطرية وأنواع النباتات فيها . وانطلاقاً من هذا الفصل من رحلاته يبدأ الرحالة في إعطائنا صوراً متواصلة وكتابات دقيقة عن تنقلاته ، ويذكر في أول فصل من (يوميات رحلتي) أنه في ملقا ، ويود العودة إلى البرتغال عن طريق جزر الفلبين ولذا انتهز فرصة مغادرة السفينة المتوجهة من ملقا إلى الفلبين (حاملة الرسائل من قائد ملقا البرتغالي ، إلى القائد الأسباني في الفلبين يخبره فيها باحتمال دخول الأسطول الهولندي مياه المنطقة) يقول أنه انتهز الفرصة وغادر ملقا إلى الفلبين على ظهر هذه السفينة التي وصلت به في ٢٢ يونيو إلى ميناء مانيلا .

لم يستقر المقام برحالتنا في الفلبين . فقد استطاع الحصول على تصريح من الحاكم الأسباني دوم فرانسسكو تيلو دي منزيس (Dom Francisco Tello de Menzis) في ١٨ يوليو لمرافقة قافلة بحرية من أربع سفن جديدة متوجهة إلى أمريكا . وبعد قضاء فترة قصيرة في مضيق سان برناردينو ، توجهت السفن في اتجاه شمال شرقي لتصل إلى أكابولكو في أول ديسمبر ، ومنها يدخل بيدرو تينحسيرا على ظهر الخيول إلى مدينة المكسيك ، التي وصل إليها في منتصف ليلة عيد

الميلاد ، وذلك بعد ستة أشهر من مغادرته ملقا . وبعدها يغادر في مايو ١٦٠١ متوجهاً إلى البرتغال ماراً بـ سان جوان ، وكوبا ، وبرمودا ، وسان لوكار ، وفي النهاية يصل إلى لشبونة في ٨ أكتوبر ١٦٠١م .

قبل مغادرة بيدرو تينحسيرا ملقا ، أودع مبلغاً مالياً لدى أحد أصحابه طالباً منه إرساله له إلى لشبونة بواسطة السفن البرتغالية ولكن يخيب أمله ولا يصل المبلغ المذكور . لذا نجده ورغماً عنه يقرر السفر إلى الشرق مرة أخرى في ٢٨ مايو ١٦٠٣م على ظهر إحدى سفن الأسطول المتوجه إلى الهند بقيادة بيرو فيرتادو دي مندوكا (Pero Fertado de Mendoca) ويصل إلى جوا في ١٤ أكتوبر من نفس العام .

لقد نال في رحلته هذه ما أراد وقرر العودة بعد خمسة أشهر عن طريق وادي الرافدين .

في ٩ فبراير ١٦٠٤ ، استقل بيدرو تينحسيرا سفينة برتغالية متوجهة إلى الخليج ، فتوقف في اليوم الثاني من شهر مارس في مصيرة ومن ثم حول رأس الحد إلى خليج عمان ويتوقف مرة أخرى في سيفا وبعدها يتوجه إلى هوفر بعد التزود بالماء والخشب من مسقط . وبعد شهر من وصوله إلى هرمز (في ١٤ أبريل) يسافر بيدرو إلى البصرة في سفينة صغيرة تابعة لقبطان هرمز البرتغالي ماراً بالمضيق بين جزيرة قشم واليابسة ، ومن ثم إلى الساحل الشرقي للخليج متخذاً وجهته الشمال الغربي متوقفاً بين فترة وأخرى بسبب التيارات القوية .

كانت أول منطقة ترسو فيها السفينة جزيرة لار (الشيخ شعيب) لتصادف سفينة أخرى قد هوجمت بواسطة أهالي بندر نخيلو . بعد بضعة أيام تتوجه السفينة إلى شيوة وتضطر للعودة إلى هرمز بسبب الرياح العاتية في ٢١ مايو ١٦٠٤م . وفي محاولة ثانية غادر على نفس السفينة (والتي اتجه ربانها هذه المرة في مسار بحري جنوب جزيرة قشم) ، ونجحت هذه المحاولة حيث وصلت السفينة إلى جزيرة خرج في ٢٥ يوليو . وفي تلك الجزيرة يتسلم قيادة السفينة ربان محلي ويبحر بها إلى شط العرب

ورغم بعض الصعوبات تصل إلى هناك في أول أغسطس من نفس العام . ويبدو أن السفينة بقيت في شط العرب خمسة أيام توجهت بعدها إلى مدينة سيراج (Serrage) حيث نقلت حمولتها إلى البصرة .

انتقل بيدرو من سيراج إلى البصرة عن طريق قناة مائية يرافقه تاجر فينيقي واثنان من البرتغاليين كانا معه من البداية في هرمز . وكان لهذا التاجر الفينيقي (السوري) منزل في البصرة قضى فيه بيدرو عدة أيام قبل التحاقه بالقافلة المتوجهة عبر الصحراء العربية يرافقه دييجو دي ميلو (Diego de Melo) بعد حصوله على ترخيص خاص بذلك . هذا الصديق الذي أصبح مصدر إزعاج لحالتنا أثناء رحلته . وكان طريق القافلة المذكورة يمر بمشهد الإمام علي ومن ثم مشهد الإمام الحسين (كربلاء) حيث تزوج فيها رئيس القافلة ودعا جميع مسافريه إلى حفل الزواج .

في ٢٩ سبتمبر توجه أغلب المسافرين من التجار إلى بغداد ، وبقي بيدرو ومرافقه دييجو دي ميلو في كربلاء لعدم توفر الجمال لإتمام الرحلة . وبعد عدة أيام عبرا نهر الفرات ووصلا بغداد في اليوم الرابع من أكتوبر حيث سكن تينحسيرا في منزل صديق من هامبورج كان قد تعرف عليه في الهند وكان هذا الصديق يحاول بفعله هذا رد بعض الجميل لبيدرو الذي كان بدوره قد أحسن ضيافته في الهند . وكان حصار حلب قائماً آنذاك ، لذا اضطر رحالتنا إلى البقاء في بغداد لعدة أشهر .

في ١٢ ديسمبر انتقل بيدرو تينحسيرا ، وصديقه الألماني ، ودييجو فرناندو ، ودييجو دي ميلو من بغداد عابرين الفرات مرة أخرى ليصل الجميع إلى مدينة انا ، ومنها في ١٣ يناير ١٦٠٥م يغادر الجميع إلى حلب على الجمال . وبعد مسيرة ثمانية عشر يوماً وصلت القافلة إلى قرية سكانه حيث يثير دييجو دي ميلو إشكالات جديدة بسبب حماقته . ومن قرية سكانه غادرت القافلة في ٩ فبراير في طريقها إلى حلب وتعرضت أثناء السير لقطاع الطرق الذين لم يتمكنوا من بيدرو وأصحابه . وفي ٥ فبراير وصل

الجميع إلى حلب حيث قضى بيدرو تينحسيرا شهرين في انتظار السفينة التي سوف تقله من الإسكندرونة إلى البندقية .

في الجزء الباقي من هذه الرحلة ، التحق اثنان من التجار الفينيقيين ببيدرو وصاحبه دي ميلو متوجهين جميعاً إلى الإسكندرونة في ٥ أبريل .

وبعد مسيرة ثلاثة أيام وصل الجميع مرة أخرى إلى الإسكندرونة. وبقوا في هذه المدينة الساحلية إلى أن غادروها في الثاني عشر من أبريل إلى البندقية على متن سفينة فينيقية .

وبعد توقف في ساليناس في قبرص وجزيرة زانتي وصلت السفينة إلى استريا في التاسع من يوليو ومنها انتقل بيدرو وصديقاه في سفينة أخرى تعرضت للعواصف قبل وصولها إلى البندقية في الحادي عشر من يوليو .

ويعلق بيدرو على خبرته في هذه المدينة بأنه " من المستحيل العمل في مكان مستحيل " . لذا غادر بيدرو البندقية بعد زيارته لأغلب المقاطعات الإيطالية إلى مملكة برمونت وجبال الألب وسافوي وفرنسا وهولندا الأسبانية مستقرا في أنتورب .

ويعلق الدكتور كايسر لنج على استقرار بيدرو في أنتورب : " لقد كانت أنتورب أقدم مستعمرة هولندية للمنفيين من الأسبان / البرتغاليين . وفيها استقر بيدرو تينحسيرا ليبدأ طباعة كتابه (أصول وسلالات ملوك هرمز) ويكتب الأسفار من الهند إلى إيطاليا . ونعتقد أنه توفى - هنا وليس في فيرونا - في أواسط القرن السابع عشر باقياً على يهوديته منتقلا مع آبائه إلى عالم آخر أحسن من عالمنا " .

لا نستطيع تأكيد هذه المعلومات المقدمة من الدكتور كايسر لنج ، حيث لا توجد لها مصادر موثقة حتى الآن .

الفصل الثاني

وصول الإنجليز والهولنديين إلى الشرق

كانت السنوات التي قضاها بيدرو تينحسيرا في رحلاته الشرقية (١٥٨٦ - ١٦٠٥م) من أهم السنين في تاريخ البرتغاليين في الشرق . ففي عام ١٥٨٠م نودي بالملك فيليب الثاني (ملك الأسبان) ملكاً على البرتغال أيضاً وبهذا دخلت البرتغال فيما أطلق عليه [ستون سنة من الحبس] والتي أدت إلى فقدان البرتغال لكل مواقع نفوذها في الشرق تقريباً .

هناك حدث آخر وعلى نفس المستوى من الأهمية طغى على تاريخ الأساطيل الأوروبية وهو عودة القائد البحري دريك (Drake) من جولة حول العالم ودخوله بريطانيا دخول الأبطال . وكانت نتائج جولة دريك مؤشراً لحروب دبلوماسية انتهت بصراع حري مرير بين أسبانيا وبريطانيا .

قبل عودة دريك إلى بريطانيا كان جون نيوبري (John Newbery) قد توجه إلى طرابلس في سوريا (في ١٩ سبتمبر ١٥٨٠م) ومنها إلى وادي الفرات ، ثم فارس ، وهرمز ، وعاد من فارس إلى أرمينيا والقسطنطينية وأوروبا ، ليصل في النهاية إلى لندن في أغسطس ١٥٨٢م .

في بداية ١٥٨٣ توجه نيوبري مرة أخرى ومن نفس الطريق إلى طرابلس يرافقه هذه المرة رالف فيتش (Ralph Fitch) ووليام ليدز (William Leedes) وجيمس ستوري (James Story) . وبعد مرورهم بنفس المناطق التي مر بها نيوبري ، وصل الإنجليز الأربعة إلى مملكة هرمز في ٥ سبتمبر ١٥٨٣م .

أثار وصول الأربعة قائد هرمز ماتياس البوكيرك فأمر باعتقالهم اعتقاداً منه بأنهم جواسيس لدوم أنتونيو ، المطالب بعرش البرتغال آنذاك . وبعد فترة في سجون هرمز ، نُفِي الجميع إلى جوا ، حيث بقوا في سجونها إلى أن استطاع الأب اليسوعي توماس ستيفنز (Thomas Stevens) إخراجهم بكفالة على أن يباشروا مهنة التجارة في جوا .

في ٥ أبريل ١٥٨٥م هرب فيتش ، ونيوبري ، وليدز من المقاطعة البرتغالية ووصلوا بعد عدة أيام إلى بلاط (المغول الأعظم) أكبر في فتح بور سيكري .

في فتح بور قام ليدز بالعمل في بلاط أكبر ، وبدأ نيوبري رحلة العودة في ٢٨ سبتمبر ١٥٨٥ م من لاهور إلى القسطنطينية ، ومنها إلى لندن ، أما فيتش فقد عبر نهر الكانج إلى البنغال ، ثم إلى شيتاكونج وبيجو ، وفي النهاية إلى ملقا في ٨ فبراير ١٥٨٨ ، وينتقل مرة أخرى منها إلى بيجو والبنغال ، وكوشين وجوا ، وشول ، وهرمز والبصرة ، ثم إلى حلب عائداً إلى بريطانيا التي وصلها في ٢٩ أبريل ١٥٩١م .

لقد ذكرنا رحلة فتش بشيء من التفصيل لسببين : الأول أنه كان في ترحال في الشرق في نفس الفترة الزمنية ، حتى أنهما كانا في جوا في نفس السنة ١٥٨٩ ، مع علمنا الكامل بأنهما لم يلتقيا فيها .

والسبب الثاني هو إصراره على زيارة المناطق التابعة للنفوذ البرتغالي مثل ملقا وجوا وهرمز وبقاؤه في الأخيرة خمسين يوماً قبل أن يتوجه إلى البصرة . ولإعطاء السبب الثاني أهمية أكثر نجد أنه في ٢٥ فبراير ١٥٨٥م كتب ملك الأسبان من لشبونة إلى نائب الملك في الهند (دوارتي دي منزيس) قائلاً : " أخبرني نائب الملك (دي فرانسسكو ماسكريناس) بأن قائد قلعة هرمز ماتياس البوكيرك أرسل له أربعة من السجناء الإنجليز الذين وصلوا إليها عن طريق البصرة وأثاروا الشكوك في أنهم مرسلون من قِبَل دوم أنتونيو ويحملون رسائل منه ، ولكنهم يدَّعون أنهم من التجار . لقد قام قائد قلعة هرمز بإيداعهم السجن إلى أن نقرر شأنهم ، إنني أعتمد عليك في معاقبتهم بما تراه مناسباً إذا ثبت جرمهم ، وذلك بعد استقصاء الحقائق بصورة خاصة على أن تتخذ الإجراءات اللازمة لمنع حدوث مثل هذا في المستقبل ، وعدم السماح لأمثالهم بالدخول إلى ممتلكاتنا وخاصة هرمز التي نعتبرها المنفذ الذي يمر فيه أمثالهم وسوف تخبرني بما قمت به "

إن أهمية السبب الثاني تبدو لنا أكثر جاذبية الآن خاصة لو عرفنا أن هرب هؤلاء السجناء من السجون البرتغالية في جوا حدث بعد شهرين من وصول نائب الملك ، الذي كتب له الملك فيليب توجيهاته ، لذا نجد استي

الملك من هذا الحادث واضحاً في رسالته إلى نائب الملك في لشبونة في ١٣ فبراير ١٥٨٧م : " إنني مستاء جداً لهرب الإنجليز الذين أخبرني عنهم ماتياس البوكيرك ، وقام بإرسالهم من قلعة هرمز إلى سجون جوا في عهد فرانسسكو ماسكارنياس ، والذين توفى اثنان منهم بعد هروبهم وبقي آخران في مناطق أخرى (أحد اللذين ما زالوا أحياء هو ستوري الذي بقي في جوا وعمل بالرسم ، والثاني هو ليدز ، أما الميتان منهم فالقصد هنا نيوبري ولانعلم عنه شيئاً ، أما فتش فنحن نعلم أنه لم يمت) إنني أطلب منك البحث عنهم وإلقاء القبض عليهم وأن تؤمن وتشدد حمايتهم ، وأن تحقق في ملابسات هربهم ، وأن تجد الأشخاص المشتركين معهم وتخبرني بقرارك " .

بعد عامين من الرسالتين المذكورتين كتب الملك رسالة ثالثة إلى نائبه : " إن ما ذكرته لي عن توقعاتكم بوصول دوم أنتونيو حاكم كراتو السابق ، واحتمال وصوله طرفكم والاستعدادات التي قمت بها قبل حلول الشتاء لحماية مضيق مكا ، صار معلوماً . أما بخصوص الإنجليز الأربعة الذين توجهوا إلى الهند في عهد الكونت دوم فرانسسكو ماسكارنياس والذين اكتشفتم أنهم من التجار وقد توفى ثلاثة منهم وبقي الرابع في جوا وتزوج بها ومارس مهنة الرسم ، فإني أطلب منكم التأكد مرة أخرى عن القصد من زيارتهم " .

ويذكر الملك أسماء هؤلاء الإنجليز في آخر رسالة له بتاريخ ١٢ يناير ١٥٩١ مرسلة إلى نائبه يقول : " بالنسبة للإنجليز الثلاثة والذين هربو إلى الهند واثنان منهم في عداد الموتى ، أود أن أخبركم بأن تطلبوا من الإنجليزي الرابع ، والذي يمارس مهنة الرسم في جوا الآن ، مغادرة المناطق التابعة لي والعودة إلى بلاده في أول سفينة متجهة إلى هناك " .

إننا نذكر هذه الرسائل والأوامر الصادرة من الملك بشيء من الغرابة ، حيث أنه وبرغم إنذارات الملك إلى نوابه نجد أن فتش يقضي فترة في ملقا ١٥٨٨ ويعود إلى كوشين ١٥٨٩م ويبقى فيها سبعة أشهر دون أن يتعرض له أحد من البرتغاليين ومن ثم وصوله إلى هرمز ومغادرته إلى لندن دون اعتقال أو تحقيق .

وربما يرتبط هذا كله بتصرفات شخصية أخرى ذات أهمية كبرى في

وصول الإنجليز والهولنديين إلى الشرق حيث أنه وبعد شهرين من مغادرة رالف فتش وأصدقائه لندن ، يتوجه في ٨ أبريل ١٥٨٣ رجل هولندي يدعى جان هويخن لينشوتين (Jan Huyghen Linscoten) من لشبونة إلى الهند .

لقد كتب هذا الهولندي الكتاب المشهور المسمى (إيتنراريو) أو المذكرات الخاصة والتي نعتقد أن بيدرو تينحسيرا قد قرأه قبل البدء في كتابه ، ومع تواجد الاثنين في جوا في عام ١٥٨٨ إلا أننا نعتقد انهما لم يلتقيا ، ولكن نكاد نجزم بأنه لو لم يكتب الهولندي كتابه ، لكتب تينحسيرا كتاباً مماثلا لذلك .

ورغم أن الهولندي قد غادر كوشن بعدة أشهر قبل وصول فتش إلى البنغال ، إلا أن الأول لم يصل إلى لشبونة إلا بعد ثلاث سنوات في ٢يناير ١٥٩٢م .

ووصل فتش إلى لندن في ٢٩ أبريل أي قبل وصول الهولندي إلى لشبونة ، وقبل ثلاثة أسابيع من مغادرة أول أسطول إنجليزي إلى الشرق تحت قيادة القبطان ريموند (Raymond) والذي استطاعت سفينة واحدة من الثلاث (Edward Bonaventure) إكمال الرحلة تحت قيادة القبطان جيمس لانكستر (James Lancaster) .

إننا نعتقد بأن قرار الإنجليز بإرسال أسطولهم إلى الشرق هو الذي أثار موضوع كتابة الرسائل من ملك الأسبان لنائبه في الهند في ٢٦ مارس عام ١٥٩١م قائلا : " لقد بلغت قبل عدة أيام أن هناك استعداداً في إنجلترا لإرسال السفن إلى جزيرة سانتا هيلانة لانتظار السفن القادمة إليها ، لذا ننصح السفن المتوجهة في ذلك الاتجاه أن تحمل ما يكفيها من الماء وعدم التوقف في هذه الجزيرة . وإذا ما اضطروا إلى التوقف فلتكن (أنجولا) . وعلى جميع السفن الانتظار في كورفو في بحر الأزور ، حتى يتمكن الأسطول من مرافقتهم في رحلة العودة إلى لشبونة " .

ولدينا اليوم وثيقتان برتغاليتان عن رحلة لانكستر . الأولى كتبت بعد سنتين من بدء رحلته إلى الشرق ويقول فيها الملك : " صديقي نائب الملك ، أنا الملك أرسل لك تحياتي ، لقد كتب لي لويس فرنانديس دوارتي [والموجود في بلاط الملك شريف في مراكش] أنه يوجد في مراكش رجل إنجليزي يتحدث عن

مناطق تجارية بعيدة مثل سومطرة وبيجو ، والتي لا توجد لنا قلاع فيها . وأنصح أن نباشر العمل في ذلك وأن نقوم بالتبادل التجاري مع أهالي هذه المناطق . إن هذا الإنجليزي يحاول الحصول على المساعدة من أهل مراكش على المعلومات التي سوف تساعده في الوصول إلى هذه المناطق . ومع وجود الشكوك في تمكنه من ذلك أرجو منك أن تمنع أي إنجليزي من وضع قدمه في هذه المناطق من أجل التجارة . وأن ترتبط بملوك هذه المناطق بمعاهدات صداقة مع دولتنا أو مع الدول الحليفة لنا ، والقريبة منهم "

كُتب بلشبونة في أغسطس ١٥٩٣م

استطراد :

وعليك أن تعلم أن الإنجليزي المذكور قد ذكر لنا أنه ومنذ سنتين غادرت إنجلترا سفن تحت قيادة القبطان تمبرتو (Tembertoe) والذي وصل إلى هناك واستولى على اثنين من الغلايين ، لذا فإنك ترى الآن أهمية ما ذكرته لك ، وسوف تنفذ ذلك " (يذكر السفير الفينيقي في البلاط البرتغالي أن السفن الإنجليزية هاجمت أربع سفن لشركة الهند الشرقية واستطاعت أن تستولي على اثنتين ، وقامت بإغراقهما) .

في الوثيقة الثانية والمرسلة في أول مارس ١٥٩٤ يذكر الملك لنائبه في الهند مايلي : " لقد أخبرتني بأن السفن الإنجليزية قد وصلت إلى تيتانجون وعلى بعد ستة فراسخ من موزمبيق ، وأن الدوم جيرونيمو دي ازفادو منعهم من التزود بالماء . إنني أهنئ الدوم على فعله هذا . وعلمت منكم حالة التوتر التي سببتها هذه السفينة ، والخوف من وصول غيرها . أرجو منك مراقبة الأمور بدقة ومنع مثل هذه السفن من الوصول إلى هذه المواقع ومحاربتها ، واجعل منهم عبرة للآخرين حتى لايجرؤ أحد غيرهم على ذلك ، وأعلم أنك سوف تقوم بذلك " .

لم تكن رحلة لانكستر موفقة كما أرادتها بريطانيا ، وبناءً على نتائجها قرر الإنجليز التريث قبل إرسال أساطيل أخرى إلى الشرق .

ولكن يبدو أن بلاداً أخرى أخذت الفكرة وأرسلت هولندا سفنها الأربع في ١٢ أبريل ١٥٩٥م تحت قيادة كورنيلوس دي هوتمان (Cornegis de Houtman) متجهة إلى أرخبيل الشرق

حاملة معها دليل البحر للهولندي لنشوتين [والذي طبع في نفس العام في هولندا] . ومثل المحاولات البريطانية ، انتهت هذه البعثة بكارثة تذكرها رسالة الملك في ١٣ يناير ١٥٩٨م إلى نائبه في الهند : " إنني قد وصلتني الأخبار من الهند والتي تذكر وصول سفراء ملك هولندا الملك أشين (Achin) إلى نائب الملك ماتياس البوكيرك محاولين عقد معاهدات صداقة وأمور أخرى ، لقد علمت أنهم غادروا الهند خائبين . ورغم أن هذا الملك [أي ملك هولندة] قام بنقل أسقف الصين والبحارة البرتغاليين الذين تحطمت سفينتهم ، وذلك رغبة منه في الصداقة والمودة معنا . مع ذلك أنا في انتظار رسائل ماتياس البوكيرك ومنك أيضاً وأطلب منكم ذلك .

لقد أرسلت لكم رسائل مماثلة عن طريق البر بعد وصول السفن الأربع ، والتابعة لأسفار العام المنصرم ، وقد أخبرتكم في تلك الرسائل عن كل شيء وكيف قام نفس الهولنديين بالتعرض للسفن المذكورة في جزيرة سانتا هيلانة . هذه السفن كانت تحمل الفلفل والأعشاب من سومطرة وجاوة . إنني أعلم أن هولندا سوف ترسل سفناً أخرى إلى هذه المناطق ، وأن ملك هولندا الذي أثاره فشل مهمة سفرائه سوف يحاول مرة أخرى ، لذا أطلب منكم إرسال الأسطول إلى بحر ملقا ليكون مستعداً لمنع مثل هذه السفن من دخول موانئه وأن تحاربهم بكل ما يتطلبه ذلك من قوة وعتاد وألا تمد يد الصداقة لهم " .

وفي رسالة أخرى في ٢٦ يناير ١٥٩٨م يشير الملك مرة أخرى إلى سفراء الملك أشن _ ملك هولندا – ويكتب إلى نائبه أن يبدي الود لهؤلاء السفراء الآن حيث أنه [أي ملك أسبانيا] لا يستطيع أن يعادي ملك هولندا ، خاصة وأن سفن هولندا تجوب الآن البحار التي يسيطر عليها البرتغاليون فيقول : " إنك تذكر أن سفراء ملك هولندا عادوا في السابق خائبين من جوا بعد أن فشلوا في الحصول على مطالبهم في عهد نائب الملك ماتياس البوكيرك ، إنني سوف أرسل له [أي لملك هولندا] وأخبره أنه يستطيع إرسال سفنه الآن وأنهم يستطيعون التعامل في التجارة مع جزيرة سومطرة . ولك أنت والمجلس الحاكم القرار " .

في ١٠ مارس ١٥٩٨م كتب الملك مرة أخرى إلى نائبه في الهند : " إنه

وفيما مضى كان المطلوب من سفننا الانتظار في سانتا هيلانة لفترة من الزمن لا تتعدى العشرين من شهر مايو ، ولقد تبين لنا الآن أن الفترة المذكورة يمكن امتدادها إلى نهاية شهر مايو والسبب في ذلك أن إحدى سفننا أضطرت لمواجهة السفن الهولندية هناك بسبب تأخرها ووصولها وحيدة إلى سانتا هيلانا ، المطلوب الآن الحذر الشديد عند التوجه إلى سانتا هيلانا حتى لا تفاجئهم السفن الهولندية " .

يزداد الوضع تأزماً بين هولندا وأسبانيا مرة أخرى ، لذا نجد بعد أسبوع من الرسالة السابقة ، يوجه الملك رسالة أخرى إلى نائبه في الهند قائلاً : " الكونت والقائد البحري ، صديقي نائب الملك ، والإنسان المحبب لدي بعد أن كتبت لك سابقاً عن هذا الموضوع [بخصوص الهولنديين] وأسفارهم إلى الجنوب . إنني متأكد أنك اتخذت الخطوات اللازمة لإبادتهم في بحر ملقا وأنه أصبح الآن من الضروري إرسال سفينة أو اثنتين إلى هناك - بدلاً من أن تأخذ اثنتين من خمس سوف تتوجه ليكم هذا العام - وسوف يتوجه إليكم كوزمو دي لافيتا (Cosmo de Lafeta) الذي سوف يكون مسئولاً عن السفن المرسلة إلى ملقا لقطع الطريق على الهولنديين ، ويبدو لنا أن إنجاز هذا الأمر سوف يكون أسرع بإرسال سفينة من جوا إلى ملقا بدل الانتظار لكي تنفذوا هذه الأوامر المرسلة لكم والتي أهم شيء فيها تحقيق رغبتي وعدم الاهتمام بأي شيء آخر ، والوصول إلى هدف تحطيم هذا التدخل وصيانة كرامة سفننا "

وقعت هذه الرسالة بواسطة الأمير في ١٧ مارس ١٥٩٨م وذلك لشدة مرض الملك الذي توفى في ١٣ سبتمبر من نفس العام .

وعندما كانت السفن البرتغالية جاهزة للتوجه إلى الهند حاملة الرسائل الملكية المغلقة إلى نائب الملك في ٥ أبريل ١٥٩٨م أرسل سكرتير الملك الملحق التالي مع هذه السفن ،وبأمر من حاكم البرتغال : " وفي يوم مغادرة السفن وصلتنا رسالة من جزيرة ماديره تخبرنا عن توجه الأسطول الهولندي إلى الجنوب . لذا وجب عليك حسب تعليمات الحاكم أن تقوم يا صاحب السعادة بالاحتياط اللازم في خليج انتاو جل (Antao Gil) ، في جزيرة ساو لورنسو (Sao Lourenco) . وعليك بمعاقبة البرتغاليين الذين تسببوا في حوادث جزيرة جاوة الكبيرة ، خاصة

أصحـاب الأسمـاء المذكـورة في نهايـة الفقرة ، ومرفق مع هذه الأوامر ، أوامـر أخرى سوف يقـوم بتنفيذهـا كوزمـو دي لافيتا " .

كُتبت بواسطة سكرتير حاكم البرتغال
- دييجو فيلو (Diogo Velho)

لقد كانت الرسالة التي وصلت مـن جزيـرة مـاديره ، تحمـل المعلومـات الآتية :

ملخص لرحلة السفن الهولندية

خليج انتاو جل الواقع قرب جزيرة س. لورينسو والـذي يوجـد علـى موقـع ١٦° شرق الجزيرة المذكورة ، وهو خليج متسع وتقع فيه عدة جزر صغيرة إحداها شديدة الارتفاع . ويوجـد خلفهـا موقـع مناسـب لرسـو السـفن . وهـذه الجزيـرة المذكورة مسكونة وتنتج كمية كبيرة مـن الفواكه مثل البرتقال والحمضيات وفيهـا أعداد كبيرة من الحيوانات مثـل الأبقـار والأغنام وبها مائتا منزل .

في خارج هذا الخليج تقع جزيـرة سانتا ماريا والتي وجد فيها الهولنديـون الفواكـه والسـمك . ولقـد واجههـم تيـار مائي قوي في المضيق الواقع بـين جزيـرة جاوة الصغيرة وجزيرة بالي ، منعهم مـن التوقف . فتوجهوا مـن جزيـرة بـالي إلى الغرب والجنوب الغربي حتى وصلوا إلى بنتـاو (Bentao) في جزيـرة جـاوة الكبيرة حيث حملـوا سـفنهم بالبضـائع لقـد قـابل الهولنديـون الكثـير مـن البرتغـاليين في جزيـرة جـاوة الكبـيرة والذين قاموا بالـترحيب والاحتفـاء بهـم وزودوهـم بالمعلـومات وبالأسـرار التجارية ، خاصة عن الفلفل الأسود وما قد يعود به من ربح إذا هم تاجروا به .

ونذكـر مـن البرتغـاليين بيـدرو دي أتيد (Pidro de Attide) مـن ملقـا الذي أخبرهم بما يحـاك لهـم سـراً مـن قِبَل البرتغاليين ، وحذرهم مـن المخـاطر التي تنتظرهم من أهل جاوة إذا ما نفذوا تهديدهم ، ولذلك نجـد أنـه وبمسـاعدة هـذا البرتغـالي وغـيره عـادت السـفن الهولندية من هناك سالمة " .

لقـد كـان فشـل البعثـة الإنجليزيـة الأولى هـو الدافـع الرئيسـي وراء البعثـة المكلفة من قِبَل الملكة اليزابيث ، والـتي تكونـت مـن ثـلاث سـفن تحـت قيـادة السـير روبـــرت دودلي في عـام ١٥٩٦م (Sir Robert Dudley) ، الـذي كـان يحمـل رسـالة إلى امـبراطور الصـين . وكـانت السـفن البريطانيـة الثـلاث [ذا

بير - وبيرويلب - وبنجامين] هي ثالث مجموعة من السفن البريطانية تحاول أن تجد طريقها إلى الشرق ، ولم تفلت هذه السفن من العين الراصدة للأسطول البرتغالي . لذا نجد أن الغرفة التجارية في جوا تكتب للملك في ديسمبر ١٥٩٧م مايلي : لقد قضى الكونت نائب الملك الشتاء في مومباسا ، ولقد وجد حالة الاستعداد البحري مزرية جداً ، ولذلك أخذ في الإصلاحات البحرية وطلب بناء السفن الخفيفة والسريعة ، ولقد أبلغه قبطان قلعة موزمبيق بأنه شاهد في يوليو الماضي سفينتين إنجليزيتين في البحر المقابل لقلعة موزمبيق ، مما دعا الكونت نائب الملك أن يعجل بإنزال الأسطول إلى البحر إضافة إلى شراء سفينة كبيرة بمبلغ ستة عشر ألف باردوس (Pardaos) وسفينتين ملكيتين كبيرتين وتسع سفن صغيرة قام أيضاً بشرائها لعدم تواجد سفن تابعة لصاحب الجلالة آنذاك في أحواض السفن ولقد تم تجهيز ستمائة مسلح تحت قيادة لورينسو دي برتو ، وتوجه الجميع في ٢٠ سبتمبر إلى ملقا لاعتقادهم أن العدو د توجه إلى هناك وسوف يتخلص منه سطولنا . نود أن نبلغ جلالتكم أن تصرفات نائب الملك كانت عظيمة ، خاصةً إذا علمنا أنه في السنوات الماضية قامت السفن الإنجليزية في البحار الجنوبية باحتجاز سفينتين تابعتين لنا كانتا متوجهتين إلى البنغال ولم نسمع عنهما شيئاً ، لذا نطلب منكم يا صاحب الجلالة إمدادنا بالمال والرجال والعتاد وبأسرع وقت ممكن " .

ويكتب الأب جو دي سانتوس من موزمبيق مؤرخاً هذا الحدث في كتاب (أثيوبيا الشرق) :

" عندما وصلنا إلى موزمبيق ، كان القلق مسيطراً على أهل البلاد ، وكانوا في خوف عظيم من وصول الأسطول الإنجليزي ، وذلك بسبب المعلومات الواردة عن طريق البر من البرتغال إلى الهند والتي قام حاكم الهند مانويل ديسوزا بإبلاغها إلى القلاع البرتغالية .

لقد انتقل أهل البلاد بمتاعهم ومحاصيلهم إلى القلعة التي أصبحت مزدحمة _ زيادة على دعوة قائد الحامية دوم هورنيمو دي أيزفيدو (Dom Hieronymo de Azevido) لقائد مالندي براس دي أجويار (Bras de Aguiar) بالانسحاب من قلعته إلى موزمبيق .

لقد وصل الأخير في سفينتين مع رجاله وبارجتين محملتين بالمؤن ، ومع كل التوقعات والاستعدادات لم يصل الإنجليز إلى موزمبيق إلا بعد سنتين ، وفي سفينتين فقط (في ١٣ يونيو ١٥٩٧) توجهتا إلى البحر الجنوبي - إلى ملقا - علماً بأنه في عام ١٥٩١ - أي قبل ست سنوات - زارت موزمبيق سفينة إنجليزية واحدة فقط ، وكانت أول سفينة إنجليزية تتوجه إلى الهند منذ عهد فرنسيس دريك . هذه السفينة المذكورة توقفت في تيتانجون [مورد مائي مشهور] وتزودت بالماء في ٢٧ أكتوبر وتوجهت بعد ذلك إلى ملقا .

أما كوتو (Couto) فهو يذكر هذه الأحداث بعد وصوله إلى جوا في موزمبيق في ١٩ أغسطس ١٥٩٧ .

" لقد نقل قبطان هذه السفينة رسالة من قبطان القلعة في موزمبيق والتي يذكر فيها أن سفينتين هولنديتين (إنجليزيتين) وصلتا إلى ميناء تيتانجون على بعد خمسة فراسخ من موزمبيق وتزودتا بالماء . وبدا له أنهما متوجهتان إلى سوندا . لقد قلق الكونت والمدينة وأهلها لمثل هذه الأخبار وطلب الحاكم - حاكم جوا - انعقاد المجلس ودعا إليه الضباط والأسقف الأب اليكسيو دي منزيس ، وكل الضباط المتقاعدين وأطلعهم على هذه الرسالة ، وأخبرهم بخطورة الأمر فيما لو وصلت هذه السفن إلى ملقا ، خاصة وأنهم ربما يثيرون البلاد المجاورة ضد قلعة ملقا . ويتعرضون لتجارة الصين واليابان والهند . ولقد أخبر الكونت المجلس أنه على استعداد لتنفيذ قراراته (المجلس) لأنه لديه ما يكفي من الغلايين والرجال والعتاد ، وسوف يدافع عن حق الملك ، وأنه قد جاء إلى الهند للدفاع عنها وليس للراحة . وطلب من أعضاء المجلس إعطاءه رأيهم كتابياً بما يرضي الله والملك ، في اليوم التالي جاء الجميع وأعطوه آراءهم مكتوبة ، واتفقوا على إرسال سفينتين كبيرتين وثلاث عشرة سفينة أخرى ، وخمسمائة من الرجال المسلحين . وكان ذلك في اعتقادهم يكفي للبحث عن هذه السفن - الهولندية - وتأمين المسارات البحرية للصين واليابان .

وبعد الاتفاق ، توجه القائد البحري العام ، الكونت نائب الملك إلى حوض السفن الخاص بالأسطول ونظراً لعدم وجود المشرف المسئول (وذلك لأن المسئول الذي عين في عه-

ماتياس البوكيرك – فيسينسيبو دي بوني قد توجه إلى البرتغال في يناير ١٥٩٧ بعد أن أبلغ بوصول الكونت القائد العام إلى جوا) وكان الكونت غير راغب في تعيين أحد في هذا المنصب لأنه أراد الاحتفاظ به لنفسه ولكن وفي هذه الظروف قام بتعيين دي فرانسيسكو دي نورونها (D. Francisco - de Noronha) مسئولاً طالما بقيت مسئولية الأسطول المذكور . وعين أخاه دي لويس دا جاما (D. Luiz da Gama) مسئولاً عن مخازن السلاح والذخيرة ، وعين دي أنتونيو دي ليما (D. Antonio de Lima) مسئولاً عن مخازن المؤن . وطلب من ضباط الجمارك مساعدته وإطاعة أوامره .

وعين لورنسو دي بتو قائداً عاماً للأسطول المزمع إرساله إلى ملقا . ولم يستقر نائب الملك حتى أكمل كل التجهيزات اللازمة ، ودفع ثلاثة أرباع أجر كل جندي وعامل على هذا الأسطول . ونتيجة للسرعة التي لازمت الاستعدادات ، جُهز الأسطول المذكور الذي استقل سفينته الكبرى القائد العام ، واستقل السفينة الثانية القبطان بيريرا كوتينو (Pereira Cotinho) أما الباقي فواحدة للقبطان د. لويس دي نورونا ابن كوند دي ليناريس والذي جاء إلى البرتغال عام ١٥٩٥م حاملاً معه لقب القائد البحري ، وسفينة أخري بقيادة جورينمودي نورونها ، ابن أنتونيو دي منزيس . هذا بالإضافة إلى سفينة أخرى في انتظار الأسطول في ملقا مع قبطانها روي دياس دي أجواير . أما السفن الصغرى وعددها تسع بقيادة القبطان دي فرانسيسكو هيرنيكي (D. Francisco - Herniques) وهو قبطان قلعة ملقا ، والقبطان استيفادو تينحسيرا دي ناسيدو (Estevado Teixcira de Nacedo) وهو قبطان قلعة موزمبيق ، وألفونسو دي منزيس ابن فرانسيسكو دي سيلفا دي منزيس ، ونيكولاو بيريرا دي ميرندا ابن هنريك هنريكور دي ميرندا ، ولويس لوبيز ديسوز ، جيرونيمو يوثيلو ، وجورج دي ليمابارتو دي – ديجولوبو ابن دي رودريجو لوبو ، وجو د. سينحاس .

غادر الأسطول جوا في يوم الأحد الرابع والعشرين من سبتمبر . أما عن السفن الهولندية (الإنجليزية) فإنها وبعد تزودها بالماء في تيتانجون توجهت إلى قبالة جوا ، ومنها إلى ملبار إلى رأس كوميريم وهناك احتجزوا السفن التجارية المتوجهة من جوا إلى البنغال ، ومحملة

بالأرز . وبعد صدام معها صادروا حمولتها وسرقوا مبالغ كبيرة من المال ، ولكنهم أطلقوا سراحهم بعد ذلك وأرسلوهم في طريقهم متوجهين إلى ملقا – ووصلوها كما سوف نرى لاحقاً .

ويذكر كوتو عن الأسطول البرتغالي – المرسل لتعقب اسطول الهولنديين – بأن هذا الأسطول أي البرتغالي وصل إلى ملقا في ٢٤ سبتمبر ١٥٩٧ ماعدا سفينة واحدة بقيادة لويس لوبيز ديسوزا والتي تحطمت قرب منار ، ولكن التحق القبطان والجنود بسفينة أخرى والتحقوا بالأسطول البرتغالي في ملقا .وبلغت أنباء السفن البرتغالية إلى القبطان البحري لورينسو دي برتو في ملقا وأخبر بأنها متواجدة في رأس كوميريم ، قام القبطان البحري بدعوة مجلس الحرب للانعقاد ، فقرر المجلس بكل أصواته بأنه يتحتم على القبطان البحري التوجه بكامل أسطوله إلى سوندا وساحل جزيرة جاوة لتأديب السكان المحليين الذين ثاروا على الوجود البرتغالي المسيحي فيهما وسرقوا ممتلكاتهم .

هذا إلى جانب دعوة ملوكهم إلى عدم الاتصال بأية قوة أوروبية أخرى إذا ما دخلت سفنها إلى موانئهم ، ومن ضمن التوجيهات إلى القائد البرتغالي بأنه يتحتم عليه إلقاء القبض على اثنين من الإنجليز في جزيرة بالي [الحقيقة أن الكاتب هنا يخطئ كل مرة ويسمي الهولنديين إنجليزا حيث يؤكد المترجم بأن المذكورين هما هولنديين تخلفا عن أسطول هولندا الذي قاده هوتمان إلى تلك الأراضي في ١٥٩٧م ولم يلحقا بالأسطول عند مغادرته جزيرة بالي وبقيا بين الوثنيين فيها] .

عندما غادر الأسطول بأمر نائب الملك طلب منهم الأخير عدم التعرض لأية سفينة متجهة إلى سوندا وجاوة ورغم ذلك قام القائد العام للأسطول بمصادرة أغلب محتويات السفن التي صادفها في طريقه ، فسبقته هذه السفن إلى المكانين المذكورين وأخبرت الأهالي بما حصل لها ، فاستعد الناس لوصول أسطول البرتغال .

عند وصول الأسطول إلى سوندا أرسل القائد سفنه الصغيرة للتزود بالماء ولكن منعهم الأهالي من ذلك ، فنزل كثير من بحارة الأسطول وضباطه إلى الساحل فحاصرهم الأهالي وقتلوا الكثيرين منهم بما فيهم القادة الثلاثة د. لويز ، و د. جورينمو د. نورونها .

وروي دياز أجويـار . ولم تستطع سفن الأسطول التدخـل لصعوبـة مناورتهـا نتيجـة الحمولـة الكبيرة والمصادرة مـن السفن الأخـرى ونـزول أغلـب البحـارة المدفعيين إلى الساحل . ولم ينزل القائد الأعلى لإنقاذهم ، وذلك لصعوبة الأجواء وهيجان البحر حول الجزيرة . وبدخـول موسم الأمطـار (المانسـون) لم يتمكـن القـائد البحـري لوريـنـو دي بريتـو مـن الانتقام من الأهـالي ، أو الحصول علـى الهولنديـين ، فغـادر المينـاء إلى ملقـا ، ووصل إليهـا في ١٠ يوليـو ١٥٩٨ وبقـي فيها إلى يناير من العـام التـالي متوجهـا إلى جوا ، وقبل مغادرته حـاول البحـث عـن البريطـانيين المذكوريـن ، ووصلتـه أنباء بأنهما قد تسـلقا سـفينة راسية في ميناء كويدا على بعـد ستة فراسخ مـن ملقا ، ولكنه لم يتوجـه لاعتقـالهم رغـم مطالبـة قـائد حاميـة ملقـا والضبـاط المرافقين . عندهـا أرسـل نـائب الملـك يأمره بالتوجه إلى جوا ، وبمجرد وصوله إلى هناك أخبره سكرتير نائب الملك بـأن عليه التوجه إلى منزل للإقامـة الجبريـة حتى يتم التحقيـق في بعـض المخالفـات لتي ارتكبها .

وقـرر نـائب الملـك دعـوة المجلـس حاكم لنظر القضية وإصدار الحكم فيها ولم يقبل أعضاء المجلس بذلك ولأسباب خاصـة قـرروا إحالتهـا إلى المحـاكم العادية قبل أيـة قضيـة أخرى ونتيجـة لذلـك حكمـت المحكمـة علـى القـائد المذكور بغرامة مالية كبيرة وتعيينه قـائدا على حامية (سفالة) . يقول كوتو : " إن نائب الملـك أرسـل لوريـنـو دي برتـو قائداً لحاميـة سفالة وذلـك بعـد إعـادة الاعتبار له وتبرئتـه مـن التهـم الموجهـة إليـه ، وبعـد ثلاثـة أعـوام عـين قـائداً لحامية موزمبيق ، حيث قاد في ١٦٠٩م حملـة تأديبية ضـد عـدد كبيـر مـن (الكفرة) (يبدو أن الكفرة مسمى محلي للسكان وربمـا كـانت هـذه التسـمية مـأخوذة مـن العـرب القيمـين هنـاك للسـكان الأصليـين) وخسـر فيهـا المعركة ، وكانت خسائره البشرية كبيرة جداً ممـا أدى إلى تجريـده مـن أوسمتـه ورتبتـه ، وكـانت تلـك هـي نهايتـه العسكرية .

ورغم فشل أسطول لوريـنـو برتـو في تحقيق مطالب نائب الملك فقـد استطاع أسطول برتغالي آخر تحقيق ذلك دون أن تكون مسئوليته القيام بهذا العمل .

فقـد كتب كوتـو مـرة أخـرى : " بينما كان لوريـنسـو برتـو في سـوندا لم

يكن أولئك الذين في ملقا يدركون قرب الأسطول الهولندي (الإنجليزي) منهم ، وبينما كان الأسطول البرتغالي المتوجه إلى الهند من ملقا يستعد للإبحار (كان هذا الأسطول مكوناً من سفينة ماجويل دي كونها الذي كان سينقل الضابط المسئول عن حامية ملقا لانتهاء فترة عمله والذي كان يدعى فرانسيسكو دا سلفا دي منزيس ، وكان في نفس الوقت قائداً لهذه السفن في طريقها إلى جوا . وكانت هناك سفينة أخرى في الصين وقبطانها فيرناد دي أليدا وعدة سفن أخرى) .

قبل مغادرة هذا الأسطول ملقا توجه القبطان جوجومي فايو - يسبقه بيوم واحد - إلى الهند في اليوم التاسع وعلى بعد ثلاثين فرسخاً من ملقا وقرب جزيرة بولو بار سيلار ، شاهد سفينتين هولنديتين (إنجليزيتين) ، فعاد أدراجه متوجهاً إلى ملقا مرة أخرى ومرسلاً (بلم) في المقدمة لينذر الأسطول المتواجد فيها بقرب أسطول العدو ويخبر فرانسيسكو دا سلفا دي منزيس عن هذا الأسطول . بوصول هذا النبأ ، قام القائد المذكور بجمع كل الضباط المتواجدين لاستشارتهم حيث قرروا عدم التوجه إلى الهند والصمود لمحاربة سفن العدو .

عادت السفن البرتغالية إلى ملقا وكانت في مقدمتها سفينة (جوجومي فايو) .

ما إن شاهدت سفن العدو السفن البرتغالية حتى رفعت الأعلام الملونة والبيضاء بدعوى أنها سفن تجارية قادمة إلى الميناء . ورست هذه السفن قرب سفينة جوجومي فايو . وما هي إلا ساعات حتى اشتعلت حرب المدفعية بين الأسطول البرتغالي وبينها فقد فيها أسطول العدو العتاد وأصيبت سفنه وقتلت ابنة فرانسيسكو دا سيلفا دي منزيس وخادمتها بقذيفة مدفع ، وانفجر مخزن البارود لقائد الأسطول المعادي وفر هذا الأسطول المصاب إصابات سيئة من ميدان المعركة . وأرسل الأسطول البرتغالي رسله إلى ملقا لإخبار حاميتها بالأحداث ونتائجها ، وتوجه بعد ذلك إلى كوشن .

أرسل قائد حامية ملقا سفنه للبحث عن أسطول العدو فوجدوه في ميناء كويدا وقد أصيبت سفنه ، وقتل الكثيرون من بحارته وجرح عدد كبير من الباقين ، وغادر الأسطول الإنجليزي

ميناء كويدة أوكده في سفينة القائد متوجهين إلى البنغال .

الهولنديون في الشرق

في عام ١٥٩٨م توجه أول أسطول هولندي إلى الشرق ، وكانت سفينتا القيادة (الأسد واللبوة) تحت قيادة الرهيب كورنيلوس دي هوتمان (Cornelis de Houtman) ، والربان الرئيسي رجل إنجليزي يدعى جون ديفس (John Davis) والذي يعتبر الوحيد الذي كتب عن هذه الرحلة والتي هلك فيها القائد الأعلى وكثير من مرافقيه .

بدأت هذه السفن الإبحار من فلشنج (Flushing) في ١٥ مارس ١٥٩٨ ووصلت في ٢١ يونيو ١٥٩٩م إلى ميناء أشن ، ويعتبر الميناء الرئيسي لتجارة الفلفل الأسود في أرخبيل الملايو . وكانت هذه السفن أول سفن أوروبية بعد البرتغاليين تصل إلى هذا الميناء . وكانت بهذا أول محاولة لكسر الاحتكار البرتغالي . ولكن ولسوء الحظ انتهت بكارثة عظيمة .

ولقد كانت نصائح الملك الدائمة في أسبانيا والبرتغال ، أن يقوم رعاياه بمعاملة ملك أشن معاملة جيدة وهذا إنعكس على الهولنديين عند وصولهم إلى هذا الميناء . ويذكر كوتو تفاصيل الأحداث كما يلي : " قبل أن يغادر دي لويس دي جاما إلى هرمز ، جاء إليه سفراء من أشن وقام باستقبالهم احسن استقبال ، وفي أبهة زائدة ، وبحضور كل الضباط والشخصيات الكبيرة المتواجدة في جوا آنذاك . وقد أجزل لهم العطاء ورعاهم لحين موعد مغادرتهم إلى أشن ، لا أعلم الغرض من زيارتهم ولم يتم تسجيل الزيارة في سجل الدولة (كوتو يعتبر مؤرخاً للهند في تلك الفترة الزمنية ، وله حق الإطلاع على السجل) . على كل حال ، لقد عادوا راضين عن زيارتهم في ٣ مايو ١٥٩٩م . عادوا إلى ملكهم حاملين له الهدايا في سفينة كبيرة يقودها لويس ماسيدو بوتو (Luiz Machedo Boto) " .

في ٣ أكتوبر ١٦٠٠م وصل إلى جوا نائب الملك المعين حديثاً إيرس دي سلدانا (Aires de Saldanha) ،

وتوافق ذلك مع مغادرة الأساطيل جوا (هذه الأساطيل غادرت بأمر من نائب الملك السابق دي جاما) .

بعد مغادرة سفينة السفراء وصلت إلى قلعة ملقا حيث نزل منها السفراء واستقبلوا أحسن استقبال ، حيث كان ذلك سوف يؤدي إلى الأمن والسلام لهذه الحامية ، خاصة إذا ما علمنا أن الملك أشن قد هاجم هذه القلعة عدة مرات ومنع عنها سفن الصين واليابان .

قام قائد حامية ملقا فرنو دي البوكيرك ، بإرسالهم إلى بلادهم بصحبة ألفونسو فينسنت ، حيث كان معروفاً لدى الملك ، ويرافقه الأب أمارو من رهبان الأب القديس أغسطين ، لعلمه باللغة وقيامه بالترجمة .

عند وصول سفينة ملقا إلى هناك وجدت سفينتين هولنديتين في ميناء أشن . هذه السفن هي نفس السفن التي اشتبكت مع سفن د. جورتيمو كوتينهو في جزيرة سانتا هيلانا .

ودخلت سفينتنا الميناء ، ونزل سفراء الملك ومعهم سفيرنا وكثير من المرافقين وعدد كبير من المستقبلين ، أرسلهم الملك لذلك وتمت مقابلة الملك ، وأكرم وفادتهم ، وفرح بالهدايا المرسلة من نائب الملك في جوا .

انتهز الفونسو فينسنت خلوته مع الملك والترجمان وطلب من الملك دعوة البحارة وضباطهم المتواجدين في السفن الهولندية إلى وليمة ، والتخلص منهم جميعاً وقتلهم حيث أنهم قراصنة (ويذكر جون ديفيس أن الملك أخبر دي هوتمان بما طلب منه البرتغالي ، وأبدى رغبته في التعاون معه ، وأهداه كيساً من الذهب) ، وطلب منه مساعدته ضد أسطول ملك جوهر (مملكة في الطرف الجنوبي من ملقا) وكان في حالة حرب معه .

استعد أسطول ملك أشن لمهاجمة أسطول ملك جوهر ، والتحق الأسطول الهولندي به مقابل شحنة كاملة من الفلفل الأسود . ومن مختلف المصادر توجد ثلاث روايات تذكر مصير الأسطول الهولندي . الأولى منها تؤكد دعوة الملك للقائد الهولندي وقياداته إلى وليمة حسب طلب القائد البرتغالي الفونسو فينسينت ، وأهلكهم جميعاً . أما الرواية الثانية فتؤكد موت الطاقم الهولندي بالسم الذي دس لهم في النبيذ على ظهر السفينة . والرواية الثالثة

وكتبها جون ديفيس ويؤكد فيها الرواية الثانية ، ولكنه يذكر أن العدد المتبقي من الهولنديين كان صغيراً ، لذا قام بإغراق إحدى السفينتين وأبحر بالثانية .

في أول مايو ١٥٩٨ أبحرت ثماني سفن تحت قيادة جاكوب كورنيلز فانيك (Jacob Cornelisz Van Nick) و ويبراند فان واريجيك (Waybrand Van Warwijek) وغادرت هذه السفن ميناء تيكسل (Texel) متجهة إلى الشرق ، وصل ثلاث منها في نوفمبر إلى بنتام والخمس الباقيات بعد شهر من ذلك التاريخ . في ١١ يناير ١٥٩٩ غادرت أربع سفن منها تحت قيادة فانيك مارة بسومطرة ، وبعد توقف في سانتا هيلانة ، وصلت إلى تيكسل مرة أخرى في ١٩ يوليو ١٥٩٩م .

أما السفن الأربع الباقية ، فقد غادرت بنتام في ٨ يناير ١٥٩٩ تحت قيادة فان واريجك وجاكوب فان هيمسكرك (Jacob Van Heemskerk) وصلت أمبووينا في ٣ مارس (بعد أن تعرضت في الطريق لاعتداء من أهالي جزيرة أريسابايا وفقدت عدداً من الرجال غرقاً واسترجعت بعض السجناء مقابل دفع غرامات مالية) .

في ١١ مارس غادرت اثنتان من السفن الأربع تحت قيادة فان هيمسكيرك ووصلت إلى باندا ، وفي ٥ يوليو عادت إلى بانتام ومنها إلى سانتا هيلانا . في أول يناير ١٦٠٠م غادرت هذه السفن سانتا هيلانة ووصلت إلى تيكسل في ١٩ مايو ١٦٠٠م . أما السفن الباقية وتحت قيادة فان واريجيك فقد وصلت في سبتمبر ١٦٠٠ إلى تيكسل . وقد نشرت الصحيفة اليومية خبر الرحلة التي قامت بها السفن الثمان إلى الشرق .

ويبدو أن معركة بحرية كبيرة قد وقعت قرب جزيرة سانتا هيلانا ، سقط فيها العدد الكبير من القتلى من الهولنديين والبرتغاليين . وتذكر المصادر البرتغالية بأنه ما إن غادرت السفن الهولندية هذه الجزيرة حتى ابتدأ البحارة البرتغاليون بعملية إصلاح السفن ، وبعد خمسة أيام من مغادرة أسطول هولندا (في ٣٠ أبريل وصلت السفينة نوسا سنيورا داباز . وفي ٣مايو وصلت السفينة كونسيساو . وفي ١٦ مايو وصلت سفينة القيادة في جوا وأخبرهم

دييجو ديسوزا عن المعركة مع الهولنديين وساعدوه في إصلاح السفن . وفي يوم وصول سفينة القيادة ، وصلت سفينتان من أسطول هولندا ، ولكن بعد رؤية سفن البرتغال ابتعدتا عن الميناء الرئيسي إلى جزء آخر من الجزيرة ، ولم تكن الرياح مناسبة لمهاجمتهم . وقد أهمل دي جورنيمو كوتينهو وصولهم في البداية ، ولكنه أبدى استعداده لمهاجمتهم إذا ما كانت الظروف مناسبة .

أرسل قبطان السفن الهولندية رسله لمقابلة قائد السفن البرتغالية وطلب المساعدة في الحصول على الماء ، ورفض القائد البرتغالي ذلك مدعياً أنهم إذا كانوا فعلاً أصدقاء ، فعليهم الاقتراب بسفنهم منه (وكان يقصد تدميرهم) .

في ٢١ مايو ، وصلت السفينة التي يقودها د. فاسكو دا جاما (D. Vasco da Gama) وأطلق مدافعه على السفن الهولندية فاضطرت إلى مغادرة الجزيرة (سانتا هيلانه) وأبحرت إلى سواحل غينيا ، ويذكر البحار المرافق للسفن الهولندية أنهم لم يبحروا إلى سواحل غينيا ، بل واصلوا رحلتهم إلى هولندا وقد أصابهم العطش الشديد . أما عن الأسطول البرتغالي فقد فشل في البحث عن السفن الهولندية ، فتوجه إلى جوا بقيادة دي جورينمو كوتينهو .

إلى جانب السفن الهولندية المتجهة إلى الشرق حول رأس الرجاء الصالح ، فقد أرسلت هولندا أسطولين في اتجاه الجنوب الغربي وكان الأسطول الأول مكوناً من خمس سفن تحت قيادة جاكس ماهيو (Jacques Mahu) وسيمون دي كورديس (Simon de Cordes) وكان القائد البحري وليام آدم (William Adam) في إحدى هذه السفن .

استطاعت هذه السفن الوصول إلى موانئ اليابان بعد إبحارها من روتردام في ٢٧ يونيو ١٥٩٨ . وقد انتهت سفن هذا الأسطول إلى كارثة عظيمة . وقد ذكرت تفاصيل هذه الكارثة في عدة مصادر ، ولكننا سوف نعتمد على مصدر كوتو لدقته .

في عام ١٦٠٠ وصلت إلى جزيرة اليابان سفينة هولندية وتوجهت إلى ميناء شاتيفاي (Oita) في مملكة بانجو وحيث كانت الرياح غير مناسبة في هذه الفترة من السنة ، فإنها وفي اعتقاد التجار هناك لم تأت من الصين أو

الفلبين ، ولكن من (أسبانيا الجديدة) ونعتقد أنها كانت متجهة إلى مكان آخر ولكن دفعتها العواصف إلى اليابان ، فأرسل التجار البرتغاليون المقيمون في الميناء إلى ملك شاتيفا يطلبون منه الاستعداد للمساعدة إذا ما تطلب الأمر ذلك . في نفس الوقت توجهوا إلى السفينة في عرض البحر وما إن وجدوا بأنها هولندية حتى عادوا مرة أخرى إلى الميناء . وما إن بلغت أنباء هذه السفينة إلى البرتغاليين المقيمين في نجازاكي ، حتى أرسلوا إلى تيرازافا (Tirazava) حاكم هذا الإقليم يخبرونه أن بحارة هذه السفينة (من اللوثريين أعداء البرتغال) وأعداء للمسيحية كلها ، فاتجه حاكم الإقليم إلى بنجو وطلب من السفينة الهولندية دخول الميناء ، وأنزل حمولتها ودون كل ما بها في دفاتر رسمية ، تذكر لنا هذه الدفاتر مايلي :

- اثنا عشر صندوقاً من الأقمشة الصوفية
- صناديق كريات الزجاج - مرايا ونظارات - خمسمائة بندقية - وخمسة آلاف من الكريات الحديدية - وثلاثمائة طلقة - وبراميل بارود - وثلاثة صناديق تحتوي على معاطف خاصة - مسامير حديدية - مطارق وأشياء أخرى مختلفة . ويبدو من ذلك أنهم قد جاءوا فاتحين ويريدون الاستقرار ، وأخبروا الحاكم بأنهم جاءوا للبحث عن السفن الهولندية التي غادرت هولندا في ١٥٩٩ متجهة إلى سوندا ومالوكو ولا يعلمون أي شيء عنها حتى الآن .

ويواصل كوتو روايته ، ويذكر ما حدث لهذه السفن كما يلي :

" في عام ١٥٩٨م خرجت خمس عشرة سفينة من هولندا (روتردام) متجهة إلى الشرق ، وكانت تبحر في تشكيلة واحدة حتى وصلت إلى ميناء غينيا ، وانقسمت هناك إلى ثلاث مجموعات ، عبرت إحداها رأس الرجاء الصالح ، واتجهت إلى سوندا ، ومن هناك اتجهت اثنتان منها إلى ميناء أشن ، ولا نعلم ما حدث لباقي الأسطول . أما السفينة الثالثة والتي كانت تحت قيادة بلشازار دا كوردا (Balhazar da Corda) (في الحقيقة يخطئ كوتو هنا والاسم الصحيح للقائد هو جاكس مايهو والذي بعد وفاته أصبح سيمون دا كوردا قائد السفينة) هذه السفينة اتجهت إلى أنجولا ، ومنها إلى مضيق ملجاس وبعدها إلى إحدى الجزر حيث قتل عدة

رجال منهم بحثاً عن الماء . ومن هناك اتجهت إلى قلعة شيلي في بيرو ، فقاموا باقتحام القلعة وقتل ساكنيها ، فقام الأسبان بالهجوم عليهم في الداخل وقتلوا خمسة عشر منهم ، وفر الخمسة الباقون إلى سفينتهم .

في عام ١٥٩٨ اتجه ثاني أسطول هولندي إلى الشرق الأقصى . وكان هذا الأسطول مكوناً هذه المرة من أربع سفن تحت قيادة أوليفر فان نورت (Olivier Van Noort) ، وأبحر هذا الأسطول في ١٣ سبتمبر من ذلك العام . وقد صادف الرحالة تينحسيرا (وهو في طريقه من مانيلا إلى أكابولكو في ٢٤ نوفمبر ١٦٠٠م) سفينتين من هذا الأسطول ، نجا منهما بأعجوبة . ولكن اشتبكت هذه السفن في معارك ضارية قرب الفليبين مع السفن الأسبانية في ٢٤ نوفمبر و١٤ ديسمبر ، وفقد كل طرف سفينة واحدة . واتجه فان نورت من هناك إلى بورنيو حيث وصل إليها في ٢٦ ديسمبر وبقي بها حتى ٤ يناير ١٦٠١ ومنها إلى جاوة وسانتا هيلانه ، وأخيراً روتردام في ٢٦ أغسطس ١٦٠١ وكان أول هولندي يبحر حول العالم .

وبينما كان الهولنديون يضاعفون من أساطيلهم إلى الشرق في عام ١٥٩٨ ، لم يتمكن البرتغاليون من إرسال أية سفينة ، خوفاً من الأسطول الإنجليزي الذي ينتظرهم ليدمرهم ، ولكن كان حظ البرتغال أفضل من ذلك في عام ١٥٩٩ حيث يذكر كوتو : " وصلت أنباء إلى البرتغال بأن هولندا تهيئ عشر سفن للإبحار إلى الهند ، في هذا العام قامت حكومة البرتغال ممثلة في مجلس التجار بالعزم على إرسال أسطول برتغالي جيد التجهيز إلى هناك بقيادة دي جورنيمو كوتينهو - في بداية فبراير ١٥٩٩ ابتدأت الرحلة بأربع سفن وتأخرت ثلاث أخريات . وفي السفينة إس روك أبحر القبطان دييجو ديسوزا . وفي إس ساو القبطان الجاليسيان ، وسيباستيو داكوستا في السفينة كونسيساو ، وفي السفينة باز ، جو بانير فيريرا - ومعهم جو رو دريجوس دى تورس ، وكان مرسلا من ملك البرتغال لكي يتسلم مكان فيدرو دا فازندا في جوا .

وفي شهر مارس ١٥٩٩ لحقت بهم السفن الثلاث الأخرى ، وكانت الأولى كاستللو وقائدها سيما دي مندوكا ، وجو سواريز في السفينة سي. مارتينو ، وجاسبر تنريدو في السفينة سي. ماتيوس

والذي طلب منه قيادة قلعة مسقط . وكان على هذه السفن البقاء في الهند بعد الالتحاق بالأخريات في موزمبيق .

ورحلت السفن جميعها إلى جوا ماعدا واحدة (كاستيللو) التي فقدت في الطريق قرب موزمبيق ، واستطاع ربانها سيما دي مندوكا الوصول إلى الشاطئ مع مجموعة من بحارتها ، ولكن وافتهم المنية بعد ذلك . ومع هذا الأسطول وصلت أخبار وفاة دي فاسكو ابن الحاكم العام لجوا ونائب الملك ، وأيضا أخبار وفاة الملك فيليب (١٣ سبتمبر ١٥٩٨م) .

ويعود كوتو إلى الأسطول الهولندي قائلاً : " ثلاث من هذه السفن تحت قيادة شينفي فان هاجن وقد غادر هولندا في ٢٦ أبريل ١٥٩٩ وبقي عدة أشهر في موريشيوس ووصل بعدها إلى بنتام في ١٣ مارس ١٦٠٠ ومنها إلى أمبوينا وباندا حيث لاقت السفن الصعوبات من أهالي هذه المناطق والسفن البرتغالية وعادوا إلى بنتام ، وهنا التقوا بست سفن هولندية ورحلوا معاً إلى سانتا هيلانه ومنها إلى هولندا في يوليو ١٦٠١م .

في ٢١ ديسمبر ١٥٩٩ توجهت أربع سفن هولندية إلى الشرق تحت قيادة بيتر بوت . وفي ٢٦ أبريل ١٦٠٠ غادرت سفينتان تحت قيادة فان كاردن إلى مدغشقر والمالديف ووصلتا إلى بنتام في ٦ أغسطس ، ولحقت بهما السفينتان الأخريان بعد ذلك .

أرسلت هاتان السفينتان بواسطة القبطان بوث إلى بريامان ، ولكنهما توجهتا إلى سومطرة ومنها إلى أشن في ٢١ نوفمبر حيث أخبرهم بعض الهولنديين المعتقلين هناك عن سوء المعاملة التي يلقونها من ملك أشن ، فغادرها فان كاردن إلى بنتام ووصل إليها في ١٩ مارس ١٦٠١م .

في ٢٩ مارس وصلت ثلاث سفن هولندية إلى بنتام توجهت واحدة منها إلى مولكاس وغادرت الاثنتان الباقيتان مع فان كاردن إلى هولندا عن طريق سانتا هيلانه .

ويبدو أن الأساطيل الهولندية التي توالى وصولها إلى أرخبيل الملايو ، أثارت القلق والمخاوف في جوا ، ولكن ما يثير التعجب أن غرفة تجارة جوا لم تذكر في رسائلها إلى ملك البرتغال أي شيء عن هذه المخاوف . ورغم إرسالها

في نفس الوقت الدعم الحربي إلى ملقا وقلاع أمينو وملاكو ، ورغم تأكيد كوتو في مراسلاته عن نية البرتغاليين منع الهولنديين من القيام بأية أعمال تجارية في الهند أو أرخبيل الملايو ، يبقى الصمت ملازماً مراسلات نائب الملك إلى لشبونة .

وقد ازدادت السلطات البرتغالية في جوا توتراً عندما أسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية في عام ١٦٠٠ ، واتحدت الشركات التجارية الهولندية في شركة واحدة أطلق عليها شركة الهند الشرقية المتحدة في عام ١٦٠٢ . هنا وفي هذه الظروف فقد البرتغاليون هدوءهم وأرسلوا الاستغاثة الآتية في عام ١٦٠٣ إلى ملك البرتغال :

" مع أن أمور الجنوب تحتاج شرحاً أوفر ، إلا أننا سوف نختصر . ان الجنوب ملئ بالهولنديين الآن . وفي هذا العام استولوا على سفينة متجهة من سامتوم إلى ملقا وكانت محملة ببضائع تبلغ قيمتها ثلاثمائة ألف كروزادوس (عملة برتغالية) ، ومبالغ من المال تبلغ ثلاثة أو أربعة آلاف مرسلة إلى البنغال . وقد صادروا أغنى وأعظم سفينة غادرت الصين في التاريخ ، وكانت محملة بكل شيء من الهند ، وانتظروها قرب مضيق ملقا ، وفي نفس الوقت صادروا سفينة صينية . إن قلعة ملقا لم تزود ولا تستطيع تزويدها . وقد أصابت مدينة ملقا المجاعة بأسباب منع الهولنديين لسفن التموين من التوجه إليها .

إن هذه الأمور تحتاج قراراً سريعاً . وهو لديكم يا صاحب الجلالة ، لقد أرسل لنا ملك أشن سفراءه يطلبون بناء قلعة في أرضه ، ولكننا لم نوافق . لذا نجده قام بالاتصال بالإنجليز من أجل ذلك . لذا نرجو جلالتكم أن ترسلوا لنا أسطولاً قوياً ويتم توجيهه إلى ملقا وليس للهند خوفاً من عدم وصوله إلى الجنوب حيث سوف تنتهي الهند فيما لو فقدنا الجنوب " .

كانت هذه الحالة سائدة في الشرق الأقصى عندما غادر بيدرو تينحسيرا الهند في بداية ١٦٠٤م عائداً إلى بلاده .

[يتبع]

تأملات في فكر التطرف فيما بين الحربين

التطرف مرض تاريخي أفرزته الفاشية والنازية

بقلم الدكتور :

إبراهيم المقدود

" إن كثيراً من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم ، ومقالاتهم كتباً كثيرة جداً فبعضهم أطال وأسهب ، وأكثر وهجر ، واستعمل الأغاليط والشغب ، فكان ذلك شاغلاً عن الفهم ، قاطعاً دون العلم ؛ وبعضٌ حذَف وقصَر ، وقلّل واختصر ، وأضرب عن كثير من قوى معارضات أصحاب المقالات ، فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة ، وظالماً لخصمه في أن لم يوفه حق اعتراضه ، وباخساً حق من قرأ كتابه إذ لم يغنه عن غيره ، وكلهم . . عقّد كلامه تعقيداً يتعذر فهمه على كثير من أهل الفهم ، وحلق على المعاني من بُعد ، يُنسي آخر كلامه أوله، وأكثر هذا منهم ستائر دون فساد معانيهم ، فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله[1] .

هكذا تحدث ابن حزم الأندلسي في كتابه " الفصل في الملل والأهواء والنحل " عن المنهج الذي يجب السير عليه في دراسة الظواهر الفكرية ، وهذا من القواعد التي التزمها المسلمون في الدراسات المقارنة للملل والنحل ، تتميز بالحيدة التامة في عرض وجهة نظر الآخرين ، دون أية محاولة للرد عليها أو إظهار بطلانها أو تهافتها قبل إتمام العرض ونراه جلياً في كثير من الأعمال مثل كتاب " مقالات الإسلاميين " لأبي حسن الأشعري وكتاب " الملل والنحل " للشهرستاني و " مقاصد الفلاسفة " للغزالي ، فقد بدأ المسلمون بدراسة الظواهر الفكرية والعقائد المذهبية مبكراً ، وكانوا أول من وضع بعض قواعد المنهجية لدراسة الملل والنحل ، وأن غيرهم ممن اشتغل بهذه العلوم اتبع قواعدهم واستفاد من محاولاتهم[٢] ولم تكن الدراسات مقتصرة عن الظواهر الفكرية والدينية في دار الإسلام فقط فدراسات البيروني عن معتقدات الهند - من مقبولة في العقل أو مرذولة - رغم البعد الجغرافي للهند ، فقد قام المسلمون بدراسة العقائد والملل والظواهر الفكرية خارج دار الإسلام أيضاً لفهمها واستيعاب إيجابياتها وسلبياتها بما يوضح معالم الطريق التي تمكن من دراسة التيارات الفكرية المختلفة المآرب ، تجنبا لتطبيق الأنماط الجاهزة والمفاهيم التقليدية والتعليلية ، وفك وتحرير كل مفهوم من المضامين الجامدة المضمنة فيه بحيث يتحمل المفهوم التعيين ثم الطرح بكيفية إشكالية وفتح طرق جديدة للبحث والتنقيب حتى لا تسد الأبواب أمام تقاليد البحث الإسلامية العلمية العقلانية[٣] .

التزم ابن حزم مبدأ الوضوح في الطرح ، والدقة في إبداء الرأي ، واجتناب التعقيد في الفكر ، واستيفاء حجج الخصوم عند العرض ، تتميز عقلانيته عند تفسير الظواهر عند قوله : " بأن العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد ، ويكون ذلك إما بشهادة الحواس " التجربة العلمية " وأول العقل " العقلانية " ، وإما ببرهان راجع من قرب أو من بعد إلى شهادة الحواس . . ورد الروايات التاريخية التي تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه في عصره من الحساب والهندسة والجغرافيا والحيوان والنبات والمعادن ، وبالجملة كل ما يتعارض مع القوانين اليقينية الثابتة المطردة التي يسير العالم والمجتمع الإنساني ، حسب

مقتضياتها ، وهذا " الروايات " يعد عند ابن حزم كذباً ، ومحالاً من باب ما يتسلى به العجائز من الخرافات والأسمار[٤] ، وفي تباين اختلاف الصور ، واختلاف الهيئات وتباين الأخلاق ، إنما يقال هذا الشيء يشبه هذا على أن ذلك في أكثر أحوالهما لا في كلها . . . وقد علمنا بالمشاهدة أن كل ما يتكرر عليه ذلك الشيئان المتشابهان تكررا كثيراً ، متصلاً بأنه لابد أن يفصل بينهما ، ويميز أحدهما عن الآخر ، لا يشبهه فيها[٥] إذا ما توفر القاسم المشترك للظاهرة فحتماً يكون التشابه في جزئية الظواهر لا في كليتها .

" عندما تستتب أمور الحياة بتوفر الأمن والراحة النفسية في فترة تاريخية ما ، يقوم الإنسان السياسي بوضع الحدود والإدارة والتشريع للدولة ، قائمة على أمل خلق بيئة خالية من العنف ، ولكن عندما تجري الرياح بما لا تشتهي السفن ، يكون من سوء الحظ وشؤم الطالع أن تعيش الأمة فترة تهدد بانحلال الأسس التقليدية للوطن ، وفي المجتمع وفي بناء العلاقات الإنسانية ؛ ذلك عندما تصبح حرية فرد أو أفراد معدودين تهدد حرية وأمن الآخرين ، هنا تكون السيادة للعنف " هذه الملاحظة قدمها ميرليو بونتي Merleau Ponty في مقدمة كتابه " الإحياء الثقافي والعنف " مشيراً إلى الكارثة الأوروبية في فترة ما بين الحربين ، فأطر بشكل مثالي الشروط والأوضاع والخلفيات السياسية والبسيكولوجية التي نما فيها وانفجر التطرف بالمفهوم الحديث ، متمثلاً في فكر الفاشية حيث يكون ظاهرياً نتاجاً وخلاصة لتغيرات كبيرة فعلت فعلها في العلاقات بين الناس ، وشكلاً سياسياً يجنح إلى الشمولية بإقحام جميع مظاهر ووضعية الحياة الإنسانية ، وإخضاعها إلى تفسيرات ذلك الفكر والتعبير عنها على مستويات متعددة تتميز بالحدة والشطط ، حاملة بها إلى أقصى درجات التطرف ، كما تشتمل تفسيراتها ، المتناقضات والاتجاهات الفكرية الأخرى والجديد الذي لم تتضح معالمه بعد ، في عالم السياسة والاجتماع في اقتران متباين ؛ وهو الوضع الذي كانت عليه أوروبا في النصف الأول من القرن العشرين ، وهذا يحتم إعطاء الظاهرة شكلاً مشبعا ومركزاً باعتبارها مرحل تاريخية هامة على مستوى المعاني والمفاهيم[٦] فإذا ما اعتبرنا تحديد فترة تاريخية معينة ، يميزها الصراع السياسي ، والتواتر

السريع للأحداث ، ما يعطي شكلاً جديداً للظواهر ، فإنه لا مجال من التنصل من تسمية فترات الحرب الكونية بزمن " التطرف الفكري " ، فالتطرف الفاشي ، التقت في بؤرته وعلى مستويات مختلفة العديد من خطوط الأزمات الناتجة عن خلل في التوازن الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، يرجع ظهورها إلى القرن السابق لنمو الظاهرة ، حيث أخذت الأزمات تنمو لتصل إلى مستوى النضوج في العشرينات والثلاثينات ، مستقطبة حولها حالات الاكتئاب والانكسار وعدم الرضى المتفشي في ثنايا الشرائح الاجتماعية التي تعيش أزمة النظام الذي كان قديماً / جديداً في نفس الوقت ، والذي شهد إقحام الناس في مرحلة التحول الرأسمالي العالمي في تجربة للانتقال إلى مرحلة أكثر تطورا ، فبدا الحجم الحقيقي للعالم الموضوعي ، بصرف النظر عن العقلانية الإنتاجية ، أكثر تعتيماً ومشوباً بالظلال التي صعُب معها تحديد معالمه .

في القرن الثامن عشر بشرت نخبة المفكرين والمثقفين والكتاب والفنانين بمستقبل عملية التحول الاجتماعي والإنتاجي الضخمة التي أقحمت فيما بعد وزجت عمودياً بكامل منظومة حركة العلاقات الإنسانية والاجتماعية بإثارة جذور القيم فيها ، وتحريكها من الأعماق ، محطمة الوحدة الروحية والثقافية التي كانت تميز ذلك القرن ، فكانت الدعوة إلى مناهضة العالم التاريخي وواقعيته وشن حرب شعواء ضد القيم الجمالية التقليدية(٧) .

فإذا كان هذا هو الدور الفكري التخميني المبشر بمستقبل تغير واقع واتجاه التفكير وإلى إعادة قراءة التاريخ ، فإن العلم بدوره قد أخذ في استعمال أدوات جديدة ووسائل قائمة على العقلانية الجديدة (٨) والتنظيم العلمي للإنتاج ، مما أدى إلى إحياء حركة تجديدية قلبت نظام الرأسمال العالمي القديم رأساً على عقب .

أدى ظهور هذه المفاهيم الجديدة في الفكر وفي عالم الإنتاج ، وقيادتها للتحولات الكبيرة إلى خلخلة النظم نفسها ، وإلى نشوء فراغ وجد الفكر المتطرف فيه كوة يدخل منها وينمو داعياً إلى القديم ، فكان تطرفاً ناجماً عن عملية التحول ، يهدف إلى إغلاق أبواب التناقضات التي فتحت في عمق النسيج الاجتماعي فطرح فكر التطرف

نفسه على أنه " الفكر والتنظيم الذي يمكنه الحد من التحول السريع وربما إيقافه ، والفصل بين المستوى السياسي ومظاهر الحياة الأخرى ، على أن يحتل بشكل كامل وشمولي تنظيم العلاقات الإنسانية " فصعد بذلك إلى أعلى مستوى الأزمات التي أثارتها عملية التحول والتحديث الكبرى مقدماً " شكلاً جديداً / قديماً للتحديث " يخفي وراءه أصوليته وتطرفه ليصبح باطنياً إلى حد ما ، والإيحاء ببرنامج لتنظيم كافة مظاهر الحياة العملية والروحية ، وهذا يتفق مع المصطلح الذي غالبا ما وصف به الفكر المتطرف الفاشي وهو أنه " فكر تدخلي " في كامل مجالات الحياة بما في ذلك العلاقات الشخصية الفردية وصيغ السلوك ، وكل هذا قصري بمنظور أحادي الاتجاه . ويؤكد على " شخصنة السياسة " بوضعها في مصدر وضعي واحد للتشريع والتنفيذ وتسييس التصرفات والسلوك من خلال إيديولوجية متطرفة ونشطة تتصف بالتميز و" الاختيارية " فنجد عنصرية العرق وسمو الفرد / الفرقة / لجماعة[9] . والحرص على استعمال طرق التقليدية في مجال التصوف سياسي والديني وفي نفس الوقت استغلال ما تمنحه " التكنولوجيا " ونمو قوى الإنتاج ، خاصة في مجالات الاتصالات ، وطرق تطويع الرأي العام وممارسة العنف والإرهاب بشكل شامل منظم ودقيق .

عني الكثير من الباحثين بتفسير سمات الظاهرة " الفاشية " كنظرية للتطرف الفكري[10] فالحديث عن النظرية ، بالذات من حيث مجالها الشمولي ، لا يسعنا الوقت إيفاء الحديث حقه بالتطرق إلى تحديد خصوصية الظاهرة ، وسنحاول طرق باب النموذج العام للتحليل ، الذي تعرض إلى المتغيرات الهامة وعبر عن الكيفية السائدة التي تعاملت مع ظاهرة تميزت بالجرأة ، فالتفسير يعني افتراض وجود موقف تحدده القيم والفكر بشكل أو بآخر ، فإذا كان الإنسان سيد فضائه كما يقول لوكاش ، يحكمه العقل وتسيره القيم ، فإن ترتيب المادة الوثائقية المعقدة ، يحتم أن يكون للثقافة المعاصرة الشكل السيادي لفهم معضلات العصر ، ولترتيب مبادئ نظريات التطرف ، كي يكون هناك مجال للمقارنة بينها والوصول إلى " المحتوى النقدي المتكامل " لها ، وهذا ضروري حيث تبعثر وتعدد

التحليلات ، فقد أدت شمولية وعمق الظاهرة إلى تمحور التحليل على أسس العلوم التقليدية التي اهتمت بالمظهر التاريخي السياسي ، ولكن التسجيل التاريخي أظهر محدوديته فكانت الدعوة إلى مساهمة جميع فروع العلوم الإنسانية من علم الاجتماع إلى علم النفس الاجتماعي و " الأنثروبولوجيا " والفلسفة ، والاقتصاد وعلوم اللغة وعلم الكلام ، فأدلى كل بدلوه ، وأنجز مادة التحليل مفسراً على ضوء علمه ، ولغته وجدليته ، وكان من الصعب إيجاد أرضية موحدة لها بالمقابلة مع تفسيرات الآخرين ، نشير هنا وبشكل مقتضب إلى بعض من نتاج التحليلات الغربية للظاهرة فيرى إ. نولت E. Nolte أنها " ظاهرة عصر تتعدى السياسة[11] وأغلب الكتابات التي تعرضت للناحية النفسية والبسيكولوجية الفردية والجماعية " تعبير سلوكي طبيعي للإنسان يتصف بالإثارة والغريزية ويتميز بعدم القدرة والعجز[12] و" جنون شيطاني "[13] و " الاستمتاع برثاء الذات "[14] والماركسيون يرونها " تعبيرا عن الرأسمالية التي وصلت إلى أقصى مداها والمتمثلة في الإمبريالية " [15] .

النظرية الاجتماعية الاقتصادية لدى كروشانو تقول : " هبوط مستوى الضمير النازع إلى الحرية "[16] و " نزوع سيزوقراطي أي نزوع إلى النفسية الطفولية التي ترى الحقائق الخارجية بشكل كلي بدل التمييز وتعيين الخصوصيات " . ويصفها لوكاش بأنها " أفكار غير عقلانية تعبر عن الانحطاط حيث أنها [ايديولوجية] رجعية عدائية " و " تجمع غير متجانس " لاشك أن هناك نوعاً من عدم التجانس بين التفسيرات المختلفة ولكن في نفس الوقت هناك الكثير من نقاط الالتقاء ، عند المقابلة بينها ،مما يجعل من الضروري تحديد أسس منظمة يمكنها تجاوز محدودية مختلف العلوم عندما يوضع كل منها على حدة ، والدخول إلى مركز مجالات التفكير بحيث نكون في وضعية تسمح لنا بتقابل ومقارنة مختلف التفسيرات ، في أسسها وكيفيتها .

فالزخم والتشيع السياسي الذي يدفع به الفكر المتطرف ، الناشئ عن ارتباطه بالخطوط الأساسية للحركة السياسية وأهميتها في الغرب المعاصر " سواء من حيث مفهوم الدولة والدستور والرقابة الاجتماعية ، والعلاقات بين

القوى السياسية والاقتصادية وبين الحرية والمركزية . . . إلخ " يجعل مادة التفسير متراكمة الجوانح ، مما يفرض ترتيب نوعي قادر على احتواء الحركة التاريخية والسياسية وتحديد دورها كعامل رئيسي بين عوامل أخرى لا تقل أهمية . بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها وانقضت ، كان لابد أن تتواصل الحرب بصيغ أخرى في إيطاليا ، فقد كانت فترة مليئة بالأحداث ، فالحماس الذي أثير في مرحلة الحياد / اللاحرب واللاسلم ، ومن بعد حالة الاكتئاب التي رافقت العمليات العسكرية ، وخيبة الأمل في الدبلوماسية ، والآمال التي لم تتحقق ، والوعود التي لم يوف بها ، وارتفاع حرارة النفوس ، والتغيرات في الطبقات الاجتماعية ، إضافة إلى أزمة اقتصاد ما بعد الحرب ، والمشكلات المالية ، والتناقض والانفصام الروحي ، كل هذا أدى إلى حرب بوسائل مغايرة " .هذا التفسير الذي يعطي الحرب أهمية كبيرة في الصياغة التاريخية لنشاط بؤر التطرف ، يعتبر من الأسس الهامة التي وحي بما تكون عليه الحال فور انتهاء حروب ، فمحاولة استقطاب الأسباب خارجية فقط حول المحور السياسي والاجتماعي التقليدي بإعطاء الحرب " القوة المحركة Deus exmachina " فيه شيء من المبالغة ، وإن كان هذا التبسيط يوحي بشيء من راحة البال .

إن إضفاء الشرعية على الدولة الليبرالية كشكل سياسي مجد يحتاج إلى زمن موضوعي يفترض إرجاع الأزمات إلى عوامل وقتية وإلى ضرورات ، ما إن تنتهي حتى يعود النظام السياسي والاجتماعي القديم وبذلك يكون الفكر السياسي المتطرف عبارة عن " وقفة في الزمن " حيث كانت الحرب الفرصة السانحة لفرض نفسه ، وبلوغ ما بلغ .

فقد استغلت الفرق المنتمية إلى الأفكار الفاشية المتطرفة أحداث ما بعد الحرب العالمية الأولى والانتفاضات العمالية والشعبية والصراع الاجتماعي حول أسس الدولة والدستور ، شاهرة مبدأ " القيم " و " النظام " لتدخل المعمعة السياسية كحكم بين القوى السياسية التي كانت تحلل الظاهرة دون إعطائها البعد الحقيقي(١٧) فمن قائل بأن التطرف في المدن مغاير لماثله في المجتمعات الفلاحية ، ومن أخذ يضع الفروق ، مشعبا ومميزا ، بين التطرف الرجعي ، والتطرف الثوري ، وبين

المستقبلي وقرينه التقليدي ، وقد عبر عن هذه المواقف رجال السياسة والفكر ورجال الدين من مختلف الاتجاهات ؛ وإن كان ذلك التركيز على عدم تجانس الحركة كظاهرة من قبل الجميع ، لم يكن سوى تكتيكاً مرحلياً لتحديد التناقضات وترسيم الاختلافات والفروق بين مختلف القوى البرلمانية لإضعاف مواقف الخصوم السياسيين ، واتخاذ مواقف تلائم الرغبة لكسب واستقطاب الناخبين ، وربما كان القصور ناتجاً عن الصعوبة البالغة في فهم وتقدير الظاهرة الجديدة ، التي ضمت مختلف الشرائح الاجتماعية ، معبرة بشكل ما عن ائتلاف اجتماعي لم يكن له نظير في السابق . ولم يكن من اليسير استقراء الظاهرة من وجهات نظر التحليلات والتعليلات السياسية التقليدية السابقة .

في الثلاثينات أدت الأزمات الاقتصادية ونشوء الفكر المتطرف النازي في ألمانيا إلى تفاقم الظاهرة التي أصبحت تهدد النظم الليبرالية الديموقراطية في أوروبا كلها فلم يعد التطرف هامشياً بل أدى إلى مضاعفات على المستوى الدولي ، وكانت التفسيرات والمواقف في معظمها تعبر عن الإدانة وتوجيه الرأي العام الديموقراطي إلى وجهة مضادة للتطرف ومعادية للنازية والفاشية ، وكان هناك التزام سياسي كبير من هذه الناحية ، فتجددت أنماط التحليل والتقويم التأريخي ، حتى لا يكون الحكم على المراحل السابقة جزافياً ومؤطرا ، فنشأت نظريات جديدة لها هويتها محاولة تكثيف الجهود لمواجهة الخطر الداهم ، فنظريات " ردة الفعل الشعبي " و " الوقفة التاريخية " و " التبوء " التي أشرنا إليها ، صارت تهدف إلى كشف النقاب عن الظاهرة ، متفقة جميعها على أنها " مرض تاريخي " له من المضاعفات ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية ؛ فاتحدت بذلك وجهات النظر متفقة على القاسم المشترك للظاهرتين ، الفاشية والنازية ، دون النزوع إلى التفصيلات اللغوية ، وهكذا كان اليقين ورسوخ فكرة ضرورة مناهضة التطرف الفكري بما يسمى بالنضال ضد الفاشية ودحرها .

مصطلح " إشكالية الأزمة " الذي طغى على التيارات الفكرية لمواجهة الفاشية ، في الأدب وعلم الاجتماع والاقتصاد ، أدى إلى ظهور حركة تجديدية لأدوات الفهم والتفهيم للحقائق ، بما يتعدى الأرضية

السياسية ، فكسرت الأطروحات الجديدة وأمواج الفكر السياج متعدية الميدان التاريخي السياسي وعالجت وجهات عامة مرتبطة بأزمة الهيكل الاجتماعي في مجمله ، ومكافحة الظاهرة بالحكم إلى العقل في مقابل اللاعقلانية الضاربة أطنابها على كافة المستويات في المجتمع ، وكانت المهمة شاقة حيث " عقلنة غير المعقول "[18] كان الهدف الرئيسي في تلك المرحلة التي كانت فيها التصرفات الإنسانية خارجة عن ميدان العقل[19] وعن عقلانية الحساب الاقتصادي للفائدة والمصلحة وعن القيم السلوكية الأخلاقية والروحية مما أدى بدوره إلى نشوء أزمة العلوم والتعليم ، فعلم الاجتماع كـ " علم للتوافق الاجتماعي " ، وعلم الاقتصاد " كونه علم الاتزان الاقتصادي " ونشأ علم آخر هو " علم الأزمة " الناتج عن " التراكم " وحصيلته ، مما يفرض الرجوع إلى علم النفس الاجتماعي لتحديد معالم العلاقة بين الفرد والمجتمع في فترة لا يمكن فيها توقع المفاجآت السلوكية .

نموذج ليبست ١٩٦٠م ، يعتبر رجعاً هاماً لدراسة ظاهرة التطرف لأوروبي ، فهو يؤكد بأن : " من الأمور المعقولة وجود علاقة تربط بين القاعدة الاجتماعية والفكر التنظيري [الإيديولوجية] " فالحركات السياسية تنقسم فيما يصفه " يسار يدعو إلى المساواة " وإلى التغيير وإلى التجديد ، تسانده الطبقات الدنيا ، وإلى " يمين " معتدل ومحافظ تسانده طبقة الملاك والأرستقراطيين ، ثم " الوسط " تعاضده الطبقات الوسطى ، فعندما يكون هناك هدوء اجتماعي تعبر كل طبقة عن إرادتها وأفكارها بالطرق الديموقراطية سواء كانت اشتراكية نهضوية ، أو معتدلة محافظة ليبرالية ، ولكن ما إن تظهر الأزمات والخلل الاجتماعي والاقتصادي حتى يطفو على السطح الجزء المتطرف لكل منها ، فالشيوعية إلى اليسار ، والديكتاتورية المحافظة على اليمين ، أما الفاشية فهي " التطرف الوسط " فقد أخذ ليبست بعين الاعتبار التفسيرات السابقة له متحققا من أنه في فوضى عدم الثقة وغياب الأمان والاستقرار في مرحلة تركيز التصنيع هو العامل الرئيسي في تغيير معالم الشرائح الوسطى في المجتمع ويدفع بها في اتجاه متراجع مع أن هذه الشرائح كانت مثالاً في النضال ضد الاستعمار وكان لها السهم الأوفر في تقدم

الحركات العقلانية في مراحل سابقة ، ولكن ما إن يستجد ما يهدف إلى التغيير ومسابقة الزمن[٢٠] وبسرعة كبيرة حتى ترى جزءا كبيرا منها يتعلق بأفكار أصولية جذرية متطرفة وغير عقلانية تسير في اتجاه مضاد لسير التاريخ، في محاولة للاستيلاء على السلطة لبناء ذلك الأمان والاستقرار التقليدي وإيقاف سير التحديث " الحقبة الصناعية " وبذلك تنمو حركات مناهضة للمنطق وتتجاوز فهم العقل .

* * *

– سيماء التطرف الفكري ظاهرة مرتبطة بالتاريخ الإنساني ، تبرز كأحد سمات المجتمع عندما تتوافر الظروف الموضوعية السياسية والاجتماعية حيث تعبر عن نفسها في مظهري السمو والفوقية من جهة والعنف من جهة أخرى وكثيرا ما يكون هذا التعبير نتيجة للتطورات الناتجة عن فكر تحديثي أو فلسفة جديدة للنمو . وبذلك يأتي هذا التطرف متسترا بأثواب متعددة الألوان ، مختلفة الأشكال وجميعها يفسر الماضي بأدوات قد تكون دينية أو قومية أو مادية ، وفي معظمها ترنو إلى بناء الماضي في حاضر تغيرت فيه العلائق ولغة الخطاب ، كما أن عشوائية الفعل وديماجوجية الطرح قد تتناسب في بعض الأحيان مع المفاهيم السائدة ورخوية الضمير السياسي في المجتمع والانفصام الذي يعيشه الفرد نتيجة ما يتلقاه في المعاهد التعليمية من مبادئ وإيحاءات خالية من الدقة متناقضة في التفسير ومع السلوك اليومي الذي يعيشه بين الآخرين .

– في فترة ما بين الحربين العالميتين برزت ظاهرتان للتطرف الفكري جديرتان بالبحث والتمعن مرتكزتان على الفكر الفاشي وتابعه النازي ، ظاهرة السمو والفوقية والتعالي التي أدت بدورها إلى العنف ثم إلى كارثة الحرب الكونية . فما هي القيم والقاسم المشترك بينها وبين أفكار التطرف في الشرق اليوم ؟ . وما هي السبل الفكرية الكفيلة المؤدية إلى انبعاث جديد ونهضة دون اللجوء إلى أدوات وأساليب تنبذها الأديان والطرف الخير من الطبيعة الإنسانية ؟

الدكتور : إبراهيم المقدود

الهوامش

١ - ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، بيروت ص ١٧ .

٢ - محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة : مقدمة الفصل في الملل والأهواء والنحل ص ١٧ .

٣ - عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ ص ١٨٨ ، بيروت ١٩٨٣م ، أنظر أيضاً عبد المجيد مزيان : التوازن بين الفكر الديني والفكر العلمي عند ابن خلدون ، في إبن خلدون والفكر العربي المعاصر ، تونس ١٩٨٠م ص ٢٢٣ ومايلي .

٤ - محمد محفوظ : ابن حزم وابن خلدون ، مجلة الفكر ص ٤٢ - ٤٨ عدد ١ ١٩٨٣م تونس .

٥ - ابن حزم : الفصل . . . (س إ) ص ١٦٨ الجزء الأول .

٦ - أنظر نولت : النظم الليبرالية والحركات الفاشية ، بولونيا ١٩٧٠م ص١٢ وما يليها E. Nolte : La crisi dei regimi liberale ei movimenti fascisti Bologna, 1970 pp12 sgg .

٧ - المقصود بالقيم الجمالية قيم التناغم والاتزان في الشكل والموضوع . أنظر صورة الإنسان الجديد في البيان المستقبلي Il Manifesto Futurista والاتجاهات الفكرية لتيار الدادائية والانطباعيين في مجلة المستقبليين " Lacerba, 1, n20, 1931 ص٢٢١ "

٨ - مفهوم العقلانية المتوافق مع تفسير ابن حزم : التجربة العملية الحسية وما يقبله العقل .

٩ - تقوم نظرية السمو والفوقية على فكر نيتشة الذي نادى بالرفع من شأن ما تحتويه النفس الإنسانية من اندفاع حيوي جاعلاً إياه في مرتبة أرقى من العقل منادياً بإعادة النظر في جميع القيم الإنسانية مبشراً بالإنسان الفوقي الجديد ، الأعلى والمثالي ، ولا يبعد هذا عن سمو الفرد/ الفريق/ الجماعة في خطاب الفكر المتطرف المعاصر من حيث سمو الفريق وكفر من

دونه ؛ أنظر حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، القاهرة ١٩٩١م ص ٣٤٩ . وكذلك شكري مصطفى : كتاب الخلافة . وأيضاً صالح سرية في كتابه الفريضة الغائبة .

١٠ - من أهم ما كتب في هذا المجال مؤلفات مؤرخ الفترة الفاشية رينزو دي فليتشي ، أنظر : الفاشية ، تفسير المعاصرين والمؤرخين ؛ وأيضاً حوار حول الفاشية وموسيليني الأسطورة ومختارات عن الفاشية : الحكم عليها سياسياً والحكم عليها تاريخياً (أنظر المراجع والمصادر) .

١١ - تعرض نولت إلى النظرية الفاشية في أكثر من عمل قيم نذكر منها جذور الفاشية الثلاثة ١٩٦٧م ، وأزمة النظم الليبرالية والحركات الفاشية ١٩٧٠م .

١٢ - أنظر مالك بن نبي : مقياس القيم النفسية والاجتماعية الدالة على أحوال التطور لدى ابن خلدون في شروط النهضة بيروت ١٩٧٩م ص٦٦ .

١٣ - اقتحامات تلقائية لاستمرارية العملية الشعورية من جانب المركبات "العقد" اللاشعورية وجذبة التحلي . أنظر كمال دسوقي : ذخيرة علوم النفس ، المجلد الأول ، القاهرة ١٩٨٨م ص٣٦٩ .

١٤ - أنظر الهروب من الحرية Fromm, Escape From Freedom, Milano, 1963 ص٩٢ وص ١١٨ . ووليام ريخ : السيكولوجية الجماعية للفاشية ودراسة متقاطعة في فكر الحركات ، كامبردج ١٩٦٥ .

١٥ - أنظر مالك بن نبي في شروط النهضة ، فصل توجيه رأس المال والثروة ص ١٠٩ وص١١٣ ، وأيضاً ابن خلدون عن الملك والانحطاط ونتائج تراكم رأس المال . والاقتصاد في دوريه السلبي والإيجابي فهو " يعتبرها أدواراً متناقضة في حركة تطور المجتمع والدولة في إطار الجدلية الاجتماعية " . محمد زنيبر ، الحكم والاقتصاد عند ابن خلدون في " ابن خلدون والفكر العربي المعاصر ص ١٧٩ ، وص ١٩٩ ، وص ٢٠٥ " .

١٦ - مفهوم الحرية في الإسلام ضمان حرية الفرد وبالتالي شعور المسلم وتوقه إلى الحرية ، أنتونينو بيلليتيري ، بعض الأمثلة عن فكرة الحرية في حركة التحديث الإسلامي ، أنظر

أيضاً ، بيانكا ماريا سكارشا أموريتي ، مفهوم الحرية فيما كتب عن الاقتصـاد الإسـلامي ، مجلة ألف باء ، عدد ٧/٦ باليرمو ١٩٨٦م .

١٧ – جوليتي رئيس الحكومة الديموقراطية في ذلك الوقت ، كـان يصر على أنهـا ظـاهرة غير جديرة بالاهتمام ، فهي كفقاعـة الصـابون ، أنظر محـاضر البرلـمان الإيطـالي عـام ١٩٢١م في مجلة المحاضر البرلمانية ، السياسة الداخلية بين الاشتراكية والفاشية ، روما ١٩٢١م .

١٨ – Leimotiv في علوم الاجتماع .

١٩ – ابن حزم : الفصل في . . سبقت الإشارة . .

٢٠ – المفكر المسلم " أبو الحسن المراكشي " كان أول من أدرك فكرة اتصال الزمن بالتـاريخ والصلـة الوثيقة بنهضة العالم المادي ، ونادى مـالك ابـن نـبي في شـروط النهضـة ص ١٤٠ إلى تحـيد فكرة الزمن الذي يتحد ومعنى التأثير والإنتاج

المصادر والمراجع

١ – مالك ابن نبي : شروط النهضة ، دار الفكر ، لبنان ١٩٧٩م .

٢ – جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ندوة ابن خلدون والفكر العربي المعاصر ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٠ .

٣ – ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤ – حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩١م .

٥ – عبد الله العروي : ثقافتنا في ضوء التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء / بيروت ١٩٨٣م .

٦ – عبد القادر عودة الإسلام وأوضاعنا السياسية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦م .

٧ – محمد عمارة : الإمام محمد عبده ، مجدد الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١م .

٨ – أدونيس ، محمد سعيد ، الثابت والمتحول ، ٣ صدمة الحداثة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

٩ – الغزالي ، أبو حامد محمد ، إحياء علوم الدين ، الدار المصرية اللبنانية ، بدون تاريخ .

١٠ – سميح عاطف الزين : حركة التاريخ في المفهوم الإسلامي ، دار الكتاب المصري / اللبناني القاهرة/بيروت ١٩٩١م .

١١ – كمال الدسوقي : ذخيرة علوم النفس ، الدار الدولية للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٨٨م .

١٢ - De Felice Renzo, Le interpretazione del fascismo, Laterza, Bari, 1995.

١٣ - P. Milza - S. Berstein, Storia del fascismo, BUR Milano, 1995.

١٤ - E. Nolte, I trevolti del fascismo, Sugar, Milano, 1966.

١٥ - W. Reich, Psicologia di massa del fascismo, Sugar, Milano1971.

١٦ - Z. Sternhell & ath., Nascita dell'ideologia fascista, Baldini e Castaldi, Milano, 1993.

١٧ - V. Castronovo, La stampa italiana dall'Unita' al fascismo, Laterza, Bari 1970.

١٨ - G. Salvemini, Le origini del fascismo, Laterza, Bari 1965.

١٩ - D. Mack Smith, Storia dell'Italia dal 1861 al 1958, Laterza, Bari, 1960.

٢٠ - J. P. Faye, Languages totalitaires, Hermann, Paris, 1972.

V

W

R

S

T

M

O

P

I

K

L

E

F

G

H

TITLE INDEX

No.5 . 3rd Year (Jul. 1984) - pp. 18 - 41

72. Wilkinson , J.C.

Bahrain and Oman

No.5 . 3rd Year (Jul. 1984) - pp. 42 - 55

73. Wilkinson , J.C.

Bahrain and Oman

No.7 . 4th Year (Jul. 1985) - pp. 231 - 251

74. Zarins , Juris

Martu and Dilmun

No.11 . 6th Year (July 1987) - pp. 165 - 200

60. Ozbaran , Salih (Dr.)

Bahrain in the Sixteenth Century

No.15 . 8th Year (Jul. 1989) - pp. 217 - 231

61. Potts , D.T.

Awal and Moharraq

No.9 . 5th Year (Jul. 1986) - pp. 216 - 237

62. Qatina , Rinda Al-Misri (Dr.)

Kuwait: An Analytical Study of the Foundation of the State

No.2 . 1st Year (Jan 1983) - p. 40

63. Rice , Michael

The Island on the Edge of the World

No.10 . 5th Year (Jan 1987) - pp.198 - 215

64. Serjeant , R.B. (Prof.)

Fisherfolk and Fishtraps in Bahrain

No. 24 . 12th Year (Jan 1994) - pp. 188 - 229

65. Severin , Tim

The Voyage of Sindbad

No.6 . 3rd Year (Jan 1985) - pp.198 - 205

56. Shastry , B.S. (Prof.)

A Century of Sea-trade Between Goa and Hormuz

No.22 . 11th Year (Jan 1993) - pp. 201 - 217

67. Silva , P.Nuno

Remarks on the History of Bahrain in the Portuguese Period

No.8 . 4th Year (Jan 1986) - pp. 201 - 207

68. Slot, B. J. (Dr.)

Dutch East India Company of Bahrain

No.4 . 2nd Year (Jan 1984) - pp. 242 - 252

69. Tammam, Tammam Hammam (Dr.)

The Historical Background of Bahrain Before the Emergence of Mohammed Ali in the Arab Gulf

No.12 . 6th Year (Jan 1988) - pp. 181 - 245

70. Tirmizi, S.A.I.(Prof.)

Gujrat-Gulf Relations

No.22 . 11th Year (Jan 1993) - pp.218 - 229

71. Tuson , Penelope

Some British Views of Bahrain

No.14 . 7th Year (Jan 1989) - pp. 219 - 235

49. Khalil , Afaf (Dr.)

The History of Plants in Arab Pharmacopoeia of the Gulf Region

No.7 . 4th Year (Jul. 1985) - pp. 205 - 209

50. Kazim , Basheer Ahmood

Portuguese Discoveries

No.13 . 7th Year (Jul. 1988) - pp. 214 - 228

51. Kunitzsch, Paul (Dr.)

Bahrain: A Description by Ibn Majid , 1490

No.5 . 3rd Year (Jul. 1984)- pp. 10 - 17

52. Koehler , Wolfgang (Dr.)

German Approaches to the Arab Gulf

No.16 . 8th Year (Jan 1990) - pp. 178 - 193

53. Maitra , Jayanti (Dr.)

The Indo-Arab Link: A Traffic in Culture and Commodities

No.19 . 10th Year (Jul. 1991) - pp. 187 - 197

54. Maitra , Jayanti (Dr.)

Relationship Between the Arabian Gulf and the Othmani State

No.21 . 11th Year (Jul. 1992) - pp. 181 - 197

55. Mehta , Makrand (Dr.) & Mehta , Shirin (Dr.)

Gujrat and Arab Merchants Between 942 A.D. and 1500 A.D.

No.18 . 9th Year (Jan 1991) - pp. 199 - 217

56. Nakhleh , Emile (Dr.)

The Founding of Modern Bahrain

No.4 . 2nd Year (Jan 1984) - pp. 215 - 228

57. Naqavi , Sadiq (Dr.)

Indo-Arab Relations After the Advent of Islam

No.19 . 10th Year (Jul. 1991) - pp. 160 - 185

58. Narayan , B.K.

Indo-Bahrain Relations from the Ancient Times to the Portuguese Occupation

No.17 . 9th Year (Jul. 1990) - pp. 216 - 231

59. Othman , Abdul Razaq

The Portuguese in East Africa and Their Ejection Therefrom

No.21 . 11th Year (Jul. 1992) - pp. 198 - 233

No.1 . 1st Year (Jul. 1982) - pp. 16 - 23

39. Bushihri , Ali Akbar

Dilmun: Music and Trade

No.2 . 1st Year (Jan 1983) - pp. 41 - 61

40. Bushihri , Ali Akbar

A Study of Dilmun Seals

No.7 . 4th Year (Jul. 1985) - pp. 217 - 230

41. Carter , Theresa Howard

Dilmun: At Sea or Not at Sea? Part 1.

A Review Article in two parts

No.26 . 13th Year (Jul. 1994) - pp. 166 - 201

42. Carter, Theresa Howard

Dilmun At Sea or Not at Sea? Part 2

No.27. 14th Year (Jan 1995) - pp. 200 - 233

43. Chaudhuri , K. N. (Prof.)

The Arab Gulf and Trade in the Indian Ocean

No.17 . 9th Year (Jul. 1990) - pp. 194 - 215

44. al-Doi , Ali (Dr.)

Bahrain According to Arab Geographers and Historians (Summary)

No.6 . 3rd Year (Jan 1985) - pp. 206 - 207

45. Edens , Christopher

Bahrain and the Arabian Gulf in the 2nd Millennium B. C.

No.10 . 5th Year (Jan 1987) - pp. 216 - 236

46. Al-Hamadani , Tariq Nafi (Dr.)

A Study of Bulletins and Documents About the Portuguese Invasion and the Domination of the Arab Gulf

No.14 . 7th Year (Jan 1989) - pp. 190 - 217

47. Kervran , Monik (Dr.) &Abahussain , Ali (Dr.)

Preliminary Report pertaining to the Excavation of Qal'at Al-Bahrain

No.26 . 13th Year (Jul. 1994) - pp. 202 - 223

48. al-Khadem , Husain (Dr.)

Ibn Majid and his role in discovering a sea-route to India and Evidence of Scientific Thinking in his Writings

References About Bahrain (Western Sources)

No.6 . 3rd Year (Jan 1985) - pp. 210 - 239

30. al - Baharna , Husain M. (Dr.)

Oral Pleadings before the International Court of Justice : First Day , 4 March 1994 and Last Day , 11 March 1994 .The following also pleaded :

Professor Derek Bowett

Professor Elihu Lauterpacht

Dr. E. Jimenez de Archega

Professor Prosper Weil

Mr. Keith Highet

No.25 . 13th Year (APR 1994) - pp. 13 - 309

31. Barros , Joseph de (Dr.)

Historical Relations Between the Arab Gulf and India Before the Arrival of the Portuguese

No.20 . 10th Year (Jan 1992) - pp. 164 - 191

32. Belgrave , Robert

Charles Belgrave

No.4 . 2nd Year (Jan 1984) - pp. 200 - 214

33. Bhandarkar , A. S. (Dr.)

My Thirty Years' Service in Bahrain

No.13 . 7th Year (Jul. 1988) - pp. 196 - 215

34. Bidwell , C. Robert

Bahrain During the Second World War

No.9 . 5th Year (Jul. 1986) - pp. 200 - 215

35. Borges , Charles G.

The Portuguese Policy Towards the Gulf of Hormuz

No.18 . 9th Year (Jan 1991) - pp. 172 - 197

36. Brice , C. William

Instruments of Navigation in the Bahrain Sea

No.9 . 5th Year (Jul. 1986) - pp. 189 - 199

37. Bushihri , Ali Akbar

Animals of Dilmun

No.8 . 4th Year (Jan 1986) - pp. 208 - 218

38. Bushihri , Ali Akbar

Dilmun Fashions

No.20 . 11th Year (Jan 1992) - pp. 233 - 237

20. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid

Modern History of Bahrain in Russian Sources

No.27 . 14th (Jan 1995) - pp. 234 - 237

21. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid

Pages From the History of Bahrain: (Shaikh Salman Bin Ahmed)

No.9 . 5th Year (July 1986) - pp. 238 - 261

22. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid & Abahussain , Ali (Dr.)

The State of Ayounis

No.3 . 2nd Year (Jul. 1983) - pp. 14 - 38

23. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid

A Treacherous Invasion and Falsification of History

No.18 . 9th Year (Jan 1991) - pp.218 - 225

24. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid

A Window on Bahrain's History:

Shaikh Salman Bin Ahmed Al Khalifa

No.11 . 6th Year (Jul. 1987)- pp. 201 - 223

25. Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid

Why This Special Number?

No.25 . 13th Year (April 1994)- pp. 8-11

26. Ali , B. Shaikh (Professor)

Arab Impact on Indian Historiography

No.19 . 10th Year (July 1991) - pp. 198 - 214

27. al - Anani , Ahmed

The Portuguese in Bahrain (Summary)

No.6 . 3rd Year (Jan 1985) - pp. 208 - 209

28. Antony , T.A.

Documents on the Modern History of Bahrain From American Sources

No.4 . 2nd Year (Jan 1984) - pp. 229 - 243

29. Awwad , Korkis

Arab Court of Justice . . . Its needs and the reasons
No. 28. 14th year(July 1991) - pp. 226 - 230 .

11. **Abahussain , Ali (Dr.)**
Al Khalifa, Shaikh Abdullah Bin Khalid
Development of administration during the reign of Shaikh Salman Bin Hamad Al Khalifa
No.28 . 14th Year (July 1995) - pp. 195 - 225

12. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
The Arab World Between Psychological and Geographical Barriers
No.19 . 10th Year (July 1991) - pp. 215 - 219

13. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
Bahrain According to Local Sources
No.26 . 13th Year (July 1991) - pp.224 - 245

14. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
Bahrain in the Seventh Century of Hijra
No.2. 1st Year (Jan 1983) - pp.12 - 39

15. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
Editorial: Towards a Big Encyclopedia of Gulf History
No.23 . 11th Year (July 1993) - pp. 222 - 225

16. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
A Eulogy and a Tribute
No.21 . 11th Year (July 1992) - pp. 234 - 237

17. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
GCC: Historical Compulsions and Future Horizons
No.24 . 12th Year (Jan 1994) - pp. 230 - 239

18. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
Health Services in Bahrain
No.8 . 4th Year (Jan 1986) - pp. 219 - 241

19. **Al Khalifa , Shaikh Abdullah Bin Khalid**
The Lesson of History: Peace and Security are the Pillars of a Prosperous Economy

AUTHOR INDEX

and research before scholars and researchers. Thus started the publication of documented researches and it is fourteen years since the magazine "Al Watheeka" was brought out by the "Historical Documents Center" of Bahrain.

It was incumbent on us to bring out its subject index so that the reader can easily refer to the topic of his interest from a range of 28 issues of the magazine since the publication of the first one in 1982. This is an index prepared on the basis of authors and their subjects whether published in English or in Arabic in an alphabetical order.

This will facilitate the tracing of the author or the subject and the issue of the Magazine in which the desired subject is published and the date of publication along with the page numbers. This commendable effort by Dr. Ali Abahussain, the Director of the Center will help the scholars to have easy access to what they are searching for. May God grant him success in his continuing effort to preserve our heritage and facilitate our benefiting from it.

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

Secretary General, Centers for Studies and Documents of the Arab Gulf and the Arabian Peninsula

and President, Historical Documents Center-Bahrain

"ATHEEKA"

RIODICAL ISSUED BY
NTER - THE STATE OF BAHRAIN
No.28 of 1995

COMPILED BY

Dr. ALI ABAHUSSAIN

FOREWORD

Since a document is a link between our past and present it is a key to the past. Without documents it is not possible to compile an authentic history and any science which is not recorded is consigned to oblivion.

For this purpose Centers for Documents and Historical Studies were established which endeavored to search for documents, photocopy them, translate them and place them at the centers for researchers and scholars. They went a step further and started publishing research papers through the columns of authoritative periodicals thus opening up a vista of knowledge

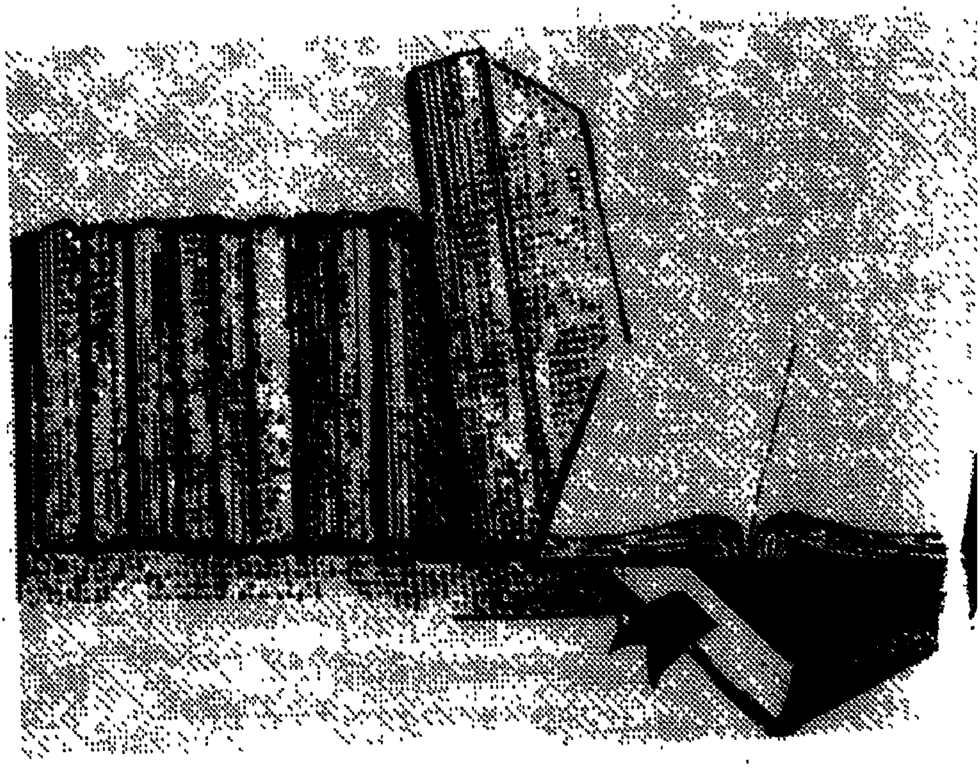
In the name of God, the Beneficent, the Mercifu

INDEX "AL

A HISTORICAL REFEREED

THE HISTORICAL DOCUMENTS

From No.1 of 1982



Sultan, to threaten the Portuguese garrison in Gombrun (Bander Abbas) to divert the Portuguese from Bahrain, and the Portuguese mission in Iran sent one of its members post-haste to Hormuz to persuade his countrymen not to jeopardize the success of the negotiations by provoking a breach with Iran over the occupation of Bahrain. It is stated in Portuguese history that Shah Abbas ordered that Bahrain should be restored to the Portuguese, but if this order was given it was not carried out. The Portuguese garrison in Gombrun mutinied and surrendered the town to the Persians, and eventually, partly for political reasons and partly because they were so hard-pressed, the Portuguese abandoned their project of an attack on Bahrain "for the pretensions of an island which we could easily conquer later on." But this was a vain boast; Bahrain was never again taken by Portugal, although for many years the King of Portugal continued to protest at the occupation of Bahrain by the Iranians, and on one occasion, in 1605, he ordered his Viceroy to make war on Bahrain by sea and by land and suggested that the Captain of the fort might be bribed to surrender. It was not until 1622, when the Portuguese lost Hormuz to an allied Iranian and English force, that they finally gave up all hope of recovering Bahrain.

Shah of Iran at his unfriendly action in assisting the rebellion in Bahrain, but the latter made the flimsy excuse that he had not taken Bahrain from the Portuguese, but from a vassal of the King of Hormuz.

In spite of their difficulties, the Portuguese prepared to recover Bahrain, and the Governor of Hormuz, Don Pedro Contigno, appointed one of his officers, Captain Francisco da Soto Major, as the commander of a mixed force of Portuguese and Hormuzians, whose object was to prevent the Persians sending more troops to Bahrain and recapture the islands. Although they were joined by some troops and ships of war from India under Don George of Castle Bruno, the expedition was a weak one and the ships were undermanned.

The Governor of Hormuz "arranged all things well, with diligence and prudence, and without doubt he would have recovered Bahrain as he hoped, having acquired great reputation in all sea affairs," but unfortunately for him he had enemies at the court of the Viceroy at Goa who were intriguing against him. At this critical moment their intrigues bore fruit. He was suddenly dismissed from his command, which was not an unusual event, without even being given an opportunity to defend himself.

Diezo Barrato, his successor, was a sick man, and on assuming command he found that the forces were severely depleted by disease and the need of taking away men to fight the Dutch. His second in command, Gasper da Mello, made strenuous efforts to fit out the expedition, but with small success.

The ruler of Iran, the famous Shah Abbas, on hearing that the Portuguese were preparing to recov[er] Bahrain, dispatched [a] formidable army of five or s[ix] thousand men, under Ad[...]

Portuguese navy decreased; the captains of the fleets, who when they first arrived were almost invincible, began to "shirk encounters"; instead of confining their attention to fighting, they paid too much attention to enriching themselves by trade.

In 1602 the Portuguese were expelled from Bahrain by Iran, and an account of the incident is given at some length by a contemporary writer. The Governor of Bahrain, a relation of the King of Hormuz, treated the people of the islands with excessive harshness and oppression. His tyranny culminated in the murder of a wealthy and much-respected Bahrain pearl merchant, whose possessions, which included many valuable pearls, were seized by the Governor. The murder caused great indignation, but the people were too afraid to retaliate. The murdered merchant had a brother who was very devoted to him and who determined to avenge the murder. Concealing his feelings, he attached himself to the Governor and eventually managed to win his confidence so thoroughly that one day he got an opportunity and stabbed him to death with a dagger. Having done this, he proclaimed himself ruler and was joined by most of the local population. They overpowered the small Portuguese garrison and seized the fortress, and the Prince of Shiraz sent a force to assist the rebels and to take control of the islands in the name of the Shah of Iran.

Portugal and Iran at this time were outwardly on friendly terms, and a Portuguese mission was visiting Iran and endeavoring to persuade the Shah to join the Portuguese in fighting the Turks. If the mission achieved its object, the Portuguese would be free to deal with the Dutch, whose ships were "infesting the oceans." The King of Portugal remonstrated with the

rallied and fell on the Portuguese in an ambush, killing many of them, including their leader, Don Alvara da Silvera, whose body was never recovered from the enemy. A great number of the Portuguese were slain, and Rais Murad retired again to his fortress.

Pero Peixoto took command of the Portuguese, and while the guns of his ships cut off their retreat to the sea he launched another attack on the Turks, who finally surrendered. They were allowed to leave Bahrain on condition that they handed over their arms, prisoners and animals and ammunition, and ten thousand ducats. After this ignominious defeat the Turks retired to Basra, and the Portuguese re-established their authority over Bahrain.

During the second half of the sixteenth century there is very little recorded about Bahrain. A local Arab author states that the Portuguese repaired the fort in 1586 and that this date is inscribed on some stones in three of the four towers, but no such inscription exists now, although someone during recent years wrote this date in black paint on various places on the walls.

After 1580 the power of the Portuguese in the East began definitely to wane, mainly owing to the domination in Europe of Spain over Portugal, which lasted for sixty years. It was a disastrous period for the Portuguese; in India and the Persians Gulf they were threatened by the Turks, the Dutch, the French, and the English, who snatched from them most of their great Eastern empire. They were no longer able to sustain their garrisons, and, as the number and quality of the reinforcements dwindled, the Arabs and the Persians became more bold in opposing the tyranny of the infidel conquerors. The prestige of th

up from the bed of the sea. When Sidi Ali made inquires about the Portuguese he received evasive answers.

On leaving Bahrain he met a strong Portuguese fleet in the neigh-bourhood of Muscat; there were twelve large ships of war and twenty-two smaller ones. Their mizzen sails were set and their gilded beak-heads, towering forecastles, and masts gay with bunting obscured the horizon. Undaunted by their superior numbers, the gallant Turkish Admiral attacked the enemy. The ships bombarded each other with cannon; they came closer, and the fighting men hurled down javelins and arrows from the high turrets while the sweating slaves tugged at the oars. Finally, they grappled and fell upon each other, fighting fiercely with swords and spears. Five Turkish galleys were destroyed, and there was great loss on both sides; many of the refugees landed on the shore, where they were hospitably treated by the natives, but eventually the remainder of the Turkish fleet made its way down the Gulf.

Shortly afterwards the Turks made a determined effort to capture Bahrain. In 1559 a powerful force of 1,200 Turks and Janissaries, in two galleys and seventy barques, was sent against the islands. Rais Murad was still the Governor, and the Portuguese sent a fleet from Hormuz to his assistance. On the way it met some Turkish ships and drove them on to the shore. The Turks had landed and besieged the fortress, and when the Portuguese arrived they had a council of war and decided to surround the besiegers. However, the Portuguese officers became impatient and forced an engagement. Rais Murad broke through the Turkish line with 300 well-armed men and joined the Portuguese, and together they routed the Turks. The Portuguese pursued the Turks, counting the victory already won, but the Turks

By the middle of the sixteenth century the Turks were vigorously challenging the supremacy of the Portuguese in the Gulf. Sultan Suliman had ambition which rivalled those of the Portuguese; he aimed at extending his realm throughout the Iranian Gulf, and he hoped to possess the western coast of India. The Portuguese ships were superior to those of the Turks, and their men were better armed, but the Turks enjoyed advantages over their adversaries in other ways. The religious sympathies of the people in the Gulf were with the Turks, and the Portuguese were regarded as infidels. The Turks were nearer to their base and less affected by climate and disease, and they had not been long enough in the Gulf to acquire the reputation for rapacity and cruelty which characterized the Portuguese.

In 1553 the Sultan appointed Sidi Ali Chalabi as Admiral of the Turkish fleet, with orders to recover the Turkish ships which had been abandoned in Basra after the piratical exploits of Piri Beg. Sidi Ali was a distinguished Turk, a poet, a writer on navigation, and a brave fighter. He wrote a book about his travels and adventures, in which he described his experiences in the Iranian Gulf. He travelled from Aleppo to Basra by land, a journey which took several months, and he took over charge of the ships at Basra from Murad Beg, formerly the Governoı of Katif. After repairing and equipping the Turkish galleys, Sidi Ali set sail from Basra and cruised down the Gulf, visiting various ports, including Bushire, Katif and Bahrain. At the last place he stayed a little time. The islands were governed on behalf of the Portuguese by a local ruler, Rais Murad, wh received Sidi Ali wit friendliness and showed hir among other things, the stran springs of fresh water comi

Soon after the capture of Baghdad a Turkish fleet commanded by Piri Beg arrived in the Gulf and attacked Muscat. After capturing the city and taking many prisoners, Piri Beg made an unsuccessful attack on Hormuz. The Portuguese fleet pursued him, and he returned to Basra with the enemy at his heels. Among the prisoners on his ship was the Portuguese Governor of Muscat, and, acting on his advice, Piri Beg left Basra with three galleys loaded with loot and plunder. He managed to evade the Portuguese fleet and sailed out of the Gulf, but he lost one of his ships, loaded with treasure, off Bahrain, and finally reached Egypt with the remaining two. History does not relate what happened to the Portuguese officer, but Piri Beg was eventually tried, convicted, and executed, and his vast wealth, most of which was accumulated by acts of piracy, was confiscated by the Sultan.

During the following years the Turks gained many successes in the Gulf. They captured and destroyed Kishm and twice occupied Muscat, but each time they were driven out by the Portuguese. In 1550 Katif, which was a place of importance, was ruled by a vassal of the King of Hormuz, who was subject to the King of Portugal. The people of Katif, assisted by the King of Hassa, rebelled against the Hormuzian rule, expelled the Governor, and appealed to the Turks for help. The Turks welcomed the opportunity of establishing themselves on the mainland of Arabia and sent a force from Basra which occupied the port. Their proximity was a serious danger to Bahrain, and in order to prevent its occupation by the Turks the Portuguese sent a force from Hormuz under Antonio da Naronah, who drove out the Turks, levelled the fortress of Katif to the ground, and re-installed the Hormuzian Governor.

Up to this time the Portuguese were still the masters of the Gulf and boasted proudly that its seas were "covered with a wood of ships, the product of the Government's great care"! One of their ambitions was to found a new race from the offspring of their soldiers and seamen, who had intermarried with Indian and Arab women, which would provide them with sailors and local troops. The Portuguese Governors lived richly in splendid residences, and their ships and fighting men were still very superior to those of their opponents. But there were signs that their power was beginning to decline. They depended for ammunitions and reinforcements on Portugal, which was far away; their captains no longer confined themselves to the work of conquest and consolidation, but indulged in private trading; and before the middle of the century they were faced with serious opposition from the turks whose strength had gradually been increasing since they first encountered the Portuguese at the beginning of the century.

In 1517 the Turkish Sultan Selim conquered Egypt, made himself Caliph, and annexed the Yemen, so the Turks were able to increase their opposition to the Portuguese by threatening them in the Red Sea. In 1534 Suliman the Magnificent, son of Selim, took Baghdad from the Persians, and from there he began to extend his influence southwards down the Gulf. In the same year the King of Hassa and the ruler of Bahrain, who were, for the time being, independent, sent envoys to submit to the Turkish Viceroy, though actually they paid no allegiance to the Turks. This is the first time that Bahrain came into contact with the Turks, and it is possible that the baseless claim that Turkey advanced at one time to the sovereignty of Bahrain date from this incident.

they had only one and a half casks of gun-powder.

They reached Bahrain in September, the hottest, dampest, and most unhealthy month in the year. They wasted half their small supply of powder in saluting the port. The Bahrain chief hung out two flags on the tower of his fortress, one white and the other red, to show that he was prepared either for peace or for war, but the Portuguese captains were determined to fight. For three days they pounded the walls of the fort with their cannon, and then their supply of gunpowder gave out. In the meantime the Arab leader offered to surrender, on certain conditions, but the Portuguese were determined not to lose the chance of looting and refused to accept the surrender. A ship was sent back to Hormuz to bring more powder, but it took not less than fourteen days to go and return, and before this time elapsed the Portuguese were conquered by natural causes.

The soldiers were attacked by fever, and a severe epidemic broke out among them which affected the Hormuzian troops almost as severely as the Portuguese themselves. Their food supplies gave out and they had to depend upon what was given to them by the enemy, who seem to have acted with remarkable benevolence. When only thirty-five of the Portuguese remained fit for duty they decided to withdraw. The sick men were dragged down to the shore by ropes tied to their feet and carried into the boats by the native sailors. The wretched survivors of this ill-fated expedition, weak from illness and so few that they could scarcely man the ships, had great difficulty in reaching Hormuz; many of them perished on the way, including Simon da Cunha, who is said to have died of a broken heart.

kissed the ground at the feet of the Imam and returned to his people to tell them the good news. On the next morning they all assembled before the Wali, and the mullah did all the things that the Imam had ordered, and everything happened as he had been told, but when the Wali commanded his Wazir to break the pomegranate, smoke and ashes burst forth from it and covered the face and bead of the Wazir.

Then the Wali turned to the mullah and asked him, "Who told you about this trick?"

The mullah answered, "Our Imam and the demonstration of Allah towards us. "

Then the Wali rose up from his seat and took the mullah by the hand and called on Allah to bear witness to the trick which had been played on the Shias, and he summoned his servants and his executioner and cut off the head of the Wazir and asked pardon from the people of Bahrain.

In 1529 Bahrain was again in rebellion against the Portuguese . The islands were governed by a relation of the King of Hormuz. The King of Hormuz himself had been sent to Portugal, as he became too rich in Hormuz. The Portuguese demanded a higher tribute, and in order to pay this the Hormuzians tried to obtain more money from Bahrain, but the Governor refused to pay.

The Portuguese Viceroy, Nuno da Cunha, appointed Tavarez da Sousa as commander of the seas, and it was intended that he should take command of an expedition against Bahrain. Apparently he was loath to go there, and he persuaded the Viceroy to appoint in his place Simon da Cunha, the Viceroy's brother. After waiting some time for reinforcements from Portugal the fleet sailed from Hormuz It consisted of five vessel carrying 400 men, and som native craft, but it is said th

"If you are really the Imam, " said the mullah, "you could read what is in my heart and you would know what I need without my telling. "

The man replied, "Indeed I do know. You came out because of what was written on a pomegranate. "

When the mullah heard this he was convinced and became all ears while the Imam spoke the following words:

"In the house of the Wazir there is a courtyard, and in the center of the courtyard there grows a pomegranate tree. When the tree bore fruit in the summer the Wazir made a mould of clay the size of a pomegranate and cut it into two halves. Inside each half he wrote the writing which you mould over a young pomegranate and bound it tightly while the fruit was still immature. In this way he affected it and caused it to become as it is now.

"Tomorrow, when you return, say that you have found the answer, but refuse to deliver it except in the house of Wazir. When you go to the house, enter the courtyard and look to the right. You will see a stairway leading to an upper room. Say to the Wali that you will give your answer in that upper room. The Wazir will refuse to allow this, but you must insist. When the Wazir goes up the stairs, follow him closely and do not on any account leave him alone in the room. As you enter the room look towards the window, and you will find the very mould which the Wazir used for his device. Then take the pomegranate from the bag, force it into the mould; and place it before the Wali so that he can see the trick which was practiced by his Wazir. Tell the Wali that you have another miracle, and ask him to order the Wazir to break the pomegranate and see what will befall. "

When the mullah heard this advice he was overjoyed and

three days time, and in three days we will seek an acceptable answer. If we find no answer in this time, do with us as you wish. "

The Wali granted their request, and they left him in fear and trembling and assembled in one of their houses to consider the matter. They chose ten of their most religious men, and out of the ten they chose three, and to one of the three they said, "Go this night out into the desert alone and worship Allah and implore our Imam to help us and to give us some sign which will show us an escape from this calamity. "

The mullah went out into the desert and stayed all night, worshipping Allah, weeping and praying for help, but when the dawn came he had seen nothing, and he returned sadly to his people.

On the next night the second mullah went out, but he, too, returned in the morning, having seen and heard nothing, and there was wailing and lamentation among the women in all the villages of Bahrain.

On the last night the third mullah went out. He was a very pious man and his name was Mohammed bin Isa. He went bareheaded and barefooted into the desert, and the night was very dark, for there was no moon. He wept and he prayed and he implored Allah to save the believers from destruction. A little before dawn he saw the figure of a man which approached him and said, "Why do I see you, Mohammed, in this condition? Why are you out in the desert at night?"

The mullah replied, "Oh, man, leave me alone. I am here for an urgent purpose, to prevent a great calamity, and I cannot speak or complain about it except to my Imam. "

Then said the man, "Yal. Mohammed, I am the Iman Tell me what it is that yo need. "

Wali had a Wazir, who was also a Sunni, and he hated the Shias so bitterly that he never ceased plotting to injure and destroy them by every possible means.

One day the Wazir came to the Wali holding in his hand a pomegranate. On the pomegranate was inscribed "La illah ila Allah wa Mohammed rasool Allah" and the names of the Caliphs Abu Bakr, Omar, Othman, and Ali. The Wali examined the pomegranate carefully and saw that the writing was actually embedded in the pomegranate itself, not merely cut upon the skin; without doubt it could not have been written by any human hand.

He said to the Wazir, "This is a miracle, an evident demonstration against the belief of these apostates. Now what is your opinion about these Shia people in Bahrain ?"

The Wazir replied, "Allah has shown you the right way. Verily these are a fanatical people. You should summon them all and show them this pomegranate, and if they accept this divine proof and are converted to the right belief, then Allah will reward you. If they do not accept this proof, you should order them to provide an answer to the miracle, and, if they cannot explain it, then degrade them, make them pay tribute, seize their women, kill all their men."

The Wali accepted his Wazir's advice and summoned all the chief men of the Shias, the Ulima, the nobles, and all who were intelligent and religious, and he showed them the pomegranate and told them what he had decided. They looked at the pomegranate and told them what he had decided. They looked at the pomegranate and they were amazed, their faces changed color, and the muscles of their shoulders shook. Then the oldest of them all stepped forward and said, "Give us

likely that the numerical strength of the forces is not accurately described, but in any case the defenders must have far outnumbered the Portuguese and their Hormuzian allies.

In 1522 the King of Hormuz organized a rebellion throughout the Gulf against the Portuguese. On a given night there were simultaneous risings in Hormuz, Bahrain, Muscat, and Sohar. At Hormuz the Portuguese garrison was besieged in the fortress, but eventually relieved by reinforcements from Muscat. In Oman the rebellion was not successful, and, seeing that it had failed, the King of Hormuz fled to Kishm, where he was afterwards murdered. He was succeeded by his son, aged 13, who made a new treaty with the Portuguese in 1523.

The rebels in Bahrain met with better success. According to an Arab history, the people of Bahrain had suffered very severely from the tyranny and oppression of the conquerors. On the appointed night, led by their chief, Shaikh Hussein bin Said, they attacked the Portuguese garrison and completely surprised them. They seized the Portuguese Governor and hung him on a date tree, and they expelled the remnants of the garrison. Shaikh Hussein then proclaimed himself the ruler of Bahrain. After some time, however, he made terms with the Portuguese and was appointed by them as a local governor with a Portuguese official, de Menzies, as his assistant and adviser. Bahrain returned again to Portuguese rule.

There is a story told in one of the local Shia histories of Bahrain about its occupation by the Portuguese.

The islands were ruled, on behalf of Portuguese, by a Mohammedan Governor, or Wali, who belonged to the Sunni sect, although the people of Bahrain were Shias. The

Mocrin had prepared defences against the enemy and had built earthworks and entrenchment along the shore. He had a force of 300 Arab horsemen, 400 Iranian archers, 20 Turkish musketeers, and about 11,000 Arabs armed with various weapons. His fortifications were furnished with some cannon, and his forces were led by tried commanders, but they had never before been called upon to face an attack by European forces clad in armour and using European weapons.

The Portuguese led the attack. Antonio came first with 170 men, followed by his brother with 50 men, and Rais Zarafa stood in reserve. The Portuguese waded ashore and stormed the trenches, which were hotly defended by the Bahrain troops under the King in person. The heat was terrible, and at noon weariness and the sun compelled both sides to pause. In the evening the attackers advanced again, and Mocrin was shot through the thigh. His followers were so disheartened that they began to give way ;many surrendered, and many were killed and wounded, and finally at the end of the day the Portuguese won a complete victory, and their occupation of Bahrain dates from this time.

Rais Zarafa obtained information that the body of King Mocrin, who died a few days after he was wounded, was being taken to Hassa for burial. He intercepted the ship and seized the King's body. The head of Mocrin was cut off and carried back to Hormuz, a bilingual inscription was set up in the city commemorating the bold exploit of Antonio Correa, and the King of Portugal granted him permission to add a King's head to his coat of arms and to assume the title of "Bahrain" after his name. The only description available of the taking of Bahrain is from Portuguese sources, and it is

Duarte Barbosa, when mentioning the various islands in the Iranian Gulf which previously belonged to Hormuz, gives the following description of Bahrain :

"Barem, wherein dwell many merchants and other worthy folk, is wellplaced in the midst of the Gulf so many ships with much merchandise sail thither. Around it grows much seed pearl, also large pearls of good quality ;merchants of the island themselves fish for pearls and have great profit... hither come Hormuz merchants to purchase seed pearls, which they sell in India..." Other characteristics which he mentions are the variety of fruits, extraordinary deep springs of brackish water, dates, wheat and barley, falcons, and horses. Manamah is mentioned as being the name of a town at that time.

The first detailed account of the coming of the Portuguese to Bahrain is the description of its conquest in 1521. When the Portuguese ordered their vassal, the King of Hormuz, to pay the annual tribute, he pleaded as an excuse for not paying his quarrel with Mocrin, the ruler of Hassa, over the ownership of Bahrain and Katif. Diego Lopes Sequiera, the Portuguese Governor, agreed to help the King of Hormuz by sending an expedition against Bahrain to enforce the payment of tribute. Antonio Correa, the Governor's nephew, was given command of the expedition, which consisted of 400 Portuguese soldiers, who filled seven ships, and about 3,000 Arabs, who were carried in 200 vessels. The Armada set sail from Hormuz on June 15, but owing to bad weather the ships were scattered on the way, so that when Antonio Correa reached Bahrain he had with him only 250 Portuguese besides some Hormuzian soldiers, who were commanded by Rais Zarafa

obliged to leave Hormuz and return to India.

During the next few years, while Alboquerque was in India, Iran endeavored to regain control of Hormuz, but without success. In 1514 Alboquerque sent his nephew Pero to collect the annual tribute from the King of Hormuz and to reoccupy the fortress, and while at Hormuz Pero explored the northern straits of the Gulf as far as Bahrain. This appears to be the first time that the Portuguese visited Bahrain, but no fighting took place and they did not leave a garrison. Owing to a civil war in Hormuz, the demands of the Portuguese were not carried out, and in 1515 Alboquerque returned there himself and after negotiations with the King of Hormuz, Saif al Din, the island was handed over again to the Portuguese and their garrison was installed in the fortress. About this time the King of Egypt dispatched a fleet to the assistance of the Indian princes, who had appealed to him for help against the tyranny of Portugal, and Egypt from this date joined issue against the Portuguese. Alboquerque died at Goa in 1515, leaving his nephew Pero at Hormuz. He was succeeded as Viceroy by Lopo Soarez.

The power of Portugal was approaching its zenith; Hormuz and its tributaries were under its way and it controlled the import trade and the northern routes to Europe. The naval prestige of the Portuguese was unrivalled, and everywhere their fleets were victorious; their King's representative kept regal state in Goa, from where he ruled over Portugal's Eastern empire, and "only rare and feeble opposition told of deep resentment of their intrusion and brutality. " Bahrain, as well as the other dependencies of Hormuz, was subject to Portugal.

the Indian trade and the pearl fisheries, possessed large territories both in Iran and on the Arab coast. The islands of Bahrain were subject to Hormuz, which was the distributing center for the pearls of the Gulf, but Hormuz itself paid tribute to the Sultan of Kerman. The rapid success of the Portuguese navy, both on the Indian coast and in Oman, established for it a reputation of invincibility, and the coming of the foreign conquerors with their strange ships and weapons spread fear and terror along the coasts and the islands of the Gulf.

When Alboquerque and his fleet of tall ships arrived at Hormuz he found that the King was aware of his intention and the Hormuzians were prepared to defend their islands. The harbor was filled with ships, the battlements were lined with armed men, and foreign mercenaries had been called in to assist the defenders. Bahrain had sent a fleet with "relief of men and provisions," but the Portuguese met the Bahrain ships near Kishm and pursued and scattered them. Alboquerque called on the King to surrender the Island to Portugal, and when he refused a fierce sea fight took place in which the Portuguese gained the day, although they were tremendously outnumbered. The King of Hormuz became the vassal of the King of Portugal and was forced to allow the conquerors to build a fortress at one end of the island for their garrison; he agreed to pay an annual tribute, and granted the Portuguese certain concessions in the matter of Customs. These concessions were revised in later years until finally the complete control of Customs passed into the hands of the Portuguese. In 1507 the King of Hormuz refused to pay tribute to Shah Ismail, the ruler of Iran, having transferred hi allegiance to Portugal. In t' following year, mainly owi to the intrigues among captains, Alboquerque v

Alfonso d'Alboquerque took over command in the Gulf and attacked Muscat with a large fleet. Muscat was an important place, a tributary of Hormuz. The Governor of Muscat refused to submit, so the town was pounded by Portuguese guns until it surrendered. The Portuguese landed and captured many of the chief inhabitants, whose ears and noses they chopped off; the city was plundered and then wantonly destroyed by fire, and the victorious fleet sailed off along the Oman coast and captured several other ports, which were treated in the same way. After this Alboquerque turned his attention to Hormuz, the Key of the Iranian Gulf.

Today Hormuz is a tiny fishing village on a barren salty island which is visible from ships as they enter the port of Bander Abbas, but when Alboquerque first sailed the waters of the Gulf, Hormuz had the reputation of being a city of fabulous wealth and incomparable luxury and magnificence. The city was originally on the mainland, but when the Tartar hordes swept over Persia it was destroyed and then rebuilt on the island. So famous were the wonders of Hormuz that the sixteenth century poets in Europe frequently referred to it in their works. To this "jeweled signet of a golden ring" came merchants from all parts of the Orient trading in precious Eastern wares. In the richly stocked markets of Hormuz they sold silks and jewels, ivory and pearls, cloths of silver and of gold, as well as Arab horses and "the finest asses in the world," which may well have been the forbears of the famous Bahrain strain of white donkeys. Even today these donkeys have a great reputation and are found as far off as the center of the Tanganyika Territory in East Africa, where they were taken by Baluchis from Muscat via Zanzibar and Dar Es Salaam. The King of Hormuz, who had accumulated great wealth from

The city of Calicut on the west coast of India, which was ruled by the Zamorin, a Hindu King, was the focus of the Indian Ocean trade, but the great emporium and the meeting-place of Eastern merchants was the famous town of Hormuz, situated on an island on the Iranian coast. To Calicut came huge Chinese junks laden with merchandise from countries beyond India, and from Calicut the Arab fleets carried their cargoes of spices and cinnamon and all the produce of the Indies up to the Iranian Gulf of Basra and through the Red Sea to Tor and Jedda, where caravans met the ships and conveyed the cargoes across the deserts to the Mediterranean ports.

The Portuguese, whose seamen were then the finest in Europe, possessed the spirit of adventure and the ambition to extend their empire, and for many years they had been interested in the spice trade. Several times they had sen successful missions by th overland route to India t esquire into the source of thi lucrative industry. In 149 Vasco da Gama made hi historical voyage to India b rounding the Cape of Goo Hope. He led the way for th successful entry of hi countrymen into the Irania Gulf and opened up the roa for Europe's maritime invasio of the East. Fleets followe fast, and in a few years th Portuguese had ousted th Arabs from their supremacy a sea and had laid th foundations of their grea Eastern empire with its capita at Goa.

When the Portuguese firs arrived in the Indian Ocea they anchored off Calicu where they met wit opposition from the Hind King. They bombarded th city, which finally surrender to Pedro Cabral, who order it to be sacked. A few ye later the famous Adm

N BAHRAIN ISLANDS

1521-1602

by

C. D. BELGRAVE

It the end of the fifteenth century the Arabs, ecially those of Oman and the Yemen, were the ıcipal sea traders of the East. They held a position ch was somewhat similar to that previously held the Venetians in Europe . Their well-equipped ts were strong enough to protect their trade from pirates who at that time, and for many centuries ore, infested the coasts of the Persian Gulf


THE PORTUGUES

them in view of the special circumstances which prevailed in the past.

Without a doubt the Russian archives have many holdings in which we are interested even as we have much which will be of interest to Russian historians and writers. In this respect the seminar has made a gain.

Previously the Secretariat established access to the Ottoman Archives and has since opened up channels with the Indian and Dutch Archives in pursuance of the Secretariat General's efforts to realize the aspirations of hundreds of historians and researchers by provisioning the greatest quantum possible or available of historical sources necessary to spur the movement for the study of history in the region in earnest. This will serve the cause historical research as also the students of the region besides the general run of readers.

We earnestly hope that the Secretariat General has realized some of the aspirations which are truly abounding.

May God Grant success.

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

the Revolution and it confined itself to infiltration tactics through social movements here and there, this disguise was inevitably a reflection of certain underlying reasons which it was useful to reveal and identify in their true dimensions . Now that the Iron Curtain has collapsed and many channels hitherto closed have opened up and there is scope or an effort for the furnishing of documents which have remained veiled for a long period, it has become very important to know the Russian thinking particularly during the decades when it was one of the two super powers which presided over the destiny of the whole world . Many Russians have written about the Gulf; in fact, some of them specialize in this region and have significantly added to the fund of our knowledge by portraying their point of view which is indispensable for understanding the many dimensions of a complex picture . Nevertheless, these writings, like most other foreign writings about the region have their reservations . Perhaps the material given or as available to the writers was the reason for their lack of a comprehensive understanding of the social, political or economic compulsions which guided relations between individuals ,groups of people, nay even the states of the region . If the Bahrain meet has opened up a vista for some of the these Russian archival material we hope that these windows shall remain open for the participant Russian scholars to look through them and get to know the tenor of life in the region and learn through their contact with their colleagues from the Gulf of the Arab region in general much of which remained hidden from

of foreign archives concerning the Arab Gulf and the Arabian Island; collecting them, studying them and benefiting from them for throwing some light on certain historical periods in the vast canvas of the Gulf. The erstwhile Soviet Union has remained shrouded in secrecy for most people since it was cordoned by an elaborate iron curtain preventing access to what its vaults held in them. Although some Russian historians did write about the Gulf they invariably referred to a large number of documents concerning the region held in Russian archives. With the changed circumstances a channel opened up for acquainting oneself with what these archives offered. This is what was palpably achieved in the Bahrain meet which was attended by a number of Russian scholars of note who presented a number of valuable studies based on the Russian archival material.

Russia aspired, eversince the Czarist days, for warm waters and there was some activity particularly in the 18th and 19th centuries, now overt and now dormant, according to the changing balance of international forces reflecting Russia's relations with the big powers which had a dominant presence in the region. Sometimes it was in response to certain agreements or exchange of communications or contacts the details of some of which have now been unveiled but most of them remain obscure lingering in the cellars of Russian archives which contain a vast number of documents covering this period. Although the Russian role in the region was disguised during the twentieth century after

In the name of God, the Beneficent, the Mercifult

A WORD ABOUT THIS ISSUE

Documents from behind the Iron Curtain

by

H.E.Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

A seminar was held in Bahrain from 5 to 7 Januar\ 1997 to which a number of scholars from the erstwhil\ Soviet Union together with a number of archivists wer\ invited . This seminar was a step on the road charted b\ the Secretariat General of the Centres of Document\ and Studies of the Gulf and the Arabian Island and it i\ a Secretariat over which I have the honour to preside . As for the way, it aims at adding to our historical information from the material available in the holding\

Magazine Committee

Shaikh Abdullah Bin Khalid Al-Khalifa

Shaikh Isa Bin Mohammed Al-Khalifa

Dr. Ali Abdel Rahman Abahussain

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage, Thought and History of
Bahrain And The Gulf

Bahrain P B 28882

Telephone — Historical Documents Centre —
664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

AL WATHEEKAH

A Half-Yearly Journal Published by

The Historical Documents Centre

The State of Bahrain

SHAABAN 1417H - JAN. 1997
ISSUE No. 31 - 16TH YEAR

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL

بسم الله الرحمن الرحيم

الوثيقة

دورية نصف سنوية
تصدر عن
مركز الوثائق التاريخية
بدولة البحرين

العدد الثاني والثلاثون - السنة السادسة عشرة
صفر ١٤١٨هـ - يوليو ١٩٩٧م

الوثيقة

لجنة المجلة

العنوان : مركز الوثائق التاريخية ص . ب : ٢٨٨٨٢
تليفون : ٦٦٤٨٥٤
جميع المكاتبات ترسل باسم رئيس التحرير

فهرس

القسم العربي

كلمة العدد:

القسم الإنجليزي

الغلاف

تفصيل من لوحة [السوق]
للفنان السعودي
حمد عبد العزيز المنيف

كلمة العدد

ندوة البحرين
وأضواء على بعض الدروب المجهولة

بقلم : سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

شهدت البحرين في الفترة من ٤ إلى ٦ يناير ١٩٩٧ ندوة هامة تمحور موضوعها حول "العلاقات التاريخية بين روسيا ودول مجلس التعاون" . . الندوة نظمتها الأمانة العامة لمراكز الدراسات والوثائق بالخليج العربي والجزيرة العربية ؛ وهي الأمانة التي أتشرف برئاستها، واستضافتها البحرين باهتمام ملحوظ من حضرة صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البحرين المفدى وسمو الشيخ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء الموقر وسمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة ولي العهد الأمين ؛ الذين أصدروا توجيهاتهم السامية بتوفير كل الإمكانيات لاستقبال هذه الندوة

ورعاية المشاركين فيها وتقديم كل الوسائل الكفيلة بإنجاح عملهم وفعاليات ندوتهم . وقد شارك في أعمال الندوة ١٥ عالماً ودارساً وباحثاً من المستشرقين والمستشرقات الروس ، حملوا معهم مجموعة هامة من الأبحاث حول موضوع الندوة . كما شارك فيها الإخوة مدراء مراكز الدراسات والوثائق الأعضاء في الأمانة العامة وعدد كبير من المهتمين بالدراسات التاريخية من البحرين وخارجها . وعبر الحوارات التي دارت بين المستشرقين الروس والمهتمين ممن حضروا الندوة وعبر الأبحاث التي قدمت أو عرضت اتضح كثير من الجوانب التي كانت غامضة أو مجهولة بالنسبة للكثيرين ؛ وظهرت إجابات كثيرة لبعض الأسئلة التي كانت معلقة في الفكر السياسي طوال عقود كثيرة تشكلت خلالها كثير من العلاقات الدولية بين دول الخليج وبعض القوى العالمية وقد يكون من المفيد هنا أن نستعرض بعض النقاط التي خرجت إلى النور من خلال أعمال هذه الندوة ومنها :

أولاً : أن الاتحاد السوفييتي السابق تطلع إلى المياه الدافئة ومنذ عهد القياصرة، ولكن هذا التطلع لم يصاحبه سعي جدي لتحقيق هذا الأمل . ففي الوقت الذي نشط فيه الغرب، سواء ببعثاته التبشيرية أو بعثاته الدبلوماسية، اكتفى الاتحاد السوفييتي بأربع رحلات بحرية في العام اهتمت كلها بالدرجة الأولى بنقل الحجاج الروس إلى الأماكن المقدسة وحمل بعض السلع الاستهلاكية ومبادلتها ببعض منتجات المنطقة .

ثانياً : أن هذا التردد أو التباطؤ لم يكن له أي مبرر سوى أن الاتحاد السوفييتي ركز تركيزاً شديداً على علاقاته مع الدولة العثمانية في الوقت الذي كان الموقف العثماني من دول الخليج معروفاً خاصة أيام الخلافة حين انشغلت هي بمشكلاتها في البلقان وفي الصراع من أجل الحفاظ على بقايا الدولة العثمانية في أوروبا .

ثالثاً : أن الفكر السياسي لقيادات الخليج كان فكراً مستقلاً ومستنيراً وبعيد النظر . ويظهر من اللقاءات التي أجراها نيقولاي بيجويافلينسكي مع المغفور له سمو الشيخ عيسى بن علي والمغفور له سمو الشيخ مبارك الصباح، أن قيادات الخليج كانت تتطلع لوجود قوى أخرى تحدث توازناً في الخليج وتتيح لهم هامشاً أكبر من الحرية في التعامل مع الإنجليز الذين كانوا شبه مسيطرين على المنطقة في فترة ما . وقد ترجم ذلك سؤال سمو الشيخ عيسى بن علي حول لماذا لا يتواجد طراد روسي حديث باستمرار في مياه الخليج، وسؤال سمو الشيخ مبارك حول ضرورة دعم العلاقات مع الروس ؛ ويترجمه أيضاً الاهتمام الذي حظي به العالم الروسي رغم مضايقات الإنجليز له ووضعهم العراقيل في طريقه وإصرار المواطن البحريني محمد بن عبد الوهاب على حمايته وتوفير سبل الراحة له ومواجهة محاولات الإنجليز ضده وإحباطها، وتضحيته المادية من أجل توفير الإقامة الملائمة له ؛ وهي كلها أشياء ما كان لهذا المواطن البحريني أن يقوم بها دون أن يحصل على الضوء الأخضر من حاكم البحرين يومئذ المغفور له الشيخ عيسى بن علي خاصة وأن الأمر يتعلق

بالسياسة وهو ما يتضح جلياً من البحث المنشور في هذا العدد حول البعثة العلمية لنيقولاي بيجويافلينسكي .

رابعاً : أن النظرة الإلحادية التي أخذ بها الاتحاد السوفييتي السابق أساءت إلى النظرية الاقتصادية الاشتراكية بأكثر مما أساء إليها الغرب الرأسمالي فقد حشدت الشرق المسلم والغرب المسيحي ضد الفكر الشيوعي، وأقامت حاجزاً نفسياً منيعاً بين المواطنين في الشرق والغرب ضد المد الشيوعي، وهو حاجز كان أقوى بكثير من كل الحواجز التي أقامتها السلطات الرسمية . وإذا كان الفكر الاشتراكي قد وجد بعض الجزر في الغرب المسيحي كنتيجة لضعف الحس الديني عند بعض القطاعات هناك ؛ إلا أن الشرق المسلم بوجدانه الديني وإحساسه العميق بالإسلام، وقف سداً منيعاً أمام كل المحاولات وحتى النظرية التي فرضت بالأمر في بعض المناطق، بقيت مجرد قشرة على السطح لم تتغلغل أبدا إلى الوجدان الشعبي ولم يستطع المنظرون الروس أن يقتنعوا بأنه إذا كان الرجل في الغرب مخيراً بين الرغيف والعقيدة فإنه يختار الرغيف . أما الرجل في الشرق فإنه إذا خير يختار إيمانه بربه على كل الخيارات وحتى رغيف الخبز ؛ ومن هذا المنطلق فقد باءت المحاولة الوحيدة الجادة التي بذلها الروس لإقامة علاقات مع المملكة العربية السعودية بالفشل . فعلى الرغم من أن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة تعترف بالمغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن سعود، إلا أن هذا الزعيم العربي المسلم أدرك بحسه السياسي وذكائه اللماح أن إقامة علاقات مع روسيا، سواء في شكل معاهدة سياسية أو اتفاقية تجارية بعد

موقفهم من المسلمين هناك يعتبر تناقضاً مع إحساسه هو الشخصي كزعيم عربي مسلم ومؤمن بربه وكحارس للأماكن المقدسة التي يتطلع إليها المسلمون في العالم كله . كما يعتبر تناقضاً مع أحاسيس شعبه المسلم والشعوب المسلمة من حوله . ومن هنا كانت معالجته الذكية للعلاقات بين البلدين التي سارت على أسلوب ضعيف حتى أماط الشيوعيون اللثام عن وجوههم، فأعدموا الرجل الوحيد الذي تولى هندسة العلاقات السعودية الروسية وقضى حياته كلها يحاول أن يحسن قدر استطاعته من قبح الصورة التي يتصف بها وجه الدب الروسي وهو حكيموف .

خامساً : إن الأبحاث التي قدمت أكدت أن هناك الكثير في الأرشيفات الروسية ولدى العلماء الروس مما يمكن أن يفيد الباحثين - كما قلت - في توضيح كثير من ملامح الصورة . وإذا كانت الأبحاث التي طرحت قد تناولت في أكثر جوانبها بعض المعالم الهامشية ؛ إلا أنها تشير من بين ثنايا السطور إلى أن هناك زخماً كبيراً يمكن أن يقدم . . كما أكد اللقاء أن لدى المؤرخين العرب ولدى الأرشيفات الخليجية الكثير مما يمكن أن يفيد المستشرقين الروس في دراساتهم حول حقبة هامة من تاريخ الخليج وروسيا على السواء .

عزيزي القارئ :

لقد آثرنا أن نخصص هذا العدد للجزء الأكبر من الأبحاث التي طرحت في الندوة لسببين : الأول تنفيذاً لتوجيه الندوة بضرورة نشر

الأبحاث المطروحة في عدد خاص ؛ والثاني كي يكون بين يدي الدارسين ملف خاص حول العلاقات الروسية الخليجية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . . ونحن هنا لا ندعي بأن الأبحاث التي طرحت قد حققت كل الطموح في هذا الصدد، ولكنها كبداية، فإنها مفيدة للغاية وتفتح الباب على عالم كان مجهولاً ؛ بل كانت محاولة الاقتراب منه في فترة ما ضرباً من المستحيل . ونحن نأمل أن تكون هذه البداية الجيدة منطلقاً لنشاط جديد بين الباحثين هنا وهناك لمحاولة الكشف عن كثير من المجهولات ودراسة ما كان يمكن أن يحدث لو أخذت السياسة الروسية منحى غير الذي اتخذته للاستفادة من كل ذلك في تلمس الطريق وفي معالجة بعض القضايا المطروحة على الساحة . فالتاريخ هو خير معلم . ومعرفة الحقائق تساعد كثيراً في إلقاء الضوء على الدروب المظلمة ؛ وتبادل وجهات النظر يساعد على توضيح الكثير من المعالم أمام الباحثين وصناع القرار على حد سواء .

والله ولي التوفيق

عبد الله بن خالد آل خليفة

البحرين تستضيف أول

الشيخ عبد الله بن خالد :

اللقاء بداية لمرحلة جديدة تمتد فيها

الأمانة العامة استطاعت فتح نو

عريضة على كثير من الأرشيفات الع

الدكتورة ميمونة الصباح :

نحتاج إلى رؤية علمية عميقة وشا

عن ماضي المنطقة وحاضرها ومستقب

البروفيسور جينادي كورياتشكين:

بهرتنا معالم النهضة والحض

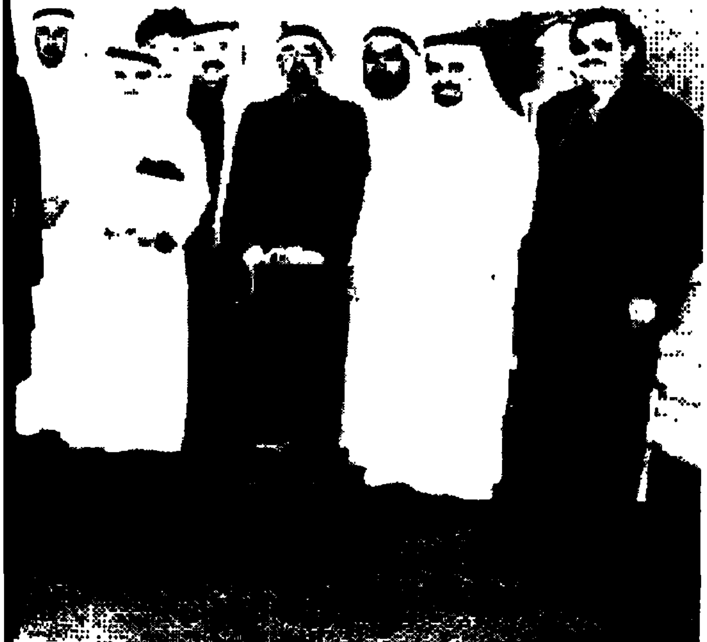
التي شاهدناها بالبحر

رقين الروس بالمنطقة العربية

ننتقل عليها المعلومات أخذا وعطاء







سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الأمين العام يتوسط أعضاء وفد المستشرقين الروس الذين شاركوا في الندوة

لأول مرة في المنطقة العربية نظمت الأمانة العامة لمراك
الدراسات والوثائق بالخليج والجزيرة العربية ندوة للمستشر
الروس المهتمين بالمنطقة العربية عامة ومنطقة الخليج بصفة خاص
وقد استضافت البحرين فعاليات الندوة في الفترة من ٤ إلى ٦ ينا
١٩٩٧م وحضرها ١٥ مستشرقاً ومستشرقة روسية قدموا مـ، خلال
مجموعة من الأبحاث والدراسات الهامة عن المنطقة عرض حوان



ں ما كتب عن الخليج من وجهة النظر الروسية.. كما حضر
ة مديرو مراكز الدراسات والوثائق بالمنطقة أعضاء الأمانة العامة
ـ كبير من الدارسين والباحثين والمهتمين و " الوثيقة " إذ تقدم في
الصـ ـات تسجيلاً لفعاليات هذه النـدوة الهامـة إنما تستهدف
يل ـ الحدث إضافة إلى نشر الجزء الأكبر من الأبحـاث التي
ت في ـ ه الندوة على صفحات هذا العدد.

بدأت الندوة بكلمة الافتتاح لسعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة وزير العدل والشئون الإسلامية بالبحرين والأمين العام لمراكز الدراسات والوثائق بالخليج العربي والجزيرة العربية ورئيس تحرير "الوثيقة" قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخوة الأفاضل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

باسم الأمانة العامة أرحب بكم في الخليج وباسم البحرين أرحب بكم على هذه الأرض الطيبة، التي تستقبلكم بكل الود والحب، شاكرة لكم ما تحملتم من عناء المشاركة في هذا اللقاء الطيب، وما أسهمتم به من عمل، سيكون له ولاشك الأثر الطيب في إثراء اللقاء وفي حواراته.

لقد تطلعنا طويلا إلى هذه الندوة فمنذ بدأت دول الخليج الفتية نهضتها الحديثة وهي ترنو إلى تتبع كل ما كتب عنها في الأرشيفات الأجنبية، وذلك لأهميته كمادة لا غنى عنها للباحثين والدارسين الذين يتصدون لكتابة تاريخ المنطقة على أسس علمية سليمة ومحايدة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى للرد عليه وتصحيحه، خاصة وقد كتب في ظروف كان يحوطها الغموض بالنسبة لكثير من مناحي الحياة، كما أن النظرة المحايدة لم تكن متوافرة لدى كثيرين ممن كتبوا إما عن قصد، وإما عن غير قصد وإما لنقص في المعلومات التي تفسر كثيراً من الظواهر، والتي لا يمكن أن يحيط بالكثير منها إلا من عاش في المنطقة وعرف طبيعة الحياة فيها، وأبعاد التقاليد والعادات والأعراف، التي تحكم الكثير من العلاقات بين أبنائها في مختلف نواحي الحياة، وقد استطاعت الأمانة العامة خلال السنوات الماضية أن تفتح نوافذ عريضة على كثير من الأرشيفات، سواء العثمانية أو الهولندية أو الهندية أو المصرية، وأثمر ما عثر عليه في هذه الأرشيفات الكثير من النتائج التي ألقت الضوء على بعض الأمور الغامضة أو المجهولة، بالنسبة لمؤرخي الخليج أو لمؤرخي هذه الدول على السواء ووفرت من ناحية ثالثة زخما هائلا من الوثائق والدراسات أصبحت متاحة الآن لجيل جديد من الباحثين.

الأخوة الأفاضل:

لاشك أن علاقة روسيا القديمة أو الاتحاد السوفيتي السابق بمنطقة الخليج لم تكن على نفس القدر من علاقة المنطقة ببعض القوى الأخرى ولكن الذي لاشك فيه أيضاً، أن الاهتمام كان قائماً، وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي عاشها بعض علماء ومؤرخي الاتحاد السوفيتي السابق، إلا أنهم لم يتخلوا أبداً عن اهتماماتهم بمنطقة الخليج، وقد تفرد بعض المؤرخين الروس بكثير من الكتابات عن المنطقة، وهي كتابات نعتبرها هنا مراجع لا غنى عنها في معرفة وجهة النظر الروسية فيما دار على الساحة من أحداث، وإن كنا على يقين من أن هذا اللقاء سوف يكون بداية لمرحلة جديدة تمتد فيها الجسور لتنتقل عليها المعلومات أخذاً وعطاء بما يثري حركة المشاركة التي نتطلع إليها وبما يلقي على كثير من الدروب التي يكتنفها الغموض مزيداً من الضوء.

إن لدينا الكثير هنا مما قد تفيد معرفته ولديكم ولا شك الكثير مما نتطلع إلى معرفته وعن طريق العلاقة الدائمة والمتواصلة يمكن أن يتحقق لكلينا ما يريده وما يفيده، وما يفيد أجيال الباحثين هنا وهناك، وبما يصحح الكثير من الأخطاء والأغلاط التي كانت نتيجة حتمية لاستقاء المعلومات عن طريق أطراف أخرى، أو عن طريق الظن والتخمين.

إنني على ثقة من أن هذا اللقاء سوف يفتح نافذة عريضة على مناطق ظلت لسنين طويلة مجهولة للكثيرين، وسوف يسهم إلى حد بعيد في إثراء حركة التاريخ النشطة في المنطقة.

أرجو لكم التوفيق كل التوفيق..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

(كلمة المراكز)

ثم تحدثت الدكتورة ميمونة الصباح ممثلة الكويت باسم المراكز المشاركة فقالت كلمتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه

سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

الحضور الكرام، والمشاركين الأفاضل

أحييكم تحية من عند الله طيبة مباركة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بعون الله وبنور من توفيقه تعقد اليوم على أرض البحرين الشقيقة المعطاء أرض الكرم والجود والأصالة والمحبة ندوة (العلاقات الخليجية الروسية) التي تقيمها الأمانة العامة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج، ويشارك فيها كوكبة متميزة من العلماء المستشرقين الروس.

فباسم ممثلي دول الخليج يشرفني أن أتقدم بموفور الشكر والعرفان لصاحب السمو (الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة) وحكومته الرشيدة على احتضان هذه الندوة ببلدكم المضياف وعلى كرم الضيافة وحفاوة الاستقبال الذي أحطتمونا به.

نتضرع إلى الله أن يحفظ صاحب السمو (الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة) رمزاً خليجياً شامخاً، ويبقيه قائداً مظفراً مقداماً وأن يديم داركم دار أمن وأمان واستقرار وسلام وازدهار وتقدم، وخير الدعاء للبحرين الشقيقة هو قوله تعالى "رب اجعل هذا البلد آمناً" صدق الله العظيم.

ولمعالي الشيخ (عبد الله بن خالد آل خليفة) كل الشكر والثناء والتقدير على قيادته الحكيمة للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج.

فقد استطاعت الأمانة العامة بقيادته النهوض برسالة علمية وثقافية أصيلة ومميزة في مجال الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة بالخليج، حيث اهتمت برصد الوثائق التاريخية المتعلقة بمنطقة الخليج والجزيرة العربية من أماكن تواجدها وقامت على جمعها وتصنيفها وتصويرها وتزويد المراكز والهيئات الخليجية المشاركة في الأمانة بصور عنها... وتحظى هذه المجلدات بأهمية خاصة نظراً لأنها توفر مرجعاً وثائقياً شاملاً يزود الباحثين والمهتمين بشئون الخليج وتاريخه بما يحتاجون إليه من معلومات منظمة وموثقة وشاملة... والأمانة بصدد استكمال جمع هذه الوثائق التاريخية المختلفة من بريطانية وعثمانية وروسية وألمانية وهولندية

حتى يتوفر للباحث فرصة المقارنة والوصول إلى معلومات صحيحة ومتوازنة لا يقتصر الاعتماد بها على وجهة نظر واحدة فحسب. كما قامت الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية بدول الخليج مشكورة بإعداد المؤتمرات والندوات حول قضايا الخليج الهامة والتي تأتي ندوتنا اليوم كواحدة منها، فلسعادة الشيخ (عبد الله بن خالد) ومعاونيه مزيداً من الشكر والإعزاز على ما بذلوه من جهد متواصل، وصولاً بهذا الإعداد الدقيق وحسن التنظيم للندوة التي تجمعنا اليوم والتي نتمنى لها التوفيق والنجاح في تحقيق أهدافها المأمولة.

وللسادة الأساتذة الأصدقاء من العلماء الروس التقدير الكبير والثناء الكثير على دراساتهم وأبحاثهم المتميزة التي نأمل أن تكون نواة تقام عليها دراسات أخرى تكشف جوانب لم تكشف من العلاقات الخليجية الروسية وتنطلق بها نحو آفاق أرحب لتعزيز تلك العلاقات وتوثيقها لتثمر نماء وخيراً لصالح أوطاننا وشعوبنا وباتجاه ترسيخ مبادئ المودة والسلام في العالم ونحو المزيد من التعاون العلمي والثقافي يرتقي بنا إلى التقدم والتطور المنشودين.

إن هذا المؤتمر إنما هو حركة في اتجاه إبقاء حركة الضوء في أرضنا وصنع نقاط ضوء جديدة.

إن منطقة الخليج العربي تحتل مكانة مرموقة في عالم اليوم جعلتها محط أنظار العالم بأسرة في وقت يتفاقم فيه دورها المؤثر والفاعل، ليس فقط في الاقتصاد العالمي وفي تحديد مستقبل الحضارة.. بل في مجابهة تحديات التنمية في الوطن العربي والعالم الإسلامي وفي بقاع شتى من العالم النامي في كل من أفريقيا وآسيا وحتى في أوروبا.

والآن ونحن على أبواب عصر جديد تبدو فيه منطقة الخليج والجزيرة العربية في بؤرة مهمة وحساسة حافلة بالصراعات والأحداث تتزايد معها أهميتها على مستوى الإقليمي والعالمي مما يستدعي أن نواجهه بعمل مؤسس حتى لا يداهمنا هذا العصر بمتغيراته ونحن لم نأخذ للأمر عدته كما داهمتنا أحداث العدوان العراقي الغاشم والمفاجئ حين اجتاحت جحافله دولة الكويت بصورة لم يكن أكثر المتشائمين يتوقعها على النحو البشع الذي جرت به ولا نزال حتى الآن نجتر أحداث هذا

العدوان ونعايشه ونحاول تفسيرها إن كان يمكن أن يوجد لها تفسير تحت أي منطق، وقد فتح هذا الحدث الذي هو أشبه بالزلزال المفاجئ أعيننا على واقع كان غائبا عنا إلى أبعد حد.

ونخلص من كل هذا إلى أننا في هذه المنطقة وفي هذا الوقت في أشد الحاجة إلى أن تتوافر لنا رؤية علمية عميقة وشاملة عن ماضي هذه المنطقة وحاضرها وعما يتوقع لها من مستقبل من خلال دراسات علمية عميقة بصيرة تستقرئ التاريخ والأحداث وتتبع الأسباب وتستخرج النتائج والدلالات، وتحسن توظيف مكونات الحياة في منطقة الخليج والجزيرة العربية وفق رؤى مستندة إلى معطيات هذه البيئة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبيئتها وموقعها المميز وخواص سكانها، وهي كلها أبجدية أولية لم يعد هناك غنى عنها لإمكان معايشة عالم القرن الواحد والعشرين.

وفي الختام نرجو من الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لخدمة أوطاننا بما يرسخ توجهاتها العلمية في مسيرة التطور وما يعزز دورها في إطار دول مجلس التعاون بدول الخليج العربية في ظل قيادتها الحكيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

بعد ذلك تحدث البروفيسور جينادي كوريا تشكين باسم المستشرقين الروس المشاركين في الندوة فقال:

سعادة الأمين العام... السادة مديري المراكز... الاخوة الكرام

لا أستطيع مهما أوتيت من بيان أن أعبر لكم باسم الأخوة المشاركين في هذه الندوة عن بالغ سعادتنا وشكرنا أن أتيح لنا أن نساهم ولو بجهد متواضع في أعمال هذا اللقاء الذي نرجو أن تعود نتائجه بالخير على الجميع وأن يكون بداية لمرحلة من التعاون المثمر والبناء بين العلماء الروس والأخوة في دول الخليج.

لقد تطلعنا طويلاً لهذا اللقاء وربما بدرجة أكبر من تطلعكم إليه فإذا كانت وجهة النظر الروسية هامة في إلقاء الضوء على بعض ملامح الصورة وفي إيضاح

وتصحيح بعض المواقف التاريخية التي مرت بالخليج أو بالاتحاد السوفيتي السابق فإن، وجهة النظر لدى اخوتنا في الخليج هامة في تصحيح أو إقرار ما توصلنا إليه من نتائج بعد جهد لم يكن سهلاً نظراً لتحركنا في ظروف كانت تحوطها بعض التحفظات.

لقد حضر هذا اللقاء عدد من الاخوة وأن كنت على يقين من أن أعداداً كبيرة كانت تتمنى الحضور وأرجو أن تتاح لهم الفرصة فيما بعد عبر جسور من التعاون نرجو أن تمتد بيننا لتبادل الآراء ووجهات النظر والأبحاث والدراسات بما يثري البحث التاريخي وبما يعود بالفائدة على الباحثين والدارسين في المنطقتين.

لقد بهرتنا معالم النهضة والحضارة التي شاهدناها هنا وما كان أحد منا يتصور مدى ما تحقق على هذه الأرض من تطور وبناء ولا شك أن وراءه جهداً خارقاً وعملاً كبيراً استهدف ويستهدف رفاهية المواطن وسعادته. وقد بهرنا كرم الضيافة وحسن الاستقبال العربي الأصيل كما بهرتنا شخصية القيادة العظيمة لهذا الوطن والمثلة في سمو الأمير وسمو رئيس الوزراء وسمو ولي العهد كما بهرتنا شخصيات الذين التقينا بهم هنا وخاصة سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الأمين العام الذي نشكر له حسن رعايته واهتمامه كما نشكر الأخ الدكتور علي أبا حسين مدير مركز الوثائق التاريخية في البحرين على ما بذله من جهد. ونرجو لكم جميعاً السعادة والتقدم.

وشكراً.

(اللجنة العلمية)

بعد ذلك قدم الدكتور فهد بن عبد الله السماري عضو اللجنة العلمية التي أعدت للندوة عرضا كاملا للاتصالات والاستعدادات التي تمت ليتحقق للندوة ما تحقق لها من نجاح فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الأمين العام.. الأخوة مديري المراكز.. الأخوة المشاركين.. ضيوفنا الكرام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باسم اللجنة العلمية لهذا المؤتمر أتقدم لكم جميعاً بخالص الشكر والتقدير على ما بذل في إعداد هذا اللقاء من جهد كبير كما أشكر البحرين أميراً وحكومة وشعبا على استضافتها له، وعلى ما لقيناه من استقبال أخوي حميم. كما أشكر باسم اللجنة الأخوة الروس المشاركين الذين حرصوا على الإسهام في أعمال هذا المؤتمر وعلى المشاركة فيه بجهد سوف تنعكس آثاره الطيبة ولاشك على مسيرة البحث التاريخي في منطقتنا. لقد انتظمت مراكز الدراسات والوثائق في الخليج والجزيرة العربية تحت عباءة الأمانة العامة منذ ثلاثين عاماً. ومنذ ذلك التاريخ وبدفع متواصل من الأمين العام سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة تواصل الجهد عبر السنين وتحققت على درب هذه المسيرة الإنجازات تلو الإنجازات. وشهدت دول المنطقة حركة نشطة للغاية في جمع الوثائق وتبادلها بروح أخوي متميز.

وقد أدركت الأمانة العامة خلال لقائها في مسقط في نوفمبر ١٩٩٤م أهمية فتح نوافذ الاتحاد السوفيتي السابق وذلك إدراكا منها لأهمية الإطلاع على ما لدى الاخوة الروس من المهتمين بالمنطقة من وثائق ودراسات وكتابات والإطلاع على وجهة نظرهم في بعض الأحداث التاريخية التي شهدتها المنطقة وذلك حتى تكون لدى الباحثين العرب صورة متكاملة لوجهات النظر الغربية والشرقية وحتى تدعم العلاقات بين الاخوة الروس الذين لديهم ولا شك الكثير من الاهتمامات بالمنطقة العربية عامة والخليجية خاصة وتقرر في مسقط تشكيل لجنة علمية للإعداد لهذا المؤتمر وقد بدأت هذه اللجنة عملها على الفور وتقرر عقد الندوة أو المؤتمر تحت اسم "العلاقات التاريخية بين روسيا ودول مجلس التعاون" كما تقرر أن تدور أعمال الندوة في خمسة محاور هي:

- الوثائق والمخطوطات الروسية عن المنطقة.
- كتب الرحالة وما كتبه الحجاج والتجار والملاحون الروس.
- تاريخ العلاقات الاقتصادية والتجارية الروسية مع المنطقة.
- تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة.
- تاريخ العلاقات الثقافية الروسية بدول المنطقة

وقد أوفدت الأمانة العامة اثنين من أعضائها للقاء العلماء الروس المهتمين الذين استجاب منهم عدد كبير نتشرف بحضورهم معنا اليوم .

الأخوة الأفاضل: إنني أدرك تماماً أن هذا المؤتمر سوف يكون له مردود كبير على حركة البحث التاريخي التي تصدت لها مراكزنا منذ سنين طويلة وقطعت فيها أشواطاً بعيدة بدأ الدارسون والباحثون يستشعرون مدى أهميتها . وإذا كانت اللجنة العلمية بانعقاد هذا المؤتمر قد أدت ما كلفت به إلا ان نسبة الفضل لأهلة أمر واجب وفي هذا الإطار لابد أن نشكر سعادة الأمين العام الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة على جهده المتواصل ومتابعته المستمرة لدفع حركة الأمانة العامة نحو تحقيق ما يصبو إليه الجميع كما أشكر الأخ الدكتور علي أبا حسين والاخوة في مركز البحرين على ما تجشموه من عناء في الاتصال والمراسلات والمتابعة حتى يأتي هذا اللقاء بالصورة المرجوة منه. كما نشكر ثانية دولة البحرين أميراً وحكومة وشعباً على حسن الاستقبال وكرم الضيافة ونرجو لكم جميعاً التوفيق والسداد

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أبحاث وحوار)

وقد بدأت بعد الجلسة الافتتاحية فعاليات الندوة فقدم المشاركون أبحاثهم في جلسات صباحية ومسائية ودار الحوار حولها وهو الحوار الذي شارك فيه عدد كبير من المشاركين.. وفي ظهيرة ٦ يناير ختمت الندوة أعمالها المثمرة وأصدرت في نهاية اجتماعاتها بيانها الختامي وجاء فيه:

بدعوة كريمة من حكومة دولة البحرين وبرعاية سعادة الشيخ عبد الله بن خالد ل خليفة الأمين العام لمراكز الدراسات والوثائق في الخليج العربي والجزيرة عربية عقدت في المنامة في الفترة من ٤-٦ يناير ١٩٩٧م ندوة العلاقات التاريخية ين روسيا ودول مجلس التعاون لدول الخليج العربية عن الفترة من بداية القرن من عشر وحتى منتصف القرن العشرين .

وقد انتظمت أعمال الندوة في ثماني جلسات على امتداد ثلاثة أيام. واختتمت الندوة أعمالها في ظهيرة يوم الاثنين السادس من يناير ١٩٩٧م متخذة التوصيات التالية:

- نظراً للنجاح الذي حققته الندوة في إقامة روابط علمية وبحثية مشتركة بين مراكز البحث العلمي بدول مجلس التعاون ومراكز البحث العلمي الروسية فان الندوة توصي بالتواصل في عقد مثل هذه الندوة لتغطية كافة جوانب العلاقات التاريخية الثقافية والتوثيقية وغيرها..
- الدعوة لإقامة معارض مشتركة للكتب في أي من المراكز التابعة للأمانة العامة أو في الجامعات والمعاهد الروسية المتخصصة.
- دعوة أساتذة ومتخصصين في مجالات العلاقات التاريخية التي تربط دول مجلس التعاون العربية بروسيا وذلك لإلقاء محاضرات في أي من الجانبين.
- تشجيع المستشرقين الروس على إعداد بحوث ودراسات في مجال العلاقات المشتركة والتكفل بطباعتها من خلال المراكز في دول المجلس.
- كما أوصى المشاركون بأن تقوم الأمانة العامة بطبع بحوث الندوة في عدد خاص يوزع على المراكز والهيئات العلمية العربية.
- قرر المشاركون توجيه برقية شكر وامتنان إلى صاحب السمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين لاستضافة الندوة في رحاب الدولة. كما أكدوا شكرهم الجزيل لسعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة الأمين العام للمراكز لرعايته الكريمة ولجهوده الفائقة وحرصه المتواصل على دعم المراكز وتفوقها في مهامها.

* * *

وفي الجلسة الختامية حيا سعادة الأمين العام جهود المشاركين في كلمة ختامية قال فيها:

الأخوة الأفاضل:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الآن وقد آذن هذا اللقاء بالختام لا يسعني إلا أن أتقدم لكم بخالص الشكر ووافر التقدير، على إسهاماتكم الرائعة التي شاركتم بها فيه.

لقد تابعت باهتمام شديد ما دار سواء في الجلسات العامة أو اللقاءات الثنائية، وكم أسعدني ما شاهدته وما سمعته وهو ما أحسست معه أن هذا الجمع تأخر كثيراً، وأن أمامنا سعياً وجهداً يجب أن نحافظ عليه، حتى يستمر هذا التواصل، ويتتابع هذا اللقاء لكي نحقق من خلاله ما نصبو إليه، وما تصبو إليه أجيال من الباحثين والدارسين.

الاخوة الأفاضل:

لقد عشتم معنا أياماً قلائل، وأتيح لكم أن تشاهدوا عن قرب بعض معالم التطور التي تشهدها بلادنا، إننا هنا نزرع الحب، ونغرس الأمن، وننشد السلام، ففي ظل السلام تنمو شجرة البناء، وتؤتي أكلها، وفي ظل السلام تتحقق الآمال العراض في مستقبل منشود يحوطه الرخاء، وتسوده الرفاهية لأبناء هذا الوطن العزيز، ولأبناء المنطقة كلها.

إننا هنا نبني ليل نهار، لكي نلحق بركب العصر، ولكي ندفع بمسيرة التحديث على درب لا يقف عند أفق، هذه المسيرة التي تنطلق اليوم على كل دروب الحياة، والتي نرجو بفضل تعاونكم أن تنطلق خطوات أخرى على درب البحث التاريخي الذي ينشد الحقيقة ، ويترجم الواقع في صدق ويعيد كتابة التاريخ بحيدة وموضوعية، وبعيداً عما حفلت به بعض الكتابات من أخطاء.

لقد أرسى هذا اللقاء لبنة قوية في بناء نرجو أن يرتفع دوماً، ووضع نقطة انطلاق للعلماء من هنا ومن هناك، ليبدأوا منها عملا كبيراً نرنو جميعا له ونتطلع جميعا إليه.

مرة أخرى شكراً لكم وخالص التوفيق لما تتصدون له من عمل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

* * *

ورد البروفيسور جينادي كوريا تشكين ممثل المستشرقين الروس على الشكر بشكر مماثل فقال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

سعادة الأمين العام الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

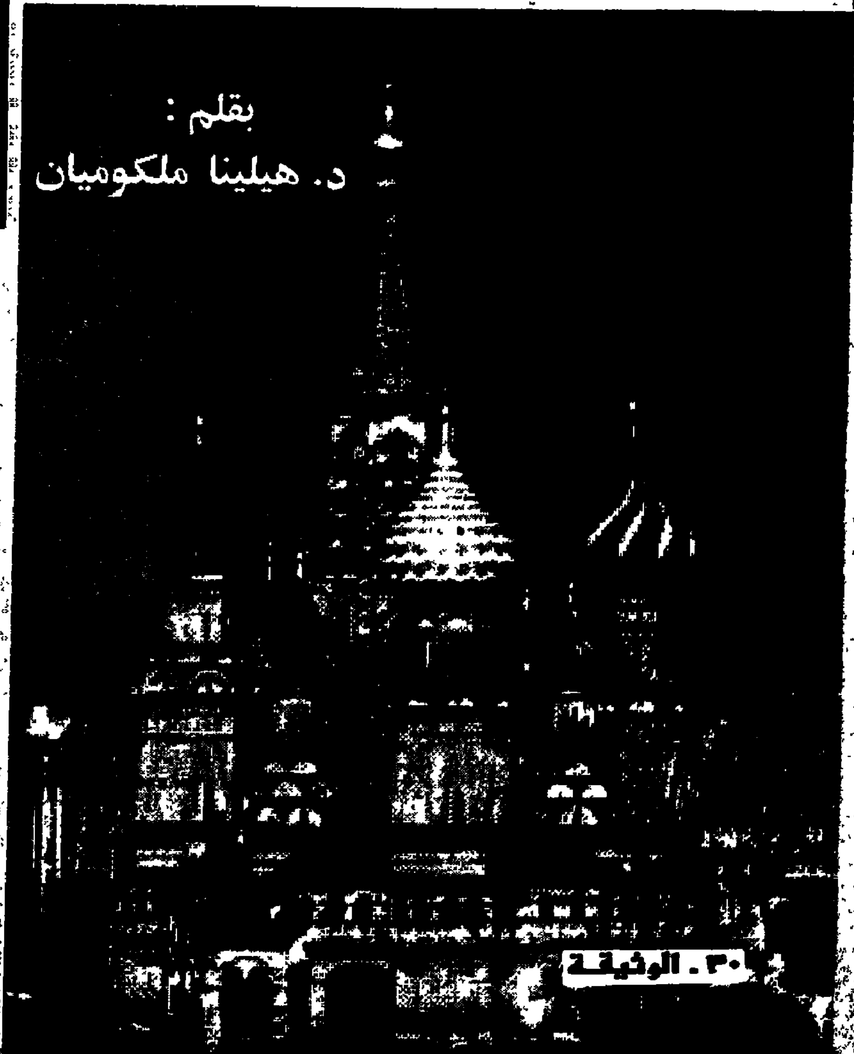
نظراً لنجاح هذه الندوة والتي ستفتح آفاقاً من التعاون الثقافي نأمل أن تشارك الأمانة العامة وأعضاؤها في الحضور وعرض كتب التاريخ واللغة بمعرض المؤتمر لمعلمي القرن الحادي والعشرين الذي سينتظم في مايو ١٩٩٧م في سانت بطرس برج.

شاكرين لكم تعاونكم في سبيل خدمة الباحثين

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبذلك انتهت أول ندوة من نوعها تقام على الساحة العربية.

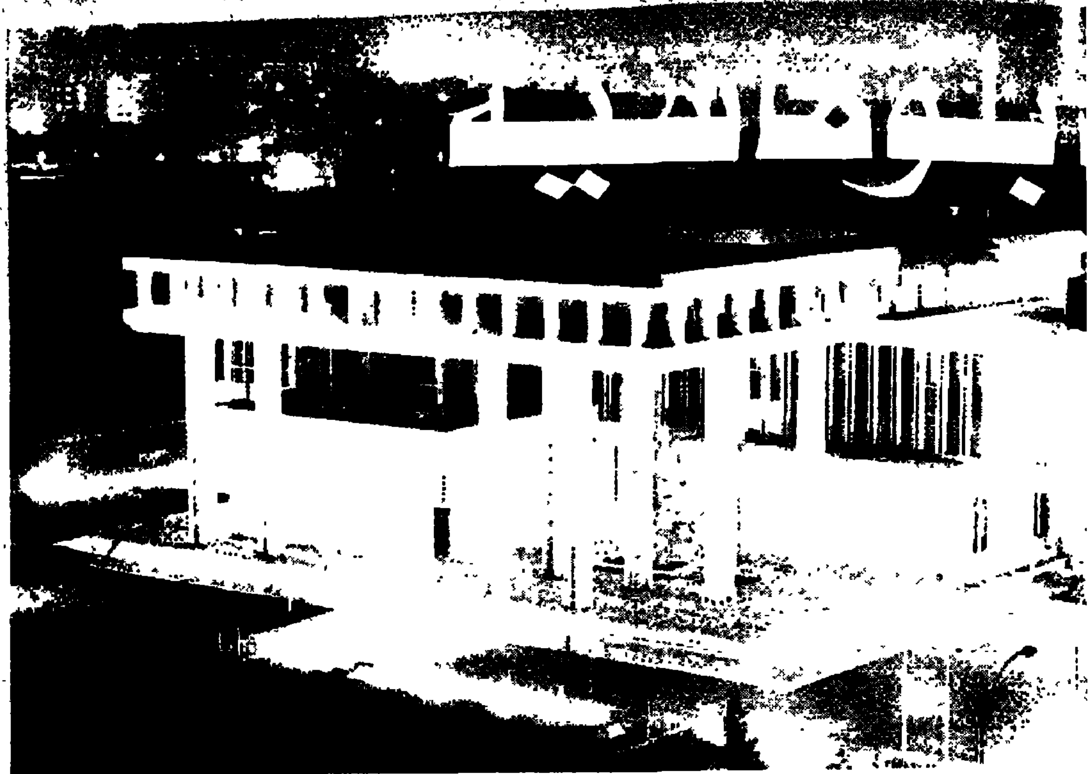
تاريخ العلاقات بين الاتحاد السوفيتي والمملكة العربية السعودية



بقلم :

د. هيلينا ملكوميان

٣٠ - الوثيقة



لقد نشأ الاتحاد السوفييتي على خريطة العالم السياسية في عام ١٩٢٢م، واحتاجت الدولة الجديدة إلى إقامة الصلات السياسية والاقتصادية مع العالم الخارجي . وكان الغرب يرفض تعزيز العلاقات مع النظام الشيوعي السوفييتي . لذلك حاول اكتشاف سند له في الشرق . ومن بين المناطق التي اعتبرتها الحكومة السوفييتية مهمة بالنسبة إليها وإلى مصالح بلادها كانت الجزيرة العربية التي ابتدأت تتشكل فيها كيانات سياسية مستقلة .

وكانت لروسيا القيصرية بعض المواقف في هذه المنطقة . فممثلها في جدة كان يؤدي وينفذ وظائف قنصلية وتجارية . كما أن عدداً لا بأس به من مواطني روسيا تنق الإسلام . لذلك كان من الضروري ضمان الظروف المناسبة لتسهيل قيامهم حج إلى مقدساتهم الدينية في مكة والمدينة وكان هذا من بين وظائف ممثل كومة القيصرية في جدة . وإلى جانب ذلك فالسفن الروسية التي كانت تنقل جاج قامت بإجراء العمليات التجارية مع التجار المحليين .

الوثيقة ٣١.

ولكن من الواضح أن العلاقات بين روسيا وشعوب الجزيرة العربية لم تكن إلا في مرحلة بدايتها دون أن تتطور تطوراً ملحوظاً فممثل روسيا القيصرية في جدة لم يكن مستقلاً في تصرفاته حيث عمل تحت إشراف السفير الروسي في اسطنبول . والإمبراطورية العثمانية كانت واقعا سياسيا قائما بالرغم من أزمتها الداخلية العميقة . وقد أشرفت ولو شكلياً على الصلات السياسية الخارجية للكيانات السياسية المنضمة إليها .

مع ذلك فاهتمام الحكومة السوفييتية بالجزيرة العربية لم يكن مصادفة وإنما نتج بشكل ما عن تلك الصلات التقليدية التي أقامتها روسيا في الماضي .

وتمت اللقاءات الأولى بين الممثلين السوفييت الرسميين وبين ممثلي الحجاز في مؤتمر لوزان، في يناير عام ١٩٢٣م حيث قابل "جورجي تشيتشيرش" رئيس الوفد السوفييتي فيه الدكتور عازل ممثل الشريف حسين وناقشه وفي رسالة وجهها تشيتشيرش إلى نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية[١] "ميخائيل لتفينوف" أشار إلى أن الدكتور عازل قال له بأن الشريف حسين كلفه بإبلاغ الممثلين السوفييت عن "موقفه الجيد تجاه جمهورية روسيا"[٢] .

واتصف هذا التصريح بأهمية الكبيرة من وجهة نظر الحكومة السوفييتية التي احتاجت آنذاك إ[لى] دعمها في الخارج . مع ذلك، فمفوضي[ة] الشعب للشئون الخارجية لم تعر[ف] بشكل جيد الأوضاع التي سادت الجزيرة العربية وكانت تخشى إقام[ة] الصلات مع الشريف حسين الذي [لم] تتضح لها نواياه في ذلك الحين .

كما أشارت الرسالة المذكورة إلى أ[ن] الشريف حسين يريد أن يكون رئيس[اً] أعلى معترفاً به لجميع البلدان العربي[ة] مع بقاء حكام هذه البلدان وإنشاء اتحا[د] كونفيدرالي فيما بين تلك البلدان فأجابه على ذلك، - يكتب تشيتشيرش - بأننا نعترف بما يكون واقعاً موجو[داً] ولا نستطيع الاعتراف بحكومة خيالية وإننا نتعاطف كثيراً مع وحدة الشعو[ب] العربية ولكننا لا نستطيع أن نتدخل [في] قضية ما إذا كان من المرغوب به أ[ن] تتحقق هذه الوحدة بشكل الكونفيدرالي[ة] برئاسة الشريف حسين أو بشكل آخر فهذا يرجع إلى الشعب العربي نفسه وقال لي الدكتور عازل بأن الشري[ف]

حسين لا يطلب أبداً الاعتراف به كرئيس للشعب العربي بكامله، ولكنه يريد بأن يعترفوا به بوصفه حكومة عربية هاشمية . قلت له بأننا بحاجة إلى أن نتأكد مما يعنيه هذا اللقب، إذ يوجد مثلاً أمراء آخرون كالإدريسي وابن سعود . وأجاب الدكتور عازل بأنهما يعتقدان أنه من المرغوب فيه أن يكون الشريف حسين رئيساً لجميع الأراضي العربية . وقلت له بأننا لا نعترف إلا بوقائع قائمة . هناك حكومة الحجاز ولا أحد ينفي واقعها، كما أن أحداً لا ينفي بأن شعب الحجاز نفسه يعترف بواقع هذه الحكومة . لذلك نستطيع الاعتراف بها وإقامة العلاقات معها، مع ذلك لا نستطيع الاعتراف بالمطامع التي تعتبر محل نزاع لأن تأييد هذه المطامع سوف يعني التدخل في شئون الشعب العربي .

وقال الدكتور عازل لي بأن سلطة الحكومة الهاشمية في الحجاز ليست إلا الواقع القائم وهو يقترح لنا الاعتراف بهذا الواقع فقط .

لابد من استلام المعلومات ضرورية"(٣) .

إن الصلات بين البلدين لم تنقطع . ففي ١٧ مارس عام ١٩٢٤م وجه وزير الخارجية الحجازي فؤاد الحطيب برقية إلى مفوض الشعب للشئون الخارجية السوفييتي آنذاك تشيتشيرش أحاطه علماً بأنه اقترح للشريف حسين أن يستلم الخلافة(٤) . وكتب تشيتشيرش في برقية جوابية لنظيره الحجازي ما يلي : "أعبر لكم عن شكري لبرقيتكم وأؤكد لكم شعورنا بالصداقة . ونأسف لأن عدم وجود علاقات رسمية فيما بيننا يعرقل تطور الصلات الطبيعية بين حكومتينا"(٥) .

أرسلت هذه البرقية بتاريخ ٢٤ إبريل ١٩٢٤ .

وبعد مرور شهر، أي بتاريخ ٢٤ مايو، وصل الجواب من فؤاد الخطيب وقيل فيه : اعتماداً على برقيتكم رقم ١١٥ التي استلمناها اليوم بالشكر، نصرح لكم بأن مراسلتنا معكم عن طريق سفيرنا في روما تدل على رغبتنا العظيمة في إقامة العلاقات الرسمية معكم والتي ستتسم بأهميتها الكبيرة . إننا بانتظار قدوم ممثلكم الذي سوف تختارونه وفقاً لمصلحتكم"(٦) .

بتاريخ ١٥ مايو عام ١٩٢٤ أبلغ تشيتشيرش نظيره الحجازي بأن "الحكومة السوفييتية عينت كريم بن عبد الرؤوف حكيموف وكيلاً دبلوماسياً وقنصلا لها في الحجاز" وطلب تقديم "المساعدة الضرورية لتأمين وصوله إلى جدة"[٧] .

وقد لعب كريم حكيموف الذي أصبح ممثلاً سوفييتياً أول في الأراضي التي انضمت فيما بعد إلى المملكة العربية السعودية دوراً لا يمكن إنكار أهميته البالغة في تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، لذلك لابد من التوقف بشكل خاص عند شخصيته .

لقد ولد حكيموف في نوفمبر عام ١٨٩٢ في قرية بجوار مدينة "أوفا"[٨] في عائلة مسلمة من الفلاحين . تعلم في مدرسة "العالية" الدينية في أوفا حيث حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأجاد اللغة العربية . انضم وهو طالب بالمدرسة إلى حركة المجددين التي لعبت دوراً تنويريا علمانياً كبيراً في صفوف مسلمي روسيا عشية ثورة ١٩١٧ . وخرج من صفوف هذه الحركة عناصر كثيرة بالأخص من التتر أصبحوا قياديين شيوعيين بعد انتصار السلطة السوفييتية في المناطق الإسلامية للاتحاد السوفييتي . وانضم كريم حكيموف إلى الحزب الشيوعي في بداية عام ١٩١٨ وصار موجهاً سياسياً في الوحدات التترية والبشقيرية العسكرية للجيش الأحمر كما اشترك في الحرب ضد المجاهدين الإسلاميين في إمارة بخارى في آسيا الوسطى . ومنذ عام ١٩٢٠ كان سكرتيراً (أميناً) للجنة المركزية لفرع الحزب الشيوعي في تركستان السوفييتية[٩] .

ووصل حكيموف إلى جدة بتاريخ ٦ أغسطس عام ١٩٢٤ وبعد ثلاثة أيام أي بتاريخ ٩ أغسطس قدم أوراق اعتماده . هذا نصها :

"من رئيس اللجنة التنفيذية المركزية[١٠] لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية إلى جلالة حسين بن علي ملك المملكة العربية الهاشمية

يا صاحب الجلالة !

أيها الصديق العظيم والطيب !

رغبة في دعم الاستمرار لعلاقات الصداقة التي - ولسعادتنا المشتركة - أقيمت بين اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وبين المملكة العربية الهاشمية، قررت اللجنة

لتنفيذية المركزية السوفييتية ولخير علاقاتنا تعيين المواطن كريم بن عبد الرؤوف حكيموف وكيلاً وقنصلاً عاماً .

إننا إذ نعتمد المواطن حكيموف بهذه الأوراق، نرجو جلالتكم بأن تتقبلوه بعطف وبأن تؤمّنوا بكل ما سيكون له شرف تقديمه لجلالتكم من المعلومات باسم حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

انتهز هذه الفرصة لكي أعبر لجلالتكم وللشعب العربي الصديق عن تمنياتنا بالخير والرفاهية .

ميخائيل كالينين[11] .

صُدِّقَ : مفوض الشعب للشئون الخارجية جورجي تشيتشيرش"[12] .

أقدم الاتحاد السوفييتي على إقامة العلاقات مع الشريف حسين لأنه من جهة، احتاج إلى اتخاذ مواقف محددة في الشرق العربي ففي ذلك الوقت لم تكن له صلات عملية مذكورة مع البلدان العربية . ومن جهة أخرى اعتقد الاتحاد السوفييتي بأن الشريف حسين ينتهج السياسة المعادية لبريطانيا ويحتاج من جانبه إلى التأييد السوفييتي . ولكن هذا الاعتقاد السائد في أوساط القيادة السوفييتية لم يكن صحيحاً، بل وبدت إقامة العلاقات مع الشريف حسين - الذي أقيل في نهاية عام ١٩٢٤ وحل محله الشريف علي - متعجلةً جداً . وتوجُّه الشريف حسين نحو طلب المساعدة الإنجليزية من أجل الاحتفاظ بالسلطة مما أثار رد فعل سلبياً في موسكو . وهاجم المستشرق السوفييتي المعروف ميخائيل بافلوفتش في مقالته "الاتحاد السوفييتي والشرق" الشريف حسين"[13] .

وكانت سنة ١٩٢٥ مليئة بالعمليات الحربية التي دارت بين سلطان نجد ابن سعود وملك الحجاز علي الذي بعد سقوط الشريف حسين اعتمد لديه وكيل الاتحاد السوفييتي وقنصله العام في الحجاز حكيموف . وفهم حكيموف سريعاً الأوضاع الجديدة وأقام صلات مباشرة مع ابن سعود .

١ - إقامة العلاقات مع ابن سعود وأهميتها

لقد كانت جدة حيث مقر وكيل الاتحاد السوفييتي - وقنصله العام محاصرة منذ يناير عام ١٩٢٥ من قِبَل قوات ابن سعود وتعرضت في مناسبات

عديدة للقصف . ولكن الوكالة والقنصلية العامة استمرتا في عملهما الخاص بتطوير الصلات مع السكان المحليين وحماية مصالح المواطنين السوفييت . وتم تسجيل جميع المواطنين السوفييت المتواجدين في جدة وعلى أساس الاتفاق المعقود مع ابن سعود تحقق إجلاء كل من رغب في مغادرة جدة إلى مكة(١٤) .

وفي ٢٢ ديسمبر عام ١٩٢٥ غادر جدة الشريف علي المتنازل عن عرشه ودخلت قوات ابن سعود المدينة . وعبّر ابن سعود في رسالة له إلى حكيموف عن شكره لحكومة الاتحاد السوفييتي على التزامها بالحياد الكامل أثناء محاربته للشريف علي(١٥) .

تأثرت مواقف الحكومة السوفييتية تجاه جهاد ابن سعود قبل كل شيء بتلك المعلومات التي أحاطها علماً بها حكيموف . كما لعبت دوراً هاماً في تحديد تلك المواقف العوامل الأخرى ومن بينها النجاحات الحربية التي أحرزها ابن سعود وكذلك الخلافات بينه وبين مندوبي بريطانيا العظمى في المنطقة . وفسرت السلطات السوفييتية أعمال ابن سعود بأنها أعمال تقدمية تهدف إلى تعزيز استقلال الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار والتبعية والإضرار بمصالح بريطانيا وصولاً إ[لى] إضعافها . لذلك فالاعتراف بابن سعو[د] من قِبَل الحكومة السوفييتية كان خطو[ة] مبررة . وقد تم تبادل مذكرات الاعتراف المتبادل بين حكومة الاتحاد السوفييت[ي] وبين ملك الحجاز وسلطان نجـ[ـد] والأراضي اللحقة ، وتحقق ذلك [في] فبراير عام ١٩٢٦ . وكان الاتحـ[ـاد] السوفييتي أول دولة أعلنت اعترافـ[ـها] بابن سعود . وأشارت مذكرة وكيـ[ـل] وقنصل عام الاتحاد السوفييتي [في] الحجاز حكيموف الموجّهة إلى ملـ[ـك] الحجاز وسلطان نجد والأراضي الملحقـ[ـة] إلى ما يلي :

"بتكليف من حكومتي ، شرّفني أن أحيط جلالتكم علماً بأن حكومـ[ـة] اتحاد الجمهوريات الاشتراكيـ[ـة] السوفييتية إذ تنطلق من مبدأ حق تقرير المصير للشعوب وإذ تحترم بشكل عميـ[ـق] إرادة الشعب الحجازي التي تجلت [في] انتخابكم ملكاً له تعترف بجلالتكـ[ـم] بوصفكم ملك الحجاز وسلطان نجـ[ـد] والأراضي الملحقة .

لذلك تعتبر حكومة اتحـ[ـاد] الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية

نفسها في حالة العلاقات الدبلوماسية الطبيعية مع حكومة جلالتكم .

وختاماً اسمحوا لي أن أؤكد لجلالتكم على احترامي العميق الصادق .

وكيل وقنصل عام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في الحجاز حكيموف"(١٦) .

وعبر الملك ابن سعود في مذكرته الجوابية عن شكره لحكومة الاتحاد السوفييتي على اعترافها بالوضع الجديد الذي نشأ في الحجاز والذي تجلى في مبايعة سكان الحجاز له بوصفه ملك الحجاز وسلطان نجد والأراضي الملحقة . كما أشار في نفس المذكرة إلى أن حكومته "مستعدة لتطوير العلاقات" مع الاتحاد السوفييتي شرط أن تستند هذه العلاقات إلى احترام استقلال الأماكن المقدسة وكذلك كل العادات الدولية التي تعترف بها جميع البلدان"(١٧) .

ورحّب مفوض الشعب للشئون خارجية السوفييتي تشيتشيرش باسم ‍كومة الاتحاد السوفييتي بإقامة ‍لاقات الدبلوماسية بين البلدين . ‍كد ذلك الرسالة الآتية التي بعث بها تشيتشيرش إلى الملك ابن سعود بتاريخ ٢ إبريل عام ١٩٢٦ :

صاحب الجلالة !

لقد عرفت حكومتي وبارتياح عميق بتبادل المذكرات بين جلالتكم ومندوب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية المواطن حكيموف بتاريخ ١٦ و١٩ فبراير ١٩٢٦ في مكة وقد أقيمت نتيجة لهذا التبادل العلاقات الدبلوماسية بين جلالتكم وحكومة الاتحاد السوفييتي . إننا مقتنعون بأن المهام العظمى التي تطرح أمام جلالتكم في مجال السياستين الخارجية والداخلية سوف تتحقق بنجاح لخير الشعب العربي وبفضل المواهب الشخصية والنشاط البارز لجلالتكم . إن حكومتي ستكون سعيدة إذا استقبلتم جلالتكم هدايانا المتواضعة لذكرى إقامة العلاقات الدبلوماسية بين جلالتكم وبين حكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

إننا مقتنعون بأن موقفكم المتعاطف. يا صاحب الجلالة. تجاه مندوب الاتحاد السوفييتي سوف يسهل عمله لمصلحتنا المشتركة مما سيؤدي إلى أن علاقات الصداقة التي أقيمت بشكل

سعيد بين بلدينا سوف تتعزز أكثر فأكثر لصالح الشعب العربي وشعوب اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية"[١٨] .

إن هذه الرسالة التي وقع عليها عضو الحكومة والشخصية السوفييتية الرسمية تدل على الأهمية الكبيرة التي كانت القيادة تعلقها على تطوير العلاقات مع ابن سعود بوصفه قائدا لإحدى البلدان العربية . فهذه العلاقات كانت في رأي الجانب السوفييتي نقطة تسمح بتوسيع صلاته مع العالم العربي . فالدولة التي كان ابن سعود يترأسها كانت مهمة بالنسبة إلى الاتحاد السوفييتي بسبب مكانتها الخاصة في العالم الإسلامي لوجود المقدسات الدينية في أراضيها، إضافة إلى ذلك فإن الجانب السوفييتي كان ينوي تطوير الصلات الاقتصادية والتجارية مع دولة ابن سعود .

خلال المرحلة الأولى لبناء العلاقات بين البلدين لعب تعاطف ابن سعود مع مندوب الاتحاد السوفييتي دوراً كبيراً في تسريع هذه العملية . ويدل على ذلك، مثلا، ما كتبه ابن سعود نفسه في رسالته الجوابية على رسالة تشيتشيرش المؤرخة في ١٠ مايو عام ١٩٢٦ (٢٩ شوال عام ١٣٤٤هـ) حيث أشار إلى "أنه (أي كريم حكيموف - المؤلفة) يستحق كل المدح وأشاهد دائماً سلوكه اللائق وقدرته العالية على إنجاز الأعمال مما يساعد على تمتين علاقات الصداقة بين بلدينا"[١٩] . وهذا التقدير كان منتشراً بين كل أفراد العائلة الملكية . وتتذكر أرملة حكيموف خديجة حكيموفا ما يلي : "في سنة ١٩٣٢ زار الأمير فيصل رسمياً الاتحاد السوفييتي وعندما غادر عربة القطار بعد عبوره للحدود السوفييتية البولندية لاحظ في صفوف الوفد المستقبل له شخصاً وهو كريم الذي يعرفه منذ سنوات عندما كان وكيلا في الحجاز فتجاهل كل الآخرين وبسرور واضح عانقه وقبله عدة مرات"[٢٠] .

كما يدل على العلاقات الجيدة والتفاهم بين الملك ابن سعود من جانب وكريم حكيموف من جانب آخر رسالة حكيموف التي بعث بها بتاريخ ٤ إبريل عام ١٩٢٧ إلى"ليف كراخان" نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية . وتحتوي هذه الرسالة على تقييم حكيموف الشخصي لواقع إقامة العلاقات بين الاتحاد السوفييتي وبين

ابن سعود . وتستحق هذه الرسالة أن ننشرها كاملة :

"أيها الرفيق المحترم !

أريد أن أقدم تصوراتي حول المسألة التي أثيرت نتيجة لانتقال الحجاز إلى حكم ابن سعود . إن هذه المسألة ترتبط مباشرة بمستوى مندوبنا في الحجاز وكذلك أوراق اعتماده .

إن الاعتراف من قِبَل الحكومة السوفييتية لعب دوراً كبيراً بالنسبة لابن سعود . فهذا الاعتراف عزز وضعه في الجزيرة العربية وكان سبباً، كما قيل لي في الأوساط القريبة من الملك في دفع بريطانيا وغيرها من البلدان للاعتراف بابن سعود . إن اعترافنا الذي كان الأول من نوعه اتصف بأهميته أيضاً من جهة أخرى فقد أشار بوضوح أمام ابن سعود إلى سياستنا الصديقة له وبين له بأنه يستطيع أن يتمتع بتأييدنا المعنوي لخطواته الهادفة إلى تجديد بلاده .

كنت أبلغك بأن ابن سعود يهتم كثيراً بمستوى مندوبنا المعتمد لديه .

إن ابن سعود بطريقة تدريجية، ويجب الاعتراف بذلك - وبشكل ...هر يلجأ إلى كل الإجراءات التي تجيب مع أهداف تقوية وضعه، وهذا واضح . كمثال يمكن الاسترشاد به أنه خلال الأسابيع الأخيرة قرر في الرياض بأن يكون ملكاً لنجد . أما لماذا غيَّر لقب "سلطان" إلى لقب "ملك" فسوف أشرح ذلك فيما بعد . إن ابن سعود عندما حمل في عام ١٩٢٠ لقب سلطان نجد كان مجبراً على أن يناضل بواسطة بيرسي كوكس المفوض العام في العراق في سبيل اعتراف بريطانيا بهذا اللقب . أما أهمية لقب "الملك" فتكمن كما يبدو لي، في أن اللقب الجديد يعني توسيع حقوق السيادة لابن سعود بوصفه قائداً للبلاد التي تسير في طريق تحررها من بقايا نير التبعية لبريطانيا سواء تم الاتفاق المسبق معها بخصوص ذلك أم لا . فلدينا كل الاعتبارات للاعتقاد بأن ابن سعود عندما رأى الصعوبات التي تواجهها بريطانيا في شئونها الشرقية توج نفسه كملك لنجد دون أن يصل إلى اتفاق مسبق مع الإنجليز .

أما فيما يختص بالتسمية الحالية لمثليتنا في الحجاز فيجب الاعتراف بأن انعدام الدقة في هذا المجال يثير انطباعاً غير مرغوب فيه . وتذكر ممثليتنا في الكتاب السنوي لمفوضية الشعب للشئون الخارجية لعام ١٩٢٥ ك **"Ministêre plenipotêntiaire"**,

أما في الكتاب السنوي للمفوضية لعام ١٩٢٦ فتذكر "Agênce officielle". وبخصوص أوراق الاعتماد فليس من الضروري الآن بالنسبة إلي أن أقدمها للملك ابن سعود . إن علاقات الصداقة التي تربط بيننا تساعد على تجاوز ذلك، وإلى جانب ذلك، فلا أحد من المندوبين المتواجدين في جدة باستثناء مندوب تركيا قدم لابن سعود أوراق الاعتماد كنتيجة للاعتراف به من قِبَل حكومته . ويمكننا الالتجاء إلى تقديم أوراق الاعتماد لابن سعود وبحث مستوى تمثيلنا لدى حكومة الحجاز عندما يتم تعيين مندوبنا الجديد الذي سيحل محلي" (٢١) .

والجدير بالذكر أن كريم حكيموف يبرز الطبيعة المستقلة لسياسة ابن سعود ورغبته في أن يسير على نهج يستجيب مع مصالح بلاده وإضعاف مواقف بريطانيا العظمى في المنطقة . والاتحاد السوفييتي بكافة الوسائل أيد سعي ابن سعود في تقوية استقلاله مع العلم بأن هذا السعي تناقض مع مصالح إنجلترا التي كانت علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي متوترة للغاية والتي كانت منافسة لروسيا في تلك المنطقة منذ العهد القيصري .

ومن الأمثلة على أعمال الاتحاد السوفييتي الهادفة إلى دعم ابن سعود برقية مفوض الشعب للشئون الخارجية إلى مندوب الاتحاد السوفييتي المفوض في فرنسا بطلب نقلها إلى "نيقولاي سيماشكو" مفوض الشعب لشئون الصحة العامة لجمهورية روسيا الاتحادية المتواجد آنذاك في باريس على رأس الوفد السوفييتي في مؤتمر الوقاية الصحية المنعقد في العاصمة الفرنسية بتاريخ ١٠ مايو عام ١٩٢٦ من أجل إعادة النظر في المعاهدة الدولية بشأن الوقاية الصحية لعام ١٩١٢ . وأشارت البرقية المذكورة التي أرسلت بتاريخ ١٧ مايو ١٩٢٦ إلى ما يلي :

" يبلغنا مندوبنا المفوض في الحجاز بان ابن سعود يريد أن يقدم اعتراضاته في المؤتمر الدولي في باريس ضد عدد من بنود مشروع المعاهدة وأنه يطلب حق حكومة الحجاز في تنظيم إدارة الحجر الصحي المستقلة . ويرجو ابن سعود وممثله الدكتور حمدي مساعدتنا في هذا المؤتمر . عليكم أن تقيموا الصلات مع وفد ابن سعود" (٢٢) .

وقام الوفد السوفييتي في مؤتمر الوقاية الصحية المنعقد في باريس من ١

- ٢١ مايو ١٩٢٦ بحزم بالدفاع عن حقوق السيادة واستقلال الحجاز فيما يختص بتنظيم الوقاية الصحية والحجر الصحي في أراضيه .

وقال مستشار المثلية المفوضة السوفييتية في باريس وعضو الوفد السوفييتي في المؤتمر "يعقوب دامتيان" في رسالته إلى مفوضية الشعب للشئون الخارجية في موسكو بتاريخ ٩ يونيو عام ١٩٢٦ : ". . . كل محاولات ممثل الوفد الحجازي بإبراز استقلاله والتأكيد على سيادة الحجاز الكاملة تصطدم دائماً بالاعتراض المنتظم من قِبَل الوفود الأوروبية وبالأخص الوفد الإنجليزي . وقد أيدنا عدة مرات مقترحاته لأنها تتعلق بتقوية استقلال الحجاز . وتأييدنا له أثار من جانبه شكراً جزيلاً"[٢٣] .

لابد من الإشارة مرة أخرى إلى أنه في تلك المرحلة كانت السياسة الخارجية السوفييتية تتسم بطبيعتها الواضحة العداء تجاه بريطانيا العظمى . لذلك حاول القادة السوفييت أن يجدوا حلفاء بين زعماء الدول النامية .

وللتأكيد على صحة هذا الاستنتاج ن الاسترشاد بتسجيل المقابلة بين مفوض الشعب للشئون الخارجية السوفييتي والأمين العام لوزارة الخارجية الفرنسية "مارسيل برتلو" التي جرت في باريس بتاريخ ٢٣ مايو عام ١٩٢٧ والتي تطرقت كذلك إلى مناقشة سياسة ابن سعود وعلاقاته مع إنجلترا . وقال برتلو : "إن ابن سعود بين يدي إنجلترا تماماً . أما مفوض الشعب للشئون الخارجية السوفييتي فأشار إلى أن هذا الاستنتاج غير صحيح إطلاقا لأن لبريطانيا في الجزيرة العربية خمس سياسات تنتهجها في آن واحد . فهي تؤيد ابن سعود وكذلك منافسيه . إن الحكومة الإنجليزية تؤيد ذلك الذي يحرز نجاحات . فموقف ابن سعود تجاه بريطانيا وكذلك موقف بريطانيا تجاهه مزدوج . إنه يمثل قوة جديدة نامية في جوهرها غير ملائمة لبريطانيا لأنها تشكل تدريجياً الجزيرة العربية الموحدة والمنظمة . مع ذلك، فبريطانيا تحاول أن تقيم معه علاقات جيدة. ولكننا نطور معه علاقات الصداقة . إننا مقتنعون بأن الجزيرة العربية الجديدة ستصبح بالتدريج صديقة لنا"[٢٤] .

٣ - الاتجاهات الأساسية للتعامل بين البلدين

حاول الاتحاد السوفييتي تنويع صلاته مع الحجاز . ومن بين الوقائع الملموسة والمساعدة على التطوير الناجح للعلاقات بين البلدين كانت مشاركة وفد المسلمين السوفييت في المؤتمر الإسلامي العام المنعقد في مكة في يونيو عام ١٩٢٦. واهتم الوفد السوفييتي في هذا المؤتمر بشكل خاص بمسألة تنظيم الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة . وكان على رأس الوفد السوفييتي رئيس إدارة المسلمين الروحية المركزية في "أوفا" المفتي رضا الدين فخر الدينوف أحد أكبر الرموز لحركة المجددين بين مسلمي روسيا القيصرية وأديب ومؤرخ تتري مشهور . وانتخب فخر الدينوف نائبا أول لرئيس مؤتمر مكة .

والجدير بالذكر أن السلطات السوفييتية حاولت الاستفادة من الشخصيات الدينية الإسلامية لتعزيز مواقف الاتحاد السوفييتي في الجزيرة العربية . وكانت هذه السياسة بعيدة النظر حقاً لأن الإسلام كان حجر الأساس للسياسة الداخلية والخارجية في الدولة التي أقامها ابن سعود . ولكن الصلات الدينية كانت ممكنة فقط حتى بداية الثلاثينات عندما ابتدأت في الاتحاد السوفييتي حملة اضطهاد الديانة الإسلامية .

لقد كان عداء الدين الإلحادي أيديولوجية رسمية للدولة السوفييتية . فاضطهاد رجال الكهنوت المسيحيين الأرثودوكس بدأ مباشرة بعد نشوء الدولة الجديدة . كما بدأت فور ذلك عمليات إغلاق الكنائس وهدمها . وأقامت الدولة رقابتها الشديدة على نشاطات الكنيسة . أما موقف الدولة تجاه الإسلام خلال تلك المرحلة فكان متصالحاً . ونظرت الدولة إلى الإسلام بوصفه جزءاً لا يتجزأ من الثقافات القومية للشعوب الإسلامية المتأخرة سابقاً والداخلة في قوام الاتحاد السوفييتي . لذلك فالشخصيات الدينية الإسلامية تمتعت بحرية نسبية في نشاطها . وكان في إمكان المسلمين حضور المساجد وأداء جميع طقوسهم الدينية بما فيها الحج إلى مكة والمدينة . وهذا الوضع كان يثير لدى سلطات الدولة السعودية خيالاً حول وجود أساس إسلامي يمكن الاعتماد عليه من أجل تطوير العلاقات بين البلدين .وتعزز هذا الخيال نتيجة لكون مندوبي الاتحاد السوفييتي في الحجاز كانوا من

ابناء الطائفة الإسلامية في بلادهم . ففي أكتوبر عام ١٩٢٨ حل محل كريم حكيموف "نظير تيوريا قولوف" وهو من مواليد ١٨٩٢ من سكان قوقاند[٢٥] وابن تاجر في تلك المدينة . وتخرج تيورياقولوف من المدرسة التجارية التي أسسها الروس في مدينته في عام ١٩١٣ ومن ثم تعلم في كلية موسكو للتجارة حيث انضم هناك إلى صفوف حزب الاشتراكيين الثوريين القريب إلى البلاشفة من حيث إيديولوجيتهم . وفي عام ١٩١٨ عاد إلى قوقاند وانتسب إلى الحزب الشيوعي هناك وأصبح شخصية حزبية وحكومية بارزة في جمهورية تركستان السوفييتية وحارب هناك ضد مجاهدين مسلمين مناضلين للسلطة السوفييتية . وقبل تعيينه لمنصب الوكيل والقنصل العام في الحجاز كان سكرتيراً (أميناً) للجنة المركزية لفرع الحزب الشيوعي في تركستان[٢٦] .

بتاريخ ٣ أكتوبر عام ١٩٢٨ قدم وكيل الاتحاد السوفييتي وقنصله العام الحجاز ونجد والأراضي الملحقة نظير ن تيورياقولوف أوراق اعتماده لوالي ك في الحجاز الأمير فيصل . ووقع أوراق الاعتماد تلك رئيس اللجنة التنفيذية المركزية في الاتحاد السوفييتي ميخائيل كالينين[٢٧] .

في أواخر العشرينات ركز الاتحاد السوفييتي بشكل خاص على الجوانب السياسية في علاقاته مع ابن سعود . وكان من المقرر أن يزور والي الحجاز الأمير فيصل الاتحاد السوفييتي في عام ١٩٢٧ . ورحبت السلطات السوفييتية بهذه الزيارة إذ اعتبرتها دليلاً على تعزيز العلاقات بين البلدين . ويؤكد ذلك، على سبيل المثال، رسالة رئيس اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي ميخائيل كالينين الموجهة بتاريخ ١٠ مايو عام ١٩٢٧ إلى ملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة ابن سعود :

صاحب الجلالة !

استلمت رسالتكم العزيزة التي كان من الضروري أن يسلمها لي ابنكم فيصل الراغب في زيارة بلادنا . وأؤيد تماماً تمنيات جلالتكم فيما يختص بتعزيز الصداقة والمحبة بين شعب الاتحاد السوفييتي والشعب العربي . وآمل في أن تكون لي في المستقبل القريب إمكانية مقابلة ابنكم ووالي الحجاز الأمير فيصل في بلادنا حيث أريد أن أنقل عن طريقه

مرة أخرى لجلالتكم وللشعب العربي شعور الصداقة والتعاطف مع طموحات الشعب العربي في الوحدة القومية والتقدم الاقتصادي الذي تكنه له شعوب الاتحاد السوفييتي وأرجو جلالتكم بأن تتقبلوا تحياتي وأجمل تمنياتي"(٢٨) لم يستطع الأمير فيصل آنذاك أن يزور الاتحاد السوفييتي لأنه أصيب بالمرض في الطريق وأجبر على أن يقطع زيارته إلى الخارج .

واهتم الاتحاد السوفييتي بتوسيع صلات ابن سعود الخارجية وبحصوله على الاعتراف من قبل أكبر عدد ممكن من دول العالم . لذلك بذل المسئولون السوفييت جهودهم بهذا الاتجاه . وتحتوي رسالة نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية السوفييتي ليف كراخان إلى مندوب الاتحاد السوفييتي المفوض في ألمانيا "نيقولاى كريستنسكي" تصوراً سوفييتيا للأوضاع الدولية المحيطة بابن سعود ودولته في تلك الفترة . وتاريخ الرسالة ٢ فبراير ١٩٢٩ وتقول على وجه الخصوص :

" . . . يصطدم الحجاز بصعوبات جدية نتيجة لضيق دائرة الدول المعترفة به . ويؤدي ذلك إلى أن الخصوم المباشرين للحجاز دون رقابة عليهم ودون خوف يناهضون جميع أعراف القانون الدولي . وهذا التصرف للبريطانيين أصبح ممكناً بسبب أن الحجاز يملك معاهدة مع بريطانيا فقط وكل احتجاج من قِبَل الحجازيين يفشل دائماً تقريباً . إنه من السهل جداً انتهاج سياسة العنف تجاه هذه الدولة التي لا تتمتع إلا باعتراف قانوني دولي ضيِّق جداً . وإلى جانب ذلك فاشتداد التناقضات بين بريطانيا وأمريكا يفتح أيضاً آفاقاً للإعلان للعالم كله عما يقوم به الإنجليز في الجزيرة العربية"(٢٩) .

وتكمن أهمية هذه الوثيقة ليس فقط في عدائها الواضح لبريطانيا بل وكذلك في الاهتمام الصادق للاتحاد السوفييتي بتقوية أوضاع الحجاز الدولية . ويرجع فضل اعتراف ألمانيا بالحجاز إلى قادة الإدارة السياسية الخارجية السوفييتية . وتدل على ذلك رسالة كراخان الأخرى إلى كريستنسكي التي أرسلت بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٢٩ : "لا نستطيع أن نلزم أنفسنا بتقديم المساعدة الفورية والنشيطة للألمان في الحجاز لأن الأوضاع هناك الآن معقدة للغاية أما ابن سعود فمهدد بنزاعات الحدود . ولكننا نستطيع أن

د الألمان بالنصائح والمعلومات . إننا باعتراف ألمانيا بالحجاز"[٣٠] .

وإلى جانب ذلك رأى الاتحاد فييتي إن من واجبه انتهاج السياسة ية إلى التقارب بين بلدان الشرق هذا التقارب في رأيه يعزز المعسكر ادي للإمبريالية بوصفه سنداً اسة الخارجية السوفييتية المناهضة ل الغربية ، لذلك رحبت الدولة وفييتية باعتراف بلاد الفرس جاز . وبهذه المناسبة وجه وكيل ل عام الاتحاد السوفييتي نظير باقولوف بتاريخ ١٦ أغسطس عام ١ الرسالة التالية إلى الملك ابن رد : "يشرفني بأن أقدم باسم مة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية فييتية إلى جلالتكم أصدق التهاني سبة إقامة علاقات الصداقة وتقوية الصداقة بين حكومة جلالتكم ومة جلالة شاه بلاد الفرس كنتيجة ة الحكومتين في التقارب مما تجيب مع رغبات الحكومة فييتية أيضاً . واسمحوا لي أن أعبر صميم قلبي عن تمنياتي في أن تخدم هذه الصداقة قضية النهضة والرفاهية لحكومتيكما"[٣١] .

وبنفس المناسبة وجه نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية كراخان برقية إلى تيورياقولوف تقول : "بمناسبة إعلان الحكومة الفارسية عن اعتراف بلاد الفرس بالحجاز أنقل باسم حكومة الاتحاد السوفييتي تهانينا إلى حكومة الحجاز وملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة ابن سعود . وأؤكد له على أننا كنا دائماً نؤيد التقارب بين البلدان الشرقية بما فيها الحجاز وذلك من أجل تقوية وضعها"[٣٢] .

إن الحكومة السوفييتية عندما اهتمت بتعزيز مواقفها في الحجاز كانت في مناسبات عديدة تطرح مسألة رفع مستوى تمثيلها في الحجاز، من جهة، ومن جهة أخرى مسألة عقد المعاهدة الرسمية معه . وباشر بالمسألتين المذكورتين وكيل وقنصل عام الاتحاد السوفييتي كريم حكيموف في مايو عام ١٩٢٨ . ويبرهن على ذلك نص البرقية التي أرسلها إلى مفوضية الشعب بتاريخ ١٩ مايو ١٩٢٨ . وتقول البرقية : طرحت أمام ابن سعود مسألتي المعاهدة والمستوى . وطلب مني بإلحاح بأن أنقل

لكم بأنه يعتبر علاقاته معنا صداقة حقيقية . فالمعاهدة برأيه لن تكون إلا عاملاً شكلياً لا يدخل تعديلات على العلاقات القائمة بل قد تؤدي إلى تدهور وضعه . وللسبب نفسه لا يستطيع في هذه اللحظة أن يوافق على رفع المستوى .

وفي ختام المقابلة المطولة صرحت لابن سعود بأنني سأنقل جوابه إليكم، ولكن هذا الجواب لن يرضيكم وسأعود إلى إثارة المسألتين المذكورتين خلال اللقاءات القادمة معه"(٣٣) .

ولكن عدم رضى الحكومة السوفييتية عن وضع الاتحاد السوفييتي في الحجاز يتبين فيما بعد . فقد أصر المندوبان السوفييتيان على ضرورة استئناف المباحثات الهادفة إلى التوقيع على المعاهدة بين البلدين . ومع ذلك فالمسألة لم تكن بسيطة . وفي نهاية المطاف وافق ابن سعود على بداية المباحثات . ويدل على ذلك تسجيل الحديث بين وكيل وقنصل عام الاتحاد السوفييتي في الحجاز ونجد والأراضي اللحقة نظير تيورياقولوف والملك ابن سعود . ومن المفترض أن هذا الحديث دار حوالي ٢٥ يونيو عام ١٩٢٩ :

"قدمت للملك تساؤلاتنا بخصوص المباحثات ورفع المستوى والتبادل التجاري . وأجاب الملك بأنه لم ولن ينس أبداً بأن الاتحاد السوفييتي كان أول دولة اعترفت بدولته . إنه كان دائماً ولا يزال يقدر بدرجة كبيرة علاقاته مع الاتحاد السوفييتي وصداقة الحكومة السوفييتية له . وقد عبر عن استعداده لاستئناف المباحثات لمناقشة كل هذه المسائل ولعقد المعاهدتين السياسية والتجارية"(٣٤) .

من المفترض إن ابن سعود أصبح يعي تدريجياً بأن الاتحاد السوفييتي لا يمكن أن يكون دولة له أن يعتمد عليها بسبب الفوارق الشاسعة بين الأسس العقائدية لكلا البلدين . وكان منطق تطور الأحداث يدفعه نحو التقارب مع الغرب ولكن واقع اعتراف الاتحاد السوفييتي به قبل غيره من الدول جعله يوافق مبدئياً على استمرار المباحثات لرفع مستوى التبادل التجاري .

وبتاريخ ٢٥ يونيو عام ١٩٢٩ بعث نظير تيورياقولوف برقية إلى مفوضية الشعب للشئون الخارجية، كتب فيها : "وافق الملك ابن سعود على أن يكتب رسالة تؤكد على استعداده للقاء

بالمباحثات . واعتبر أنه من المفيد أن نصرح بأن المباحثات سوف تنطلق من مبدأ المساواة بين الجانبين والانتفاع من مصالحهما المشتركة . إن ابن سعود لا يعارض فكرة إدخال بند حول المعاهدة التجارية في نص المعاهدة السياسية وهو سيغادرنا بعد أربعة أيام . وسيواصل المباحثات وزير الخارجية"(٣٥).

ابتدأت المباحثات السوفييتية الحجازية في ١٥ سبتمبر عام ١٩٢٩ . واستطاع الجانبان قبل ديسمبر ١٩٢٩ أن يتفقا على عدد من أهم مواد المعاهدة السياسية . وكتب نظير تيوريااقولوف : " تقترب مباحثاتنا عملياً من نهايتها . ولم نحل بعد طائفة صغيرة من المسائل (أوقاف وجنسية)"(٣٦)، ولكن في بداية ١٩٣٠ وبسبب مغادرة الملك ابن سعود ووزير الخارجية الحجازي فؤاد حمزة مكة انقطعت المباحثات ولم تستأنف إلا في يونيو ١٩٣٠ .

يمكن الافتراض بأن المباحثات مع الحجاز كانت صعبة بالنسبة للجانب السوفييتي . ولكن الإدارة السياسية الخارجية السوفييتية بذلت جهوداً [...]افية لتعزيز الصلات مع هذه البلاد . [...]دل وثائق مفوضية الشعب للشئون الخارجية على أن الحكومة السوفييتية جاهدت في سبيل تطوير العلاقات مع الحجاز آملة في تعزيز مواقفها في الجزيرة العربية وكذلك في العالم العربي عموماً . ويبرهن على ذلك قرار حكومة الاتحاد السوفييتي بشأن إعادة تنظيم وكالتها الدبلوماسية في جدة إلى بعثة دبلوماسية . وهذا ما تؤكد عليه مذكرة الوكيل والقنصل العام في الحجاز ونجد والأراضي الملحقة الموجهة بتاريخ ١ يناير عام ١٩٣٠ إلى وزير الخارجية الحجازي فؤاد حمزة :

"بمناسبة تصريح حكومتكم في ١٤ ديسمبر عام ١٩٢٩ يشرفني أن أصرح باسم حكومتي بما يلي : إن تصريح صاحب المعالي بخصوص موافقة جلالة ملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة على إعادة تنظيم الوكالة الدبلوماسية والقنصلية العامة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في جدة وتحويلهما إلى بعثة دبلوماسية استقبل بارتياح عميق . أضيف من جانبي بأن إنشاء البعثة الدبلوماسية يتناسب مع رغبات حكومتي ومساعيها حيث عبرت عن ذلك في أوقات سابقة . ويشرفني أن ،أحيطكم علماً، يا صاحب المعالي، بأننا نقوم الآن بإعادة تنظيم الوكالة

الدبلوماسية والقنصلية العامة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية في جدة وتحويلها إلى بعثة دبلوماسية مما سيخدم قضية التعزيز الأعمق والتوسيع اللاحق لعلاقات الصداقة القائمة بين حكومتينا"(٣٧) .

وبتاريخ ٣ يناير وجهت مذكرة جوابية من وزارة الخارجية الحجازية تبلغ المندوب السوفييتي عن رغبة الحكومة الحجازية في تعيين مندوبيها السياسيين إلى البلدان التي لها علاقات مع الحجاز بما فيها الاتحاد السوفييتي(٣٨) .

ويتضح من هذه الوثائق تماماً بأن الجانب السوفييتي باشر بالمبادرات، فقد رأى مصلحته في توسيع الصلات مع الحجاز . وتجلت تمنيات الحكومة السوفييتية في الخطاب الذي ألقاه المندوب المفوض السوفييتي في الحجاز ونجد والأراضي الملحقة نظير تيوريـاقولوف لدى تسليمه لأوراق الاعتماد لوالي ملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة الأمير فيصل بتاريخ ٢٦ فبراير ١٩٣٠ :

"يا صاحب المعالي !

شرفتني اللجنة التنفيذية المركزية وكلفتني بهذه الرسالة المسئولة أن أكون وزيراً مفوضاً فوق العادة لدى جلالة ملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بن سعود .

إن الغاية من تعييني تتلخص في تمتين وتقوية علاقات الصداقة القائمة بين بلدينا .

وسوف أبذل قصارى قواي لتحقيق هذه الغاية وذلك باعتمادي على التعاطف العالي والموقف اللطيف الذي عبر عنهما لي صاحب الجلالة وكذلك أنتم يا صاحب المعالي والشخصيات الرسمية لهذه البلاد منذ قدومي إليها يملؤني الأمل بأنني سأتمتع بنفس التعاطف ونفس الموقف في نشاطي الجديد .

أرجوكم، يا صاحب المعالي، بأن توافقوا على أن تنقلوا لصاحب الجلالة عواطفي وأجمل تمنياتي لجلالته وأفراد العائلة الملكية ولبلادكم .

أرجوكم، يا صاحب المعالي. أن تنقلوا إلى صاحب الجلالة ولشعبه النبيل أصدق التمنيات من رئيس اللجنة

التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية .

اسمحوا لي، يا صاحب المعالي، بأن أقدم إليكم أوراق اعتمادي التي عُيِّنت بموجبها برسالة جديدة وأرجو، يا صاحب المعالي، بأن تتقبلوا احتراماتي العميقة لكم"(٣٩) .

يمكن الافتراض بأن نظير تيورياقولوف مثل زميله كريم حكيموف استطاع أن يقيم صلات شخصية جيدة مع شخصيات الحجاز الرسمية مما ساعده على أداء وظائفه الدبلوماسية في تلك البلاد . ويمكن اعتبار رفع مستوى التمثيل الدبلوماسي السوفييتي عملا يرجع الفضل الشخصي فيه إلى نظير تيورياقولوف أيضاً . فتيورياقولوف كان قادراً على تنفيذ مهامه نتيجة للموقف المتعاطف تجاهه من قِبَل الملك ابن سعود ومن يحيطون به .

ولكن مسألة عقد المعاهدتين السياسية والتجارية بقيت مفتوحة . فالجانب الحجازي استمر في رفضه التوقيع على الوثيقتين . ويصبح تبرير الرفض واضحاً من تسجيل المقابلة بين المندوب المفوض السوفييتي في الحجاز ونجد والأراضي الملحقة نظير تيورياقولوف وملك الحجاز ونجد والأراضي الملحقة ابن سعود . ودارت هذه المقابلة بتاريخ ١٧ يونيو ١٩٣١ . وهذا هو نصها :

" وصل الملك إلى جدة . وآخذاً بعين الاعتبار لمغادرته القريبة إلى الرياض قررت مقابلته بخصوص المسائل التي تهمنا . وقال فؤاد حمزة لي بأنه لا يريد الحضور لكي يترك لي حرية النشاط . وجلس معنا قليلا ومن ثم انصرف .

أثرت أمام الملك مسائلنا الرئيسية : حول المعاهدة التجارية السياسية وحول إلغاء الحظر للتجارة مع الاتحاد السوفييتي . كان جواب الملك دبلوماسياً وصرح بأن العلاقات القائمة بين الاتحاد السوفييتي والحجاز في أوج الصداقة وبالتالي لا تحتاج إلى صياغتها في معاهدة خاصة . إنه يفهم تماماً ويقدر جداً صداقة الاتحاد السوفييتي . إن هذه الصداقة قيِّمة له بشكل خاص لأنها لا تسعى إلى تحقيق أطماع ما . وقال إنني أعتقد بأنه إذا حان وقت الأزمة الصعبة فالاتحاد السوفييتي سيكون صديقاً لنا . أما فيما يتعلق بالمعاهدة التجارية فإنها سابقة للأوان . فالحجاز للآن لم يعقد

معاهدة تجارية مع أي طرف كان، ولهذا السبب هناك صعوبات . فكل المسائل التي تهم الجانبين سنجد لها حتماً حلاً إيجابياً، ولكن لابد من الانتظار والصبر بعض الوقت .

أجبته بأن المباحثات بشأن هذه المسائل بدأناها مع حكومته بموافقة تلك الحكومة . وإذا كنا نثير هذه المسائل فإنما يدفعنا إلى ذلك مصالح بلادنا . فتعزيز علاقات الصداقة بين بلدينا وكذلك تقوية وضع الحجاز الدولي هما عاملان لا يمكن تجاهلهما لا من جانب الأعداء ولا من جانب الأصدقاء . وأثيرت خلال المباحثات مسألة التعويضات .

إنني أعتقد بأن هذه المسألة وكذلك غيرها من مسائل العلاقات السوفييتية الحجازية من السهل حلها بواسطة التقارب والتعاون المبني على الصداقة . وإذ كنت أثير أمامه هذه المسائل فإنما يدفعني إلى هذا اعتقادي الصلب بأن هذا التعاون سيفيد الحجاز فائدة كبيرة، فائدة في تعزيز اقتصاد هذه البلاد وسياستها . وليس من الضروري أن نتكلم حول أفضليات صداقتنا بالنسبة له لأن سياستنا تجاه الحجاز خالية تماماً من مساع سياسية مضرة له"(٤٠).

ويلفت النظر واقع الجانب السوفييتي آنذاك إذ اهتم بالدرجة الأولى ليس بمسألة العلاقات السياسية مع الحجاز بل بالعلاقات التجارية مع هذه البلاد . ويمكن تفسير هذا الواقع بأن السياسة السوفييتية قبل ذلك الوقت كانت تتجه ضد تنامي مواقف بريطانيا العظمى في المنطقة . ولكن انهيار حزب المحافظين في انتخابات عام ١٩٢٩حال دون استمرار السياسة البريطانية المناهضة للسوفييت . وسار الاتحاد السوفييتي وبريطانيا العظمى في ظل الحكومة العمالية في طريق تطوير الصلات الاقتصادية الثنائية وتوقفا عن الاتهامات المتبادلة بينهما الأمر الذي أثر في طبيعة سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه الحجاز . كما يجب الإشارة إلى أنه في بداية الثلاثينات تعرض الاتحاد السوفييتي للصعوبات الاقتصادية الداخلية الملموسة وحاول توسيع صلاته الاقتصادية والتجارية مع العالم الخارجي بما فيه الحجاز .

لقد وضع حجر الأساس للعلاقات التجارية بين البلدين في المرحلة القيصرية . وبدأت روسيا قبل الحرب العالمية الأولى بتنظيم رحلات لسفنها المنتظمة التي نقلت الحجاج والبضائع . ومنذ عام ١٩٢٧ استؤنفت هذه الرحلات إلى الحجاز بعدما انقطعت في زمن الحرب والأحداث الثورية في روسيا . وكما كان الحال في السابق، استخدمت السفن لنقل الحجاج وكذلك البضائع . وفي عام ١٩٢٧ نظمت شركة "سوفتور غفلوت"(٤١) رحلتين لنقل البضائع في سفينتين لنقل الحجاج . أما الرحلة الثالثة لنقل البضائع فتمت على ظهر السفينة المؤجرة خصيصاً لهذا الغرض(٤٢) . وقامت بإجراء العمليات التجارية شركة "روسوتورغ"(٤٣) المساهمة المختلطة في منطقة الجزيرة العربية تحت إشراف الغرفة التجارية الروسية الشرقية .

وبدأت الغرفة التجارية الروسية الشرقية بإقامة صلاتها الأولى مع التجار المحليين منذ عام ١٩٢٥، أي بعد أن ...يمت العلاقات مع ابن سعود ...ستلمت هذه الغرفة مجموعة من ...ترحات من هؤلاء التجار ووضعت ...ى أساسها جملة من الإجراءات الرامية إلى تطوير التجارة بين الاتحاد السوفييتي والحجاز .

وتقدم رسالة ممثل الغرفة الموجهة إلى شعبة الشرق الأوسط لمفوضية الشعب للشئون الخارجية بتاريخ ١٨ يونيو ١٩٢٧ صورة عن طبيعة العمليات التجارية بين البلدين إذ تقول : "حسب المعلومات التي استلمناها. يجري بيع البضائع التي أرسلت إلى الحجاز بطريقة جيدة . وباعت شركة "روسوتورغ" ٤٢ طناً من السكر بسعر ١٩ جنيهاً استرلينياً و١٠ شلنات للطن الواحد . وتعد نفس الشركة عملية بيع كمية السكر الباقية وغيرها من البضائع ومنها الأقمشة والدقيق ومنتجات النحاس والسليكات . وحسب المعلومات الواردة من هناك، يتمتع معرض نماذج البضائع السوفييتية الذي افتتح لدي القنصلية العامة بنجاح بين السكان المحليين"(٤٤) .

وإلى جانب البضائع المذكورة التي كانت تقليدية لتجارة روسيا القيصرية مع بلدان المنطقة كان الاتحاد السوفييتي يصدر إلى الحجاز المواد الخام والمواد نصف المصنعة، أي بالأساس المنتجات البترولية والخشب .

وبموجب إحصائيات التجارة السوفييتية مع الحجاز لسنة ١٩٣٠ كان الجانب السوفييتي يصدر إلى هناك المواد الخام والمواد النصف مصنعة بكمية بلغت ٧٥٠ طناً ثمنها ٢٣ ألف روبل وكذلك يصدر المنتجات الغذائية بكمية ١٤٩ طناً ثمنها ١٦ ألف روبل[(٤٥)] .

وعلى العموم، فالتبادل التجاري بين البلدين كان ضئيلاً جداً . ولم يكن في إمكان الحجاز تلبية احتياجات الاتحاد السوفييتي الذي كان آنذاك يجتاز مرحلة إعادة بناء اقتصاده المدمّر في سنوات الحرب الأهلية . كما لم يكن في إمكان الاتحاد السوفييتي أن يصبح أحد الشركاء الأساسيين للحجاز بسبب المستوى الضعيف لتطور اقتصاده الوطني . يضاف إلى ذلك أن المواقع القوية تقليدياً للشركات التجارية البريطانية في الحجاز كانت أكبر من منافسة المنظمات التجارية السوفييتية الضعيفة والمعدومة الخبرة . ولكن المندوبين السوفييت الرسميين أصروا على وجود التمييز تجاه البضائع السوفييتية وطلبوا بإلحاح عقد المعاهدة التجارية بمناسبة الزيارة الرسمية الأولى لوفد الحجاز الحكومي وعلى رأسه الأمير فيصل في الفترة ما بين ٢٩ مايو و٧ يونيو عام ١٩٣٢ .

وأثناء تبادل الآراء حول قضية التطوير اللاحق للعلاقات السوفييتية الحجازية، عبر الجانب السوفييتي عن رغبته في تعزيز هذه العلاقات وتوسيعها عن طريق عقد معاهدة الصداقة والمعاهدة التجارية . ولكن وكما صرح الأمير فيصل لم يكن الوفد مفوضاً بالتوقيع على هاتين المعاهدتين[(٤٦)] اعتبر الجانب السوفييتي هذه الزيارة تأكيداً على وجود علاقات الصداقة بين البلدين وتمنى تطويرها فيما بعد ويؤكد ذلك، على سبيل المثال، الخطاب الذي ألقاه رئيس اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي ميخائيل كالينين في مأدبة الإفطار التي أقيمت على شرف رئيس الوفد الحكومي للحجاز ونجد والأراضي الملحقة الأمير فيصل والوفد المرافق له بتاريخ ٢٩ مايو عام ١٩٣٢ . وهاهو نص الخطاب : يا سعادة الوالي ووزير الخارجية !

يسرني أن أرحب بقدومكم إلى الاتحاد السوفييتي باعتباركم مندوباً عالياً للدولة الصديقة لنا، دولة الحجاز ونجد والأراضي الملحقة وأن أحيي في

شخصكم قائد هذه الدولة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ابن سعود .

لقد اتصفت العلاقات بين بلدينا خلال السنوات الأخيرة بالصداقة الصادقة تماماً . كما أن زيارتكم للاتحاد السوفييتي هي بلا شك إحدى الظواهر السعيدة لتلك الصداقة التي تربط بين بلدينا .

إنني وبرضى كبير أرحب بكم في عاصمة الاتحاد السوفييتي وذلك لأنكم تمثلون حكومة الشعب العربي الذي استطاع بعد الحرب العالمية وبفضل سياسة قادته الشجاعة والبعيدة النظر أن ينال ويقوي استقلاله الكامل الذي يعتبر مقدمة ضرورية لتطور بلاده الاقتصادي والثقافي .

وتعبر حكومة الاتحاد السوفييتي عن الإعجاب بالتطور الناجح لسياسة الحكومة التي تمثلونها والتي تهدف إلى حماية الوجود المستقل للشعب العربي تمتين رفاهيته الاقتصادية والثقافية .

أعبر عن ثقتي بأن الصداقة بين تينا تستجيب بدرجة مطلقة مع الح شعبينا وخيرهما المتبادل . إن زيارتكم للاتحاد السوفييتي ستساهم بقسط كبير في التعزيز اللاحق لهذه الصداقة .

أرجوكم بأن تنقلوا أعز تمنياتي بالصحة والعافية لجلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل ابن سعود . إنني أرحب بحرارة بشخصكم ممثلاً عالياً للدولة الصديقة لنا وقائداً لسياستها الخارجية .

إنني أتمنى بحرارة وبصدق ازدهاراً للشعب العربي وتطويراً وتعزيزاً لاحقين لعلاقات الصداقة بين شعبينا"(٤٧) .

ولكن آمال القيادة السوفييتية لم تتحقق . فزيارة الأمير فيصل للاتحاد السوفييتي لم تصبح عاملاً مساعداً على التطوير اللاحق للعلاقات بين البلدين . فإن الاتحاد السوفييتي سعى إلى امتلاك قاعدة متينة لتقوية الصلات بين البلدين بتوقيع معاهدة الصداقة وكذلك المعاهدة التجارية . أما حكومة ابن سعود من جهتها فقد اهتمت بعقد الاتفاق الثنائي بشأن تقديم القروض الصناعية لها . وكان الجانب السوفييتي مستعداً بأن يقدم تنازلات . ويدل على ذلك نص برقية نائب مفوض الشعب للشئون الخارجية كارخان إلى الوزير المفوض

للاتحاد السوفييتي في الحجاز نظير تيوريـاقولوف المؤرخة في ١٥ يونيو ١٩٣٢ : "قل بوضوح لهم بأننا نعتبر المعاهدتين السياسية والتجارية مفيدتين لنا وكذلك للحجاز . إننا نأخذ بعين الاعتبار استعداد الحجاز لعقد معاهدة الصداقة وموافقته على التوقيع عليها . إننا لا نصر على عقد المعاهدة التجارية إذا اعتبرها الحجاز غير ضرورية . أما فيما يتعلق بالقروض فإننا من جانبنا لا نعارض استمرار الصفقات على قاعدة القروض السلعية القصيرة الأجل التي ستقوم بها "سيوز نفط إكسبورت" [٤٨] أو غيرها من مؤسساتنا الاقتصادية إذا رأت هذه الأخيرة شروط الصفقات ملائمة تجارياً بالنسبة لها" [٤٩] .

وبتاريخ ١١ أغسطس عام ١٩٣٢ أرسل تيوريـاقولوف برقية إلى مفوضية الشعب للشئون الخارجية قال فيها بأن ابن سعود صرح له بأنه موافق على التوقيع على معاهدة الصداقة وكذلك المعاهدة التجارية وبأنه أصدر تعليماته بخصوص هذه الخطوة لحكومته لكي تبدأ بالمباحثات الضرورية .

ولكن بعد فترة قصيرة تنازلت الحكومة الحجازية عن التزاماتها [٥٠] .

ولم ترغب حكومة ابن سعود في تطوير علاقاتها مع الاتحاد السوفييتي وتبين ذلك بشكل أوضح عندما سُمِّيت الدولة التي أسسها ابن سعود بالمملكة العربية السعودية .

٣ - انهيار العلاقات السوفييتية السعودية وأسبابه

لقد كانت مسألة التعاون التجاري تحتل مركز الصدارة في سياسة الاتحاد السوفييتي في تلك المرحلة . فقد كان يصر على ضرورة عقد المعاهدة التي كانت ستنص تشريعياً على أن المنظمات التجارية السوفييتية تتمتع بشروط النشاط المتساوية مع غيرها من الشركات التجارية الأجنبية العاملة في الحجاز . ولو عقدت هذه المعاهدة لكانت دليلا على رغبة الجانبين الموقعين عليها في تطوير الصلات فيما بينهما . ولكن الظروف المناسبة لذلك انعدمت آنذاك صحيح، أن الشخصيات الرسمية السعودية لم ترفض تطوير الصلات. ولكنها لم تستطع تلبية مطالب الجانب السوفييتي بشأن عقد معاهدتين سياسية

وتجارية . فلم يكن ذلك ليستجيب مع مصالح دولتها .

في ذلك الحين كان يجب على الجانبين السوفييتي والسعودي أن يقوما بتسوية ديون العربية السعودية على المنتجات البترولية التي زودها بها الاتحاد السوفييتي . وتطرق الوزير المفوض السوفييتي في العربية السعودية نظير تيوريـاقولوف إلى هذا الموضوع في برقية بعث بها إلى مفوضية الشعب للشئون الخارجية بتاريخ ٧ يونيو ١٩٣٣ إذ قال فيها "لقد صرح الملك بأن التجارة السوفييتية تتمتع بالمساواة مع تجارة غيرها من البلدان . وأبدى الملك استعداده لعقد المعاهدتين للصداقة وللتجارة . إنه يقبل مبدئياً الاقتراح السوفييتي بشأن الوضع القانوني للتجارة السوفييتية مع أنه يقترح تسجيل هذا الوضع في المعاهدة التجارية .

ويعبر الملك عن شكره للحكومة ـوفييتية ويرجو تسوية ديونه مقابل نجات البترولية :

أ - الاتفاق بهذا الخصوص ـمنه الملك نفسه ؛

ب - ستغطي الحكومة ثلث الديون خلال يناير - مارس ١٩٣٤ وكذلك الثلثين المتبقيين في بداية عام ١٩٣٥ ؛

جـ - سيتم تسديد الديون على أساس سعر الذهب. خلال مدة سريان الاتفاق ويتحدد السعر المضمون للدولار مقابل الجنيه الإسترليني الذهبي . وسيتحمل الملك نفسه ٥٠٪ من الخسائر الناتجة عن انخفاض سعر الدولار . سأواصل الباحثات، ولكن الملك لن يستطيع أن يقوم بتنازلات أكبر . أرسلوا جواباً سريعاً، كي أستطيع أن أرتب هذه المسألة قبل مغادرة الملك"(٥١) .

مع ذلك، فمسألة الديون لم تسوَّ بشكل نهائي إلا بعد مرور سنتين. أي في إبريل عام ١٩٣٥ عندما توصل الجانبان إلى الاتفاق بهذا الشأن .

وفيما يلي الاتفاق المعقود بين شركة "فوستوكفوستورغ"(٥٢) ووزارة المالية للعربية السعودية بتاريخ ٢٥ إبريل عام ١٩٣٥ :

" إن الموقعين أدناه صاحب السعادة سليمان وزير المالية للحكومة العربية السعودية (الجانب الأول) وصاحب السعادة تيوريـاقولوف الوزير

المفوض لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية والمثل للشركة التجارية السوفييتية المسماة [فوستوكفوستورغ] (الجانب الثاني) بعد مناقشتهما لديون الجانب الأول للجانب الثاني القدرة بـ ١٥٠٠٨١ دولاراً أمريكياً و٦٠ سنتاً مقابل التوريدات الثلاثة للبنزين والمازوت التي سلمت له بموجب الاتفاق المعقود بتاريخ ١٦ ربيع الأول ١٣٥٠، استنتجا بأن الديون المذكورة لم تسدد من قبل الجانب الأول نتيجة لظروفه الصعبة في فترة استلام المنتجات . واتفق الجانبان المنطلقان من مصالحهما المشتركة على ما يلي :

المادة الأولى

يحسب الجانب الثاني ديون الجانب الأول بأوراق الدولار النقدية ومبلغها ١٥٠٠٨١ دولاراً أمريكياً و٦٠ سنتاً .

المادة الثانية

يوافق الجانب الأول على تعويض خسائر الجانب الثاني الناجمة عن انخفاض سعر الدولار وذلك عن طريق إضافة ٥٪ كفائدة سنوية إلى مجموعة الديون ابتداء من المواعيد المتفق عليها للتسديد .

المادة الثالثة

لذلك فمع التعويض ستقدر ديون الجانب الأول للجانب الثاني في نهاية مارس ١٩٧٥ بمبلغ ١٧٢،٨١٢ دولاراً أمريكياً و١٥ سنتاً .

المادة الرابعة

يوافق الجانب الأول لدى التوقيع على هذا الاتفاق بأن يدفع للجانب الثاني نقداً المبلغ الذي يقدر بـ ١٧،٨٢١ دولاراً أمريكياً و٢٠ سنتاً وهو يساوي ١٠٪ من جملة الديون المشار إليها في المادة الثالثة .

وبعد استقطاع هذا المبلغ تصبح ديون الجانب الأول للجانب الثاني ١٥٥،٥٣٠،٩٥ دولاراً أمريكياً ورقياً .

المادة الخامسة

يوافق الجانب الأول على أن يزود الجانب الثاني إذا طلب ذلك بالكمبيالات الجمركية إلى أن تسدد ديونها مع تغطية ٥٠٪ من جملة الرسوم الجمركية المفروضة على البضائع المصدرة على اسم الجانب الأول

حسب قيمة هذه الكمبيالات لدى
يد الديون دون أن تؤخذ في حالة
ا الفائدة منها . وفي حالة عدم بيع
من هذه الكمبيالات يحق للجانب
ني أن يعيدها إلى الجانب الأول .
. ذلك، ستضاف قيمتها إلى مبلغ
ن الأساسي ومنذ لحظة إعادتها
ؤخذ منها الفائدة (٥٪) . ويوافق
انب الأول على أن يدفع للجانب
ني ٥٪ كفائدة سنوية للديون غير
لماة ابتداءً من إبريل عام ١٩٣٥ وإلى
يتم سدادها بالكامل .

المادة السادسة

يعترف الجانب الأول بحق
انب الثاني في المساواة الكاملة بينه
ن مقرضيه الأساسيين . فإذا كانت
كومة خلال هذه السنة، أو في
تقبل تدفع لهم أية مبالغ محسوبة
ن ديونها لهم. فالجانب الثاني
لك الحق في أن يطلب منها موقفاً
ثلا تجاهه . وفي حالة إذا لم تسدد
يون خلال السنة الحالية بواسطة بيع
مبيالات فيحق للجانب الثاني أن
ب في السنة القادمة من الجانب
بأن يستمر في تزويده بالكمبيالات

على اساس المادة الخامسة من هذا الاتفاق .

حُرِّر هذا الاتفاق من نسختين، وسلمت نسخة واحدة منه لكل من الجانبين.

مكة، ٢١ محرم ١٣٥٤هـ - ٢٥ إبريل ١٩٣٥م "(٥٣) .

وكانت الحكومة السعودية تسدد ديونها للمنظمة التجارية السوفييتية عن طريق بنك مصر الوطني .

وكان هذا الاتفاق هو الوحيد من نوعه الذي عقد بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية .

في الواقع، ومنذ بداية الثلاثينات كانت العلاقات بين البلدين تتجه نحو الاضمحلال بالرغم من أنها قطعت رسمياً في عام ١٩٣٧، وحاولت السلطات السوفييتية إحياءها . هكذا، استلم الوزير المفوض للاتحاد السوفييتي في المملكة العربية السعودية نظير تيوريـاقولوف في ٩ يونيو عام ١٩٣٥ برقية المفوضية الشعبية للشئون الخارجية أشارت إلى مايلي :

" على ضوء المناقشة لمسألة علاقاتنا مع البلدان العربية نرجو إعداد تقرير مفصل مستعجل . نرجو التوقف بشكل

خاص لدى تحليل علاقاتنا الاقتصادية مع العربية السعودية وآفاق تطورها المستقبلية . كما نرجو تقديم مقترحات واقعية ملموسة حول الاتجاه المرغوب فيه حول تنامي علاقاتنا السياسية والاقتصادية مع تلك البلاد"(٥٤) .

وإلى جانب ذلك، ومن أجل دفع العلاقات بين البلدين إلى الأمام عين كريم حكيموف من جديد في أواخر عام ١٩٣٥ لمنصب الوزير المفوض للاتحاد السوفييتي في المملكة العربية السعودية . ومن المعروف أنه ساهم مساهمة شخصية يستحيل إنكارها في إقامة العلاقات بين البلدين . ولكن الآمال المرتبطة بإمكانية الاستفادة من صلات حكيموف باءت بالفشل .

وزادت في فترة الثلاثينات اتجاهات العنف والعسف شدة في سياسة النظام السوفييتي الداخلية، وابتدأت حملات الاضطهاد العريضة ضد الشخصيات الإسلامية الدينية بما فيها المفتي رضي الدين فخر الدينوف الذي كانت إدارته الدينية توشك على الإغلاق . كما أغلقت في البلاد أغلبية المساجد المتواجدة فيها، وأوقف الحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولا يمكن الشك في أن هذه الوقائع كانت معروفة للحكومة السعودية التي كان عدم ثقتها في الطبيعة الإلحادية للنظام السوفييتي تتبلور أكثر فأكثر، الأمر الذي أدى لوقف جميع الصلات بين البلدين وأخيراً إلى إغلاق ممثلتيهما الدبلوماسيتين في كل من جدة وموسكو. أما كريم حكيموف ونظير تيورياقولوف فاتهما بالميول الإسلامية الجامعة في عام ١٩٣٧ واعتبرا من أعداء الشعب وأعدما .

مع ذلك لا يمكننا أن نشطب تجربة العلاقات الدبلوماسية بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية من تاريخ هذين البلدين واعتبارها غير مفيدة لهما، ففي مرحلة قيام الدولة السعودية كانت بحاجة ملحة إلى تأييدها من قِبَل الاتحاد السوفييتي وذلك من أجل تعزيز وضعها الدولي . لكن الجانب السوفييتي كان بحاجة إلى العلاقات مع المملكة العربية السعودية ولأسباب مماثلة

الدكتورة هيلينا ملكوميان
جامعة موسكو للدولة
معهد بلدان آسيا وإفريقيا

الهوامش

القاموس السياسي السوفييتي في فترة العشرينات والثلاثينات "وزير الخارجية" وكذلك
فوضية الشعب للشئون الخارجية - "وزارة الخارجية"

ِثيقة ٨٦ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية . موسكو، ١٩٦٢،
مجلد ٦، ص ١٦٩ - ١٧٠

جميع الوثائق التي تعتمد عليها المؤلفة باللغة الروسية]

س المصدر، ص ١٧٠

ِثيقة ١١٥، وثائق السياسة الخارجية السوفييتية، وزارة الخارجية السوفييتية،
وسكو، ١٩٦٣، المجلد٧، ص ٢٣٥

س المصدر

س المصدر

ـائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية، موسكو، ١٩٦٣،
لمجلد ٧، الإضبارة ٣٥، ص ٧٠٧

ِفا الآن عاصمة جمهورية شقرتستان في روسيا الاتحادية

ذكرات عن كريم حكيموف . أوفا، ١٩٨٢ ص ٦ - ٢٦

المقصود بها هيئة الرئاسة لمجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي، أي رئاسة البرلمان

رئيس البرلمان السوفييتي في ذلك الحين

الوثائق من أرشيف مفوضية الشعب للشئون الخارجية في : "الاتحاد السوفييتي والبلدان
لعربية . ١٩١٧ - ١٩٦٠"، موسكو، ١٩٦١، ص ٦٠

"نوفي فوستوك" (الشرق الجديد)، موسكو، ١٩٢٤، العدد ٦

وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية، موسكو، ١٩٦٤،
لمجلد ٩، ص ٦٣٤

١٥ – نفس المصدر، ص ٦٧١

١٦ – مجموعة المعاهدات المعمول بها . العدد ١٤ موسكو، ١٩٢٨، ص ١٤

١٧ – نفس المصدر

١٨ – الاتحاد السوفييتي والبلدان العربية . ١٩١٧ – ١٩٦٠، ص ٦٢ – ٦٣

١٩ – نفس المصدر

٢٠ – مذكرات عن حكيموف، ص ٣٨

٢١ – مجموعة المعاهدات المعمول بها، ص ١٥

٢٢ – الوثيقة ١٦١ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٤، المجلد ٩، ص ٢٧٥

٢٣ – نفس المصدر، ص ٦٣٤

٢٤ – الوثيقة ١٣٠ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٥، المجلد ١٠، ص ٢٢٤ – ٢٢٩

٢٥ – الآن مدينة في دولة أوزبكستان

٢٦ – في سبيل تركستان السوفييتية . طشقند، ١٩٦٣، ص ٥٩٠

٢٧ – الوثيقة ١٧٢ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٦، المجلد ١١، ص ٣٢٢

٢٨ – الوثيقة ١١٧، وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٥، المجلد ١٠، ص ١٩٥

٢٩ – الوثيقة ٣٣ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٧، المجلد ١٢، ص ٦١ – ٦٢

٣٠ – الوثيقة ٤٧ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٧، المجلد ١٢، ص ٨٢ – ٨٣

٣١ – نفس المصدر، الوثيقة ٢٥٦، ص ٤٦٤

٣٢ – نفس المصدر، الوثيقة ٢٥٤، ص ٤٦٣

٣٣ - الوثيقة ١٧٢ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٦، المجلد ١١، ص ٣٢٢

٣٤ - نفس المصدر . الوثيقة ١٩٩، ص ٣٦٣

٣٥ - نفس المصدر، الوثيقة ٢٠٠، ص ٣٦٥

٣٦ - نفس المصدر، ص ٧٥٧

٣٧ - الوثيقة ١ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٧، المجلد ١٣، ص ١٠

٣٨ - وثائق السياسة الخارجية السوفييتية، المجلد ١١، ص ٦٩٣

٣٩ - الوثيقة ٧٢ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٧، المجلد ١٣، ص ١٠٩

٤٠ - الوثيقة ١٨٦ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٨، المجلد ١٤، ص ٣٧٩

٤١ - "سوفتور غفلوت" - "الأسطول التجاري السوفييتي"

٤٢ - وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٥، المجلد ١٠، الملحق ١

٤٣ - "روسوتورغ" أي شركة التجارة الروسية

٤٤ - الوثيقة ١٦٧ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٥، المجلد ١٠، ص ٣١٦

٤٥ - وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، ١٩٦٨، المجلد ١٤، ص ٧٥٥

٤٦ - وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية . موسكو، المجلد ١٥، ص ٧٧٢

٤٧ الاتحاد السوفييتي والبلدان العربية . موسكو، ١٩٦١، ص ٧٨ - ٨٠

٤٨ ي "شركة تصدير النفط السوفييتية"

٤٩ – الوثيقة ٢٥٣ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية موسكو، ١٩٦٨، المجلد ١٥، ص ٣٦٦ – ٣٦٧

٥٠ – نفس المصدر، الملاحظة، ص ٧٧٦

٥١ – الوثيقة ١٧٤ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية موسكو، ١٩٧٠، المجلد ١٦، ص ٣٣٥ – ٣٣٦

٥٢ – أي "شركة تجارة الدولة مع الشرق"

٥٣ – الوثيقة ١٩٦ . وثائق السياسة الخارجية السوفييتية . وزارة الخارجية السوفييتية موسكو، ١٩٧٣، المجلد ١٨، ص ٣٠٠

٥٤ – نفس المصدر

تاريخ العلاقات السياسية والدبلوماسية الروسية بدول المنطقة

بقلم

الدكتور يفجيني سيدوروف

موسكو

مقدمة

لقد ازداد اهتمام روسيا بالعالم العربي ولاسيما منطقة الخليج العربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لعدة أسباب، منها سعي الإمبراطورية الروسية لتنويع الأسواق العالمية الملائمة لتصدير وبيع
ـائعها، وكذلك حب الروس التقليدي للإطلاع على مناطق جديدة في العالم، ياة الشعوب القاطنة فيها وعاداتها وتقاليدها، وأخيرا، وهو الأهم في اعتقادنا، بروت المتزايد للدولة الروسية القوية أصلا، ومواجهة إيران وتركيا العثمانية ين كانت سياستهما تشكل خطرا مستمرا على الوضع الأمني في منطقة حدود سيا الجنوبية.

ومما سهل على روسيا، نوعا ما، مهمتها الخاصة بالإطلاع على منطقة الخليج العربي، هو ما توافر لديها من خبرة وفيرة في إقامة الاتصالات مع العالم العربي، وبالدرجة الأولى مع سوريا ومصر وفلسطين.

لقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر خلافا حادا في العلاقات بين الدول الغربية، يعود إلى سعيها لبسط سيطرتها على منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي . وقد تمكنت بريطانيا من تحقيق هذا الهدف، خاصة في جنوب الجزيرة العربية، وعدد من إمارات الخليج، وبعض مناطق إيران .

وطبيعي أن الدول المنافسة الأساسية لبريطانيا آنذاك، وهي روسيا وألمانيا وفرنسا، لم تقف مكتوفة الأيدي إزاء الزحف البريطاني الخليجي، والمثال على ذلك أن روسيا لبت طلب المساعدة الذي كان قد توجه به إليها الشاه الإيراني في أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر. فأوفدت فصيلة قوزاقية إلى إيران لضمان أمن الشاه وحمايته في وجه أعمال الشغب والاضطرابات التي عمت إيران في ذلك الحين .

ومن اللافت للنظر أن إنجلترا كانت قد تمكنت من تثبيت مواقعها في دول الخليج العربي، حيث عقدت اتفاقيات مع شيخ البحرين (عام ١٨٨٠)، وشيخ الكويت (عام ١٨٩٩)، وسلطان عمان (عام ١٨٧٣)، كما أن إنجلترا لم تتورع عن اللجوء إلى كل الوسائل للحيلولة دون محاولات منافسيها الرئيسيين (ألمانيا وفرنسا) الرامية إلى إقامة اتصالات مع الشركات العربية والتجار العرب .

وقد قررت روسيا في أواخر القرن التاسع عشر إرسال عدد من سفنها وبواخرها إلى سواحل الخليج العربي، وذلك لاستعراض جبروتها وقوتها العسكرية، لكن بريطانيا تحركت بسرعة، فأعلنت منطقة الخليج العربي " منطقة لمصالحها ونفوذها " [1] .

ومما لاشك فيه أن الأمراء والحكام الخليجيين تصوروا تماما مدى خطورة السياسة الإنجليزية الهادفة إلى تكريس تواجد بريطانيا في منطقة الخليج العربي ، فقد انتهج سمو الأمير مبارك الصباح سياسة حيادية متزنة وذكية جدا إزاء هذه المسألة، سعيا منه، على ما يبدو، للحفاظ على استقلال الكويت، وإن كان هذا الاستقلال محدودا للغاية .

لكن إنجلترا لم تكتف بوضع منطقة الخليج العربي تحت رقابتها، بل أوصلت القضية إلى حد إجبار سمو الأمير مبارك على توقيع اتفاقية سرية، مما أسفر عن إطلاق اسم "الحكومة الأجنبية" على تركيا، من جهة، وتسمية منطقة الخليج العربي بأكملها بـ "بحيرة بريطانية"، من جهة أخرى .

وقد تمكنت الإمبراطورية الروسية، وسط هذه الأوضاع المعقدة والصراعات الحادة، من دخول منطقة الخليج، وجس نبضها، إن صح التعبير، من ناحية آفاق التبادل التجاري بينها وبين الدول والإمارات الخليجية .

لقد حاولنا أن نبين ونتابع، من خلال هذا البحث، أهم أحداث وتطورات الفترة التاريخية الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حتى الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٥) التي انتهت بهزيمة روسيا، مما أثر، بلا شك، تأثيرا بالغا في قدرتها على دخول منطقة الخليج العربي ثانية، ومنافسة النفوذ البريطاني هناك .

ولا يسعنا في ختام مقدمة هذا البحث إلا أن نشكر كل من ساهم في إعداده، بتقديم مختلف المراجع، سواء من معاهد البحوث العلمية، أو العلماء والباحثين الروس، ونود أن نخص بالشكر العاملين في (الأرشيف المركزي للأسطول الحربي السوفييتي) في لينينجراد "سان بطرسبورج" حاليا .

* * *

كان للتنمية الاقتصادية التي روسيا في القرن التاسع عشر، ت ملحوظة في سياسة روسيا يد الخارجي، حيث أصبح ون الروس في أمس الحاجة إلى ن مزيد من الأسواق التجارية

العالمية . وأولت الحكومة الروسية - انطلاقا من حاجاتها الاقتصادية والسياسية، وتطلعاتها العالمية - اهتماما بالغا في أواخر القرن التاسع عشر إلى المناطق التي ظلت فترة طويلة خارج مدار مصالح روسيا، بما في ذلك منطقة

الخليج العربي . وأطلق على هذا النهج اسم "السياسة الروسية الجديدة" .

وقد ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أولى الوثائق الدبلوماسية الروسية المكرسة لبلدان الخليج العربي، ففي عام ١٨٩٢ مثلا، نشرت إحدى الصحف الروسية مقالة، دار الحديث فيها عن قطر . وكتب هذه المقالة أ. كروجلوف القنصل الروسي في بغداد آنذاك . وتضمنت المقالة وصفا مسهبا للقبائل القاطنة هناك، بما فيها قبيلة "بنو هاجر" بقيادة "آل ثاني" . وفي عام ١٨٩٩ نشرت مقالة أخرى بقلم أ. كروجلوف الذي حاول فيها متابعة تاريخ الكويت على مدى القرون الأخيرة، وإعطاء وصف واقعي مفصل لهذه الدولة الخليجية . وقام كروجلوف بتحليل تاريخ الكويت ، وتحدث في هذه المقالة عن انطباعاته الشخصية من زيارته للكويت، وتوصل إلى استنتاج مفاده أن هذه الدولة "كانت تميل في سياستها الخارجية إلى تركيا تارة، وإلى إيران تارة أخرى، لكنها ظلت مستقلة دوما، في جوهر الأمر . . . "

لقد تميزت الأوضاع السياسية في الخليج بنفوذ شديد لإنجلترا التي عقدت عددا من المعاهدات والاتفاقيات مع بعض حكام المنطقة، بما في ذلك "معاهدة الصلح الأبدي" مع "الساحل القرصاني" في عام ١٨٥٣، ومعاهدات مع كل من قطر (عام ١٨٦٨)، والبحرين (عام١٨٨٠)، والكويت (عام ١٨٩٩) . ونظرا لنفوذ إنجلترا الشديد، وتأثير سياستها في الوضع القائم في المنطقة آنذاك، فإن روسيا لم يكن بمقدورها تحقيق نجاح في سياستها الخليجية إلا بشرط إعداد خطة سياسية خاصة بهذا الشأن وتنفيذها . والحقيقة أن روسيا أعدت مثل هذه الخطة. وركزت فيها على ضرورة زيادة هيبتها السياسية في دول الخليج العربي. وتوسيع "الشبكة الإقليمية لمراكز المراقبة الدبلوماسية الروسية"، وكذلك تولي (مصلحة الأسطول البحري الحربي الروسي) حل مسألة دخول السفن الحربية الروسية إلى الموانئ الخليجية . ولقد كان هناك عنصر هام آخر لهذه الخطة البعيدة المدى التي كانت قد تولت إعدادها روسيا، طبقا لظروف تطور دول الخليج العربي وخصائصه ألا وهو تنشيط أعمال الشركات التجارية الروسية في الجزيرة العربية، وكذلك إقامة رحلات بحرية منتظمة بين موانئ روسيا وسواحل الخليج العربي .

لقد أصبح إنشاء وافتتاح شبكة من القنصليات الروسية إحدى الخطوات الأولى لسياسة روسيا النشيطة المكثفة في منطقة الخليج العربي . فقد أكد أ. ماشكوف سكرتير القنصلية الروسية في بغداد، في مذكرة بعث بها عام ١٨٩٦ إلى السفير الروسي في (القسطنطينية)، على وجوب إنشاء مثل هذه الشبكة من القنصليات الروسية، استشهادا في ذلك بمثال بريطانيا .

ولم تكن بحوزة روسيا وقتذاك في حقيقة الأمر إلا قنصلية واحدة بالمنطقة (في شوشتر)، لكن ماشكوف وصف نشاط هذه القنصلية بأنه "غير مرض"، كما وصف المعلومات التي كانت قد قدمتها هذه القنصلية إلى روسيا بأنها "معلومات تحمل طابعا عرضيا" .

وقد قامت روسيا في إطار سياستها الجديدة، في عام ١٩٠١ بإنشاء عدد من القنصليات الجديدة في دول الخليج العربي (في البصرة مثلا)، وافتتاح قنصليتين عامتين في كل من (بغداد) و شهر) . ووضعت تحت تصرف صلية العامة في (بوشهر) فصيلة قية وسفينة (طراد) .

لقد شهدت هذه الفترة التاريخية تطورا سريعا للصلات الاقتصادية بين روسيا ودول الخليج العربي . وأبدى الاقتصاديون الروس اهتماما بالغا بتطوير شبكة الطرق والمواصلات، وخططوا لمد أنابيب (الكيروسين) من (باكو) إلى دول الخليج العربي، ومد سكة حديد عبر أراضي إيران . وكانت البواخر الروسية تمخر، منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى (عام ١٩١٤)، عباب مياه الخليج العربي، بنقلها الركاب ومختلف أنواع البضائع من ميناء أوديسا إلى موانئ دول الخليج العربي . وكانت البواخر الروسية تابعة لـ (الجمعية الروسية للملاحة البحرية والتجارة)، وقامت بأربع رحلات سنويا .

وقد زارت أكثر من ٦٠ باخرة موانئ الخليج العربي في الفترة ما بين عامي ١٩٠٣ و١٩١٤ . ويدل على أهمية هذا الخط، أن وزارة الحربية التركية كانت تستخدمه في نقل قواتها إلى ولاية (البوسفور) . ومن الأهمية بمكان التنويه بأن السفن الروسية كانت تتوجه من (القسطنطينية) إلى (البصرة) بدون المرور بـ (بورسعيد) . وأصبحت باخرة (كورنيلوف) أول باخرة تجارية روسية

تدخل في عام ١٩٠١ الخليج العربي، حيث وصل على متنها وكلاء مختلف الشركات الروسية الشهيرة لعرض نماذج من البضائع على شركائهم الخليجيين . وفي عام ١٩٠٣ قام رجل أعمال روسي، هو أ. كوسيخ، بزيارة لمنطقة الخليج العربي، بهدف دراسة تطوير العلاقات التجارية مع هذه المنطقة، الأمر الذي أعطى دافعا قويا لإقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية المنتظمة بين روسيا وبلدان الخليج العربي . واشتملت صادرات روسيا إلى منطقة الخليج آنذاك على الأخشاب، والأواني، والأسمنت، والأثاث، والكبريت، والكيروسين . ولقي "الدمور" الروسي إقبالا خاصا من تجار دول الخليج العربي، ومما برهن على شهرته وشعبيته الواسعتين أن بعض أنواعه، قلد صنعها في إنجلترا، لبيعها، لاحقا، في دول الخليج، وكأنها روسية .

أما روسيا فقد استوردت من دول منطقة الخليج العربي التمر، والتبغ، وكذلك بعض أنواع الحبوب .

قام أصحاب البنوك الروسية بأولى خطواتهم في منطقة الخليج في تلك الفترة ذاتها، الأمر الذي أسفر عن افتتاح عدة فروع للبنوك الروسية، ومنها مثلا. "البنك الروسي" في بندر (بوشهر) .

وجدير بالذكر أن نشاط رجال الأعمال وأصحاب كبريات الشركات التجارية الروسية في دول الخليج العربي، صاحبته دراسة المنطقة من حيث تقدير آفاق العلاقات التجارية بين روسيا ودولها .

كتب القنصلان الروسيان في بغداد والبصرة آنذاك، أ. آداموف، وأ سافينوف : "إننا، إذ نحاول دخول السوق التجارية المثالية بالنسبة لنا. إنما ينبغي ألا ننسى أن رجال الأعمال من دول أوروبا الغربية، والذين يعملون هنا منذ زمن بعيد، سبق وأن درسو بدقة ظروف هذه السوق بحذافيرها. وتأقلموا مع الأوضاع المحلية واستقرو هنا، كما أن لديهم مواقع متينة في منطقة الخليج العربي . . . " . وأردف يقولان أنه "لابد لنا، لتحقيق نجاح في صفقاتنا التجارية، من دراسة المنطق بعمق من الناحية التجارية، حيث يجب أن يشارك في هذه العملية البالغ الأهمية، وكلاء (الجمعية الروسي للملاحة البحرية والتجارة)، الذين يجب أن أقاموا صلات لا يستهان بها –

التجار الأجانب، مما أسفر عن توفير منطلقات ملائمة للإطلاع على التجارة المحلية" . وباشر أصحاب الشركات التجارية الروسية في جمع المعلومات اللازمة لهم لدراسة أوضاع الأسواق الخليجية، والبحث عن وكلاء محليين لتسويق البضائع الروسية وبيعها، الأمر الذي كان من شأنه أن يساعد روسيا على تفادي نشوب خلافات حادة مع إنجلترا المسيطرة سياسيا واقتصاديا وتجاريا على منطقة الخليج العربي . ولم يكن سرا على أحد وقتذاك، أن إنجلترا، كانت انطلاقا من كل هذه الاعتبارات، مستعدة لاستغلال أية ذريعة بهدف إثارة نزاع مع روسيا .

لكننا لا نخطئ إذا قلنا، أن أنظار روسيا المتجهة نحو الخليج العربي لم تكن محصورة في خطط ومشاريع تجارية صرفة . فقد كان البروفيسور بوغويا فلينسكي العالم الروسي الشهير، عضو الجمعية العالمية لهواة العلوم الطبيعية والإنتروبولوجيا أول مواطن روسي زار الدحرين . وكان الهدف من رحلته هذه يكـن في إجراء شتى البحوث بهدف د ـة عالم الحيوانات . والحقيقة أن اا ـر الذي أعده البروفيسور بوغويا فـ ـكي حول نتائج رحلته إلى البحرين (إبريل - مايو ١٩٠٢)، لا يعتبر مجرد وثيقة تتحدث عن أولى الصلات بين الشعبين فحسب، بل وكذلك يعتبر بحثا علميا فريدا في نوعه، يدور الحديث فيه عن الحيوانات الخاصة بمنطقة جزر البحرين في مطلع القرن العشرين[٢] . أضف إلى ذلك أن البروفيسور بوغويا فلينسكي حظي ومازال يحظى بشهرة واسعة بين الأوساط العلمية الروسية، لكونه جمع أول مجموعة في روسيا تشتمل على مختلف المواد المتعلقة بحيوانات منطقة الخليج العربي . وأثناء زيارته هذه استقبله شيخ البحرين. كما أجرى بوغويا فلينسكي مباحثات هامة مع بعض الشخصيات البحرينية البارزة .

ويستدل من تقريره أن البحرينيين أبدوا استعدادا لتطوير العلاقات التجارية مع روسيا، وعبروا عن موافقتهم على دخول البواخر التجارية الروسية إلى البحرين، وأولوا اهتماما بالغا بحالة العلاقات بين روسيا وتركيا، وبحياة المسلمين في روسيا والعاصمة موسكو وعدد المساجد فيها وحالتها . ومما زاد من اهتمام البحرينيين بالحياة في روسيا، أن

الإنجليز الذين وضعوا نصب أعينهم هدف تشويه وقائع الحياة في روسيا، روجوا مزاعم تقول أن "المسلمين في روسيا يتعرضون للظلم والاضطهاد، وأن السلطات الروسية تنتهج السياسة الرامية إلى إرغام المسلمين على اعتناق الدين المسيحي".

لقد سبق أن ذكرنا في مستهل هذا البحث أن الحكومة الروسية اتخذت عددا من الخطوات الهادفة إلى تطوير العلاقات بين روسيا ودول الخليج العربي، بما في ذلك إرسال السفن الحربية الروسية إلى هذه المنطقة. ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٩٠٠ و ١٩٠٣ زارت منطقة الخليج العربي وموانئها أربع سفن حربية روسية، كانت أولاها سفينة "غيلاك" للدفاع الساحلي وكانت بقيادة (البارون أندرينيوس) قبطان السفينة(٣).

ويستدل من أرشيف السياسة الخارجية الروسية أن الهدف من رحلة "غيلاك" كان يكمن في زيارة أهم الموانئ الخليجية، واستعراض علم الأسطول الحربي الروسي أمام سكان دول الخليج، وبالتالي تغيير قناعتهم الراسخة بأن موانئ الخليج العربي مفتوحة أمام السفن الحربية البريطانية فقط.

في الساعة التاسعة من مساء الرابع من مارس عام ١٩٠٠ رست "غيلاك" في خليج الكويت، أمام الساحل الكويتي. وعقب وصول السفينة إلى المرفأ الكويتي صعد إلى متنها سمو الشيخ سالم بن مبارك نجل أمير الكويت الشيخ مبارك وسلم إلى قبطان السفينة رسالة شفوية من سمو الأمير الذي دعا قبطان السفينة إلى زيارته. وقد قبل قبطان السفينة هذه الدعوة بالشكر، لكنه اعتذر لسوء حالته الصحية، وأوفد نيابة عنه دبلوماسيين روسيين هما "كروجلوف" و "أوفيسيينكو"، وكذلك الملازم "سارييتشيف" لزيارة سمو الأمير مبارك. وفي أثناء المباحثات التي جرت بين الطرفين أبدى سموه تعاطفه تجاه الشعب الروسي وعرض على الوفد الروسي العمل على المضي قدما في تطوير التعاون بين الدولتين في شتى المجالات، ولاسيما في المجال السياسي. ولكن كروجلوف أبدى بعض التحفظات إزاء هذا الاقتراح، فأعلن أن "مصالحنا في الكويت محصورة الآن في رعايتنا لعدد محدود من الروس الذين

ـترون هنا مختلف أنواع البضائع
ـديرها إلى روسيا، الأمر الذي لقي
يـدا وتفهما كاملين من سمو
ـير . . . " .

وجدير بالذكر أن المباحثات
جحة مع سمو الأمير مبارك مكنت
بلوماسيين الروس من التوصل إلى
نتاج مفاده أن هناك آفاقا لابأس بها
ساع نطاق نشاط الشركات التجارية
وسية في منطقة الخليج العربي .
ـا يثبت هذا الاستنتاج، التقرير الذي
ـه أ. كروجلوف حول رحلة السفينة
يلاك" إلى دول الخليج العربي . فبعد
ـأكيد على ضرورة مواصلة إرسال
ـفن الحربية الروسية إلى هذه المنطقة،
ـبر كروجلوف عن رأي مفاده أن
سفن الروسية يجب أن تبقى هناك
ـلال فصل الشتاء كله"، الأمر الذي من
ـنه، على حد رأي كروجلوف،
ـلا يتيح لسفننا فرصة دخول بعض
ـانئ الخليجية فحسب، بل وكذلك
، الموانئ المطلة على الساحلين، حيث
ـكن لسفننا أن تبقى فترة طويلة في كل
ـا، بما في ذلك قطر، ومضيق هرمز،
حرين، و (الساحل القرصاني)" .
ـف كروجلوف قائلا "إن كل ذلك
ـن بطرس بورج (عاصمة روسيا

آنذاك) من الإطلاع على كل تفاصيل الحياة السياسية لمنطقة الخليج العربي. وبالتالي العمل لمصلحة الوطن والتعاون مع كل حلفاء روسيا السياسيين. وإلا فإن تطورات مفاجئة قد تطرأ على المنطقة، يتعذر التنبؤ بعواقبها . . . " .

في ديسمبر عام ١٩٠١ زارت منطقة الخليج العربي ثاني سفينة حربية روسية وهي الطراد "فارياج" الشهير(٤) . ففي الثاني من ديسمبر وصلت السفينة إلى ميناء بندر بوشهر. حيث ناقش قبطان السفينة (ف. بار) في حديث أجراه مع القنصل "أوفسيينكو" المسائل المرتبطة بخط سير السفينة في مياه الخليج لاحقا . وبعد مضي بضعة أيام، وتحديدا، في الساعة الخامسة من مساء الثامن من ديسمبر عام ١٩٠١، رست السفينة في خليج الكويت . وإثر وصول السفينة إلى الساحل الكويتي قام بزيارتها سمو الشيخ جابر بن مبارك نجل أمير الكويت. والذي كان يتولى إدارة المدينة أثناء غياب أبيه . وفي أثناء المباحثات التي جرت بين الطرفين، عرض قبطان السفينة الروسية على الشيخ جابر بن مبارك صورتين (بورتريه) للقيصر الروسي وقرينته. وبعد ذلك قام الشيخ جابر بجولة تفقدية

وجيزة داخل السفينة، رافقه فيها كل من القنصل الروسي (أوفسيينكو)، وقبطان السفينة (ف. بار)، وقد استمرت زيارة الشيخ جابر للسفينة أكثر من ساعتين. وفي أثناء التوديع، دعا الشيخ جابر القنصل الروسي وقبطان السفينة إلى زيارة بيته. وقبل الطرف الروسي هذه الدعوة بالشكر، وزار القنصل وقبطان الطراد بيت الشيخ جابر، حيث عاد القبطان (ف. بار) على أثر هذه الزيارة إلى متن السفينة، أما القنصل (أوفسيينكو) فتوجه إلى مقابلة الأمير مبارك الذي كان يقود في ذلك الحين قواته لمحاربة (بني عامر) وحاكم نجد. وقد لقي القنصل الروسي استقبالا رائعا لدى سمو الأمير مبارك الذي صرح في نهاية الحفل بأنه "يتمنى أن يستضيف، في المستقبل أيضا، الروس القادمين إلى الكويت، وأبدي اهتماما فائقا بالبضائع الروسية التي تنقلها إلى المنطقة البواخر التجارية الروسية . . ."

لقد تركت مقاييس الطراد الضخمة، ومواصفاته القتالية الفريدة في نوعها، وكذلك بشاشة البحارة الروس، وفن فرقة الآلات الموسيقية النحاسية التي أدت، لأول مرة في منطقة الخليج العربي، الموسيقى والأغاني الشعبية الروسية، انطباعات لم يكن من الممكن نسيانها عند الجمهور الكويتي. فقد ظل الكويتيون يصفقون طويلا للفرقة، مبدين بذلك إعجابهم الفائق بالموسيقيين الروس. وكتب القنصل أوفسيينكو في أحد تقاريره الموجهة إلى (بطرس بورج) أن "وصول الطراد (فارياج) إلى موانئ دول الخليج العربي يعتبر "الخبر رقم ١" في الأحاديث (اللامتناهية) بين العرب في مختلف مدن دول الخليج العربي والجزيرة العربية". ومن اللافت للنظر أن القنصل (بوغويافلينسكي) ذكر معلومات مماثلة في تقاريره المرسلة إلى روسيا، فكتب في أحدها أنه "ساد العرب قبل وصول الطراد (فارياج) إلى السواحل الخليجية، رأي مفاده أن الروس يملكون قوات برية ضخمة، لكن ليس لديهم أسطول بحري على الإطلاق" ومضى (بوغويا فلينسكي) قائلا: ". . لذا فإن وصول الطراد (فارياج) الذي تفوق كثيرا، من حيث مواصفاته القتالية، على السفن الإنجليزية التي كانت قد دخلت موانئ المنطقة تر

ـدى العرب انطباعـات لم تمـح مـن
ـاكرتهم لفترة طويلة" .

وقد أصبح الطراد الثقيل الحديث
اسـكولد) تحـت قيـادة القبطـان
'رويتسينشتاين"، ثـالث سفينة حربيـة
روسية تزور موانئ الخليج العربي . وقام
لطراد (اسكولد) في شـهري نوفمـبر -
ديسمبر عام ١٩٠٢، - وكان على متنـه
لقنصـل الروسـي العـام في البصـرة
(آداموف) - بزيـارتين لكـل مـن مسـقط
وبنـدر بوشـهر، حيـث عملـت فيـهما
آنذاك الهيئتان الإداريتـان لكـل الموانـئ
الإيرانيـة المطلـة علـى الخليج وكذلـك
موانئ الكويت . ولقـي طاقم (اسـكولد)
استقبالا حـارا في الكويـت الـتي وصـل
إليها الطـراد في ٢٨ نوفمبر عام ١٩٠٢ .

وحظـي (اسـكولد) مثـل سـابقه
(فارياج) بإعجاب العرب، لمـا تمـيز بـه
من الأبعاد الضخمة، وعدد أفراد طاقمـه
(٥٨٠ فردا)، وعدد مدافعه (٣٥ مدفعـا)
. وأكـد بعـض الدبلوماسـيين الـروس في
تقـريرهم الموجهة إلى (بطرس بورج)، أن
" ـول السفن الروسية إلى موانئ الخليج
ـبي، ومنـها (فاريـاج) و (اسـكولد)
ـر دلالـة قاطعـة علـى الجـبروت

الحقيقي لروسيا البعيدة، جغرافيا، عـن
هذه المنطقة" .

وكان الطراد (بويارين) تحت قيادة
القبطان (ساريتشيف) آخر سفينة حربية
روسية، تزور منطقة الخليج العربـي في
الفـترة التاريخيـة الـتي يـدور الحديـث
عنها في هذا البحث .

وجدير بالذكر أن زيـارة (بويـارين)
للخليج صادفت زيارة أخرى قام بها إلى
هذه المنطقة الطراد "إينفيرنة" الفرنسي .
وتلخص الهدف من هذه البعثة المشتركة
في اسـتعراض القـوة البحريـة التابعـة
للدولتين الصديقتين لإمكانياتهما الكفيلة
باتخاذ خطـوات جماعيـة، إذا اقتضـت
الضرورة" . وقـد جـرت هـذه الزيـارة في
فبراير ومارس عام ١٩٠٣ . وقام قبطانـا
السـفينتين، في طريقـهما إلى الخليـج،
بزيارة لمسقط، حيث استقبلهما السلطان
فيصـل، كمـا قامـا، بمرافقـة القنصلـين
الروسي والفرنسي، بزيارة لمحافظ (بندر
بوشهر) .

في ٢٠ فـبراير عـام ١٩٠٣ رسـا
الطـرادان في خليـج الكويـت . وكـان
القنصـل الروسـي (أوفسـيينكو) موجـودا
علـى مـتن (بويـارين) . وعقـب وصـول
السفينتين إلى السـاحل الكويـتي، تـردد

عليهما سكرتير ديوان سمو الأمير مبارك، ثم زار الطرادين سمو الشيخ صباح بن مبارك . وفي ٢١ فبراير قام قائدا الطرادين، بمرافقة القنصل (أوفسيينكو) بزيارة لسمو الأمير مبارك . وأجرى الوفد الروسي مفاوضات مع سموه، وكذلك مع عبد العزيز، النجل الأكبر، ولي العهد لصاحب السمو عبد الرحمن بن فيصل بن سعود أمير نجد . وهكذا فإن بعثة (بويارين) لم تأت بفائدة للدبلوماسية الروسية، من حيث توطيد الصلات مع دول الخليج العربي فحسب، بل وكذلك من حيث تهيئة جو يسوده التفاهم التام في العلاقات مع أمراء شمال الجزيرة العربية من آل سعود .

وانطلاقا مما سبق ذكره، يمكن التوصل إلى استنتاج مفاده أن وزارة الخارجية الروسية قد وضعت نصب عينيها، في سياستها الخليجية، هدف إقامة وتطوير العلاقات السياسية والتجارية مع الكويت . وقد بذلت الأوساط الدبلوماسية الروسية، في أواخر القرن الـ ١٩، وأوائل القرن الـ ٢٠، قصارى جهودهم لزيادة نشاطهم في الكويت . ولا يفوتنا الإشارة إلى أن روسيا بدأت تولي اهتماما بالغا بالكويت ابتداء من التسعينات من القرن التاسع عشر، وسبق أن ذكرنا أن أول وثيقة دبلوماسية روسية بهذا الصدد يعود تاريخها إلى عام ١٨٩٩ . ويمكن اعتبار أن عام ١٨٩٦ قد شهد إقامة العلاقات الدبلوماسية بين روسيا والكويت، علما بأنه زار الكويت في هذا العام بالذات ولأول مرة، دبلوماسي روسي، ألا وهو القنصل الروسي في بغداد (ف. ماشكوف) . وأقيمت بين الدولتين علاقات وثيقة جدا بعد تولي سمو الشيخ مبارك زمام الحكم في الكويت . وكان القنصل الروسي (كروجلوف) أحد الأنصار الرئيسيين، بين الأوساط الدبلوماسية الروسية، للتقارب مع الكويت . وحاول (كروجلوف) مرارا إقناع السفير الروسي في القسطنطينية، بضرورة تطوير العلاقات مع هذه الدولة الخليجية . واعتبر (كروجلوف) تطوير العلاقات التجارية بين الدولتين إحدى المهام الرئيسية للسياسة الخارجية الروسية . وفي مارس عام ١٨٩٩ قام بزيارة للكويت، بمبادرة من (كروجلوف)، أحد أكثر التجار الروس شهرة، هو (أفاناسييف) الذي يمكن اعتباره أحد "رواد" إقامة وتطور

ـقات التجارية بين روسيا كويت .

وفي أغسطس عام ١٩٠٠ وصل إلى ويت، بتكليف من وزارة المالية وسية، عالم الاقتصاد الروسي الشهير يرومياتنيكوف) . وكان الهدف من رته للكويت هو دراسة إمكانيات وير التجارة الروسية الكويتية وتوسيع قها .

ولا يغيب عن البال أن يرومياتنيكوف) بوصفه عالم اقتصاد نكا، لم ينظر إلى الكويت على أنها ـرد "سوق واسعة لبيع البضائع وسية بشتى أنواعها، بما فيها كيروسين)، والسكر، والجوخ، و دمو) فحسب، بل وكذلك "رأس سر" ملائم لتسويق هذه البضائع في ناطق الوسطى من الجزيرة العربية، ا في ذلك مدينتا الرياض و (حائل) ناطره كروجلوف رأيه هذا .

وقد أجرى (سيرومياتنيكوف) أثناء بارته للكويت مباحثات مع سمو الأمير ـارك، طرح خلالها بمبادرته ـصية، فكرة "عقد تحالف سياسي روسيا والكويت" . والحقيقة أن مياتنيكوف) بذل محاولة خرقاء، سعيا منه لإقناع سمو الأمير مبارك " بالتوجه إلى روسيا بطلب المساعدة" وأعلن بدون تأمل، أن "قوات سمو الأمير غير كبيرة وأن مجرد سفينتين روسيتين تكفيان للاستيلاء على الكويت" . ولكنه، وبالرغم من بعض الهفوات من الطرف الروسي فقد تميزت المباحثات الروسية الكويتية بطابع إيجابي، لأن سمو الأمير مبارك – وإن اعتبر تصريح (سيرومياتنيكوف) الآنف الذكر بمثابة تهديد للكويت – إلا أنه لم يرفض فكرة احتمال عقد التحالف مع روسيا . وجدير بالذكر أن سمو الأمير مبارك عاد بعد قليل إلى طرح هذه الفكرة، حين وجد نفسه (بعد هزيمة قواته على أيدي بني شمر وآل رشيد) أمام خطر بعثة الأتراك التنكيلية بقيادة قائد الفيلق السادس (فوزي باشا) . إن خطر الغزو التركي أرغم سمو الأمير مبارك على التوجه بطلب المساعدة إلى الإنجليز، ثم إلى روسيا . وأحاط سمو الأمير مبارك، عن طريق الوسيط الروسي (علييف)، كلا من (كروجلوف) و (أوفسيينكو) علما بأنه مستعد لإتاحة الفرصة أمام روسيا، لاتخاذ الإجراءات الكفيلة بضمان أمن الكويت بوصفها

دولــة مسـتقلة يحكمـها آل مبــارك الصباح .

والحقيقـة أن توجـه سمـو الأمـير مبارك بطلب المساعدة إلى روسيا لم يسفر عـن أيـة نتيجـة، ذلـك لأن السـلطات الروسية في بطرس بورج أخـذت تكتيك المماطلـة في معالجـة هـذه القضيــة . وفي مايو عام ١٩٠١ أصـدر وزيـر الخارجيـة الروسـي (ليلــيزدورف) تعليمـــات إلى مســاعديه، جاء فيهـــا مـا يلـي : " . . . أرجو إحاطـة (كروجلـوف) علمـا بأن أي تدخل في شئون الكويت أمر غير مرغـوب فيـه بسـبب غمـوض الأوضـاع القائمة هناك، الأمــر الـذي قـد ينطـوي على عواقب وخيمة . . ." .

ومما لاشك فيه أن سبب مثـل هـذا الموقــف يعــود إلى شكــوك السـلطات الروسية آنذاك في صدق نوايا سمو الأمير مبارك .فقد جـاء في التعليمـات السـرية الــتي أصدرهـــا الســفير الروســي في القسـطنطينية (زينوفييـف) إلى القنصـل الروسـي في البصـرة (آدامــوف)، في ٣١ أغسطس عام ١٩٠١، أن "السـلطات في بطرس بورج محرومة من إمكانيـة تلبيـة طلب سمو الأمير مبـارك الـذي لا يمكـن الثقة بصدق نواياه . . ." .

ولابـد مـن التنويـه هنـا بـ
هنــاك دافــع آخــر، اســ
الدبلوماســيون الــروس في سـ
الخليجيـة، ألا وهـو الرغبـة في
دون إضعاف موقع تركيا "المفـ
كـان يمكـن أن يـترتب علـى
زيـادة نفـوذ إنجلـترا . وقـد
التعليمات المذكـورة آنفـا "أنـه
حرمان سمو الشيخ مبارك من
تعاطفنا معه . أما إذا علم سمـ
بشـأن طلبـه، فـإني أقــترح عـ
توضحوا له أننا، انطلاقا مــن
القسـطنطينية، سـنكون مستعد
للدفـاع عـن مصالحـه الشرعيـة
الموجهـة للحكومــة التركيــة،
الضغط عليها لإقناعها بضـرور
عن التطاول على الاستقلال الذ
بـه الكويـت الآن . لكننـا، مـ
أخـرى، يجـب أن ننصـح سمـ
بعدم الإقدام على أيــة خطـوة
تدهور العلاقات بـين الكويـت
وكذلك عدم الإصغاء إلى أقــوال
الذين يتربصون حلول فرصة ملا
لإحكام السيطرة الكاملـة علـى
الخليج العربـي بكاملـه. ولا يغـ
البال أن الإمبراطورية التركيـة
لا تشكل خطرا على استقلال هـ

العربية، بخلاف إنجلترا التي قد تتخذ مطامعها المغرضة، بتأثير بعض العوامل، أبعادا واسعة النطاق" .

لقد أدى الموقف المتردد للدبلوماسية الروسية إلى أن عادت إنجلترا مجددا إلى خشبة المسرح السياسي . والحقيقة أن الإنجليز تمكنوا من تفادي الغزو التركي في الكويت التي وجدت نفسها خاضعة لنفوذ إنجلترا الشديد . وينبغي التنويه بأن الإنجليز تابعوا باهتمام بالغ محاولات روسيا الهادفة إلى إقامة اتصالات جديدة مع سمو الشيخ مبارك . فقد أشار القنصل الروسي في البصرة (توخولكا) الذي أجرى مباحثات مع الشيخ سالم نجل سمو الشيخ مبارك، إلى أن "الشيخ سالم لم يعقد اجتماعات معي إلا بحضور ضابط إنجليزي برتبة نقيب يدعى (شاكسبير)" .

إلا أن انتصار إنجلترا السياسي في عام ١٩٠١ لم يكن كاملا . فقد استطاعت روسيا، الحفاظ على الوضع القائم، أي الحيلولة دون تحويل الكويت إلى محمية بريطانية . وفي سبتمبر عام ١٩٠١ ساهمت روسيا في التوصل إلى عقد اتفاقية بين إنجلترا

وتركيا بشأن الحفاظ على الأمر الواق الكويت . وعندما حاول قبطان إنجليزي، إثر وصوله إلى الكوي ديسمبر عام ١٩٠١، إعلان هذه ا "محمية بريطانية"، أبدت روس فعل حادا على هذه المحاولة، كم تركيا هددت إنجلترا بأنها ستتوج محكمة لاهاي الدولية . وقد أجبرن هذه العوامل إنجلترا على الإعلا "التخلي عن خدمات الض البريطاني"، وتأجيل تحقيق مخطط الرامية إلى غزو الكويت . وبالرغ نفوذ إنجلترا الشديد، فإن العلاقات روسيا وسمو الأمير مبارك كانت بوجه عام .

سبق أن ذكرنا أن السفن والب الروسية لقيت دوما استقبالا ح الكويت . كما لقي بوغويافلينسكي زيارته للكويت استضافة رائعة هذ وكتب بوغويافلينسكي في تقري "سموه طلب مني أن أنقل إلى ال العام في بندر بوشهر (أوفسيينكو) الصادقة في مراسلته، مؤكدا عند أنه "لمن دواعي سروره اس الروس"، وأنه "مستعد دوما لبذل بوسعه لتلبية كافة حاجاتهم" . و سأله بوغويافلينسكي عما إذا

بوسعه أن يقدم أية خدمة لسمو الشيخ، أجاب سموه قائلا "أرجو أن تقدموا إلي خدمة واحدة فقط، إذا كان ذلك بإمكانكم، أرجو أن تبلغوا سيادة الإمبراطور في بطرس بورج أنني صديق للروس، وأنني أعتبرهم بمثابة إخوة لي . . . " .

وينبغي القول أن الكويت كانت دولة وحيدة في منطقة الخليج العربي، أتيحت فيها للدبلوماسية الروسية إمكانيات واقعية لأداء دور مستقل فعال . وإذا حاولنا التوصل إلى استنتاج بشأن "نتائج الصراع الدولي من أجل السيطرة على منطقة الخليج العربي"، فيمكن القول أن روسيا لم تحقق في المنطقة، في تلك الفترة التاريخية، كل الأهداف التي كانت تصبو لتحقيقها .

ففي ٣١ أغسطس عام ١٩٠٧ تم التوقيع على "اتفاقية بطرسبورج" التي أدت في حقيقة الأمر إلى خروج روسيا من حلبة الصراع في بسط السيطرة على منطقة الخليج .

وفي الختام، وبعد عرض كل الوقائع والأحداث التي ورد ذكرها في هذا البحث، يمكن أن ننتقل إلى تحليل أسباب إخفاق سياسة روسي "الخليجية" آنذاك . ففي أواخر القر الـ ١٩ وأوائل القرن الـ ٢٠، لم تخ روسيا إلا أولى خطواتها في الخلي العربي وبالتالي فإن مواقعها لم تك متينة هناك مثل مواقع الإنجليز . وثم وثيقة بالغة الدلالة في هذا الصدد أ وهي "تعليمات السفير الروسي ف القسطنطينية (زينوفييف) إلى القنص العام في البصرة (آداموف)" جاء فيه أنه "في ظل الأوضاع الحالية، و ظروف غياب سند متين يمكن الارتكا إليه في منطقة الخليج العربي، فإنن مضطرون للامتناع عن المشاركة الفعالة ف الحياة السياسية هناك . ونظرا لهذ الاعتبارات، فإن مصلحتنا تكمن ف الحفاظ على الأمر الواقع، مما يستثن احتمال حدوث تعقيدات مفاجئ ضخمة . . . " .

من الواضح تماما أن الإنجليز صان بشدة مواقعهم في منطقة الخليج، سع منهم للحاق بركب المنافسين . فمثلا كانت السفن الإنجليزية ترافق . ف حالات عديدة، مثيلاتها الروسية حيث أن إنجلترا أوفدت الطرا (أمفيتريتا) إلى الخليج عقب زيار

الطراد (فارياج) الروسي لموانئها .
وأتيحت لروسيا فرصة ملائمة لتطوير علاقاتها مع الكويت، ذلك أن سمو الأمير مبارك كان يسعى جاهدا لتوطيد استقلال دولته، وتفادي تزايد نفوذ تركيا وإنجلترا . لكن روسيا فوتت هذه الفرصة لعدة أسباب، أهمها أن التنافس السافر مع إنجلترا لم يتطابق مع مصلحتها، كما أن إنجلترا استطاعت أن تستغل، بصورة أفضل بكثير من روسيا، خطر الغزو التركي لها .

وجدير بالذكر أن هناك، في اعتقادنا، سببا هاما آخر لإخفاق روسيا في محاولاتها الرامية إلى تثبيت مواقعها في منطقة الخليج العربي، ألا وهو هزيمة روسيا في الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥، حيث كان من المستحيل، بعد إنهائها، أن تمضي روسيا قدما في صراعها من أجل إقامة السيطرة على الخليج العربي . وكانت الخطة الروسية الجديدة على الصعيد الخارجي، والتي كان قد طرحها وزير الخارجية الروسي الجديد (إيزفولسكي) تكمن في إيلاء اهتمام بالغ بتسوية الخلافات الإنجليزية الروسية، والتخلي عن أداء دور فعال في آسيا، بما في ذلك الخليج العربي . وهكذا فإن المحاولة الأولى التي اتخذتها روسيا لتمتين مواقعها في الخليج العربي باءت بالفشل . لكن الأهم من ذلك كله، أنه وضعت آنذاك، بداية لإقامة علاقات بين روسيا ودول الخليج العربي . وتطورت هذه العلاقات لاحقا، في ظل وجود الاتحاد السوفييتي .

يفجيني سيدوروف

رئيس دائرة الإعلام بمؤسسة " الرسالة

مدير إذاعة "الرسالة " - موسكو

* * *

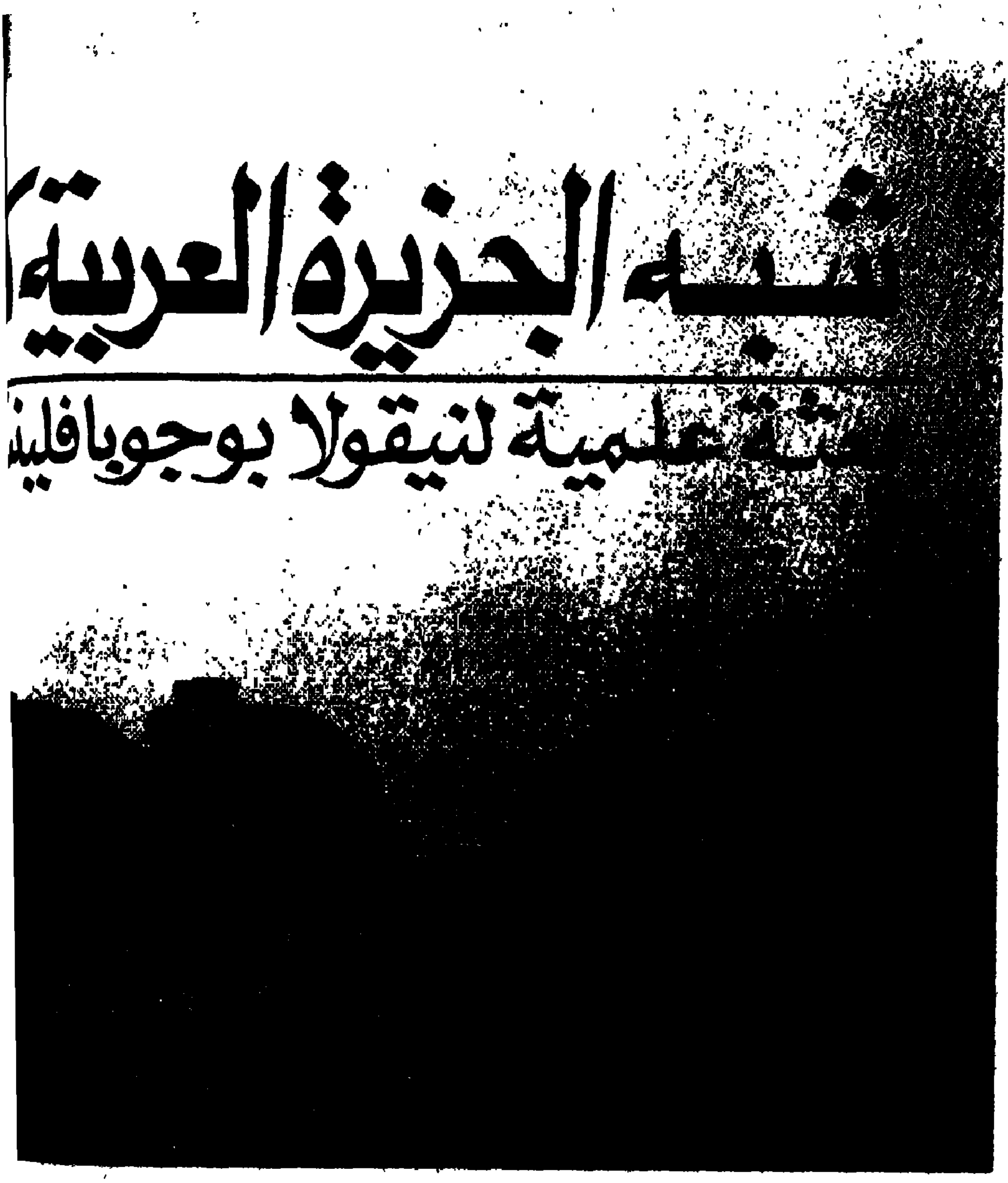
الهوامش

١ - لقد أدلى بتصريح بهذا الصدد في نهاية عام ١٩٠٣ (اللورد كيرزون) في أثناء اجتماعه مع مشايخ بعض الإمارات الخليجية .

٢ - تحفظ النسخة الأصلية لتقرير البروفيسور بوغويا فلينسكي في (أرشيف سياسة روسيا الخارجية) .

٣ - حدث ذلك في مارس عام ١٩٠٠ .

٤ - لقد اشتهر "فارياج" بمشاركته في الحرب الروسية اليابانية ،حيث أبدى أفراد طاقمه شجاعة منقطعة النظير أثناء محاربة الأسطول الياباني عام ١٩٠٤ . وقد دارت المعارك البحرية الرئيسية في منطقة (تشيمولبو) الكورية . وعندما غدا خطر استيلاء اليابانيين على الطراد (فارياج) وشيكا، قرر قبطانه إغراق السفينة عمدا، ولقي البحارة الأبطال مصرعهم جميعا، لكنهم لم يستسلموا أمام العدو . . .


شبه الجزيرة العربية
ثة علمية لنيقولا بوجوبافلين

...ما الروس من ١٨٠٠ إلى ١٩٥٠م
...ليج العربي في سنة ١٩٠٢

بقلم :

الدكتور جينادي جورباتشكين

تعتبر الرحلة ... موظف المتحف الجيولوجي
...تابع لجامعة موسكو ... فاسلياقيتش بوجويافلينسكي
...ن اطرف وأشهر رحلات الروس إلى شبه الجزيرة العربية
... الفترة ما بين ١٨٠٠ - ١٩٥٠ . علاوة على ذلك، فانه أتم
...ذه الرحلة في ربوع الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية
...ذي كان الرحالة يزورونه بدرجة أقل نسبيا بالمقارنة مع
...شاطئ الغربي .

وقد نُظمت رحلة ن. بوجويافلينسكي في سنة ١٩٠٢على
...ساس "المبالغ البسيطة" بهدف جمع عدد كبير من
...حيوانات البحرية في منطقة لم يزرها أحد من
...لوجيين من قبل(٢) . واستمرت هذه الرحلة من مارس
...يو عام ١٩٠٢ .ومن أجل تنفيذ هذا المشروع أنشئت
... خاصة كان ن. بوجويافلينسكي سكرتيراً لها . ولما كانت

الرحلة تتجه إلى مكان كان مجهولاً بالنسبة للعلماء الروس فإن الفرع الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا قد وجه إلى القنصلية الروسية في بوشهر خطاباً طلب فيه تقديم بعض المعلومات اللازمة لتجهيز وإعداد ن. بوجويافلينسكي للعمل هناك .

وهذا الخطاب كان يشمل الأسئلة الآتية :

١) في أي شهر من الربيع أو الصيف تسمح الظروف الطقسية بالعمل هناك ؟

٢) هل يمكن للمرء أن يأمل، بمساعدة القنصلية الروسية وأن يجد مترجماً وفي نفس الوقت مرافقاً دائماً لكي يستطيع أن يقدم المساعدة اللازمة في أي وقت وعند أي مشكلة مع السكان المحليين ؟ وبدلاً من اللغة الروسية يمكن للمترجم أن يعرف اللغة الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية . وما هي تكاليف خدماته التقريبية في اليوم ؟

٣) في أية بقعة من الخليج توجد أماكن صيد اللؤلؤ وكيف يمكن زيارة هذه الأماكن ؟ .

٤) هل يمكن شراء الكحول لمعالجة الحيوانات المائية في نفس المكان أم يجب إحضاره من بومباي ؟ إذ ليس من الأفضل إحضار الكحول من موسكو مباشرةً ؟

٥) وهل يستحسن إحضار النقود تحويلاً عن طريق أي بنك دولي أو إحضارها على شكل عملة ذهبية روسية أو إنجليزية[٣] .

وقد أجاب القنصل الروسي في بوشهر أفسيينكو في مذكرته في التاسع من يناير ١٩٠٢ :

١ - أن الظروف الطقسية للخليج يمكن اعتبارها ملائمة للأعمال الجيولوجية العلمية في موسم الشتاء فقط الذي يستغرق هنا تقريباً ستة شهور. من أكتوبر إلى مارس . ولا يمكن أن ينفذ بالكاد عمل جدي في الربيع (إبريل - مايو) أو في الخريف (أغسطس - سبتمبر) . أما في الصيف فالعمل أثذ مستحيل .

٢ - إن إيجاد مترجم أو مرافق دائم للرحلات والتنقلات العلمية هنا، وإن كان صعباً ولكنه ممكن . ومن الضروري أن تُخَصَّص للمترجم والمرافق الأمين في حدود ثلاثة روبلات يومياً .

٣ - ويمكن اصطياد واستخراج اللؤلؤ بصورة أساسية من جزر البحرين وكذلك من الجزر الواقعة في قطاع مدينة لينجه . والراغبون في مشاهدة عملية الاصطياد هذه يمكنهم أن يركبوا الباخرة لكي يتوجهوا إلى لينجه أو إلى جزر البحرين وبعد ذلك ينتقلون على زورق شراعي إلى الجزر القريبة .

٤ - لا يوجد كحول في بوشهر ولكن يمكن إحضاره من بومباي ويصل بعد خمسة أسابيع من وقت طلبه . وإذا وصل العالم الجيولوجي على متن الباخرة (الروسية) فلابد أن يأخذ الكحول معه إلى موسكو .

٥ - إن الاحتياطات النقدية يجب حضارها إلى بوشهر ذهباً (جنيهات ترليني وليس عملة روسية) أو أوراق ـية لكريدي ليوني (Crédit Lionnai لتحويلها في البنوك الإيرانية، في بوشهر، أو أصفهان أو شيراز .

٦ - وأخيراً فيما يختص بمساعدتنا من قِبَل القنصلية العامة التي أقوم بإدارتها فسوف أقوم أنا بها بكل ارتياح وبشكل ملائم(٤) .

إن الصعوبات التنظيمية لم تسمح لـ ن. بوجويافلينسكي بالوصول إلى المنطقة في المواعيد الجوية الملائمة والتي أوضحها له القنصل أفسيينكو لتنفيذ المهام المحددة له . لكنه كان يعمل "بجدية" وفي "وقت صعب" .

وقد جمع ن. بوجويافلينسكي خلال رحلته ونقل مجموعة كبيرة من الحيوانات البحرية إلى المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو ولكن للأسف، لم تخصص المبالغ الكافية لمعالجة هذا القطيع، وقد عرض جزء قليل من الحيوانات في المتحف الجيولوجي(٥) والباقي مازال حتى الآن في متحف جامعة موسكو بالمبنى القديم أمام الكريملين .

إلى جانب ذلك قام ن. بوجويافلينسكي بالتقاط كثير من الصور

لأشخاص ومناظر طبيعية من الخليج[6].

وحسب كلمات زميله نيقراسوف، فإن عمليات التصوير الكثيرة التي قام بها بوجويافلينسكي في شبه الجزيرة العربية كان يمكن أن تعرضه لخطر شديد إذ أن الإنجليز كانوا يظنونه يتجسس لصالح روسيا. وكما نرى في رسائله الثلاث، فإن الإنجليز كانوا يضعون له عراقيل كثيرة إذ أوقفوا حقائبه في الجمرك، وعطلوه في استئجار بيت في البحرين وأجلوا أكثر من مرة موعد لقائه مع شيخ البحرين الشيخ عيسى .. الخ[7]. وكان العالم يتعرض للصعوبات والخطر عندما كان يعبر في مركب صغير في العاصفة الشديدة، ومعه قطيع كامل من الحيوانات المختلفة يعبر من الشاطئ العربي إلى الشاطئ الفارسي من الخليج[8].

أخيراً، إلى جانب المحمرة والبحرين والكويت ومسقط حيث كان حكامها يستقبلونه، زار ن. بوجويافلينسكي شيخ إحدى جزر الخليج كان يملك حقول اللؤلؤ الشاسعة[9].

وبلا شك، فإن كل ما رآه في شبه الجزيرة العربية كان ن. بوجويافلينسكي يستخدمه في الندوات والمحاضرات أمام طلاب جامعة موسكو.

لكن أكبر وأهم ثمار حصل عليها هذا العالم الجيولوجي كانت لقاءاته ومعاشرته مع الأهالي والشيوخ في شبه الجزيرة وهي تعتبر بداية للديالوج التحضري - الثقافي بين ممثلين عن شبه الجزيرة العربية والروس[10].

من الطبيعي، أننا لا نؤيد قول ن. بوجويافلينسكي من أنه "كان أول روسي عاش في البحرين"[11]، لكنه كان أول عالم جيولوجي روسي، والأول من بين العاملين بجامعة موسكو الذي زار هذه الأماكن النادرة جداً بالنسبة للسياح والرحالة الروس. كما كان من الطبيعي أنه ساهم مساهمة فعالة في البداية الجديدة للتعارف والتقارب بين أهل الجزيرة العربية والروس.

قال البروفيسور نيقراسوف في رثائه بمناسبة وفاة ن. بوجويافلينسكي أنه -أي الأخير- "كان ضيفاً عند الشيوخ العرب على الشاطئ العربي الذين كانوا

مهتمين جداً بوصول السائح من روسيا العظمى والبعيدة، كانوا يضيِّفونه ليس فقط بالقهوة وهي المشروب التقليدي في هذا البلد لكن رمزاً للشرف المتميز الخاص كانوا يضيِّفونه "بالمشروب الذهبي" -أي الشاي[١٢] .

أما بوجويافلينسكي نفسه فقد سمى معاملة الشيوخ العرب تجاهه "ضيافة وحفاوة فوق العادة" لكنه اعتبر أن هذه المعاملة ليست له شخصياً ولكن لبلده الذي كان هو ممثلاً له - روسيا العظمى[١٣] .

رغم عدم رضاء السلطات البريطانية - كان ن. بوجويافلينسكي قد التقى بشيخ البحرين الشيخ عيسى وبذلك شق ثغرة في احتكار النفوذ الإنجليزي بالنسبة لهذا البلد في ذلك الحين . فكتب ن. بوجويافلينسكي أن البحرينيين كانوا على استعداد أن يطوروا علاقاتهم مع روسيا، بمشاهدة سفن التجارية الروسية على جزر البحرين. كانوا يهتمون بموقف روسيا من تركيا ومعرفة حياة الروس المسلمين . كانوا متأثرين بالدعاية الإنجليزية وكانوا يعتقدون أن الروس يفرقون في المعاملة بين الروس والمسلمين ويجبرونهم على أن يعتنقوا المسيحية[١٤] .

للأسف. كل الصلات التي أقامها ن. بوجويافلينسكي لم تتطور في ذلك الوقت .

لقد كتب العالم عن التأثير العميق على الشيوخ العرب عندما رأوا خريطة العالم التي كانت مع ن. بوجويافلينسكي وشاهدوا حجم روسيا ومساحتها الشاسعة . وعند الأحاديث مع الشيوخ شعر الجيولوجي بالاحترام والتعاطف الكبيرين لروسيا مع عدم رضاهم الملحوظ بالنسبة للإنجليز وكذلك - طبقاً لأقواله - "رغبة عامة لرؤية القوة العسكرية الروسية حتى ولو سفينة روسية حربية واحدة في مياه الخليج . كما كانوا يرغبون أن تكون هناك علاقات وثيقة بين الشيوخ والقنصلية الروسية في بوشهر[١٥] .

مع توديع ن. بوجويافلينسكي عبّر حاكم الكويت الشيخ مبارك عن رجاء واحد : "اعملوا من أجلي شيئاً واحداً فقط. إذا استطعتم. أبلغوا جلالة

الإمبراطور في بطرسبورج أنني صديق للروس وأعتبرهم إخواني"[١٦]، ومن الطريف أن واحداً من البحرينيين (محمد عبد الوهاب) عند توديع العالم الروسي الذي كان قد اشترى له بيتاً للسكن وللقيام بالبحوث العلمية أعلن أن هذا البيت سيبقى دائماً مخصصاً لاستقبال الروس الذين سيصلون إلى البحرين[١٧].

فيما يختص بباقي انطباعات ن. بوجويافلينسكي عن رحلته للخليج فسوف يطّلع عليها القارئ في رسائله القصيرة ذات المعاني الكثيرة والعميقة

على كل حال -كما يبدو لنا- فإن رسائل ن. بوجويافلينسكي هي شهادات قيّمة تعبر عن لمسات وصِلات أولية بين الروس والمنطقة. وهذه الصلات الأولية كانطباعات أولى، هي دائماً صادقة، مخلصة وموضوعية.

أ.د. جورياتشكين كينادي

الهوامش

١ - ولد نيقولا فاسيليافيتش بوجويافلينسكي في مدينة ريازان في وسط روسيا في سنة ١٨٧٠ . وبعد تخرجه في المدرسة الثانوية التحق بفرع العلوم الطبيعية لجامعة موسكو التي تخرج فيها سنة ١٨٩٤ . وفي نفس الوقت بدأ العمل في المتحف الجيولوجي لجامعة موسكو . ابتداءً من سنة ١٨٩٥ كان ن. بوجويافلينسكي يقوم برحلات كثيرة إلى بلدان آسيا وأوروبا وافريقيا وجمع أثناء هذه السفريات المادة الجيولوجية الفنية والتقط كثيراً من الصور الفوتوغرافية وكان يعمل في أكبر المعامل البيولوجية في إيطاليا وفرنسا وألمانيا وإنجلترا الخ . . . . وكان العالم الجيولوجي يهتم بالشرق والثقافة الشرقية ولذلك زار الصين وإيران وتونس ومصر وتركيا والهند وسيلان، وأخيراً، في مارس - مايو ١٩٠٢ قام برحلته إلى الخليج العربي . البروفيسور نيقراسوف الذي رافق ن. بوجويافلينسكي مراراً في رحلاته يقول : "لا أستطيع أن أنسى كيف تعطّش للانطباعات عن مناطق ومدن جديدة، أماكن أثرية وتماثيل فنية ، كان يحاول أن يحتفظ بهذه الانطباعات بواسطة التقاط صور فوتوغرافية عديدة" (مذكرات المعمل الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا في بولشيفو بمديرية موسكو، ١٩٣٠، عدد ٤، ص ١٤) .

بعد أن جمع مواد كافيةً بدأ ن. بوجويافلينسكي يلقي محاضرات وأصبح أستاذاً مساعداً في جامعة موسكو .

في ١٩٠٦ ناقش رسالة ماجستير وسافر إلى نابولي للعمل في الإعداد لرسالة الدكتوراه . وكانت مسائل الوراثة تشغل بال ن. بوجويافلينسكي . وشجعت الإنجازات الجبارة في تطور الأجهزة الميكروسكوبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على تعجيل دراسة الوراثة وميكانيزمها . وكرست أبحاث ن. بوجويافلينسكي لمسائل التناسل اللاجنسي . ولذلك كان عنوان رسالة الدكتوراه "المواد لدراسة تكوُّن البيضة" .

وفي عام ١٩١٣ رأس قسم علم الأنسجة وعلم الأجنة . وفي سنة ١٩١٤ نال لقب بروفيسور لجامعة موسكو . عام ١٩١٩ أنشأ ن. بوجويافلينسكي معملاً بيولوجياً في بلدة بولشيفو قريباً من موسكو . وبفضل مساعي ن. بوجويافلينسكي أصبح هذا المعمل مؤسسة ذات سيادة تتبع لوزارة التعليم العالي السوفييتية مباشرةً . وكان يرأسها أكثر من عشر سنوات ويقوم بتجارب علمية في مجال علم الأنسجة وعلم الأجنة وفي نفس الوقت كان يسافر داخل وخارج البلاد بسبب الهدف العلمي وعلى

مدى أعوام عديدة كان ن. بوجويافلينسكي عضواً عاملاً للجنة الاجتماعية في مكتبة جامعة موسكو ورئيساً للفرع البيولوجي في مكتبة الدولة المركزية المعروفة باسم لينين في موسكو .

وفي سنة ١٩٢٩ بسبب تدهور صحته ترك التدريس في جامعة موسكو وبقي رئيساً للمعمل في بولشيفو . توفى ١٤ يوليو سنة ١٩٣٠ .

٢ – مذكرات المعمل الجيولوجي لجمعية هواة علم الطبيعة وعلم الإنسان والإثنوجرافيا في بولشيفو بمديرية موسكو ١٩٣٠، عدد ٤، ص ١٥ .

٣ – أرشيف سياسة روسيا الخارجية (أ. س. ر. خ.)، الصندوق ١٤٧ . قنصلية بوشهر . القائمة ٦٢٣. إضبارة ٣، ١٩٠١ – ١٩٠٢، الصحيفة ٤ – ٥ .

٤ – المصدر السابق، الصحيفة ٧ – ٨ .

٥ – مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

٦ – في المرحلة الأولى من هذا البحث عن البيانات حول زيارة ن. بوجويافلينسكي لشبه الجزيرة العربية حاولنا الحصول على بعض هذه الصور . وبشكل عام، المعاصرون كانوا يؤكدون أنه كان يصور بشكل محترف وكان يُحضر من كل رحلاته عدداً كبيراً من الصور الفوتوغرافية .

٧ – أنظر رسالة رقم ١ .

٨ – مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

٩ – وانعكس وجود ن. بوجويافلينسكي على هذه الجزيرة في مقالة "صناعة صيد واستخراج اللؤلؤ على جزيرة البحرين" المنشور في إحدى المجلات العلمية . وتوجد مقالة أخرى كتبها ن. بوجويافلينسكي : "في ربوع شواطئ الخليج العربي" وهي منشورة على صفحات جريدة "روسكيا فيدوموستي" (الأخبار الروسية) .

١٠ – نشير، ونحن لا نتعمق في السياسة في هذه المقالة، نشير مع ذلك أنه في حدود ما بين القرنين ١٩ - ٢٠ بدأت روسيا تقوم "بنهج سياسي جديد" في منطقة الخليج العربي . وكان عبارة عن إنشاء القنصليات الروسية في البصرة وبوشهر، وإقامة الخط الملاحي المباشر من روسيا إلى الخليج العربي. وإنشاء بنك في بوشهر و . . الخ أنظر بالتفصيل عن ذلك : ا. ب. سينشينكو . "الخليج الفارسي نظرة عبر مائة سنة" . موسكو،١٩٩١، ص ٢٥ – ٤٣ .

١١ – نعتقد أن واحداً من أوائل الروس الذين زاروا الشاطئ الشرقي لشبه الجزيرة العربية كان تاجرا من مدينة تفير الروسية الواقعة على نهر الفولجا واسمه أفاناسي نيفيتين الذي توقف في مسقط. قام برحلة إلى الهند في الفترة من ١٤٦٦ – ١٤٧٢ . وكتب في يومياته : "وفي مسقط قضيت عيد الفصح

السادس" . وحدث ذلك في اليوم العاشر من إبريل سنة ١٤٧٤ - "رحلة افاناسي نيفيتين عبر ثلاثة بحار" . لينينجراد ١٩٨٦، ص ٥٢، ١٥٧ . ومن المفترض أن أفاناسي نيفيتين زار جزر البحرين إذ على بعض الصفحات من يومياته يذكر صيد اللؤلؤ في البحرين حيث، حسب تعبيره، "الجو حار جداً" - نفس المصدر، ص ١٦٩ .

١٢ - مذكرات المعمل في بولشيفو، ص ١٥ .

١٣ - رسالة رقم ١ .

١٤ - رسالة رقم ٣ .

١٥ - رسالة رقم ٢ .

١٦ - نفس المصدر .

١٧ - رسالة رقم ١ .



نيقولا بوجويا فلينسكي

ثلاث رسائل لنيقولا بوجويافلينسكي

الرسالة الأولى

إلى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

توجهت في شهر إبريل عام ١٩٠٢ إلى جزر البحرين وبحوزتي رسالة توصية ستلمتها عن طريق رئيس القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية في بوشهر غ.ف. أفسيينكو وموجهة إلى الشخصية المعروفة على الشاطئ العربي - الشيخ محمد عبد لوهاب باشا، والذي يقيم بشكل دائم في دارين وكثيراً ما يحضر إلى البحرين .

وصادف وصولي أن كان هذا الشخص المشار إليه في البحرين فتوجهت فوراً إليه .

استقبلني الشيخ محمد عبد الوهاب بلطف شديد وقرأ الرسالة، ثم اعتذر بأنه لا يوجد عنده في الوقت الحاضر مكان يليق تماماً بالضيف الروسي ولكن هناك غرفة في عنبره (عنبر القوافل) يمكن أن أقيم فيها عدة أيام ريثما يجد لي مكانا آخر أفضل منه .

وقبل أن يوصلني الشيخ إلى الغرفة التي خصصت لي مؤقتاً كان يجب طلب الأمتعة الجمارك والتي كان يرأسها في البحرين هندي - إنجليزي الجنسية . ولكن في ت الذي كانت فيه أمتعتي لا تزال في الجمارك وأنا موجود عند الشيخ محمد عبد هاب قام ممثل القنصل الإنجليزي في البحرين المستر جاسكين بإرسال من يطلب موظفيه إلى سلطات الجمارك عدم السماح بإخراج أمتعتي بدون تفتيشها .

عندها قام الشيخ محمد عبد الوهاب بمساعدتي، فعندما سمع بذلك، قام من فوره بإرسال شخص إلى الجمارك يبلغ رفضه رغبة ممثل القنصل الإنجليزي بفتح أمتعتي. وتم كل شيء بعد ذلك على ما يرام، واستلمت كل أمتعتي بدون تفتيش .

الغرفة التي خصصها لإقامتي الشيخ محمد عبد الوهاب، كانت في عنبر القوافل الذي يملكه . وكانت مكاناً جيداً - مثل غرفة في فندق روسي -، ليس في الشرق الأوسط فقط وإنما في أية مدينة أوروبية . وقمت بالتعبير عن رضائي التام عن الغرفة وطلبت أن يسمح لي بالبقاء فيها خلال فترة إقامتي في البحرين . ولكن الشيخ محمد عبد الوهاب أصر على رأيه بأن هذه الغرفة غير مناسبة إطلاقاً لضيفه وأنه سيوفر لي مكاناً أفضل منها .

وفعلاً بعد يومين قادني إلى منزل آخر، فارغ تماماً وجيد جداً وقال، بأن هذا البيت تحت تصرفي تماماً، وأنني أستطيع من هذه اللحظة الانتقال إليه . وانتقلت فعلا إلى هذا البيت وعرفت بعد ذلك فقط، حجم الصعوبات التي تعرض لها الشيخ محمد عبد الوهاب لينقل إقامتي إليه .

البيت الذي سكنته كان قبل ذلك فارغاً ويعود لأحد الفرس، وكان يعمل في وكالة الهند البريطانية للملاحة البخارية **(British India Steam Navigation)**، وقد توجه إليه محمد عبد الوهاب لاستئجار هذا البيت على حسابه لمدة ثلاثة أسابيع. وكان خبر وصول شخص روسي إلى البحرين قد انتشر بسرعة كبيرة . ولم يكن سراً على أحد، أن الشيخ محمد عبد الوهاب يبحث عن سكن لي . وما كان يُظن أن فعله سهل ومن قِبَل أي شخص كان إذ اتضح أنه صعب جداً، بسبب دسائس المندوبين الإنجليز في البحرين . مالك المنزل المذكور تلكأ في أول الأمر في قبول طلب الشيخ محمد عبد الوهاب لاستئجار المنزل، ولم يعط جواباً، ويظهر أنه لم يكن يعرف ردة فعل نائب القنصل الإنجليزي، وفي المساء وبناءً على إصرار الممثل الإنجليزي في البحرين رفض تماماً طلب الشيخ محمد عبد الوهاب لاستئجار ذلك البيت الفارغ، في الوقت الذي لم يكن هناك أي مكان آخر فارغ في البحرين يمكن لأوروبي أن يسكن فيه . ولم يبق أمامه

يخ محمـد عبـد الوهـاب، إلا أن يبقيـني في المكـان القديـم أو أن يلتجـئ إلى طريقـة
رى لإيجاد سكن ملائم لي .

ووجد الشيخ محمد عبد الوهاب حلاً لهذه المشكلة بأن اشـترى هـذا المنزل وبثمـن
اعف لما دفعه مالكه نفسه عند شرائه .

قبل انتقالي إلى السكن الجديد كان الشيخ محمد عبد الوهاب قـد سـألني إن كنـت
غب في مقابلة شيخ البحرين الشيخ عيسـى ؟ فسـألته بـدوري عـن إمكانيـة لقائـه ، .
سالة من الشيخ محمد عبد الوهاب إلى الشيخ عيسى تم إبلاغه عن رغبتي في لقائـه ،
كني لم أستلم الجواب لا في اليوم الأول ولا في اليوم الثاني ولا في اليـوم الثـالث، ومـن
شاعات المنتشرة في المدينة ، والتي اتضح أنها غير صحيحة ، عرفت أن الشيخ عيسـى
ناءً على نصيحة نائب القنصل الإنجليزي كان متردداً في استقبالي . وواقعة عدم لقائي
، الشيخ كان مادة للحديث بين سكان البحرين، وأحياناً بشكـل يسـيء إليّ كشخـص
سي، والإشاعات من النوع الأخير، وكمـا اتضـح لي بعـد ذلـك تم ترويجـها مـن قِبَـل
شخاص التابعين لنائب القنصل الإنجليزي .

عندها حاول الشيخ عبد الوهاب أن لا يجعل السـكان يظنـون مـا لا يليـق بمواطـن
سي . وفي اليوم الرابع وتحت إلحاح الشيخ عبد الوهاب، قام الشيخ عيسـى بإرسـال
يره إليّ لتبليغ التحية باسم الشيخ عيسى وقال أن الشيخ يسمح بمزاولة نشاطي كله في
بحرين .

بعد ذلك توقفت الإشاعات حول موقف الشيخ عيسى تجاه الرحالة الروسي ولكـن
شيخ محمد عبد الوهاب لم يقنع بذلـك، فصـار يحـاول تعطيـل السـيطرة الإنجليزيـة
حقيق لقاء لي مع الشيخ عيسى، معتبراً بأن لقائي الشخصي مع الشيخ عيسى، والذي
ن لديه شيء ضد الروس يمكن أن يحدث ثغرة في احتكار النفوذ الإنجليزي، ويسـمح
س الذين سيصلون بعدي بحرية أكبر من تلك التي تعطيها السلطات الإنجليزية .

وقد سهل مهمته أمران :

أ - سفر نائب القنصل الإنجليزي من البحرين .

ب - رسالة التوصية التي أعطاني إياها القنصل العام الروسي في بوشهر أفس إلى الشيخ عيسى . وبهذا تم لقائي مع الشيخ عيسى . أضف إلى ذلك أن الشيخ ؛ أكرمني كثيراً عند الاستقبال : وقام وزيره باستقبالي في الشارع بعيداً عن القصر استقبلني ابن الشيخ وولي عهده أمام مدخل القصر، وحياني باسم الشيخ وقاد غرفة الاستقبال التي كان فيها الشيخ عيسى، وبعد تبادل كلمات المجاملة ا قدمت لي القهوة العربية ثم بعد ذلك الشاي وتبادلت الحديث مع الشيخ حوالي ساعة بحضور ابنه الأكبر، وخلال الحديث طلب مني الشيخ نقل تحياته إلى الـ العام الروسي في بوشهر افسيينكو، الذي أرسل رسالة للشيخ معي ، ولدى سؤا موعد سفري قال الشيخ، أنه يريد أن يجهز رسالة إلى القنصل العام الروسي في ؛ غ.ق. أفسيينكو ويعطيني إياها لتسليمها له . بهذا انتهى لقائي مع الشيخ عيسى سلمت لي رسالة الشيخ عيسى المعنية بعد ذلك بواسطة الشيخ محمد عبد الوهاب

خلال زيارتي إلى البحرين طلب محمد عبد الوهاب من شخص يثق به أن كل شيء لي يلزمني . وفعلاً كان أي شيء يلزمني يوفرونه لي فوراً وبالسعر الذي ؛ به السكان المحليون، وليس الأوروبيين . وكان تدخل الشيخ محمد عبد الـ الشخصي واضحاً في الكثير من الحالات . وبالمناسبة وبغض النظر عن أن أعماله تجبره على التواجد في دارين، فقد بقي خصيصا من أجل الضيف الروسي في البـ وكان يمر عليّ كل يوم، وأحياناً مرتين في اليوم وعندما يزورني كان يسأل دائماً ه شيء على ما يرام ؟ .

نظراً للاستقبال غير العادي، والعمل على تسهيل الإجراءات الجمركية وشرا خاص لإقامتي خلال زيارتي لثلاثة أسابيع وتسهيل اللقاء مع الشيخ عيسى، النظر عن الإجراءات المعاكسة للإنجليز أصحاب النفوذ في البحرين تقريباً والـ التامة التي قدمت لي فإنني واثق، بأنه لم تقدم لي شخصياً، وإنما تقديراً لائقـ الدولة التي أتبعها . أضف إلى ذلك أن هذه المساعدة قدمت لي رغم المعاكسات

ن قِبَل السلطات الإنجليزية في الجزيرة والتي لم تسفر، وكما هو واضح مما ذكر - عن ي نتيجة .

هذا الكرم قدم لأول شخص روسي يسكن في البحرين، وأعتبر من واجبي إخبار لقنصلية العامة الروسية في الخليج العربي في بوشهر بكل ما ذكر أعلاه .

نيقولا فاسيليفتش بوجويافلينسكي

عضو عامل لدى الجمعية الموسكوبية الإمبراطورية
لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية وعلم الإنسان والإثنوجرافيا
والذي أوفد من قِبَل الجمعية
لدراسة عالم الحيوان في الخليج العربي

الرسالة الثانية

إلى القنصلية الروسية الإمبراطورية العامة

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

خلال رحلاتي في الخليج العربي طوال شهر مارس وإبريل ومايو من هذا العام قمت بزيارة ثلاثة من شيوخ العرب : في المحمرة (الشيخ خزعل) . في الكويت (الشيخ مبارك) ، في البحرين (الشيخ عيسى) . وأقمت بعض الوقت في الأماكن المذكورة .

رغم أن مهام رحلتي هذه كانت بعيدة عن أية أهداف سياسية ، فإنه من خلال احتكاكي مع مواطني هؤلاء الشيوخ وخلال أحاديثي مع الشيوخ أنفسهم كثيراً ما اضطررت للإجابة على أسئلة كثيرة تتعلق في أغلبها بالممثليات السياسية الروسية في الخليج العربي أكثر من تعلقها بعلماء الحيوان الموفدين إلى هناك .

حيث أن هذه الأسئلة والأحاديث تطرقت إلى ما يهتم الناس به الآن في المناطق التي زرتها . ماذا يريد وكيف يفكر الروسي . وأعتبر أنه من المفيد أن أنقل إلى القنصلية العامة الروسية في الخليج كل شيء عما سمعته وعما أجبت عليه في الأماكن التي زرتها حول هذا الموضوع . وأفضل شيء هو أن أصف تلك الاستقبالات التي جرت لي ومنها يمكن الحكم على نظرة حكام مختلف مناطق الخليج العربي إلى الروس .

في المحمرة

وصلت إلى المحمرة ومعي رسالة توصية من القنصل العام في مدينة بوشهر غ.ف أفسيينكو . وقام الشيخ خزعل فور استلامه الرسالة بإرسال سكرتيره إليّ وكان قد حل المساء، وذلك لأقيم عنده . وفي اليوم التالي وصل إلى المكان الذي خصص لإقامتي أولاً سكرتير الشيخ، ثم وزيره، وأخيراً الشيخ نفسه وجلس معي حوالي ساعة، وبعد كل ساعات

مجاملة المعتادة قال الشيخ خزعل أنه صديق كبير للروس، وأن الروس جيران جيدون
مرب، وأنهم دائماً ساعدوا العرب، وأن الشيخ مستعد ليحقق لي كل شيء يلزمني .
عندما خرج الشيخ خزعل أشار سكرتيره إلى تعاطف الشيخ الكبير مع الروس . وأعطى
هاناً على ذلك بأن القصر الجديد الذي بناه الشيخ، كان بمخطط س.ن.
يرومياتنيكوف الروسي، وأن كل الأشياء في هذا القصر جُلِبت من روسيا .

وذهب لطف الشيخ خزعل أبعد من ذلك . فأعطاني جنديين لمرافقتي إلى الكويت
حتى قبل الفاو وخمسة عساكر بعد الفاو .

في الكويت

لم أجد عند وصولي إلى الكويت الشيخ في المدينة نفسها . فقد كان في معسكر على
مسافة خمس ساعات سفر عن المدينة وقد استقبلني ابنه الشيخ جابر - ولي العهد -
أفضل ما يمكن وجعل إقامتي في القصر وقام من فوره بإعلام والده العجوز بوصولي،
حضر خصيصاً من معسكره للقائي . وإضافة إلى ذلك فإنه عندما أخبرته بأنني سوف
غادر بعد أربعة أيام قام وحضر إليّ من المعسكر للمرة الثانية خصيصاً لتوديعي .

وقال لي الشيخ مبارك : "إنني أعتبر الروس إخوةً لنا، وإننا مسرورون دائماً
بقدومهم إلينا ومستعدون للقيام بكل ما نستطيع القيام به . انقلوا إلى القنصل العام
لروسي في بوشهر السيد غ.ف. أوفسيينكو، والذي أعتبره أخاً، السلام ورغبتي في إقامة
مراسلات بيننا" .

عند الوداع، شكرت الشيخ مبارك على الاهتمام الكبير بي وقلت إنني لا أعرف
كيف أعبر عن امتناني على الضيافة الطيبة التي وفرها لي . وأجابني الشيخ على هذا
لقال : "افعلوا شيئاً واحداً لي، إذا كان في إمكانكم ذلك، وهو أن تنقلوا إلى الإمبراطور
لقيصر في بطرسبورج، بأنني صديق للروس وأنني أعتبرهم إخوة لي .

في البحرين

وصلت إلى البحرين ومعي رسالة توصية موجهة إلى الشيخ محمد عبد الوهاب وقد منحني إياها القنصل العام في بوشهر السيد غ.ف.افسيينكو .

وكنت قد تشرفت بإخبار القنصلية العامة في بوشهر في رسالتي الأولى المؤرخة في ١٤ يونيو ١٩٠٢ عن الاستقبال والمعاملة التي لقيتها من الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ عيسى .

والآن أنتقل إلى موضوع آخر وهو المعلومات التي أراد الشيوخ المذكورون أعلاه معرفتها وقبل الكلام عن هذه المواضيع التي اقترحها عليّ الشيوخ . أريد أن أسجل الانطباع الكبير الذي أحدثته مساحة روسيا الهائلة على خريطة الكرة الأرضية التي كانت معي والتي كانت تشغل نصف أوروبا وآسيا، وطلب الشيخ مبارك عدة مرات مني أن أريه حدود روسيا وإنجلترا وفرنسا . كما كان اندهاش الشيخ محمد عبد الوهاب بعد ذلك أيضاً كبيراً . وكنت قد أريت الخريطة للشيخ مبارك بمناسبة أسئلته حول خط حديد بغداد . وأراد الشيخ أن يعرف الزمن الذي ستستغرقه الرحلة بعد انتهاء الخط الحديدي للسفر من القسطنطينية وحتى البصرة، ومتى سوف ينتهي الخط الحديدي وهل تشترك روسيا في هذا الخط . وعندما قلت أن هناك احتمالاً أن تكون نهاية الخط الحديدي في الكويت، تنفس الشيخ مبارك بعمق وقال : آمل ألا يحقق الله مثل هذه المصيبة" .

وكذلك سأل الشيخ مبارك كثيراً عن مدة إنشاء خط من روسيا وحتى بندر عباس وعن مكان وقوف السفن الحربية الروسية، وما هي المدة التي تستطيع خلالها السفن الوصول إلى الكويت من مواقعها الحالية، فيما لو أعطيت الأوامر من الحكومة الروسية بذلك، وأين توجد الآن "فرياغ" (طراد روسي من الدرجة الأولى زار منذ فترة قصيرة الخليج العربي) .

بالنسبة لفرياغ يجب الإشارة إلى أنه كوّن انطباعا بشكل غير معقول لدى سكان الشاطئ العربي كله وقد انتشر صيته في تلك المناطق أينما حل . وكانت الأسئلة حول مكان "فرياغ" ولماذا غادر الخليج العربي . وهل يوجد لدى الروس سفن كثيرة مثل "فرياغ" .

هذه الأسئلة كانت تطرح كثيراً ومن كل الجهات .

لقد جرت لقاءات كثيرة في البحرين بيني وبين كل من الشيخ محمد عبد الوهاب وشيخ "دارين" . وكانت إستيضاحاتهما عن روسيا دقيقة، ولم يكن في استطاعتي دائماً الإجابة عليها . وكان الشيخ محمد عبد الوهاب يسألني كثيراً عن السفن الحربية الروسية، ولماذا لا تتواجد السفن الحربية الروسية في الخليج العربي. ولماذا لا يوجد خط سفن تجارية روسية إلى البحرين؛ وطلب مني أن أنقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر الرغبة في أن تمر السفن التجارية على البحرين . وإضافة إلى هذه الأسئلة فقد كان هناك اهتمام بـ علاقات روسيا مع تركيا، وبعدد المسلمين الروسيي الجنسية . وهل هناك مسلمون في موسكو. وهل لديهم مسجد ؟ .

حول ما كتبته في رسالتي المؤرخة في ١٤ يونيو عن الشيخ عيسى، فإن الشيخ محمد عبد الوهاب قال لي : "ليس هناك عجب في أن العرب يخافون الإنجليز. فالإنجليز هنا منذ حوالي مائة عام، والكل يعرفهم، وعندهم هنا المدافع والسفن الحربية، وللأسف لا يوجد هنا أوربيون آخرون، يمكن أن يساعدوا العرب . . . ، أضاف الشيخ محمد عبد الوهاب : لو أن الروس صاروا يصلون إلى هنا لتوقف خوف مرب من الإنجليز بالتدريج .

وفي إحدى المرات، (خلال زياراتي المتعددة كان دائماً يسألني عن روسيا) توضحني – لماذا أرسل الروس سفينة حربية إلى الخليج العربي – يقصد "فرياغ" . لم يبقوها هنا دائماً ؟ إن روسيا بعيدة، ولا قوات ولا سفن لها هنا، وإذا ما قام

شيخ ما بعمل ضد الإنجليز، فإن الإنجليز يستطيعون أن يفعلوا أي شيء يريدونه منه . أما الروس فلا يستطيعون تقديم المساعدة له، حتى لو أرادوا ذلك، لأن قواتهم بعيدة .

بعد استلام الشيخ محمد عبد الوهاب رسالة القنصل العام الروسي في بوشهر غ.ف. أفسيينكو قال لي : " حتى هذا الوقت لم أكن أعرف الروس، والآن أعرفك أنت فقط. ولدي رسالة من قنصلكم . لقد كتب لي عبد الرحمن، شيخ نجد السابق مادحاً الروس . - كان يعرف الروس من زيارة "فرياغ" إلى الكويت -، حتى أنه أرسل لي رسالة لأنقلها إلى القنصل الروسي في بوشهر، ولكني لم أنقل هذه الرسالة لأنني لم أكن أعرف أي روسي ولكن الآن، أرجو منكم نقل هذه الرسالة إلى القنصل العام الروسي في بوشهر السيد غ.ف. أفسيينكو .

لقد رأيت من كل الاحتكاكات والأحاديث أن هناك على الشاطئ العربي :

أ - تعاطف كبير واحترام تجاه روسيا وكان واضحاً عدم الرضى عن إنجلترا والرغبة العامة في تواجد القوات الحربية الروسية على شكل سفينة حربية في مياه الخليج العربي .

وقد تكون هذه الرغبة تدخلاً أنانياً - حتى لا تكون السلطة كلها لإنجلترا .

ب - سحر روسيا كدولة عظمى كان كبيراً جداً وزاد سحر روسيا هذا زيارة الطراد (المدرعة) الروسي من الفئة الأولى "فرياغ" التي كونت انطباعاً يمكن وصفه بأنه كان خطوة مذهلة للشاطئ العربي كله . إشارة لحجم الطراد ولمداخنه الأربع وأنواره الكهربائية والتي لم تكن موجودة في السفن الحربية البريطانية، الرابضة في الخليج العربي .

هذه الخطوة هامة برأيي، حيث أن العرب يعتقدون بأن لدى الروس قوات كبيرة ولكن ليس لديهم سفن حربية بالمرة .

ج - الرغبة العارمة في إقامة علاقات أكثر متانة مع الروس وهذا واضح :

١ - من رغبة الشيخ مبارك، شيخ الكويت، في إقامة علاقات دائمة مع القنصلية العامة الروسية في بوشهر .

٢ - وبشكل مماثل لهذا كانت رغبة الشيخ محمد عبد الوهاب، فمعاملته الحسنة واضحة تجاه الروس عكس موقفه العدائي من الإنجليز في البحرين ومن الأتراك في القطيف .

٣ - من الاقتراحات العديدة للشخصيات المختلفة لتقديم الخدمات الوظيفية للقنصلية الروسية في بوشهر، والتي كانت أحياناً تُظهر وبشكل مباشر الموقف العدائي من السلطات الإنجليزية . ويمكن هنا أن أسوق كمثال (حجازي جمعة في البحرين) . وقد عبر له المستر جاسكين، نائب القنصل الإنجليزي في البحرين عدة مرات وبشكل فاضح عن عدم رضاه على جلساته الخاصة معي .

هذه هي وبخطوط سريعة الأحاديث والاقتراحات التي قيلت لي، كإنسان روسي يتجول في منطقة نادراً ما يزورها الروس هي الشاطئ العربي للخليج .

العضو العامل في الجمعية الإمبراطورية الموسكوبية
لمحبي العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإتنوجرافية

نيقولا بوجويا فلينسكي

الموفد من قِبَل الجمعية
لدراسة عالم حيوانات إقليم الخليج العربي

الرسالة الثالثة

إلى القنصلية العامة للإمبراطورية الروسية

بالخليج العربي في مدينة بوشهر

إلحاقاً برسالتي القنصلية والمؤرخة في ١٦ يونيو ١٩٠٢ فإنني أعتبر أنه من المفيد كي أنهي شرح علاقة الشيوخ العرب بروسيا، أن أصف حفل الاستقبال الذي أقامه لي سلطان مسقط فيصل بن تركي .

لقد وصلت إلى مسقط وبحوزتي رسالة من القنصل العام الروسي في بوشهر المستر غ.ف. إفسيينكو .

فور تسليم الرسالة قام السلطان بإرسال موظف من طرفه لاستقبالي على السفينة . وقادني إلى المكان الذي خصصه السلطان لإقامتي . وقد جرى لقائي مع السلطان في نفس اليوم .

استقبلني السلطان في الغرفة الموجودة قبل غرفة الاستقبال، وقادني إلى غرفة الاستقبال وتحدث معي بشكل ودي جداً . وخلال الحديث طلب مني أن أنقل سلامه إلى القنصل الروسي العام في بوشهر غ.ف.أفسيينكو .

خلال إقامتي لمدة أسبوع في مسقط كان السلطان يرسل إليّ السلام كل يوم بواسطة موظفه . إضافة إلى هذا، كان الموظف يحضر إلى، حسب أوامر السلطان، ثلاث مرات في اليوم، ليعرف، هل كل شيء على ما يرام، وهل أحتاج إلى شيء ما .

وقد حضر الوزير الأول للسلطان إلى مكان إقامتي وطلب مني أن أنقل إلى القنصل الروسي العام في بوشهر السيد غ.ف. أفسيينكو . شعور التعاطف والصداقة التي يكنه السلطان، وهو – أي الوزير – تجاه روسيا .

إضافة إلى ذلك فقد كان يحضر إليّ أشخاص عديدون يعملون عند السلطان من المستويات المختلفة، الرفيعة، والأخرى . وأحاديث هؤلاء الأشخاص فيما عدا

المجاملات العادية، لم تكن تحوي أي شيء ممتع، ولكن واقعة زيارة هؤلاء الناس لي، تعبر بحد ذاتها عن رغبة السلطان في إبداء الاهتمام بالرحالة الروس وإظهار موقفه الودي تجاه الروس .

عند زيارتي لتوديع السلطان، طلب مني مرة أخرى، وبصرف النظر عن رسالته كسلطان إلى القنصل العام في بوشهر غ.ف. أفسيينكو . نقل سلامه إلى غ.ف. أفسيينكو . وقام السلطان عند التوديع بمرافقتي بالنزول من الطابق الثاني حيث تقع قاعة الاستقبال إلى الطابق الأول ، وأوصلني عبر المر السفلي حتى ذلك المكان، حيث يتواجد العسكر والحراس الذين يحمون الباب الخارجين وهناك فقط قام بتوديعي نهائياً .

هذا هو الاستقبال الذي أقامه لي آخر الشيوخ العرب، الذين قمت بزيارتهم . وهكذا انتهت إقامتي في مسقط، وبهذا انتهت إقامتي على شاطئ جزيرة العرب .

العضو العامل في اللجنة المسكوبية الإمبراطورية

لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإثنوغرافية

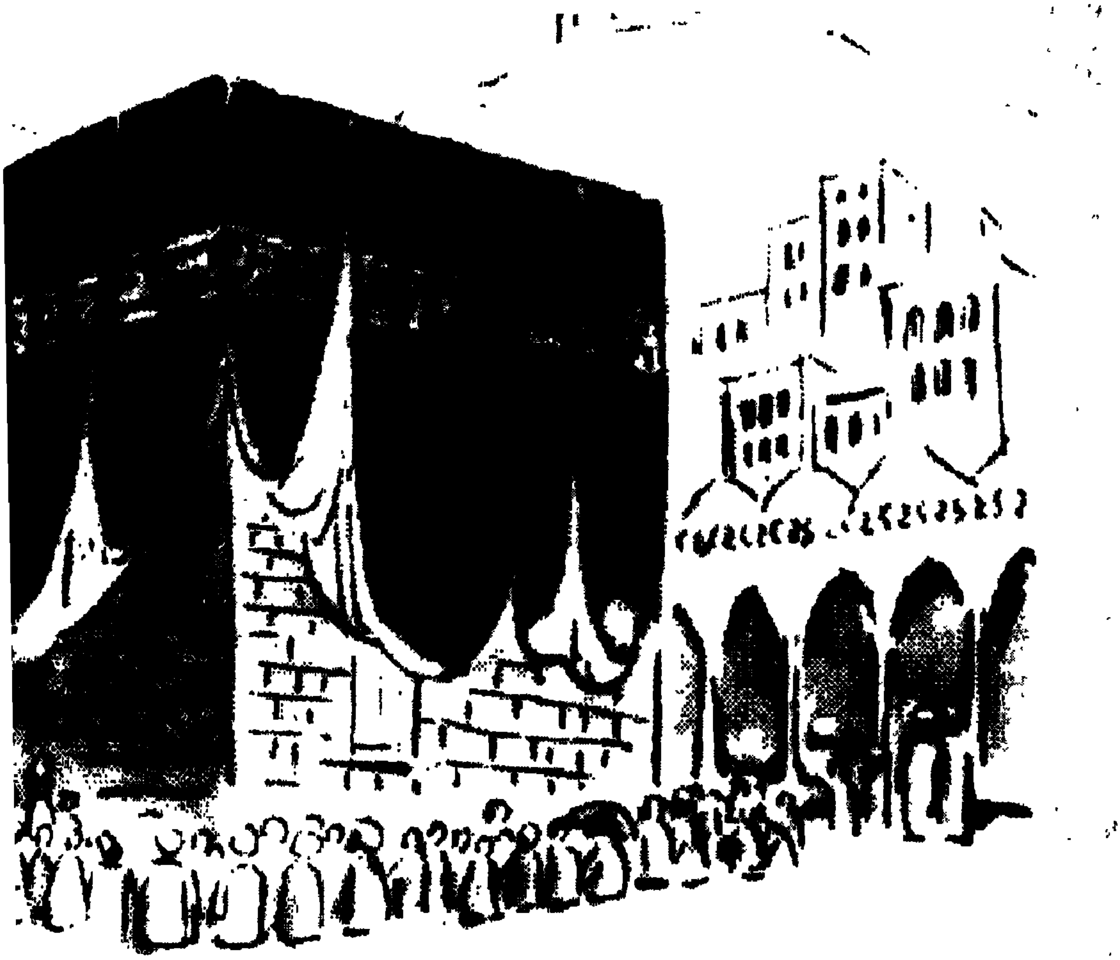
نيقولا بوجويافلينسكي

لاهور ٢٠/٧ - ٧ - ١٩٠٢

المصدر : أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية . الملف ١٤٧ القنصلية في بوشهر . السجل ٦٢٣، الملف ٣ - مراسلات القنصلية مع الجمعية الموسكوبية لمحبي (هواة) العلوم الطبيعية والإنتروبولوجية والإثنوغرافية حول بعثة دراسة الحيوانات في الخليج العربي، رسائل ن. بوجويافلينسكي ... ١٩٠١ - ١٩٠٢، الصفحات ٩ - ٣٢ . ظهر

دكتوراه العلوم التاريخية
بروفيسور معهد آسيا وافريقيا
لدى جامعة موسكو .

د. جينادي جورياتشكين



إن المسلمين في روسيا كان لهم الحـق في الإعـلان عـن دينـ
الإسلام المقدس وتشييد مساجد جديدة لهم وطبع المصحف وا
الدينية المختلفة المتعلقة بالثقافة والفقـه، وكذلـك الحـق في
وتعليم أولادهم بالمنـهج الإسـلامي وتأديـة واجباتـهم الدينيـ
فيها الحج . وقد قام علماؤهم بتسجيل مواليد وزيجـات و

حجاج الروس

في مكة المكرمة والمدينة المنورة

آخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين



بقلم :

الدكتور سيرجي كريكورييف

سان بطرسبورج

المسلمين، وتم تعيين هؤلاء المسجلين ليس من قِبَل الدولة الروسية، بل بانتخابهم من أعضاء الجاليات الإسلامية الذين ... رواتبهم أيضاً .

... تتدخل السلطات الروسية في الشئون الداخلية للمسلمين في المناطق التي سكنوها . وكان للمسلمين نظم قضائية وتربوية خاصة بهم

خارج نطاق الإمبراطورية الروسية . ولم ينضم مسلمو آسيا الوسطى إلى الجيش الروسي . وساعدت الحكومة الروسية المسلمين في حقول مختلفة كانت لها علاقة بالدين الإسلامي المقدس . والمعروف أن فريضة الحج من الفرائض الخمس على كل مسلم ومسلمة وهي واجبة الأداء مرة واحدة على الأقل في حياته بزيارة مكة المكرمة في الجزيرة العربية . ويفد إليها ملايين من الحجاج كل عام من جميع أنحاء العالم . ويمثل هذا أكبر تجمع بشري سنوياً على الأرض[١] .

ويتدفق الحجاج على مكة المكرمة في ٧ من ذي الحجة . وقد أدى ابن بطوطة، وهو رحالة وعالم من المغرب، فريضة الحج عام ١٣٢٥م ووصف الحج كما يلي : "كان عدد الناس ضخماً جداً حتى بدت الأرض كبحر متحرك . وكانت القوافل تحمل معها الغذاء والماء للفقراء، وكذلك الأدوية والسكر للمرضى . وأينما توقفت القوافل تم طبخ الطعام في أوان نحاسية كبيرة من أجل الفقراء من بين الحجاج . وكان مع القوافل عدد من الجمال لنقل المرضى غير القادرين على الترجل[٢] . وليس الحج فريضة مقدسة فحسب بل هو نوع من الاتصال الديني والاجتماعي والثقافي بين المسلمين المجتمعين من سائر أنحاء العالم . ويجتمع قادة البلدان الإسلامية غالباً في مكة المكرمة في موسم الحج لمناقشة القضايا المختلفة التي تواجه بلدانهم والعالم الإسلامي ككل.

وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، شكل الحجاج الروس مجموعة هامة وذات أهمية بالغة من بين الحجاج . وقام عدد كبير من الحجاج من كافة أنحاء الإمبراطورية الروسية، أكثرهم من آسيا الوسطى وشمال القوقاز وعبر القوقاز، بزيارة مكة المكرمة تأدية لواجبهم الديني . وكان الحج في حد ذاته مصدراً لكسب المعرفة والثقافة للحجاج من الإمبراطورية الروسية الذين تعلموا معلومات جديدة عن الدين الإسلامي والجزيرة العربية وأماكنها المقدسة . كما كان تعرف الحجاج الروس على المسلمين من أماكن أخرى من دول وأقاليم مختلفة مؤدياً إلى توسعة وتعميق معرفتهم بالعالم الإسلامي والثقافة الإسلامية ككل.

وحمل الحجاج الروس معلومات عن حياة المسلمين في روسيا مما ساعد في

توحيد صفوف المسلمين من بلدان ومناطق مختلفة .

ونظراً لكونها بلاداً تقع في كل من أوروبا وآسيا على السواء، كانت لها علاقات قديمة وحميمة مع دول الشرق الأوسط حيث سكن العرب . وقام الروس بزيارة بلدان الشرق الأوسط لأغراض مختلفة كالسياسية والتجارية والعلمية والثقافية والدينية . وكان العلماء الروس يدرسون تاريخ وثقافة ولغات البلدان العربية . وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان إقليم الحجاز الواسع في غرب الجزيرة العربية، حيث تقع مكة المكرمة والمدينة المنورة، تحت تصرف الإمبراطورية العثمانية بعد احتلالها له . وعلى الرغم من أن الإمبراطورية العثمانية واجهت أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية حادة في أواخر القرن التاسع عشر، إلا أنها دعمت موقفها في غرب الجزيرة العربية بعد أن أدخلت إصلاحات في جيشها وقامت بتحسين نظم مواصلاتها عقب بناء قناة السويس في عام ١٨٧٠م(٣) .

تقع أقاليم شبه الجزيرة العربية حوض الخليج العربي بعيدا إلى حد ما روسيا . ونظراً لأن أغلبها كان جزءا من الإمبراطورية العثمانية وفي نفس الوقت موضع منافسة بين الإمبراطوريتين البريطانية والألمانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فقد اجتذب هذا الجزء من العالم انتباه الإمبراطورية الروسية أيضاً . وقام بعض الروس من رجال الأعمال والضباط والعلماء وغيرهم بزيارة شبه الجزيرة العربية آنذاك ومنهم النبلاء "أبامالك نزاروف" و "س. أ. ستروجانوف" و "أ. ج. شرباتوف" وهم متخصصون في سباق الخيل لغرض إدخال تحسين على سلالات الخيل . وقد اشتروا الخيول العربية وكتبوا مذكراتهم عن زياراتهم للأماكن المختلفة . وكان "ج. أ. فالين" عالما باللغة العربية من فنلندا التي كانت آنذاك جزءا من الإمبراطورية الروسية وقام بزيارة الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية في أواخر الأربعينات للقرن التاسع عشر . وبصفته أستاذا في جامعة "هيلسنجفور" كتب عددا من المقالات العلمية المبنية على مذكراته وملاحظاته التي جمعها أثناء زياراته . وقام الضابط الروسي "دافليت شين" بزيارة الحجاز في أواخر القرن التاسع عشر وكتب مقالا عنها .

لا توجد وثائق روسية كثيرة من حيث المذكرات والمخطوطات ونقتصر على الاستفادة من الوثائق المكتوبة باللغة الروسية فقط لأنه توجد مذكرات كتبها الحجاج الروس باللغات الرائجة في أقاليم الإمبراطورية المختلفة مثل "البشكير" و "الأوزبك" و "التازك" و "التتر" وغيرها، ولا يسعنا إلا أن نؤجل دراستها للمستقبل لأنها تورد وصفا للمسائل التي واجهها الحجاج الروس ومواقفهم واختياراتهم أثناء سفرهم للديار المقدسة . ولا تعالج الإحصائيات الروسية للفترة ما بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين موضوع الحج بصفة خاصة فلا توجد لدينا بيانات دقيقة رسمية عن أسفار الحجاج الروس . وقد ساعدت السلطات الروسية الحجاج المسلمين الروس في تسوية القضايا القانونية والاقتصادية والمالية التي برزت أثناء سفرهم إلى الجزيرة العربية . فتوجد بعض الوثائق في الأرشيفات الروسية من هذا النوع تلقي الضوء من بعض النواحي على الحجاج الروس وسفرهم إلى مكة المكرمة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

وأغلب الحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة المكرمة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين جاءوا عن طريق البحر مستخدمين سفنا روسية وأحيانا سفنا أجنبية تغادر الموانئ الروسية الواقعة على سواحل البحر الأسود . في حين سافر معظم الحجاج الساكنين في آسيا الوسطى إلى مكة المكرمة عن طريق أفغانستان والهند البريطانية ومن هناك عن طريق البحر من ميناء كراتشي . فتوجد معلومات هامة عن هذا الطريق للسفر للحجاج الروس وانطباعاتهم عن شبه الجزيرة العربية وسكانها وبعض الأمور الأخرى كوصف لنمط الحياة فيها في الوثائق المتواجدة في الأرشيفات البحرية المركزية الرسمية للفيدرالية الروسية الواقعة في سان بطرس بورج . وهي من أقدم الأرشيفات في روسيا والوحيدة التي تخصصت في تاريخ البحرية الروسية. تم تأسيسها في عام ١٧٢٤م بأمر من الإمبراطور الروسي بطرس الأعظم وتوجد في مقتنيات هذه الأرشيفات أكثر من ١،٢ مليون وثيقة ومنها المستندات والخرائط وسجلات السفن والرسوم والمسودات وصور السفن والمواد الأخرى سواء كانت مطبوعة أو مكتوبة باليد.

المتعلقة بتاريخ البحرية الروسية من عام ١٧٢٤ إلى عام ١٩٤٠م . وتوجد هناك وثائق كثيرة تتعلق بعلاقات روسيا مع بلدان الشرق الأوسط واتصالات روسيا بأقاليم شبه الجزيرة العربية . والوثائق التي تتناول مسائل الحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة المكرمة وتصف الأماكن التي مروا بها ترجع إلى صناديق القنصليات الإمبريالية الروسية في كل من جدة وينبع (صندوق ن. ٤١٧، قائمة الجرد ن. ١، الملف ن. ٥٨ عام ١٩٠٣م) وصناديق شركات البواخر الروسية - "أسطول المتطوعين" و"جمعية البواخر والتجارة الروسية - روبيت" وهما وكالتان نقلتا الحجاج الروس إلى موانئ الحجاز في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين (صندوق ن. ٢٩ ن. ن. - بكلمشي وصندوق ن. - ١، الملف ن. ٨ وهي تقارير قباطنة السفن من "أسطول المتطوعين" والباخرتين "ساراتوف" و"بطرس بورج" حول نقل الحجاج - ١٩٠٠م الخ. . .) .

وكانت شركة "أسطول المتطوعين" واخر قد تأسست في عام ١٨٧٨م ـانت مشروعا مشتركا من استثمار ـكومي وشخصي . وفي أواخر القرن التاسع عشر كانت تملك ٢٠ باخرة ضخمة وتنقل المسافرين والسلع ما بين موانئ البحر الأسود وموانئ البحر المتوسط والمحيط الهندي والباسيفيك . وشغلت هذه الشركة بانتظام خطا بحريا بين "أوديسا" وبين الموانئ الروسية في الشرق الأقصى الروسي . وكانت لشركة "أسطول المتطوعين" وكالات ووكلاء في كثير من الموانئ الدولية بما فيها ميناء جدة حيث كان فيه ممثل لها . ونقلت كل سنة باخرتان أو ثلاث بواخر لهذه الشركة الحجاج الروس إلى جدة وينبع وكانت البواخر سريعة ومريحة .

وكانت شركة كبيرة أخرى للبواخر تنقل الحجاج اسمها "جمعية البواخر الروسية النجارية - روبيت" وكانت تملك أكثر من ٢٥ باخرة كبيرة ومستودعات كثيرة ووكالات عبر العالم ومحطات بناء السفن ومناجم الفحم وعقارات . واستخدمت بواخر الشركة لتشغيل رحلات منتظمة لنقل المسافرين والسلع بين موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر وبحر العرب والشرق الأقصى والبحر المتوسط وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية والأماكن الأخرى . وفي نهاية القرن العشرين أنشئ خط جديد يربط كلا من ميناء "أوديسا" الروسية

والبصرة عن طريق اسطنبول وقناة السويس والموانئ الأخرى في البحر الأحمر والخليج العربي وجدة من قبل هذه الشركة . ونظمت الشركة ٤ أو ٦ رحلات بين هذه الموانئ سنوياً باستخدام البواخر "تروفور" و"كورنيلوف" و "ديانا" و "يونونا" وعلى العموم كانت البواخر تنقل الحجاج إلى مينائي جدة وينبع . وكانت هناك شركات روسية أخرى تقوم بنفس النشاطات مثل شركة "روستوف" أو "فيستا" وبعض الشركات الأخرى، لكن أكبر عدد من الحجاج الروس المسلمين وصل إلى الجزيرة العربية ببواخر شركة "أسطول المتطوعين" لأنها كانت مريحة وسريعة وتذاكرها رخيصة .

ومن أشهر وأكبر الأرشيفات، يجدر ذكر الأرشيفات التاريخية المركزية للاتحاد الفيدرالي الروسي الواقعة أيضاً في سان بطرس بورج وقد تأسست في عام ١٩٢٢م وفيها أكثر من ٦ بلايين من الوثائق والمخطوطات والمواد الرسمية والشخصية الصادرة من المؤسسات الرسمية للإمبراطورية الروسية والساسة الروس البارزين التي تلقي الضوء على الجوانب المختلفة للمجتمع الروسي من بداية القرن الثامن عشر إلى عام ١٩١٧ .

وعلى الرغم من أن الوثائق المتعلقة بالحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ليست كثيرة إلا أنها تتضمن معلومات شائقة عن العلاقات الدينية والثقافية بين الإمبراطورية الروسية وأقاليم العربية السعودية كما كانت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهي تكثر بصفة رئيسية في الصندوق ن - ٨٢١ وفهرس الجرد ن - ٨ والملفات ن - ١١ و ن - ١٠٦٣ و ن - ١٠٧١ و ن - ١٠٨٥ و ن - ١٠٩٠ و ن - ١١٧٤ و ن - ١١٩٦ و ن - ١٢٠٢ و ن - ١٨٦٥ والصندوق ن - ٩٥ وفهرس الجرد ن - ٤ والملف ن - ٧٢٦ و ن - ٩٨ الصندوق وفهرس الجرد ن - ٤ والملف ن - ٧٢٦ والصندوق ن - ٩٨ وفهرس الجرد ن - ٦ والملف ن ٢ - ٣٣ . وتتعلق هذه الوثائق بولاية "أورنبرج" في روسيا وهي واقعة في منطقة الأورال الجنوبية حيث سكن المسلمون عادة بأعداد كبيرة .

وتعطي لنا معلومات عن التسهيلات التي وفرتها الحكومة الروسية للحجاج الذين سافروا إلى مكة المكرمة عبر بحر قزوين ومن ثم عن طريق سكة حديد عبر القوقاز ومن موانئ

الأسـود . ويتعلـق بعـض الوثـائق
الحجاج الروس إزاء البلاط الملكي
ي أو وزارة الداخليـة لأن القوانـين
ة بالحج كان يوقع عليـها القيصر
(الصندوق ١١٥١ - فهرس الجـرد
- الملـف ٢٦٦) أو وزيــر الداخليـة
مارس المراقبـة علـى لوائـح الحـج
دوق ٩٥ - فـهرس الجـرد - ٤ -
٧٢٦ والصنـدوق ١٢٦٣ - فـهرس
د ٢ - الملـف ٥٦٠٧، والصنــدوق
١ - فـهرس الجـرد ١٨٨ - الملـف
) .

والوثـائق الـتي تخـص "شركــة
فر والتجـارة الروسـية - روبيـت"
توجد في هذه الأرشيفـات وتتضمـن
فقط بيانات عـن نقـل الحجـاج إلى
يرة العربية بل أيضا معلومـات عـن
قات الاقتصادية والتجاريـة القائمـة
بـين الإمبراطوريـة الروسـية وبـين
يم العربية في الإمبراطورية العثمانية
اخر القرن التاسع عشر وبدايـة القرن
رين (الصندوق ١٠٧، فهرس الجرد
لملفات ١٥٠٠ - ١٨٠٠)

أركـز أساسـا في هـذا البحـث علـى
ة الحج التي اتبعها الحجاج الروس
اخـر القـرن التاسـع عشـر وبدايـة

القرن العشرين معتمـدا علـى الأرشيفـين المذكورين أعلاه وأحاول أن أجـد منـهما الإجابة على هذه الأسئلة :

١ - مـا هـي الطـرق الـتي كـانت مستخدمة عادة من قبل الحجاج الـروس للوصــول إلى مكة المكرمة ؟

٢ - مـن أي منـاطق الإمبراطوريــة الروسية جاء أكبر عدد من الحجاج ؟

٣ - كيـف نظـم نقـل الحجـاج إلى الجزيرة العربية ؟

٤ - كيـف كـان حجـم الحجــاج الروس إلى الجزيرة العربية ؟

إن الإجابـة علـى هـذه الأسـئلة تساعدنا في فـهم دور الحجـاج الـروس، ومن شكل أكبر دفعة من الحجاج الروس الذيـن أسسـوا وعمقـوا الاتصـالات بـين الإمبراطوريـة الروسـية وأقـاليم الجزيـرة العربيـة في نهايـة القـرن التاسـع عشــر وبداية القرن العشرين .

استخدم معظم الحجاج الروس أحد الطرق الثلاثة إلى مكـة المكرمـة والمدينـة المنورة وهي الطرق التي كـانت مشـهورة في أواخـر القـرن التاسـع عشـر وبدايــة القرن العشرين وهـي عبـارة عـن الطريـق الشمـالي والطريـق عـبر القوقـاز والطريـق الجنوبي .

وكانت نقطة البداية للطريق الشمالي هي الموانئ الروسية الواقعة على شواطئ البحر الأسود وهي كل من "باتومي" و"بوتي" و "سوشومي" و "فيودوسيا" و"كرش" و "خرسون" و "نوفوروسيسك" وفي بعض الأحيان "سباستوبول" و"أوديسا" وكافة الحجاج الذين سكنوا الولايات الأوروبية لروسيا والسنيون عبر القوقاز وإلى حد ما المسلمون من الأورال وسيبيريا سافروا إما مشيا وإما بالقطار . ومن ثم أبحروا بالسفن التابعة "لأسطول المتطوعين" أو "لجمعية البواخر والتجارة - روبيت" أو لشركات روسية أخرى إلى الإسكندرية أو بورسعيد ومن هناك عقب إنشاء سكة الحديد، أحيانا إلى بيروت ويافا عن طريق اسطنبول . وفي بداية القرن العشرين عندما مدت شبكة سكة الحديد بين طشقند، عاصمة الأقاليم الروسية في آسيا الوسطى وبين سواحل بحر قزوين، زاد عدد الحجاج المسلمين الروس الذين استخدموا الطريق الشمالي إلى حد ما على أساس أنه كان مريحا أكثر وأسرع(٤) .

وسافر الحجاج بالسكة الحديد من كافة مناطق آسيا الوسطى إلى ميناء "كراسنوفودسك" على شاطئ بحر قزوين ومن هناك أبحروا إلى مدينة (باكي) على جانب القوقاز بواسطة سفن شركة روسية تسمى "القوقاز وزئبق" ومن ثم بواسطة القطار إلى مينائي (باتومي) و(بوتي) على البحر الأسود . ووفقا لقوانين الإمبراطورية الروسية كان على الحجاج المسلمين المتوجهين إلى الأماكن المقدسة في الجزيرة العربية عن طريق اسطنبول أن يسجلوا أسماءهم لدى القنصلية الروسية الإمبريالية هناك لكن بعض الحجاج تجاهل إجراء التسجيل لأنهم كانوا يحملون جوازات السفر الروسية المزورة اشتروها بصفة غير قانونية من موسكو أو من بعض الموانئ الروسية في البحر الأسود، أو يحملون بطاقات الهوية الصادرة من إيران أو تركيا وبخارى . وأحيانا تبقى البواخر في اسطنبول لمدة قصيرة مما لم يعط الفرصة للمسافرين لكي يزوروا القنصلية الروسية الإمبريالية الواقعة هناك . إن عدم تسجيل الحجاج الروس في اسطنبول أدى إلى بروز مشاكل متنوعة وهم على أرض الإمبراطورية العثمانية والغش في إعداد الإحصائيات ضمن العلاقات القائمة بين الإمبراطورية الروسية وبين شبه الجزيرة العربية وتحتفظ الأرشيفات التاريخية الرسمية

الروسية ببعض الوثائق الصادرة من السفارة الروسية الإمبريالية في اسطنبول المتعلقة بعدد الحجاج الروس المتوجهين إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة عن طريق اسطنبول في أواخر القرن التاسع عشر . وفيما يلي بعض البيانات بهذا الخصوص :

عدد الحجاج الروس	العام
٢٨٩	١٨٩١م
٨٠٤	١٨٩٢م
١٨٠٨	١٨٩٣م
٤١٨	١٨٩٤م

وكان العدد حتى ١٩٠٣م حوالي ٢٠٠٠ حاج سنويا سجلوا بياناتهم في اسطنبول(٥)

كان هناك طريق آخر أقل استخداما من قبل الحجاج الروس الذين سكنوا في مناطق عبر القوقاز وهم في طريقهم إلى الجزيرة العربية . وكان هذا الطريق عبر القوقاز طريقا مفضلا لدى الشيعة لأنهم ـزورون النجف وكربلاء في أراضي لإمبراطورية العثمانية في طريقهم إلى كة والمدينة وعلى العموم كانوا جتمعون في بغداد التي كانت نقطة البداية لمن عزم على الحج من الروس أو الفرس . وكان هذا الطريق طويلا ومتعبا ومحفوفا بالمخاطر لأن معظمه كان يقطع مشيا أو على ظهور الجمال ، وفي بعض الأحيان على ظهور الخيول ، ويستغرق السفر شهرا أو أكثر(٦) .

ومن سوء الحظ في معظم الأحيان أن المرور عبر حدود الإمبراطورية الروسية مع كل من إيران والإمبراطورية العثمانية من قبل الحجاج الروس وهم في طريقهم إلى المدينتين المقدستين، مكة المكرمة والمدينة المنورة عن طريق النجف وكربلاء، كان يتم ليس فقط عبر نقاط التفتيش الرسمية ، بل غالبا عبر الممرات الضيقة والطرق الجبلية، وعلى العموم لم يسجل الحجاج بياناتهم في القنصلية الروسية الإمبراطورية في بغداد . فلا يتوفر لدينا إحصائيات دقيقة عن مستخدمي هذا الطريق من الحجاج المسلمين .

والطريق الثالث كان يسمى الطريق الجنوبي ويبدأ من سمرقند في آسيا الوسطى ويمر بعدة مدن وهي "مزار شريف" في شمال أفغانستان و "كابول" عاصمة أفغانستان و "ممر خيبر" الذي يربط أفغانستان بالهند البريطانية و "بيشاور" وهي أكبر مدينة في الجزء

الشمالي الفرنسي للهند . ويستغرق السفر من الأقاليم الروسية إلى مدينة بيشاور في الهند البريطانية عن طريق أفغانستان حوالي ١٥ أو ٢٠ يوما . وكان هذا الطريق محفوفا بالمخاطر للغاية وكثير الكلفة وغير مريح بسبب سوء الطرق داخل أراضي أفغانستان وأيضا بسبب تصرفات السلطات الأفغانية في استغلال الحجاج الروس وابتزازهم والحصول على أقصى ما يمكن من أموالهم . وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب ليس لعبور الحدود الأفغانية فحسب بل ولدى عبور كل ولاية في طريقهم إلى الهند . وفرضت عليهم رسوم خاصة لتأجيرهم الخيول والجمال ولامتلاكهم السلع الإضافية الخ . . . وآخذا بعين الاعتبار فإن الحكومة الأفغانية كانت تشك في كل مسافر روسي وكانت تلقي القبض على بعضهم من المتوجهين إلى الحج بحجة أنهم جواسيس روس . وفي هذه الحالة كانت تصادر كافة ممتلكاتهم وأموالهم، وقد لقي البعض منهم حتفهم في السجون الأفغانية(٧) .

وهناك سؤال يخطر على البال – لماذا اختار الحجاج الروس ومعظمهم يقطنون في آسيا الوسطى والأورال الجنوبية وولايات سيبيريا هذا الطريق المحفوف بالمخاطر ؟

هناك سببان لاختيار هذا الطريق :

<u>أولا</u>، أن الحجاج المسلمين الذين سافروا عن طريق أفغانستان لم يحتاجوا إلى جوازات السفر لعبور الحدود الأفغانية والهندية، وكان عليهم أن يقدموا بطاقات الهوية الصادرة من السلطات المحلية من المسلمين فقط. وكانت هذه البطاقات معروفة باسم "التذكرة" .

<u>وثانيا</u>، أنهم قاموا بزيارة مدينة "مزار شريف" في شمال أفغانستان وهم في طريقهم للهند . وكان في مزار شريف مسجد كبير وقبر، وحسب اعتقاد الإمبراطورية الروسية وأفغانستان فإن هذا القبر للخليفة علي ﷺ . وبعد الوصول إلى بيشاور يركب الحجاج قطارا إلى بومبي، ومن هناك يبحرون إلى مينائي جدة وينبع في الحجاز . ويستغرق هذا السفر على العموم أسبوعا واحدا . وحسب تقرير أعده القنصل الإمبريالي الروسي في بومبي (باناقيدين)

فإن عدد الحجاج الروس الذين استخدموا ذلك الطريق كان على النحو التالي :

١٢٦٩ حاجاً في عام ١٨٩١م

٣٠١٣ حاجاً في عام ١٨٩٢م

٣٣٢٨ حاجاً في عام ١٨٩٣م

٢٩٣١ حاجاً في عام ١٨٩٤م[٨]

وفي عام ١٩٠٣م استخدم ٥٠٠ شخص فقط هذا الطريق[٩] .

وتوجد مصادر أخرى معتمدة كتقارير القنصل الإمبريالي الروسي في جدة (تأسست القنصلية هناك في عام ١٨٩١م خاصة من أجل تسوية القضايا المتعلقة بالحجاج الروس) تورد حجم الحجاج الروس المتجهين إلى مكة والمدينة عن طريق جدة وينبع في أواخر القرن التاسع عشر على النحو التالي :

عام	وصل إلى جدة	وصل إلى ينبع
١٨٩٣ م	٦٧٣٦ حاجاً	١٤٤٤ حاجاً
١٨٩٤م	٤٣٤٩ حاجاً	٤١٨ حاجاً
١٨٩٥م	٤٧١٤ حاجاً	١١٤٣ حاجاً
١٨٩٦م	١٧٢٧ حاجاً	صفر
١٨٩٧م	٤٨٧ حاجاً	صفر[١٠]

وحسب مصدر آخر فقد زار مكة والمدينة ٥٢٢٥ حاجاً روسياً في عام ١٨٩٦م بما فيهم ١٧٢٧ حاجاً وصلوا عن طريق موانئ البحر الأسود و١٣٧٠ حاجاً عن طريق أفغانستان والهند البريطانية[١١] . إن الانخفاض في عدد الحجاج الروس في عامي ١٨٩٦ و١٨٩٧م حسب بيانات القنصل الإمبريالي الروسي قد يكون سببه انتشار وباء الكوليرا في بعض الولايات الروسية وتحديد عدد المسافرين للخارج في تلك الفترة حرصاً على عدم نقل العدوى إلى الأماكن الأخرى من العالم ومنها الجزيرة العربية . والذين جاءوا إلى الجزيرة العربية في تلك الفترة أي ١٨٩٦ - ١٨٩٧م كانوا غالباً من غير المصرح لهم رسمياً بالسفر للخارج .

وبالنسبة للسنوات الأخرى فلدينا معلومات ولو جزئية عن عدد الحجاج الذين زاروا مكة المكرمة، لكن هذا العدد لا يشمل جميع الحجاج كما تقتصر المعلومات على بعض الطرق التي استخدمها الحجاج . وتشير سجلات البواخر لشركة "أسطول المتطوعين" بأنها نقلت من الحجاج في بداية القرن العشرين إلى كل من جدة وينبع الأعداد التالية :

١٩٠١م	٦٥٢٩	حاجاً[١٢]
١٩٠٦م	٥٩٠٧	من ميناء أوديسا الروسي فقط
١٩٠٧م	٥٥٥٥	من ميناء أوديسا الروسي فقط
١٩٠٨م	٣٥٢٤	من ميناء أوديسا الروسي فقط
١٩٠٩م	٢٦٠٠	من ميناء أوديسا الروسي فقط[١٣]
١٩١٠م	١٠٩٦٩	من موانئ البحر الأسود إلى كل من جدة وينبع والعودة
١٩١١م	١٣٥٣٩	من موانئ البحر الأسود إلى كل من جدة وينبع والعودة
١٩١٢م	٩٧٨٧	من موانئ البحر الأسود إلى كل من جدة وينبع والعودة
١٩١٣م	٧٢٤٤	من موانئ البحر الأسود إلى كل من جدة وينبع والعودة[١٤]

وقد استخدم بعض الحجاج الروس المتجهين إلى مكة المكرمة طرقاً أخرى بما فيها أقدمها وهي عبارة عن طرق القوافل المصرية والسورية والتي بدأت من كل من القاهرة ودمشق وكانت طرقاً مستخدمة بصفة تقليدية من قِبل الحجاج القاطنين في بلدان الشرق الأوسط . وكان طريق القوافل المصري مهماً لأن هذه القافلة كانت تحمل الكسوة الشريفة التي توضع على الكعبة ويتم استبدالها كل عام . وكان الحجاج يتجمعون في قافلة تنضم إليها عشرات الآلاف من الجمال وتحرسها كوكبة كبيرة مرافقة .

وعلى سبيل المثال عندما بدأت القافلة من دمشق في عام ١٨٩٨م كانت تحميها مجموعة من الجنود الأتراك مكونة من ٢٠٠ فارس و ١٥٠ جنديا على الجمال ومعهم مدفعان[١٥] . وكان هذا الطريق محفوفاً بالأخطار وطويلا جداً . لأن السفر من دمشق إلى مكة عن طريق المدينة كان يستغرق حوالي ٥٠ يوماً . وليس لدينا معلومات عن عدد الحجاج الذين استخدموا هذه الطرق في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن

العشرين . وبعد شق قناة السويس فقد تغير طريق القافلة من القاهرة وتوجه الحجاج أولاً من القاهرة إلى مينائي بورسعيد والسويس ومن ثم يركبون البواخر إلى جدة وينبع . ولكن حسب التقارير المعدة في القنصلية الإمبريالية الروسية في بورسعيد لم يستخدم الحجاج الروس هذا الطريق كثيراً وليس لدينا معلومات دقيقة عن عدد الحجاج الذين سافروا إلى مكة من القاهرة عبر هذا الطريق .

وفي بداية القرن العشرين عندما أنشئت سكة حديد الحجاز التي ربطت دمشق بالمدينة فقد بدأ بعض الحجاج الروس استخدام هذا الطريق لأنه كان مريحاً وسريعاً ورخيصاً مقارنة بالسفر بالبحر إلى ينبع أو جدة عن طريق السويس . وكان الحجاج الروس يصلون إلى بيروت أو يافا بالبحر . وحسب التقارير التي أوردها القنصل الروسي في دمشق استخدم أكثر من ٢٠٠٠ روسي هذا الطريق في عام ١٩٠٢م وقد زاد عدد مستخدمي هذا الطريق باستمرار وإن ن ببطء[١٦] .

وهنا نسأل سؤالاً هو كم كان عدد حجاج الروس الذين زاروا مكة والمدينة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ؟ للأسف لا يوجد عندنا إحصائيات دقيقة تجيب على هذا السؤال . كانت هناك عدة طرق للسفر متوفرة من روسيا إلى الجزيرة العربية ولم تأخذ القنصليات الروسية كل هذه الطرق أو كل أعداد الحجاج بعين الاعتبار وليس لدينا إلا أرقاماً تقريبية عنها وهي تشير إلى أن عدد الحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة سنوياً كان يبلغ حوالي ٢٠ و ٢٥ ألف نسمة[١٧] .

ومن ميزات إجراءات السفر لمسلمي روسيا إلى مكة والمدينة أنها لم تتعرض للمراقبة من قِبَل الإدارة الروسية كما لم ينظمها العلماء المسلمون دائماً . وعلى العموم تجمع عازمو الحج في جماعات صغيرة مكونة من ٣ إلى ٣٠ شخصاً[١٨] . وفي معظم الأحيان كانت هذه الجماعات من الحجاج من نفس القرية أو المجمع أو الحي . وكثيرا ما يكونون من نفس العشيرة أو الطبقة في المجتمع كأعضاء نقابة من الحرفيين أو التجار أو الطلبة من نفس المدرسة أو علماء من نفس القرية أو المدينة أو الولاية . وكثيراً ما كانت مجموعة ما تتكون من أقرباء أو أصدقاء أو مجموعة من نفس الطبقة أو كانت لهم ميزات أو مصالح مشتركة . وكان لهذه الجماعات زعماؤها المختارون

إمـا بالانتخـاب أو يرشحـهم العلمـاء المسـلمون الذيـن تسـتشيرهم هـذه الجماعات بشأن إجراءات الحج . وكان لتكوين جماعات الحجاج صفة مشتركـة في الفترة من بداية القرن التاسع عشـر حتى منتصف القرن . وفي نهايـة القرن التاسع عشر وبدايـة القرن العشريـن تم انتخاب وترشيح قادة الحجاج ليس فقط في الأماكن التي شكلت الجماعة فيـها، بل في موانئ البحر الأسود حيـث يبحـر منها الحجاج إلى مكـة والمدينـة . وكـان القادة عموما من الذين سبق لهـم القيام بالحج ولهم إلمام باللغـة العربيـة وكـانوا على علـم بـالطرق المؤديـة إلى الأمــاكن المقدسة . ومن مهام هـؤلاء القـادة أثنـاء السفر إلى الجزيرة العربية تنظيـم الأكـل وتسـديد ثمـن التذاكـر للسـفن وترتيــب الفنادق والحوانيت في كل من اسطنبول وبورسعيد والسـويس حيـث ترسـو فيـها السفن عند الذهاب والإياب[19] . وكـان هؤلاء القـادة يقومـون بـدور الوسطاء مـا بـين السـلطات الروســية والحجــاج بالإضافـة إلى تسجيل أسمـاء الحجــاج وشـراء تذاكرهـم وإكمـال الإجـراءات الرسمية بشأن جوازات سفرهم مع العلـم بأن هذه الخدمات لم تكن بالمجـان لأن كل حاج كان يدفع لهم بـين ١٠ – ٢٥ روبلا[20] . ومن أجل تقديـم تسـهيلات في إجراءات السـفر إلى الأمـاكن المقدسة أي إلى مكة والمدينة، ناقشت السـلطات الروسية مـع مجلـس الدولـة، وهـو من أعلى الأجهزة الرسمية، موضـوع تدوين اللوائح والقوانين لتسهيل السفر للحـج . وشـارك في المناقشــات ممثلــو وزارات الداخليـة والخارجيـة والعــدل والماليـة واستمرت المداولات من فبراير إلى يونيـو عام ١٩٠٣م وقد وصلوا إلى مشروع قانون صادق عليه الإمبراطور الروسي وظل هذا القانــون موضـع التنفيـذ حتـى عـام ١٩١٧م .

وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت عدة وكالات نشطة في مكـة متخصصـة في تقديـم خدمـات مختلفة للحجاج كتأجير البيوت والغرف في الأمــاكن المقدســة وفي جـدة وينبـع وتأجير الجمال لنقلهم من هناك وتوفير الأكـل لهـم أثنـاء السـفر وإخبـارهم عن مناسك الحج والطقوس الدينية المتبعة في الأماكن المقدسة . ولم تكن هذه الوكالات للعرب فقط بـل للمسلمين غير العـرب أيضاً كالأتراك والأفغان والفرس والهـود والتــتر والأندونيسـيين الخ... . وتـدل المعــلومات الــتي لدينــا بوجـود مجموعة من التتر الروس في مكة مكـرمة

من ٣١ أسرة يرأسها رجل اسمه عبد الستار وكانت هذه الأسر قد هاجرت في بداية الثمانينات في القرن التاسع عشر إلى الجزيرة العربية من أستراخان في جنوب روسيا . وكان عبد الستار يرأس الوكالة التي استقبلت التتر الذين جاءوا من روسيا[٢١] وأنشأ عبد الستار مسجداً ومدرسة بها ٤٠ حجرة (صفاً للطلبة) و٦ بيوت في مكة حيث ينزل فيها الحجاج التتر من روسيا . أما تكاليف بناء المسجد والمدرسة والبيوت فقد تبرع بها ليس جماعة التتر فقط بل الحجاج الروس والمسلمون من روسيا ككل . كما كان للوكالات ممثلون في البلدان الإسلامية عبر العالم . وتم تقسيم أراضي روسيا التي يسكنها المسلمون حسب عدد هؤلاء الممثلين الذين تولوا مسئولية تنظيم الحج في مقاطعاتهم في روسيا وكان هؤلاء الممثلون يعرفون باسم "الدلالون" أو "الوكلاء" . وكان الدلالون على اتصال وثيق مع العلماء المحليين وأعيان المسلمين في الإمبراطورية الروسية وكانوا مسئولين عن تنفيذ كافة الإجراءات بخصوص الحج لمن يسكن في مقاطعاتهم ولم تكن هناك أية منافسة بين الوكلاء لكسب الزبائن لأن الوكيل كان مسئولاً عن مقاطعته الخاصة ولم يسمح له أن يسافر إلى مقاطعة أخرى لكسب زبائن جدد[٢٢] .

إن أصحاب شركات البواخر الروسية ورؤساء مجالس إدارة الشركات التي نقلت الحجاج من موانئ البحر الأسود لمكة والمدينة نشروا بانتظام مواعيد رحلات البواخر المخصصة للحجاج بالإعلان عنها في الصحف والمجلات[٢٣] .

وقد وجدت في موانئ البحر الأسود التي تغادر منها البواخر حاملة الحجاج في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عدة وكالات متخصصة في نقل الحجاج وتنافست هذه الوكالات مع ممثلي الوكالات المتمركزين داخل الجزيرة العربية للحصول على أكبر عدد من الزبائن . وفي بعض الأحيان كان هناك وكلاء مستقلون كاليونانيين والأرمن والروس . وأذكر على سبيل المثال أنه في عام ١٩٠٣م فإن جميع الحجاج المتجهين إلى مكة من الميناء الروسي "فيودوسيا" اشتروا تذاكرهم من وكيل اسمه "ثيورايديس" وهو يوناني الأصل وكان يستأجر تذاكر الباخرة جملة ويبيعها للأفراد بأسعار التجزئة ويربح كثيراً .

وفي بداية القرن العشرين حاول مواطن روسي اسمه "سعيد أعظم باييف" يقيم في طشقند (مدينة في آسيا الوسطى) أن يحتكر تنظيم الحج لجميع الحجاج الروس القاطنين في روسيا وآسيا الوسطى . ووضع مشروعاً لإنشاء صالات خاصة مصممة للحجاج في كافة المحطات الكبيرة للسكة الحديد الواقعة بين طشقند وأوديسا. وكانت أوديسا آنذاك الميناء الذي تبدأ منه رحلة الحجاج . وعرفت هذه الصالات باسم "حاجي خانة" وكانت مقسمة للرجال والنساء وكذلك غرف الأكل حيث يقدم لهم اللحم الحلال وكذلك شيدت مساجد وغرف للصلاة في المحطات الرئيسية . ونفذ سعيد حملة إعلانات مدعمة من قِبَل السلطات الروسية لتلك المناطق وأيدتها حكومة الإمبراطورية الروسية . وقام سعيد بإنشاء ١٤ صالة للحجاج وبدأ بناء عربات خاصة وعربات مطعم بالقطارات للحجاج(٢٤) . استثمر سعيد أعظم باييف مبالغ ضخمة يملكها شخصياً له لتشييد الصالات والعربات والحافلات الخاصة . وكان على الحجاج الذين استخدموا هذه التسهيلات دفع رسوم إضافية قدرها ١٥٪ من قيمة التذكرة من طشقند الى جدة وينبع(٢٥) .

ومن التقارير التي صدرت من القنصل الروسي في جدة ومن ربابنة السفن التي نقلت الحجاج إلى جدة وينبع من موانئ البحر الأسود نفهم تفاصيل نقلهم إلى مكة والمدينة . وعلى العموم فإن الحجاج الذين ركبوا البواخر الروسية كانوا يحتلون أرخص المقاعد - الكبائن في الدرجة الثالثة وحتى السطح العلوي للسفن - لكن الحجاج الأثرياء من منطقة إمارة بخاري بصفة خاصة كانوا يحتلون المقاعد في الدرجة الثانية والدرجة الأولى وكانت السفن سريعة مجهزة بصالة للصلاة وتوفر فيها لحم مذبوح بطريقة حلال . وكان من بين طاقم السفينة طباخ مسلم . وكان على متن السفينة طبيب وكمية من الأدوية لمكافحة الأوبئة . وأعلنت لوحات الإعلانات على متن هذه السفن تفاصيل الرحلة كمدة الإرساء في الموانئ المختلفة ومواعيد الطعام الخ ... مطبوعة باللغات الإسلامية(٢٦) . وفي وقت لاحق أي في بداية القرن العشرين، بناءً على أمر من القيصر الروسي، وضعت لوائح صار ـة دقيقة لنقل الحجاج إلى الجزيرة العر ـة تحدد حتى عدد المراحيض على ـ تن

السفينة وتسهيلات أخرى(٢٧) . وبصفة عامة كانت السفن الروسية تصل بعد سفر يوم أو يومين، إلى اسطنبول حيث يقوم الحجاج فيها بزيارة المساجد وينتهز بعضهم الفرصة للانضمام إلى الجماعة إذا كان ذلك لم يتح له من قبل . ثم تتجه السفن إلى الإسكندرية وتصل إلى هناك بعد يومين أو ثلاثة أيام . ومن ذلك الميناء المصري يتحول معظم الحجاج بالقطار إلى السويس إلا إذا واصلت السفينة رحلتها عبر قناة السويس . وكان هذا السفر بطيئاً جداً ويستغرق حوالي أسبوعين . ومن السويس تبحر السفن إلى مينائي جدة وينبع وامتلكت هذه السفن شركتان مصريتان هما "ماجري ريني" و "الشركة الخديوية" احتكرتا جميع النقليات في البحر الأحمر . وكانت الرحلة تستغرق عموماً حوالي ٣ أو ٤ أيام . وإذا أبحرت السفن الروسية مباشرة إلى جدة وينبع فإنها تصل إلى الإسكندرية بعد ٥ أو ٦ أيام فقط(٢٨) . وبعد الوصول لتلك الموانئ ...كل الحجاج قافلة كبيرة تحت ...اية الجنود الأتراك . وفي طريقها من ...دة إلى مكة المكرمة تتعرض القوافل ...ا لهجمات من القبائل وقد بلغ عدد ...ى في هذه الهجمات في عام ١٩٠٣م حوالي ٤٠ نسمة ونقلت جثثهم إلى متن السفينة(٢٩) . وكان القنصل الروسي الإمبريالي في جدة أو وكيله في ينبع يجتمع مع الحجاج بعد تسجيل جوازاتهم من قِبَل السلطات التركية قبل سفرهم . وعادة يمضي الحجاج الروس عدة أيام في جدة ويقيمون في فنادق خاصة تسمى "تكية" أنشأ ٤ منها الحجاج الأثرياء من إمارة بخارى وأقاليم روسيا في آسيا الوسطى . وعلى العموم كانت هذه الفنادق مزدحمة ويسكن الحجاج في خيام خاصة لهم أو في سرايات(٣٠) . وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فإن معظم الحجاج الروس الذين قدموا إلى مكة من مينائي جدة وينبع تركوا أموالهم أمانة لدى القنصل الإمبريالي الروسي في جدة أو لدى الأغنياء المحليين الذين يرجعون هذه المبالغ لهم لدى عودتهم لتغطية مصاريفهم أثناء العودة وكذلك للحفاظ عليها ضد نهبها وهم في طريقهم إلى مكة(٣١) . يستغرق السفر من جدة إلى مكة يومين أو ٣ أيام وكان محفوفاً بالمخاطر .

ويسكن الحجاج الروس في مكة في الفنادق الخاصة (تكية) . وكانت تقدم

خدمات متخصصة لهم . وكان عددها ثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وكان قد أنشأها الحجاج الروس الأغنياء[٣٢] . وكان في المدينة مدرسة خاصة للطلاب الروس خاصة التتر وفي بعض الأحيان استخدم مبنى المدرسة لسكن الحجاج الروس[٣٣] . ويتوجه الحجاج من المدينة إلى ينبع حيث يركبون السفن هناك في طريقهم إلى موانئ البحر الأسود. وكانت السلطات الروسية في المناطق التي سكن فيها المسلمون وكذلك الحكومة المركزية تساعد الحجاج بطرق مختلفة . فالحجاج الروس مثل الحجاج الآخرين الذين زاروا مكة كانوا يحملون معهم أشياء تذكارية اشتروها أو جمعوها من مكة . وهي بصفة عامة عبارة عن :

١ – ماء مقدس من بئر زمزم الواقع بالقرب من الكعبة معلب في علب خاصة قصديرية

٢ – مسابح خشبية

٣ – التمر في علب ورقية

٤ – عمائم

٥ – مساويك

وفي عام ١٩٠٣م سمحت دائرة الجمرك الروسي للحجاج بهذه الأشياء التذكارية دون فرض رسوم عليها[٣٤] على ألا تزيد على عمامتين ومسبحتين .

وقد طلبت وزارة الخارجية الروسية في ١٩٠٣م من جميع السفراء والقناصل الروس المبعوثين إلى البلدان الأوروبية والمدن التي يسافر منها الحجاج لمكة المكرمة أن يدرسوا القوانين واللوائح المحلية عن الحج وأوضاع الحجاج بقصد تقديم توصياتهم لتنظيم إجراءات الحج من الأراضي الروسية[٣٥] .

وفي عام ١٩٠٨م سافر نائب من البرلمان الروسي (دوما) "أو. ش. سرتلانوف" وكان رئيسا للفريق الإسلامي فيه، إلى أوديسا (وهي ميناء على البحر الأسود) خاصة ليدرس المشاكل التي واجهها الحجاج وهم في طريقهم إلى الجزيرة العربية . وقد أدت هذه الزيارة لاحقاً إلى تأسيس "جمعية روسية لمساعدة الحجاج" في عام ١٩٠٩م صادق على ميثاقها وزير الداخلية وقدمت تسهيلات عديدة للحجاج الروس المغادرين من موانئ البحر الأسود إلى الجزيرة العربية[٣٦] . وكان الغ نمن

الأساسي من تأسيس هـذه الجمعيـة هـو مد يد المساعدة مادياً ومالياً للفقراء مـن الحجاج مثل شراء التذاكر ومنح الأمـوال لتغطية مصاريف الحج .

وهناك سؤال آخر يحتاج إلى إجابـة وهـو مـاهي الولايـات في الإمبراطوريـة الروسية التي سافر منها أكـبر عـدد مـن الحجاج إلى مكة ؟ ومن الصعب أن نجد إجابة لهذا السؤال بدقة لكل الفترة مـن نهاية القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشريـن . ورغـم ذلـك فإننـا سـنحاول الإجابـة علـى هـذا السـؤال اسـتناداً إلى المعطيات التي يتضمنها الأرشيفان _ أي الأرشيفـــات الرسميـــة التاريخيـــة والأرشيفات البحرية المركزية للفيدراليـة الروسية .

وطبقاً للتقارير الصـادرة مـن رئيـس محافظـة تركسـتان الـتي كـانت تضـم ـراضي واسعة من آسيا الوسطى الروسية ستثناء إمارتي "خيـوا" و"بخـارى" في ـية القرن العشريـن فـإن البيانـات ـاردة فيها على النحو التالي :

الولاية	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨م
سيرداريا	٨٠١	٦٢٥	٤٣٩
سمرقند	٣٢٩	٥٣٩	٣٦٥
فــرغنة	٤٢٠٤	٤١٥٤	٢٢٧١
سميريشيا	٦٤٣	.....	.....
عبر قزوين	٤٠٥	٤٤٤	٦٣٥(٣٧)

توجـد لدينـا بيانـات لعـام ١٨٩٦م جمعتـها وزارة الداخليـة للإمبراطوريـة الروسية حول السفر للجزيرة العربية من أنحـاء روسـيا المختلفـة . وحسـب تلـك البيانـات الـتي لم تكـن كاملـة لأنـها اقتصرت على الحجاج الذين سـافروا إلى مكة مـن ميناء أوديسـا فحسـب، كـان العدد لذلك العام ١٨٢١ . وانتمى هـؤلاء الحجاج للولايات المختلفة كالآتي :

أقاليم القوقاز الشمالية	٦٩٥
أقاليم عبر القوقاز	٣٩٢
أقاليم تركستان	٢٧٤
أقاليم إمارة بخارى	٢٣٥
أقاليم إمارة خيوا	١٧
أقاليم روسيا الأوروبية	١٥٢
أقاليم سيبيريا والأورال	٥٦

وفي نفس العام كان عدد الحجاج الروس الذين سافروا إلى مكة عن طريق أفغانستان والهند ١٣٧٠ وكان معظمهم من الولايات التالية :

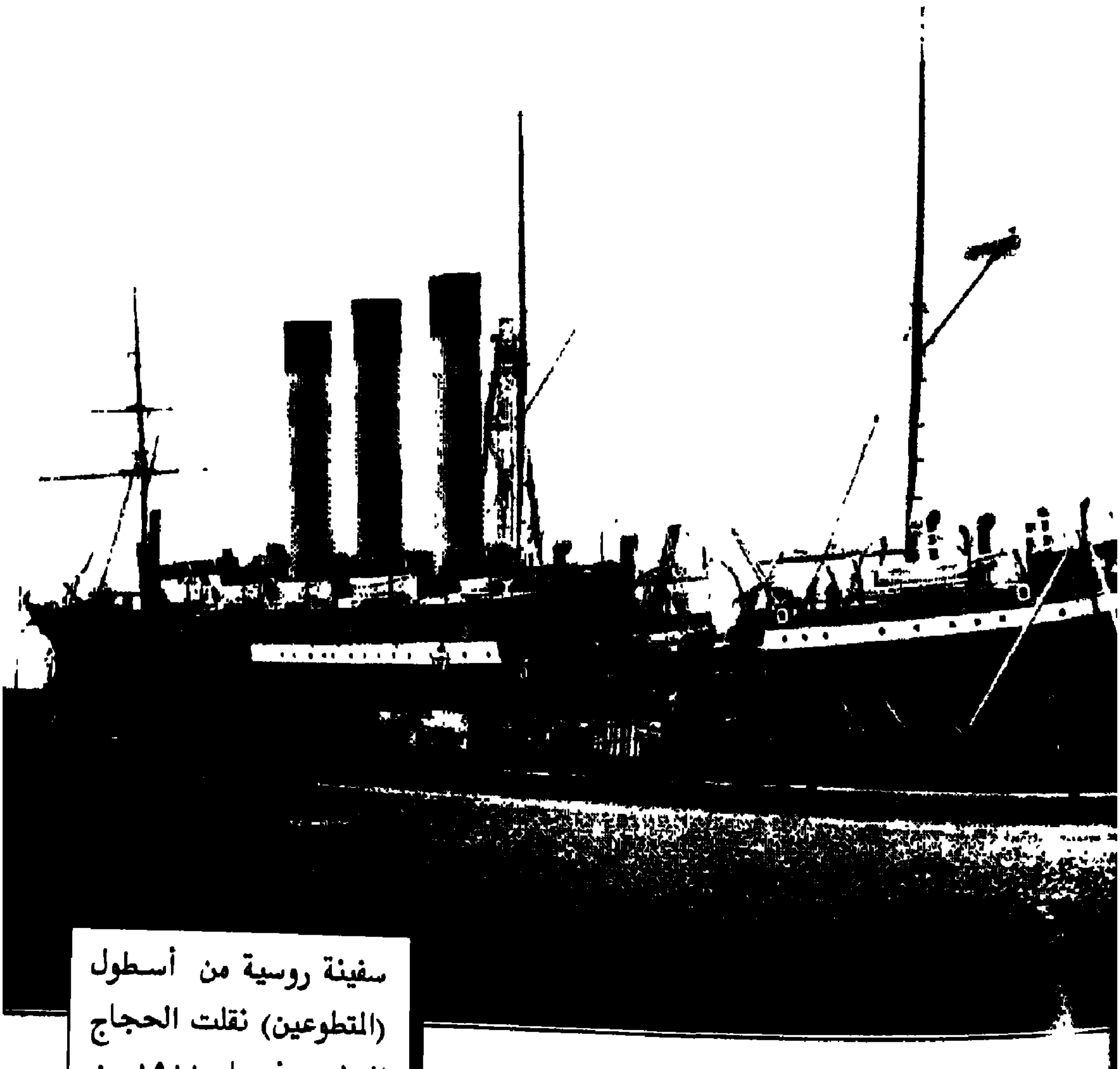
فرغنة	١٠٥٣
بخارى	١٦٧
تركستان (الحاكم العام)	١٢٨
إمارة خيوا	١٣
عبر القوقاز وشمال القوقاز	٢٠٧ (٣٨)

تشير هذه البيانات إلى أن أكبر عدد من الحجاج الذين سافروا للحج إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة من الإمبراطورية الروسية كانوا من آسيا الوسطى والمناطق عبر القوقاز وشمال القوقاز وإمارة بخارى . وأن أكبر عدد من الحجاج الروس من آسيا الوسطى كان من ولاية فرغنة . ويرجع سببه إلى الحقيقة بأن هذه المنطقة من إقليم تركستان سكن فيها أكثر المتدينين وهم أكثر ثروة مما سهل عليهم هذا السفر الطويل . والسبب الآخر لوجود أغلبية من فرغنة من بين الحجاج هو تواجد عدة جمعيات صوفية وتنظيمات دينية

في فرغنة ذات قوة وثروة تمكن أعضا
من القيام بالحج .

وبالنسبة إلى التأثير الاقتصـ
والثقافي للحجاج الروس على نمط الـ
في الجزيرة العربية آنذاك نريد أن نؤ
على جانب واحد فحسب . فقد ـ
الحجاج معهم بمبالغ ضخمة ليس
من ٣٠٠ روبل لكل حاج وكان يصـ
من هذا المبلغ لتغطية مصاريف الـ
والطعام والانتقال والأشياء التذكار
الخ... . ونظراً لأن الحجاج الروس ـ
عددهم ٢٠,٠٠٠ نسمة فكان حـ
الاستثمار سنوياً في اقتصاد الجز
العربية ليس أقل من ٦ ملايين روبل

كان الناس في الحجاز حريصـ
على أن يتعرفوا على روسيا وثقافتـ
وكانت السفن الروسية التي نقا
الحجاج إلى جدة وينبع تسمح لـ
تلك المدن بزيارتها ، ورحبت بهم
متنها لمجرد التسلية والنزهة . وتو
معلومات كثيرة حول هذه الزيـ
لأنها أعطت للزوار انطباعاً جيداً بـ
ترف تجهيزاتها ونظافتها . وتتـ
أرشيفات البحرية المركزية للفيدرا
الروسية عدة تقارير عنها (٣٩) . ـ
القنصل الروسي الإمبريالي في جدة



سفينة روسية من أسطول
(المتطوعين) نقلت الحجاج
المسلمين في عام ١٩١١ من
روسيا إلى مكة المكرمة

جميع السفن الراسية في هذا الميناء بصفته ممثلاً رسمياً لإمبراطورية روسيا بقصد تحسين العلاقات بين روسيا وبين الحجاز . وكان يرسل تقاريره بانتظام للسفير الروسي في اسطنبول على أساس أن الحجاج كانوا عنصراً هاماً في إنشاء وتعميق روابط الصداقة بين سكان الجزيرة العربية وبين روسيا[٤٠] .

ومن بين التأثيرات الثقافية التي تأثرت بها الجزيرة العربية عن طريق الحجاج الروس في الحياة اليومية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تبني "السماور الروسي" أي إبريق الشاي الذي كانت روسيا تصدره إلى بلدان الشرق الأوسط بكميات كبيرة . واشتراه تجار الشرق الأوسط من روسيا وقامت شركات روسية بتصديره إلى الإمبراطورية العثمانية والجزيرة العربية .

وكانت هناك وسيلة أخرى لترويج هذه الأدوات المنزلية المستخدمة في الحياة اليومية وهي أن الحجاج الروس الذين جاءوا بسماور معهم (أباريق الشاي) لم يأخذوها معهم عند العودة[٤١] وباعوها لأصحاب الفنادق والسرايات والتجار الخ ... للحصول على بعض الأموال لتغطية مصاريفهم للعودة . وفي نفس الوقت قاموا بترويج "السماور" في المجتمع العربي في الجزيرة العربية .

خلاصة

نستطيع أن نرد على الأسئلة التي طرحناها في بداية هذا المقال ونقول :

إن الحجاج الروس سافروا إلى مكة بثلاثة طرق :

١ - الطريق الشمالي - من الموانئ الروسية على البحر الأسود بالبواخر عن طريق اسطنبول إلى مينائي جدة وينبع في الحجاز . ومن هناك على ظهور الجمال .

٢ - الطريق عبر القوقاز - من مدن القوقاز في الإمبراطورية الروسية إلى بغداد عن طريق النجف وكربلاء ومن هناك بالجمال والخيول وحتى بالسير على الأقدام إلى مكة المكرمة .

٣ - الطريق الجنوبي - من مدينة سمرقند عن طريق مزار شريف وكابول وممر خيبر في أفغانستان إلى بيشاور ثم بالقطار إلى ميناء بومبي ومن بومبي إلى جدة وينبع بالبحر.

إن معظم الحجاج الروس كانوا من مناطق آسيا الوسطى لإمبراطورية روسيا وولايات شمال القوقاز وعبر القوقاز وإمارة بخارى .

وتم تنظيم نقل الحجاج الروس إلى الجزيرة العربية بواسطة ممثلي شركات خاصة بمكاتبها الرئيسية في الجزيرة العربية والإمبراطورية الروسية وكانت شركات متخصصة في تقديم خدمات متنوعة للحجاج كما ساعد زعماء الجماعات أنفسهم في تنظيم نقل الحجاج .

ومن الصعب أن نحدد عدد الحجاج الروس الذين زاروا مكة كل سنة بدقة بسبب فقدان الإحصائيات الشاملة والدقيقة وكذلك بسبب التغيير في أعداد الحجاج من حين لآخر ولكن يمكن لنا أن نقول بأن هذا العدد كان في حدود ٢٠ إلى ٢٥ ألف حاج سنوياً .

تقول الوثائق الموجودة في الأرشيفات التاريخية الروسية وأرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية وهما في سان بطرس بورج بأنه، في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كانت الاتصالات بين الإمبراطورية الروسية وأقاليم الجزيرة العربية وطيدة في المجالين الاقتصادي والثقافي . ومن أهم مكونات هذه الاتصالات تأدية فريضة الحج . إذ قام آلاف الحجاج الروس بزيارة مكة كل عام ليس فقط من أجل تأدية فريضة الحج، بل أيضاً من أجل توسيع العلاقات الودية بين روسيا وأقاليم الجزيرة العربية . واستخدم الحجاج فرصة الحج لتوسيع معلوماتهم عن الأقاليم العربية وتقاليد القبائل العربية وثقافتهم وعن سكان الحجاز .

ملاحظات

١ - إن كلمة "صندوق" تشير إلى مجموعة الوثائق التي تتعلق بشخص خاص أو تنظيم أو دائرة رسمية أو وزارة الخ ... من حيث تصنيفها وله أرقام مرفقة معه . وتكون لكل صندوق عدة قوائم عند الجرد وهي تدل على مجموعة من الوثائق المرتبة مع بعضها البعض من حيث مصدرها أو توقيتها الخ ...

ترجمة الوثيقة الروسية

١١٧ إلى : آي أي . بكلميشيف

صاحب السمو الملكي،
امتثالاً لرغبة سموكم الملكي في الإطلاع على المعلومات التي جمعها ربابنة بواخر شركة "أسطول المتطوعين" حول نقل الحجاج من موانئ البحر الأحمر إلى فيودوسيا، يسرني أن أقدم مقتطفات من تقارير رباني باخرتين "إس - بطرس برج" و"ساراتوف" . وقد وصلت هاتان الباخرتان إلى مينائي جدة وينبع في ربيع هذا العام لنقل الحجاج عند عودتهم

خادم سموكم الملكي المخلص

ن - فوروبيف

٢٠ مايو ١٩٠٣م

ن – ١٧٠٣

إلى صاحب السمو الإمبراطوري الأمير المعظم اسكندر ميخايلوفيش

من أرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية

صندوق – ن ٢٩ جرد ن ٨ ملف ن ١١٧

من مكتب حاكم عام تركستان – ن ٦٠٠

معلومات عن عدد الحجاج الذين زاروا مكة والمدينة وإيران في السنوات الثلاث الأخيرة

منطقــة	ولايــة	١٩٠٦م	١٩٠٧م	١٩٠٨م
سيرداريا	طشقند	٣٣٩	١٩٩	١٥٨
	ولاية طشقند	٣١٠	٢٣٣	١٢٠
	ولاية شمكنت	٨٠	١٢٧	٩٣
	بيروفسكي	١٢	١٩	٣٤
	ولاية كاذالنسكي	١٨	٨	٦
	إيلياتنسكي	٤٢	٣٩	٢٧
	دائرة أموداريا	–	–	١
المجموع	....	٨٠١	٦٢٥	٤٣٩
سمرقند	سمرقند	٩٦	٢٥٩	١٠٥
	كاتاكرجان	٥٩	٧٣	٣١
	جيزاك	٣٦	٦٠	٧٢
	خوجنت	١٣٧	١٤٧	١٥٧
المجموع	....	٣٢٨	٥٣٩	٣٦٥
فرغنة	مرجلان	١٣٨٨	١٣٤٨	٨٠٨
	كوكند	٤٥٢	٦٩٠	٤٣١
	انديشان	١٤٦٥	١٢١٩	٣٩١
	نامنغان	٦٩١	٦٦٩	٥١٤
	اوش	٢٠٨	٢٢٨	١٢٧
المجموع	....	٤٢٠٤	٤١٥٤	٢٢٧١

منطقة	ولاية	١٩٠٦م	١٩٠٧م	١٩٠٨م
سميرشنك	فرني	في ٣ سنوات		١٢٩
	كوبالسك	في ٣ سنوات		٤٥
	لبسنك	في ٣ سنوات		٣٤
	جاركنت	في ٣ سنوات		٦٩
	برشفالسك	في ٣ سنوات		١٢٦
	بيشبيك	في ٣ سنوات		٢٤٠
المجموع	....	....	....	٦٤٣
عبر القوقاز	مرف	١٠	١٧	١٠
	تيجين	٩	٥	٩
	أشكاباد	٣٤٥	٣٩٢	٥٧١
	كراسنوفودسك	٣١	٣٠	٤٣
	منجيشلك	١٠	–	٢
المجموع	....	٤٠٥	٤٤٤	٦٣٥

ملاحظات:

حسب تقارير جمرك ميناء أوديسا كان عدد الحجاج في عام ١٩٠٦م ٥٩٠٧ نسمة وفي عام ١٩٠٧م ٥٥٥٥ نسمة وفي عام ١٩٠٨م ٣٥٢٤ نسمة وكان المجموع للسنوات الثلاث ١٤٩٨٦ نسمة .

وقد مر ١٩٧ نسمة بجمرك خيفاباد إلى إيران من أقاليم كل من سيرداريا وفرغنة وسمرقند

فيرخوفاتسكي/ رئيس المكتب بالنيابة

أرشيفات روسيا التاريخية الرسمية، صندوق ن ٨٢١، جرد ن ٨ ملف ن ١١٩٦

الهوامش

١ - "موسوعة روسيا" - ف. أ. بروك غازس و أ ي إيفرون - سان بطرسبورج ١٨٩٨م الطبعة الثانية ١٩٩١م - سان بطرسبورج . ص ٧٥ باللغة الروسية .

٢ - قصة ابن بطوطة . كمبريدج ١٩٨٥م ص ٢٦ .

٣ - أ. م. فاسيليف "تاريخ العربية السعودية" (١٧٤٥ - ١٩٧٥م) ص ٢٢٨ (باللغة الروسية) .

٤ - اي. اي. بيكون "آسيا الوسطى تحت الحكم الروسي" - دراسة في التغيير الثقافي - مطبعة جامعة كورنيل - إيتاكا - نيويورك - ١٩٦٦م ص ١١٢ .

٥ - الأرشيفات التاريخية للدولة الروسية، الصندوق ن - ٩٥، فهرس الجرد ن - ٤، الملف ن - ٧٢٦ . وزارة الداخلية للإمبراطورية الروسية، دائرة التجارة والملاحة، تقرير للقنصل الإمبريالي الروسي في اسطنبول - ص ٣٣ .

٦ - الأرشيفات التاريخية للدولة الروسية، الصندوق ن - ٨٢١، فهرس الجرد ن - ٨، الملف - ن ٧٢٦ . وزارة الداخلية للإمبراطورية الروسية . دائرة التجارة والملاحة . تقرير للقنصل الروسي الإمبريالي في جدة . ص ٣٢ .

٧ - المصدر السابق ص ٣٢ - ٣٣ .

٨ - المصدر السابق ص ٣٢

٩ - الأرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية، صندوق ن ٢٩، ن. ن. بشليميشيف، قائمة الجرد ن ١، ملف ن ٨، حول موضوع الهجرة من روسيا، مقتطفات من تقرير القنصل الإمبريالي الروسي في جدة بتاريخ ١٨ أبريل ١٩٠٣م ص ١٢٧ .

١٠ - الأرشيفات الرسمية الروسية، صندوق ن ٩٥ قائمة الجرد ن ٤ ملف ن ٧٢٦، دائرة التجارة والملاحة، ص ٣١ وصندوق ن ٨٢١، قائمة الجرد ن ٨، ملف ن ١١٧٠، رحلات الحجاج الروس إلى مكة والمدينة، ص ٣٤ .

١١ - الأرشيفات الروسية التاريخية الرسمية المركزية - صندوق ن ٨٢١ قائمة الجرد ن ٨ ملف ن ١١٧٠ رحلات مسلمي الروس إلى مكة والمدينة، ص ٣٤ .

١٢ – المصدر السابق – ن ١١٥١ – قائمة الجرد ن ١٥، ملف ن ٢٦٦ – حول إعداد اللوائح المؤقتة للحجاج ،ص ١٩ .

١٣ – نفس المصدر – صندوق ن ٨٢١ – قائمة الجرد – ن ٨ – ملف ١١٩٦، رحلات الحجاج الروس إلى مكة والمدينة، ص ٤٤ و ٦٣ .

١٤ – المصدر السابق ن ٩٨ – الجرد ن ٦ – ملف ن ١٨ "تقرير أسطول المتطوعين" ص ٣ و صندوق ن ٩٨ و جرد ن ٦ – ملف ن ٣٣ وتقرير أسطول المتطوعين ص ٤ .

١٥ – المصدر السابق ن ٩٥ – جرد ن ٤ – ملف ن ٧٢٦، دائرة التجارة والملاحة ص ٣٧ .

١٦ – المصدر السابق – صندوق ن ٨٢١ – جرد ن ٨ – ملف ن ١١٩٦، رحلات الحجاج الروس إلى مكة والمدينة ص ٧٢ .

١٧ – الصحيفة الروسية "نيو تايمز" – ٢٥ نوفمبر ١٩٠٨م – ن ١١٧٤٩ – "ا. منشيكوف" – الاحترام للإسلام .

١٨ – الأرشيفات الرسمية التاريخية الروسية – صندوق ن ١١٥١ – جرد ن ١٥ – ملف ن ٢٦٦، اللوائح المؤقتة للحجاج المسلمين – تبناها مجلس الدولة للإمبراطورية الروسية في عام ١٩٠٣م، ص ١٨ – ١٩ .

١٩ – نفس المصدر السابق – ص ١٠ "نيو تايمز" ٢٥ نوفمبر ١٩٠٨م – ن ١١٧٤٩ "ا. منشيكوف" – الاحترام للإسلام .

٢٠ – الأرشيفات الروسية التاريخية الرسمية صندوق ن ٩٥ – جرد ن ٤ ملف ن ٧٢٦ دائرة التجارة والملاحة ص ٣١ .

٢١ – الأرشيفات الروسية التاريخية – صندوق ن ٨٢١ – جرد ن ٨ – ملف ن ١١٧٠، دائرة التجارة والملاحة، ص ٧٢ .

٢٢ – نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

٢٣ – أرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية، صندوق ن ٢٩ – جرد ن ١ – ملف ن ٨، "عن الهجرة من روسيا" ص ١٣٨ .

٢ – الجريدة الروسية "نيو تايمز" بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩٠٨م ن ١١٧٤٩ "أ. منشيكوف" – الاحترام للإسلام

– نفس المصدر السابق – آي. إم. .

– الأرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية – صندوق ن ٢٩ – جرد ن ١ – ملف ن ٨ " الهجرة من روسيا – ص ١٢٤ – ١٢٦ – ١٥٤ .

٢٧ - الأرشيفات التاريخية الروسية المركزية، صندوق - ن ١١٥١ - جـرد ن ١٥ - ملف ن ٢٠٦ - القوانين المؤقتة للحجاج المسلمين - ص ٢٤ .

٢٨ - الأرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية، صندوق ن ٢٩ - قائمـة ن ١ - ملف ن ٨ - "الهجرة من روسيا" ص ١٢٣ - ١٢٥ .

٢٩ - الأرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية، صندوق ن ٢٩ - جرد ن ١ - ملف ن ٨ - عن "الهجرة من روسيا" ص ١٤٧ .

٣٠ - الأرشيفات الروسية التاريخية الرسمية، صندوق ن ٩٥ - جرد ن ٤ - ملف ن ٧٢٦ - دائرة التجارة والملاحة، ص ٣٨ - ٣٩ .

٣١ - الأرشيفات التاريخية المركزية - صندوق ن ٩٥ - جرد ن ٤ - ملف ن ٧٢٦ - دائرة التجارة والملاحة، ص ٣٩ .

٣٢ - نفس المصدر السابق ص ٧١ .

٣٣ - الأرشيفات الروسـية التاريخيـة الرسميـة - صنـدوق ن ٩٥ - جـرد ن ٤ - ملـف ن ٧٢٦ - "دائرة التجارة والملاحة" ص ٧٣ .

٣٤ - الأرشيفـات الروسـية التاريخيـة الرسميـة - صنـدوق ن٨٢١ - جـرد ن ٨ - ملـف ١٩٩٦ "رحلات المسلمين إلى مكة والمدينة" ص ٤ - ٧ .

٣٥ - الأرشيفـات الروسـية التاريخيـة الرسميـة - صنـدوق ن ١٩٥ - جـرد ن ٨ - ملـف ن ٧٢٦ "دائرة التجارة والملاحة" ص ٩٩ .

٣٦ - الأرشيفات الروسـية التاريخيـة الرسميـة - صنـدوق ن ٨٢١ - جـرد ن ٨ - ملـف ن ١١٩٦ "رحلات المسلمين إلى مكة والمدينة" ص ٦٩ - ٧٠ .

٣٧ - الأرشيفات الروسـية التاريخيـة الرسميـة - صنـدوق ن ٨٢١ - جـرد ن ٨ - ملـف ن ١١٩٦ "تقرير الحاكم العام لتركستان لعام ١٩٠٩م ص ٦٣ .

٣٨ - الأرشيفات الروسية التاريخية الرسمية - صندوق ن ٩٥ جرد ن ٤ - ملف ن ٧٢٦ - تقارير المحافظين والحاكم العام لتركستان، ص ٣٤ - ٣٥ .

٣٩ - أرشيفات البحرية المركزية للفيدرالية الروسية - صندوق ن ٢٩ - جـرد ن ١ - ملـف ن ٠٨ تقرير لقبطان الباخرة "ساراتوف" ص ١٤٣ .

٤٠ - نفس المصدر السابق - ص ١٤٧ - ١٤٨ .

٤١ - نفس المصدر السابق - ص ١٥٠ - ١٥١ .

العلاقات التجارية بين روسيا والخليج العربي

من خلال الوثائق التاريخية لعام "١٩٠٦-١٩١٤م"

بقلم : الدكتورة يافعة يوسف جميل
جامعة سان بطرسبورج

يشتمل الأرشيف الروسي الحكومي التاريخي في مدينة سان بطرسبورج على المواد التاريخية من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين ، أي إلى ١٩١٧م. ومن ضمن هذه المواد، يشتمل هذا الأرشيف على الوثائق والرسائل والمذكرات وما شابه ذلك المتعلقة بدول الخليج العربي .

وتتيح لنا مواد الأرشيف التي تصفحناها الإجابة على مجموعة من الأسئلة. فقد تصفحنا ثماني إضبارات وتوصلنا إلى النتائج التالية : إن أغلب المواد في هذه الإضبارات تدور حول خط



الملاحة الفارسي من أوديسا إلى البصرة وبالعكس وكانت السفن تتردد على الموانئ التالية : القسطنطينية، أزمير، بيروت، يافا، بور سعيد، السويس، جدة، جيبوتي، عدن، مسقط، بندر عباس، لنجه، بوشير، البصرة والعكس .

وتحتوي هذه الإضبارات على جدول الرحلات الأربع التي تقوم بها السفن الروسية التجارية سنويا، وفي جدول الرحلات يحاولون أن توافق الرحلة الثالثة موسم التمر في البصرة، والرحلة الرابعة موسم الحج وذلك لنقل الحجاج من جدة وبالعكس .

الوثيقة ـ ١٣٩

وفي أغلب هذه الإضبارات وثائق ورسائل عن مواعيد دخول ومغادرة هذه السفن لموانئ هذا الخط الفارسي ومنها ميناء مسقط وميناء جدة .

وتحتوي هذه الإضبارات أيضاً على تقارير عن رحلات السفن الأربع، وتشمل التقارير نوع البضائع والحمولة التي تحملها السفينة من وإلى كل ميناء .

وفي بعض الرسائل والوثائق، تطلب الشركة الروسية للملاحة والتجارة الدخول وبصورة اختيارية إلى كل من مينائي البحرين والكويت، وهذا ما نلاحظه في الإضبارة رقم ٢١٤٢ لعام ١٩١٣م[١] فإن البحرين والكويت كانتاتدخلان ضمن جدول الرحلات كموانئ اختيارية وذلك لأن بعض الوثائق تتوقع لهذين المينائين مستقبلاً جيداً كما هو مذكور في الوثيقة في الإضبارة رقم ٢٢٠٦ لعام ١٩١٤م[٢] .

إن كثيراً من وثائق هذه الإضبارات تحمل صفة استعلامية وبخاصة تلك الوثائق التي تؤكد على مواعيد رحلات السفن، وعن مواعيد دخول ومغادرة السفن موانئ هذا الخط. والتقارير عن هذه السفن وهذا ما تؤكده لنا بعض الوثائق في الإضبارة رقم ١٨٦٨ لعام ١٩٠٨م[٣] .ونحن في بحثنا هذا اخترنا المواد والوثائق التي جذبت انتباهنا بصورة أكثر وترجمناها، ومنها الخطة لمد سكة حديد بغداد، وسكة حديد بيروت وهي الخطة التي كانت تناقض المصالح العسكرية والاقتصادية والسياسية الروسية، وتظهر هواجس الروس من هذا الخط وهذا ما تؤكده لنا الوثائق في الإضبارة رقم ٢٢٠٦ لعام ١٩١٤م[٤] .

وتتعلق بعض الوثائق بوجهة نظر الإنجليز السلبية عن هذه الرحلات التجارية الروسية وعن نوايا الإنجليز في منطقة الخليج وهذا ما تؤكده الوثائق في الإضبارة رقم ١٨٢٤ لعام ١٩٠٨م[٥]، والإضبارة رقم ١٩٢٢ لعام ١٩٠٩م[٦] .

وهناك وثائق ورسائل تتعلق ببعض وكلاء الشركة الذين كانوا يضعون مصالحهم الشخصية فوق مصالح الدولة ومنها الوثائق والرسائل والمذكرات المتعلقة بوكيل الشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة درويشيان والذي يؤكد على نقل الكيروسين وعدم نقل الحجاج. مقتطفات من هذه الوثائق أخذت من الإضبارة رقم ٢٠١٨ لعام ١٩١١م[٧]، والإضبارة رقم ٢٢٠٦ لعام ١٩١٤م[٨] .

وفي وثيقة في الإضبارة رقم ٢٠١٨ لعام ١٩١١م[٩] معلومات عن دور الحرس القوزاق في حفظ النظام على السفن الروسية .

أما وثائق الإضبارة رقم ٢٢٠٦ لعام ١٩١٤م[١٠] فتؤكد على ضرورة الحفاظ على الخط الفارسي وزيادة عدد الرحلات إلى ست رحلات في السنة، وعن هواجس الروس من عدم استمرارية هذا الخط .

[illegible]

١ - الوثيقة صفحة ٩٤ من الإضبارة

رقم ٧/ ب.ل ٨

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

٣ نيسان ١٩٠٧

رقم الختم : ٩٢٤

تاريخ الختم ٦ نيسان ١٩٠٧م

إلى إدارة الشركة في سان بطرسبورج

حملت سفينة "الفرات" حوالي ٨٠٠ حاج روسي في رجوعها حسب الجدول المقرر وهي تقوم برحلتها الأولى على الخط الفارسي .

ونظراً لإرسال السفينة المذكورة بعيداً عن ميناء القسطنطينية، إلى أوديسا لتقوم بالحجر الصحي، لذا يبلغ المكتب الرئيسي الإدارة بالأمر، والإدارة بدورها تنقل الخبر إلى قسم الملاحة والتجارة .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

٢ – الوثيقة صفحة ٤٤ – ٤٥ من الإضبارة
النسخة غير أصلية "مصدق عليها"

السفينة التجارية الثانية للشركة الألمانية "**Hamburg - America - Linic**" ، السفينة التي دخلت الآن الخليج، كانت ذات ساريتين واسمها سيسيليا **(Cicilia)** وزنها ١٨٦٥ طناً وسرعتها ١١ ميلاً .

دخلت السفينة المذكورة الموانئ بحسب الترتيب التالي وقامت بالعمليات التالية :

١٠ أيلول دخلت مسقط وأفرغت ٢٨٨ مكاناً من حمولتها من بينها ٤٠ صندوقاً من الأسلحة والرصاص . وتركت مسقط مساء نفس اليوم وحملت على متنها ٣ ركاب إلى لنجه وبوشير .

١١ أيلول صباحاً وصلت إلى بندر عباس وأفرغت ٣٧٠ صندوقاً من الكبريت و٨ أماكن من المنسوجات . وتركت بندر عباس ليلاً في ١١ أيلول وأخذت معها كيسين من السمك المجفف و١٨ راكباً إلى البصرة بـ ٩ روبيات لكل واحد وراكباً واحداً إلى لنجه بـ ٣ روبيات .

في ١٢ أيلول في الساعة الثانية بعد الظهر وصلت لنجه وأفرغت ٨٧٣ مكاناً من حمولتها فقط من بينها ١٥٠ صندوق معكرونة و٣٥٦ صندوقاً من السكر و٣٠٠ صندوق من السكر المكرر و١٠ أماكن من المنسوجات و٥٧ مكاناً غيرها من البضاعة، وتركت لنجه في ١٣ أيلول ظهراً وأخذت منها ١٥ كيساً من السمك المجفف و١٠ أكياس من الأرز للبحرين و٢٦ راكباً للبصرة .

١٤ أيلول ظهراً وصلت البحرين وأفرغت ٦٦٨ مكاناً فقط من حمولتها ومنها ٣٠٠ صندوق من السكر المكرر و٣٠ صندوقاً من المعكرونة ومكانين من المنسوجات و٥ أماكن من الأواني ، و٤٠ مكاناً من الأقمشة و١٥ صندوقاً من الكبريت، و٥ صناديق من الحديد وصندوقاً واحداً من البضائع المختلفة . وفي الثالثة بعد الظهر غادرت جزر البحرين وحملت على متنها ١٣ راكباً إلى البصرة .

١٦ أيلول صباحاً وصلت إلى بوشير وأفرغت ٢٤٥ مكاناً منها ٤٧ صندوقاً من السكر المكرر، و١٨٠ صندوقاً من الكبريت، وصندوقين من الحرير، و١٦ صندوقاً من البضائع المختلفة . وفي ١٧ أيلول غادرت بوشير وحملت معها ٢١ راكباً إلى البصرة و٤٥عاملا للموانئ لميناء البصرة .

٢٠ أيلول صباحاً وصلت إلى المحمَّرة وأفرغت ٤٩٦ مكاناً من حمولتها فقط منها ٨٠ مكاناً من النحاس الأحمر، و٤٠ مكاناً من الأقمشة، وغادرت المحمرة مساء نفس اليوم .

٢١ أيلول ليلاً وصلت إلى البصرة وأفرغت ٢١٩٥ مكاناً منها ٦٠ صندوقاً من القهوة، و٤٠٠ صندوق من زجاج النوافذ، و٤٠٠ صندوق من المشروبات، و١٠٤ أمكنة من الأواني و٦ أماكن من المناديل، و١٠٠ مكان من الشموع، و١١٢٥ مكاناً بضائع مختلفة

وماعدا هذه البضائع فقد أفرغت في البصرة حمولة تتكون من ١١٨٢٥ مكاناً من بضائع مختلفة لنقلها إلى بغداد .

٤ تشرين أول تركت السفينة سيسيليا البصرة وأخذت معها حمولة من التمر، وروث القطط والكلاب . وأفرغت في جزر البحرين ٦٠٠٠ مكان، وفي لنجه ٣٠٠٠ مكان من الصدف وغادرت الخليج وهي محملة بالبضاعة .

ومن جراء المنافسة التي بدأت بين السفن الإنجليزية والألمانية، فإن أجرة النقل البحري للبضاعة من البصرة إلى لندن مع شحنها في هامبورج حددتها السفينة سيسيليا بـ ١٠ شلنات للطن .

توقيع القنصل السيد افسيينكو

التوقيع مُصادَقٌ عليه

٣ – الوثيقة صفحة ٥٨ من الإضبارة

رقم ٤٢٩ / ب.ل ٧

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

أوديسا ٣ شباط ١٩٠٧م

رقم الختم ٣٥٩

تاريخ الختم ٩ شباط ١٩٠٧م

إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة

يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة بأن سفينة "الفرات" والتي قامت بالرحلة الأولى على الخط الفارسي من أوديسا، غادرت في الأول من هذا الشهر جدة في طريقها إلى البصرة وقد أخذت من هذا الميناء حوالي ١٠٠٠ حاج إلى البحرين والمحمرة، وقد كانت أجرة النقل البحري ٦٤.٠٠٠ فرنك .

وبما أن الدخول إلى جزر البحرين لم ينظر فيه في عقدنا مع الحكومة، لذا استناداً إلى البند الثالث من العقد وحسب رأى المكتب الرئيسي أنه بما أن هذه الجزيرة تقع على الخليج فإن دخول السفن إليها لا يحتاج إلى طلب خاص، وإنما يكفي أن يبلغ قسم الملاحة والتجارة بالأمر .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجارى

٤ – الوثيقة على صفحة ٤ من الإضبارة

التجارة على الخط الفارسي

نشرت ترجمة هذه المقالة في صحيفة أنجلو – هندية "Timy of India" في ٣٠ تشرين الأول ١٩٠٧م

إن العلاقات التجارية بين روسيا وجنوب بلاد الفرس وكما هو معروف للقارئ تستند على الرحلات البحرية المنتظمة بين أوديسا وموانئ الخليج .

وقبل يوم أو يومين جرت مقابلة صحفية بين مراسلنا وبين مدير الشركة الروسية للملاحة والتجارة وبين القبطان جيرار حول مسألة وضع الخط الفارسي .

وهاهو ما كتبه مراسلنا عن المقابلة :

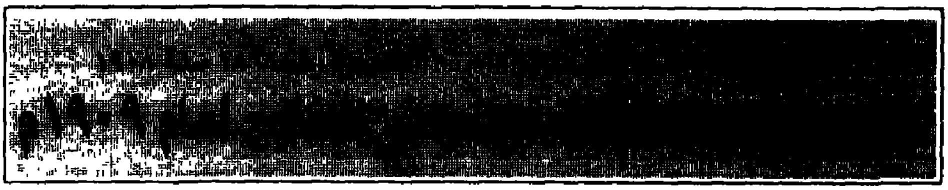
"قال القبطان جيرار : كانت هناك ٤ رحلات منتظمة في السنة خلال الثلاث السنوات الأخيرة، ولكن وبالرغم من هذا _ حسب قول جيرار _ فإن التجارة لم تتطور، والآن يمكن أن نقول عنها بأنها توقفت، وفي المستقبل سوف تتدهور . وذلك لأن الحكومة الروسية تعطي معونتها لهذا الخط، من أوديسا إلى الخليج على مضض كما خفضت وإلى حد كبير أجرة النقل البحري على البضاعة التي تأتي من روسيا إلى بلاد الفرس، ولقد خفضت الأجرة لتشجع التجار الروس على بيع بضاعتهم وترويجها في موانئ الخليج .

وبالرغم من هذا وحسب رأي مدير الشركة الروسية فإن العلاقات التجارية لن تتطور فحسب وإنما ستنقطع تماما خلال العشر السنوات المقبلة .

وقد أضاف القبطان جيرار مبتسماً، بأنه كان ينظر إلى هذه الرحلات منذ أن بدأت كدعاية سياسية تجارية .

ويضيف المراسل بأنه لا خطر على التجارة الإنجليزية والأنجلو-هندية من المنافسة الروسية في موانئ الخليج .

التوقيع مصادق عليه



٥ - برقية صفحة ٣١١ من الإضبارة

تلغراف
الى قسم البريد والبرق رقم ١٤
ختم بطرسبورج تاريخ
١٩٠٩/١٠/١٦ رقم ٤٤

ختم إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة

رقم الختم٢٠٨٣

تاريخ الختم ١٧ تشرين الأول ١٩٠٩م

بطرسبورج، إدارة الشركة الروسية للملاحة والتجارة

خرجت سفينة "الفرات" الخط الفارسي، وحملت معها ٧١٥ حاجا من المسلمين

سميرنوف

---

٦ - الشركة الروسية للملاحة والتجارة

رقم ٣٢٩/ب.ل ٩

إوديسا ٤ شباط ١٩٠٩م

رقم الختم ٨٤

تاريخ الختم ١٤ شباط ١٩٠٩م

يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة بأن السفينة "دجلة" وهي تقوم بالرحلة الأولى غادرت جدة في ٣ شباط .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

٧ – الشركة الروسية للملاحة والتجارة

رقم ٣١١/ب.ل ٩

أوديسا ١٨ آذار ١٩٠٩

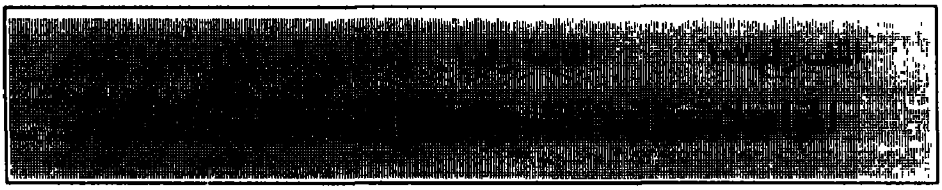
رقم الختم ١٦٤

تاريخ الختم ٢٣ آذار ١٩٠٩م

يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة بأن السفينة "دجلة" وهي تقوم بالرحلة الأولى على الخط الفارسي غادرت مسقط راجعة في ١٧ من الشهر الحالي .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري



٨ – الوثيقة صفحة ٧٥ من الإضبارة

رقم ٣١٠/ب.ل ١٠

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

أوديسا ١٠ نيسان ١٩١٠م

ختم رقم ٢٠٤

تاريخ الختم ٢١ نيسان ١٩١٠

(الرسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة)

استناداً على رسالتنا المؤرخة في ٣ نيسان الحالي والمرقمة بـ ٣٠٢/ب.ل ١٠ نتشرف بإبلاغ الإدارة بأن سفينة "الفرات" وهي في طريق عودتها من الرحلة الأولى للخط الفارسي غادرت بيروت في التاسع من الشهر الحالي بعد أن قضت ٥ أيام في الحجر الصحي .

(تكملة الرسالة بخط اليد)

وعلى متن سفينة "الفرات" ٨٠٠ شخص من الحجاج والجنود يتوجهون إلى جدة .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

---

٩ - الوثيقة صفحة ١٤٩ من الإضبارة

رقم ٣٨١/ب ل ١٠

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

٣ حزيران ١٩١٠م

رقم الختم ٣٥٨

تاريخ الختم ٧ حزيران ١٩١٠

إلى إدارة الشركة في سان بطرسبورج

إضافة إلى رسالتنا المؤرخة في ٣٠ أيار من هذا العام والمرقمة بـ ٣٤٧/ ب.ل ١٠ يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة بأنه وحسب المعلومات التي وصلت إلينا من وكيلنا في بوشير بأن الإنجليز مازالوا يضاعفون قوتهم البحرية والبرية على حدود الخليج وقد أرسلوا للتو عدة سفن حربية من الهند مزودة بالأسلحة والمهندسين العسكريين والبغال وغيرها من المعدات .

وإن بعض الصحف مثل صحيفة "التايمز الهندية" وغيرها تنوه بصورة واضحة ومكشوفة بنوايا إنجلترا وبأنها عزمت على أن تحتل جنوب بلاد فارس .

ويتبين هذا من مضاعفة القوات الإنجليزية بصورة مستمرة . مثل القوة الموجودة تحت قيادة الأدميرال الذي يشرف على القوة البحرية الإنجليزية في الخليج .

وقد أضيفت إلى السفن الحربية حديثاً والتي يبلغ عددها ما يقارب الـ ١٣ سفينة والمنتشرة على شواطئ الخليج سفن حديثة تشبه القاطرات بوزن ١٠٠ - ٥٠٠ طن ومزودة بالمدفعية وقد جاء كل أركان الحرب والقواد من إنجلترا .

وبالرغم مما يصرح به الإنجليز من أن الهدف الرئيسي من وجودهم هنا هو مكافحة استيراد الأسلحة الممنوعة إلا أنهم يعملون وبشكل واضح وصريح لدرجة أن أحداً لا يخفى عليه أهدافهم الحقيقية .

ولتغطية التكاليف أعطت الحكومة الهندية قرضاً قدره ٥,٠٠٠,٠٠٠ ملايين فرنك في السنة لكل من عامي ١٩١٠ و١٩١١ .

ويقال إنه لولا ما قدمه محافظ شيراز في هذه المسألة من طاقة وهمة لتوصل الإنجليز إلى خطتهم المرسومة .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

[illegible]

١٠ – الوثيقة صفحة ١٦٩ من الإضبارة

إلى قسم الملاحة والتجارة ٢٩ تشرين الثاني ١٩١٢م – ٢١٨٤

أبلغ قبطان السفينة "دجلة" عند العودة من الرحلة الثالثة للخط الفارسي بأن السفينة حملت من ميناء البصرة ما يقارب ٣٠٠ راكب من الحجاج الذين حجزوا كل الأماكن الخالية والتي كانت مخصصة لـ ٦٠٠ شخص . وعندما وصلت السفينة إلى بوشير وبدأ يصعد إلى السفينة ركاب جدد، استقبل الركاب العرب الذين ركبوا السفينة في البصرة الركاب الجدد بعداء شديد لدرجة ان اضطر لتوزيع الأسلحة على طاقم السفينة . وفي مساء ذلك اليوم عندما ازداد اضطراب وانفعال الركاب على متن السفينة، طلب قبطان السفينة من القنصل الروسي المحلي إرسال الحرس . وقد أرسل القنصل ديمتريف على الفور ٦ أشخاص من القوزاق إلى السفينة ولكن النظام والهدوء كانا قد عادا بين الركاب بعد أخذ كل منهم مكانه .

لذا فيجب أن يؤخذ في الاعتبار بأن الحرس في قنصلية بوشير يقدمون خدمة كبيرة على الخط الفارسي. وهكذا فإن الركاب المزعجين وخاصة الحجاج المسلمين سوف يدركون بأن على السفينة قوة دفاعية عند الضرورة لذا ترجو الإدارة من قسم الملاحة والتجارة بأن تتوسط لدى وزارة الخارجية بألا يبعدوا الحرس القوزاق الذين يعملون في قنصلية بوشير كما كان متفقا عليه، وذلك لحراسة القنصلية، وكذلك للدفاع عن وكلاء الشركة وعن السفن التي تصل بوشير عند الضرورة .

ونرجو إعلامنا بالنتائج .

توقيع مدير الشركة

توقيع رئيس الشركة

هذه الرسالة مكررة في صفحة ١٦٣ من الإضبارة، على الآلة الكاتبة وعليها بعض التصحيحات بالقلم الرصاص .

رقم ٢٩٢/ب.ل ١٣

بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩١٢م

رقم الختم ٢٥٤٥

تاريخ الختم ٢٣/ تشرين الثاني/ ١٩١٢م **وعليها توقيع المدير**

في هذه الإضبارة وثائق متعلقة بأحد وكلاء الشركة الروسية للملاحة والتجارة في البصرة السيد درويشيان وبالخسائر التي سببها للشركة .

١١ – في رسالة له صفحة ٤٦ – ٤٧ من الإضبارة

الرسالة معنونة إلى الشركة الروسية للملاحة والتجارة / القسم التجاري في أوديسا في ٦/ آب ١٩١٢م . ونأخذ من هذه الرسالة المقاطع المتعلقة بموضوع بحثنا فقط :

| إن الشركة الروسية للملاحة والتجارة تتسلم المعونة ولكنها ترفض أن تحمل البضائع إلى الخليج وتفضل نقل الحجاج إلى جدة | .

| إن السفينة التي سترحل في تشرين الأول يجب أن تنقل الكيروسين أفضل من نقلها للحجاج |

وآمل أن يكون الجواب إيجابياً

توقيع درويشيان ي.أ.

| لنا حقاً أربع رحلات في السنة فقط، رحلة آب ورحلة تشرين الأول مهمتان جداً لنا . وذلك لأنه في شباط يبدأ الموسم الميت في الخليج |

ويطلب السيد درويشيان بأن يرسل له ٢٠,٠٠٠ صندوق من الكيروسين في رحلة أكتوبر

الملف رقم ١٠٧ القائمة رقم ١ الإضبارة رقم ٢٠٨٧ سنة ١٩١٢

المواصلات والعلاقات مع موانئ الخليج

١٢ – الوثيقة صفحة ١١٩ من الإضبارة

برقية رقم الختم ٢٠٠٧

تاريخ الختم ٢٠ آب ١٩١٣م

تأجيل رحلة السفينة "دجلة" غير ممكن لأننا سنخسر ٨٩٠ حاجاً إلى جدة و٨٩٠ حاجاً من جدة وسنخل بالاتفاقية الموقعة مع الأسطول البحري، وما عدا هذا يجب أن تشحن في أيلول ألواح

الخشب لدرويشيان وغيرها من البضاعة إلى موانئ الخليج ويجب أن نأخذ التمر وغيره من الحمولة وإلا سنخل بعقود المرسلين وسيكون علينا دفع التعويضات .

توقيع نائب المدير ليفتير

---

١٣ - الوثيقة صفحة ١٢٤ - ١٢٥

رقم ٣٦٥/ب.ل ١٤

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

أوديسا ٢٦/آب/١٩١٣م

رقم الختم ٢٠٧٤

تاريخ الختم ٢ أيلول ١٩١٣م

إلى إدارة الشركة في سانت بطرسبورج

[نؤكد على استلام برقية الإدارة المؤرخة في ٢٢ من هذا الشهر وبالمضمون التالي :

ترجو وزارة التجارة تأجيل رحلة السفينة "دجلة" من أوديسا على الخط الفارسي لمدة شهر لتنقل لجنة الحدود الدولية إلى بلاد فارس . أبرقوا إن أمكن ذلك وبدون خسائر للشركة .

يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغكم بأنه في ٢٣ من الشهر الحالي أبرقنا للإدارة عن الأمر :

تأجيل رحلة السفينة "دجلة" لمدة شهر غير ممكن لأننا سنخسر ٨٩٠ حاجا إلى جدة و٨٩٠ حاجا من جدة وسنخل بالاتفاقية مع الأسطول البحري، وما عدا هذا يجب أن تشحن ألواح الخشب لدرويشيان في أيلول وشحن غيرها من البضاعة إلى موانئ الخليج . ويجب أن نأخذ التمر وغيره من الحمولة وإلا سنخل بعقود المرسلين وسيكون علينا دفع التعويضات]

وبعد البرقية شرح في ص ١٢٤ - ١٢٥ عن سبب عدم خرق الاتفاقية .

[ولخسرنا ١٧٨٠ راكباً من الحجاج ولخرقنا الاتفاقية مع الأسطول الطوعي]

توقيع نائب المدير

توقيع نائب رئيس القسم التجاري

[redacted]

١٤ - الوثيقة صفحة ٩ من الإضبارة

إلى سعادة السيد مدير قسم العلاقات الخارجية   ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٣م / ٢٣٠٨

ترجو الشركة الروسية للملاحة والتجارة من سعادتكم أن تصدر أمراً بنشر المعلومات التالية في أقرب عدد من مجلد مجموعة التسعيرات :

ستنظم أربع رحلات سريعة خلال عام ١٩١٤م من أوديسا إلى الخليج والعكس . مواعيد الرحلات من أوديسا :

الرحلة الأولى : ٨ كانون الثاني

الرحلة الثانية : ٨ آذار

الرحلة الثالثة : ٣ آب

الرحلة الرابعة : ١٧ أيلول

وستمر السفن في طريقها بموانئ القسطنطينية، ومضيق الدردنيل، وأزمير، وبيروت، ويافا، وبورسعيد، والسويس، وجدة، وحُديدة، وجيبوتي، وعدن، ومسقط، وبندر عباس، ولنجه، وبوشير، والمحمرة، والبصرة . وعند الضرورة ستدخل هذه السفن إلى موانئ ميرسينا، وطرابلس، والإسكندرية ويامبو، ميناء السودان، والبحرين والكويت .

وما عدا الموانئ المذكورة أعلاه يمكن أن تؤخذ حمولة لإرسالها إلى بغداد، على أن تشحن في البصرة، علماً بأنه ستؤخذ عليها أجرة خاصة لنقلها إلى بغداد عن طريق نهر دجلة.

ستحمل هذه السفن البضاعة والركاب من جميع الموانئ المذكورة أعلاه .

وللمعلومات نرجو التوجه إلى العناوين التالية في روسيا : أوديسا، موسكو، بطرسبورج، وارشو، لودزي، كييف . وفي الخارج : عند وكالات الشركة في الموانئ المذكورة أعلاه .

توقيع مدير الشركة

---

١٥ – الوثيقة صفحة ٥١ من الإضبارة

رقم ٢٩١/ب.ل ١٥

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

أوديسا ١٢ آذار ١٩١٤م

رقم الختم ٧٦٥

تاريخ الختم ١٧ آذار ١٩١٤

إلى إدارة الشركة في سان بطرسبورج

يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة بأن السفينة "الفرات" غادرت أوديسا في الثامن من الشهر الحالي في الرحلة الثانية للخط الفارسي وقد حملت على متنها البضاعة التالية :

طحين	٩٦٣٥
ألواح الخشب	٥٦١٣٠
غيرها من البضاعة	٣٥٠
	٣٢٦
المجموع	٦٦٣٩٦ بود
أجرة النقل البحري	١٢،٦٢٣،٧٢ روبل

وماعدا هذا فقد حملت سفينة "الفرات" من باطوم ٢٥،٠٠٠ صندوق كيروسين لجدة، وجيبوتي والبصرة .

توقيع نائب المدير

توقيع نائب رئيس القسم التجاري

١٦ – الوثيقة صفحة ٦٦ – ٦٧ من الإضبارة

إلى قسم التجارة البحرية لوزارة التجارة والصناعة

نسخة مصادق عليها

إلى القنصل العام للإمبراطورية الروسية، في بوشير – الخليج

رقم ٢٨٢ تاريخ ١٨ تموز ١٩١٤م

تبعاً لأوامر القسم المؤرخة في ١٣ أيار من هذا العام والمرقمة بـ ٥٠٦٣والـتي اسـتلمتها في ١١ من هذا العام، لي الشرف بأن أبلغكم ما يلي عن الطلبات السالفة الذكر :

١ – عند تنظيـم السـفرات السـريعة إلى الخليـج يجـب علينـا أن نعـترف بـأن أحسـن الرحلات من مجموع الرحلات الست في السنة هي الـتي يجـب أن يؤخـذ فيـها بعـين الاعتبار وقت وصول السفن إلى ميناء بوشير :

الرحلة الأولى	في بداية شباط	
الرحلة الثانية	في بداية نيسان	
الرحلة الثالثة	في بداية أيلول	موسم التمر (مكتوبة بخط اليد)
الرحلة الرابعة	في بداية أيلول	
الرحلة الخامسة	في أواسط تشرين الأول	
الرحلة السادسة	في بداية كانون الأول	

وكما تشرفت سابقاً وأبلغت / سفير الإمبراطورية في طهران ببلاغ سري مؤرخ في ٢٩ أيار من هذا العـام ومرقـم بــ ١٩٥ . ونسـخة برقـم ١٩٦ قدمـت إلى قسـم التجـارة في وزارة التجارة والصناعة / لتطوير تجارتنا هنا من الضروري جــداً دخـول السـفن إلى البحريـن والكويت ولعدم إطالة فترة هذه الرحلات بسبب دخول السفن إلى البحرين والكويت مما

سيؤدي إلى استنكار المسافرين . يمكن أن نجعل الدخول اختيارياً إلى الموانئ مثل ميناء عدن وميناء جيبوتي، حيث المشاريع والأعمال منعدمة تقريباً .

٢ – معدل أجرة النقل البحري التي جمعت من شركات السفن الأجنبية لمدة الثلاث السنوات الأخيرة السفن من هامبورج ولندن إلى بندر بوشير .

"في هذه الوثيقة معلومات عن أجرة النقل البحري : وزن الحمولة وسعرها، وتقسم الحمولة إلى أربع درجات . هذه المعلومات على عدة صفحات"

٣ – الإجراءات العملية التي يجب أن تتخذ لإنعاش علاقاتنا التجارية مع جنوب فارس . إلى جانب ما أشار إليه سلفي بيليايوف بتخفيض أسعار الجمرك على البضاعة التي تأتي من الخليج إلى روسيا هي :

أ – عدم تغيير وكيل الشركة لفترة طويلة، وخاصة الوكيل الرئيسي والذي يعتبر هنا كوكيل تجاري للبضاعة الروسية / البلاغ السري المؤرخ ٢٩ أيار من العام الحالي والمرقم ١٩٦/ .

ب – فتح قسم للقروض في بنك فارس / البلاغ السري لهذا العام والمرقم ٢٨٣/

ج – فتح محلات خاصة لبيع البضاعة الروسية بالتجزئة، وسوف لا يشعر المشتري بغلاء بضاعتنا إلى حد كبير، وسوف يتعرف على جودة بضاعتنا . ويمكن فتح مثل هذه المحلات مؤقتاً ولو في البصرة وبوشير .

توقيع مدير القنصلية العامة لويكو

توقيع مدير المكتب

---

١٧ – الوثيقة صفحة ٦٨ – ٧٣

وزارة الخارجية
قنصلية إمبراطورية روسيا في البصرة
١٨ تموز ١٩١٤ رقم ١٨٥
تركيا الآسيوية

النسخة مصادق عليها

إلى قسم التجارة البحرية

ص ٦٨ تبعاً لوثيقة القسم المؤرخة ١٣ أيار من هذا العام والمرقمة برقم ٥٠٦٢، عن مسألة تنظيم الرحلات السريعة في الخليج خلال ١٩١٥ – ١٩٢٤م . لي الشرف بأن

أبلغكم عن رأيي في المسائل المتعلقة بإنعاش علاقاتنا التجارية مع جنوب فارس وبلاد ما بين النهرين .

١ - أحسن المواعيد للقيام بالرحلات المذكورة أعلاه وتبعاً للظروف المحلية هي :

الوصول إلى البصرة

الرحلة الأولى	في النصف الأول من شباط
الرحلة الثانية	في النصف الأول من نيسان
الرحلة الثالثة والرابعة	ما يقارب ١٠ أيلول
الرحلة الخامسة	ما يقارب ٢٠ تشرين الأول
الرحلة السادسة	في أوائل كانون الأول

ونظراً لطول الرحلة من أوديسا إلى البصرة ما يقارب الـ ٥ أسابيع، يجب أن تغادر السفن أوديسا قبل ٥ أسابيع من المواعيد المحدد أعلاه لوصول السفن إلى البصرة .

وللسنة الرابعة ترسل الشركة الروسية للملاحة والتجارة في موسم التمر أي في أواسط أيلول سفينة طارئة إضافية، والآن لا نعرف ما إذا كانت الشركة سترسل سفينة إضافية نظراً لأنها مرتبطة بعقد للقيام بـ ٦ رحلات سنويا فإذا اعتبرنا الرحلة الرابعة إضافية كالسابق أو إذا أرسلت سفينة في هذا الموعد محملة بما يقارب ٥٠٠٠ طن ففي هذه الحالة يمكن تغيير موعد الرحلات كالآتي :الوصول إلى البصرة للرحلة الأولى والثانية - كما هو مذكور أعلاه . والرحلة الثالثة ما يقارب ٢٠ آب وفي هذه الحالة تستطيع السفينة أن تأخذ الحجاج من البصرة ومن موانئ الخليج إلى جدة، وكذلك تستطيع أن تأخذ الحنطة إلى جدة . والرحلة الرابعة (الرحلة الرئيسية)، والرحلة الرابعة (كرحلة إضافية) فكما هو مذكور أعلاه، ١٠ أيلول في موسم التمر . وأخيراً الرحلة الخامسة والسادسة كالموعد المذكور أعلاه في أوائل كانون الأول .

إن الرحلات المربحة هي رحلات فصل الخريف (موسم التمر والحبوب) ولهذا يجب إرسال سفن ذات حمولة كبيرة لمثل هذه الرحلات لأنه في هذا الفصل تكون الحمولة دائماً كبيرة . أما الرحلات الربيعية فربحها أقل - بسبب الموسم الميت - وهنا يمكن رسال سفن ذات حمولة تقارب ٣٠٠٠ طن /كسفينة "الفرات" وسفينة "دجلة" .

يجب أن تطابق مواعيد الرحلات المذكورة أعلاه التقويم القمري . أما المواعيد الأخرى لهذه الرحلات فتعتبر غير مربحة وغير مريحة بسبب الظروف المحلية .

كثيراً ما تؤدي بعض الموانئ الإجبارية إلى ضرر . فمثلاً موانئ كميناء جيبوتي وميناء عدن وميناء مسقط في رأيي يمكن ألا تعتبر من الموانئ الإجبارية . هذه الموانئ غير مهمة لنا، ولا يوجد أي بضاعة فيها اللهم إلا في حالات قليلة قد تجد السفن في عدن أو جيبوتي بعض الفحم .

جدة تعتبر مهمة للخط المرجع فقط عندما يأتي إليها الحجاج، أو تحمل إليها الحبوب، لذا من الأحسن جعل دخول السفن إلى هذه الموانئ اختيارياً .

ص ٦٩ تعتبر موانئ الخليج مثل الكويت والبحرين أكثر أهمية من وجهة النظر التجارية . وكان علينا أن نجعل الدخول إلى هذين الميناءين إجبارياً(وبسبب كثرة الموانئ الإجبارية فرحلاتنا طويلة جداً أكثر من شهر) ، وطول الرحلة ، يخافه المسافرون ومرسلو الحمولة في آن واحد .

أغلب السفن الأجنبية عندما تأخذ حمولتها الكاملة من البصرة وبوشير فإنها تتوجه مباشرة إلى بورسعيد مارة بلنجه، وبندر عباس، ومسقط، وعدن، وجيبوتي، والحديدة، وجدة . ولهذا السبب فعند مغادرة السفن لميناء البصرة في نفس وقت مغادرة السفن الروسية، فإن السفن الأجنبية تصل إلى بورسعيد قبل السفن الروسية بأسبوع أو عشرة أيام .

ولقد أشارت وزارة الخارجية باستثناء موانئ يافا وبيروت وأزمير كموانئ إجبارية .

وأضيف على هذا بأن هذه الموانئ هامة فقط في الخط المرجع لهذه الرحلات، وإذا كانت هناك حمولة لها .

وحسب رأيي لا داعي أن نضيق الخناق على شركة الملاحة بجدول الرحلات السريعة، وإنما علينا أن نسمح لها بنزعة تجارية بحيث يكون للسفن الحق أن تدخل تلك الموانئ التي يوجد بها حمولة وعدم دخول تلك التي لا يوجد بها شيء . وإذا لم تكن هناك حمولة في الموانئ المهمة لهذا الخط مثل البصرة وبوشير /بسبب عدم وجود المحاصيا

الزراعية أو بسبب الفتن/ فيمكن أن نعطي الحق للسفن بالدخول إلى موانئ أخرى لم تذكر في الجدول مثل الهند أو كراتشي أو بومباي كما تفعل السفن الأجنبية .

أتوقف الآن عند نوع السفن التي تخدم الخط الفارسي حتى الآن، وهما سفينتا "الفرات" و "دجلة" فلا يمكن الاعتراف بأنهما تصلحان لظروف الخط الفارسي . إنهما قد تصلحان لنقل المسافرين ولكنهما لا تصلحان لحمل البضاعة لأن مقدار الحمولة على هذه السفن يجب أن تكون قليلة بسبب الرواسب . تستطيع هاتان السفينتان أن تأخذا ٦٠٠٠ طن فقط من البصرة حتى تستطيعا الحركة بسهولة في الخليج العربي . أما الحمولة الباقية فنضطر لإرسالها على بواخر الشحن مما يؤدي إلى كثرة التكاليف . أحسن السفن للخط الفارسي هي بواخر الشحن لشركة الملاحة والتجارة الروسية مثل سفينة "تسيريرا" و "ميركوري" وغيرهما التي تصل حمولتها إلى ٥٠٠٠ طن عندما تصل الرواسب إلى ١٩ - ٢٠ قدماً وتكاليفها أقل .

أماكن الركاب على متن "الفرات" و "دجلة" غير معدة للرحلات البحرية الطويلة في الجو الاستوائي . تقع غرف الدرجة الأولى على السطح العلوي حيث لا يوجد إمكانية عمل تيارات هوائية في البلدان الحارة . وعلاوة على ذلك فإن الغرف مجاورة لقسم الماكينة ولهذا فالحرارة في هذه الغرف لا تطاق . لا يستعمل الركاب هذه الغرف في الرحلات الصيفية، ويقضون طوال النهار والليل على سطح السفينة ولو لم تكن هناك وسائل الراحة الأخرى في سفننا، ولو لم يكن الطعام فيها جيداً والركوب فيها بدون تغيير في القسطنطينية أو سوريا أو لبنان لكان عدد المسافرين محدوداً جداً .

يجب ألا يكون هناك أكثر من ٥ غرف من الدرجة الأولى في سفن الخط الفارسي و٦ أو ٧ غرف من الدرجة الثانية، وكثير من الأماكن من الدرجة الثالثة، وكذلك تكييف كثير من الأماكن الخاصة لنقل الحجاج الذين يؤلفون نسبة كبيرة من عدد الركاب على سطح السفينة . وإذا خصصت أماكن كثيرة لركاب الدرجة الأولى والدرجة الثانية، فهذا سيكون على حساب حمولتها، وبصورة عامة فإن تكييف أماكن كثيرة للركاب لا يعطي أرباحاً كبيرة وبالرغم من هذا يجب إعالة عدد كبير من الخدم . وأخيراً يجب ألا يغيب عنا بأنه خلال الـ ٣ أو ٤ سنوات القادمة وعند بدء حركة القطار (خط سكة

الحديد) عن طريق بغداد، فإن أماكن الركاب على سفننا على الخط الفارسي ستفقد أهميتها . ومن المرغوب فيه أن نزيد من سرعة سفننا إلى ١١ - ١٣ ميلاً في الساعة .

أجرة النقل البحري

عند استيراد البضائع من هامبورج ولندن إلى الخليج، كانت تؤخذ من شركات الملاحة الأجنبية أجرة النقل البحري، وهنا نشرح أنواع البضاعة وأسعار أجرة النقل البحري بصورة مفصلة.

البضاعة من الدرجة الأولى

البيرة، قماش الشيت، السبيرتو، الشامبانيا، الفينو، العطور والروائح، والسيارات. والمصنوعات النحاسية، والمصنوعات الجلدية، والمصنوعات الصوفية، والمصنوعات الحديدية

[٣٥ مارك لكل ١٠٠٠ كجم]

البضاعة من الدرجة الثانية

المعلبات، والطحين، والمصنوعات المعدنية، والفرفوري، والصابون، والمعكرونة .

[٣٢,٥ مارك لكل ١٠٠٠ كجم]

البضاعة من الدرجة الثالثة

المصنوعات من الصفيح، والكتب، والمصنوعات الزجاجية، والمصنوعات الخشبية، والشموع، والجلد، والأسلاك، والمصنوعات من القصدير .

[٣٠ مارك لكل ١٠٠٠ كجم]

البضاعة من الدرجة الرابعة

ألواح الخشب، والحديد، والمصنوعات المطلية بالمينا، والمسامير، والأسمنت، والرصاص، والمصابيح .

[٢٧,٥ مارك لكل ١٠٠٠ كجم

أما ما يتعلق بالكيروسين فلا يستورد من هامبورج ولا من لندن إلى السوق المحلية . هنا يوجد كيروسين محلي لشركة "Anglo-Persian Oil Co."وكيروسين أمريكي مستورد من أمريكا "Standard Oil Co.". أجرة النقل البحريْ على الكيروسين الأمريكي كانت ٩٥ سنتاً للصندوق / نيويورك - البصرة

الإجراءات العملية لإنعاش العلاقات التجارية مع جنوب بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين

في هذه الوثيقة وعلى ظهر الصفحات ٧١ و٧٢ و٧٣ من الإضبارة تشريع لهذه الإجراءات في ٨ بنود

وفي الخاتمة وصفحة ٧٣

| كل التدابير والإجراءات العملية المذكورة أعلاه تؤدي إلى إنعاش العلاقات التجارية مع بلاد ما بين النهرين وبلدان الخليج . لم تصل التجارة حتى الآن إلىالنتائج المطلوبة في هذه المناطق. ولكن نأخذ بعين الاعتبار تطور هذه العلاقات . إن استئناف الخط الفارسي عام ١٩١٥ وزيادة عدد الرحلات والأخذ بجميع الإجراءات لتحسين العلاقات التجارية مع بلاد ما بين النهرين وجنوب بلاد فارس، كل هذا يعطينا الحق بأن نقول بأن تأثير روسيا السياسي والاقتصادي على بلاد ما بين النهرين وبلدان الخليج سوف لا يخمد وإنما سيتطور ويتوطد .

توقيع مدير القنصلية جولينتشوف - كوتوزوف

التوقيع مصادق عليه من قِبل مدير قسم الملاحة التجارية

ف. كويفييوف

المكتب الرئيسي - القسم التجاري
رقم ٣٣١/ ل ٣

١٨ - الوثيقة صفحة ٧٥ - ٨٩ من الإضبارة

مسجلة على الآلة الكاتبة

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

أوديسا ٢٢ نيسان / ١٩١٥

رقم الختم ٧٣٥ تاريخه ٢٥ نيسان ١٩١٥

إلى إدارة الشركة في سان بطرسبورج

نؤكد على استلام رسالة الإدارة المؤرخة ١٤ شباط من هذا العام والمرقمة ١٩٢ والمرفقة معها من قسم الملاحة التجارية نسخ بلاغات القنصل الروسي في البصرة والقنصل الروسي في بندر بوشير عن ظروف تحسين العلاقات التجارية مع موانئ الخليج . يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغ الإدارة عن رأيه في المسائل المذكورة في هذه البلاغات .

أ - القنصل العام في بندر بوشير

١ - في مشروع جدول الرحلات لعام ١٩١٥، وكذلك في خطة العمل على الخط الفارسي لعام ١٩١٥ المرفقة مع رسالتكم المؤرخة ١١/٦ من العام الماضي والمرقمة ٤٤٩/ب.ل ١٥ يبلغ المكتب الرئيسي الإدارة بأنه من المناسب جداً القيام بـ ٦ رحلات في السنة إلى الخليج .

١ - من أوديسا	٩ كانون الثاني	إلى بوشير	٩ شباط
٢ - من أوديسا	٢٥ شباط	إلى بوشير	٢٨ آذار
٣ - من أوديسا	٢٧ تموز	إلى بوشير	٢٣ آب
٤ - من أوديسا	٥ آب	إلى بوشير	٥ أيلول
٥ - من أوديسا	٢٠ أيلول	إلى بوشير	٢١ تشرين الأول
٦ - من أوديسا	٥ تشرين الثاني	إلى بوشير	٥ كانون الأول

وهكذا فإن رغبة السيد القنصل عن وصول السفن إلى ميناء بوشير تطابق تماما وجهة نظر المكتب الرئيسي . الرحلة الأولى في بداية شباط، الرحلة الثانية في بداية نيسان، والثالثة والرابعة في بداية أيلول، الخامسة في أواسط تشرين الثاني والسادسة في بداية كانون الأول .

أما ما يتعلق بدخول السفن المذكورة إلى الكويت وإلى البحرين فيتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغكم بأنه في البند الثالث من العقد السابق مع الحكومة عن مسألة الرحلات السريعة إلى الخليج، أعطى الحق لهذه الشركة بإرسال السفن إلى الكويت عند الضرورة، وبما أنه طوال فترة العمل لم تكن هناك حمولة لا إلى الكويت ولا منها . لذا لم تدخل السفن إلى هذا الميناء .

أما ما يتعلق برغبة السيد القنصل عن ضرورة الدخول إلى البحرين، فحسب رأي المكتب الرئيسي يمكن أن يكون الدخول إلى ميناء البحرين اختياريا آخذين في الاعتبار بأنه طوال فترة خدمة سفننا في موانئ الخليج لم يكن هناك طلب على إرسال أو أخذ حمولة من البحرين عدا مرة واحدة عندما أخذت إليها حمولة صغيرة من المعكرونة . وإذا رغبت الوزارة فبإمكاننا وضع ميناء الكويت وميناء البحرين في جدول رحلاتنا كموانئ اختيارية مع ملاحظة: أن بإمكان السفينة أن تدخل أحد الميناءين فقط، إما ميناء الكويت، أو ميناء البحرين آخذين في الاعتبار بأن الدخول إلى البحرين يتطلب زيادة مدة الرحلة ما يقارب ٣ – ٤ أيام ومثل هذه الفترة يتطلبها الدخول إلى الكويت .

أما فيما يتعلق بميناء عدن وميناء جيبوتي فعلينا أن نؤكد بأن سفننا تتزود بالماء في ميناء عدن وفي بعض الأحيان بالفحم وهي في طريقها إلى الخليج ومنه . وأما ما يتعلق بميناء جيبوتي فدائما له حمولة كبيرة من الطحين وألواح الخشب الذي تحمله لها بانتظام . و س من صالحنا أن نترك هذا الميناء الذي يبشر بأن يكون ميناء مربحا للتجارة الر بية . في الفترة الأخيرة كانت قد بحثت مسألة إرسال السكر إلى جيبوتي ولكن الـ ب منعت تجار السكر من عقد اتفاقيات .

وكما أعلن المكتب الرئيسي للإدارة في رسالته المؤرخة ٦ آذار من العام الماضي والمرقمة ٢٨٢/ب.ل ١٥ فإن لميناء الكويت ولميناء البحرين أهمية ثانوية ولكن أمامهما مستقبلا لامعا .

وحتى الآن لا تملك بلاد ما بين النهرين وكل المحافظات التي تقع على الخليج صناعة تحويلية ، لذا فكل التصدير من هذه الدول محدود بالمواد الخام فقط وتسد حاجة السكان من المصنوعات بواسطة استيرادها من الخارج وبخاصة من أوروبا وقسم منها من الهند، لذا سيكون وبمرور الوقت للمناطق المجاورة والمتاخمة للكويت والبحرين أهميتها الكبرى في استيراد المصنوعات الروسية عن طريق البحر . هذا إذا نظر أصحاب المصانع بعين الرضى إلى هذه السوق .

٢ - أجرة النقل البحري التي تؤخذ من شركتنا على الحمولة من روسيا إلى جميع موانئ الخليج مازالت هي تقريبا :

* الكيروسين ٣٢ كوبيك للصندوق زنة ٢.٩ بود
* الخشب ١٥ كوبيك للقدم المكعب
* الطحين والسكر ١٣ - ١٥ كوبيك للبود
* وعلى البضاعة الأخرى ٣٠ كوبيك للبود

والأجرة المذكورة في بلاغ القنصل الروسي في بوشير أقل بقليل من الأسعار المذكورة .

يجب زيادة الأجرة في المستقبل بمعدل ٢٥ - ٣٠٪ بسبب زيادة أسعار الفحم وغيرها وكذلك بسبب تخفيض أجرة خدمات الخط الفارسي إلى درجة كبيرة .

حسب معلومات المكتب الرئيسي ، فإن شركات الملاحة الإنجليزية وغيرها رفعت أجر النقل البحري بنسبة ٢٥٪ ويريدون رفعها أكثر في المستقبل . ومن أهم أسباب زياد الأسعار زيادة تكاليف بناء السفن بـ ٣٠٪ بسبب غلاء المواد الخام والأيدي العاملة وعدم كفاية الأيدي العاملة بسبب الحرب، والحمولة التجارية وصعوبة بناء السف الجديدة . فقبل الحرب مثلا كان بناء سفينة عادية يستغرق ما يقارب ١٠ - ١٢ شهرا والآن لبناء مثل هذه السفينة، نحتاج إلى ١٤ - ١٦ شهرا . وكل مصانع بناء السفن في إنجلترا عليها طلبات أكثر من اللازم .

٣ - يجب تخفيض أسعار الجمرك على البضاعة التي تأتي من الخليج إلى روسيا وبخاصة التمر وفراء الحملان وذلك لأن أسعار اليوم المرتفعة تمنع جلب البضائع على سفننا إلى روسيا . ولقد باءت بالفشل المحاولات العديدة للتجار الأجانب ووكلاء شركتنا لجلب التمر وفراء الحملان من بلاد فارس إلى روسيا عن طريق البحر بسبب الرسوم الجمركية المرتفعة .

ولقد وضعت رسوم جمركية عالية جدا على التمر الذي يستورد من البصرة وكل بلاد ما بين النهرين وصلت إلى ٥ روبل و٦٧ كوبيك للبود، ولذا بالرغم من رخص هذه البضاعة فإن التجار لا يستطيعون تصدير بضاعتهم إلى روسيا بسبب الرسوم الجمركية والضرائب الباهظة . وبسبب هذه الأسعار، فإن كل البضاعة من البصرة ومن موانئ الخليج تتجه إلى سوريا وإلى القسطنطينية وإلى الأناضول وكذلك إلى فارنا وبوغاز .

٣ أ - لا يوافق المكتب الرئيسي على رغبة السيد القنصل بعدم تغيير وكلاء الشركة للأسباب التالية : لا تغير شركتنا وكلاءها في موانئ الخليج فحسب وإنما في جميع الموانئ التي تخدمها، إذ لم تكن هناك أسباب كافية لذلك، أو بدون طلب الوكيل نفسه . ولكن إن كانت هناك أسباب، والوكيل نفسه طلب ذلك لأسباب صحية فإن الشركة لا تستطيع إلا تغيير الوكيل بوكيل آخر . "**موضوع تغيير وكلاء الشركة مشروح مفصلا صفحة ٨ - ٩ من الرسالة**" ويتطرق إلى مسألة فصل الوكيل درويشيان من الشركة بسبب الخسائر التي سببها والمخالفات التي قام بها .

٣ ب - صفحة ٩ - ١٠ من الرسالة معلومات عن فتح بنك في بوشير وعن أعمال هذا البنك .

٣ جـ - وصفحة ١٠ - ١١ من الرسالة معلومات عن المعارض والمتاحف التابعة لوكالات الشركة الروسية للملاحة والتجارة الموجودة في البصرة وبوشير وعن عينات من البضاعة الروسية التي يمكن أن تجذب أنظار التجار .

ب - القنصل الروسي للإمبراطورية الروسية في البصرة

١ - مواعيد وصول السفن إلى البصرة نفسها تقريبا التي أشار إليها القنصل العام في بو. وهي تطابق تماما المواعيد التي أشار إليها المكتب الرئيسي في رسالته المؤرخة

١١/٦ من العام الماضي والمرقمة ٤٤٩/ب.ل ١٥ . وكذلك فيما يتعلق بالعمل على الخط الفارسي لعام ١٩١٥ والمذكور أعلاه . أما فيما يتعلق بمسقط فهو صحيح حقا ومن المرغوب فيه أن يكون الدخول إلى هذا الميناء اختياريا إن كانت هناك حمولة من وإلى هذا الميناء . حتى الآن لم يوجه التجار الروس اهتمامهم له .

الدخول إلى جدة مرغوب فيه ولكن يجب أن يكون اختياريا وذلك لأن ميناء الحجاز مربح جدا لشركتنا بسبب الحجاج . بالرغم من وجود وكالة دائمة لنا في جدة تقوم بأعمال الحج والحجاج فقط . ففي الفترة الأخيرة كانت ترسل على أسماء وكلائها في جدة بضائع مختلفة مثل الطحين، والخشب وغيرهما .

ونحن نشارك السيد القنصل رأيه في اختصار مدة الرحلات في الخليج. على أن يكون الدخول إلى موانئ لنجة. وبندر عباس، ومسقط، والحديدة. وكذلك بيروت وأزمير ويافا اختياريا.

أما عن ملاحظة السيد القنصل بعدم إحراج شركة الملاحة والتجارة بجدول الرحلات السريعة، وإنما إعطاءها النزعة التجارية وإعطاء الحرية للسفن بأن تدخل الموانئ التي يوجد منها وإليها بضاعة وعدم دخول تلك التي لا يوجد منها وإليها بضائع .

"ففي ١٦ سطرا من الرسالة عرضت مسألة دخول السفن إلى كراتشي دخولا اختياريا . على أن يكون من أوديسا إلى كراتشي فقط لعدم وجود بضاعة كافية من الهند إلى روسيا" .

وإذا تقرر دخول السفن إلى كراتشي فالدخول يمكن أن يكون بطريقتين، إما عدن - مسقط كراتشي - بندر عباس إلخ . . أو عدن - كراتشي - مسقط - بندر عباس إلخ .

أما فيما يتعلق بملاحظة السيد القنصل عن السفينتين "دجلة" و "الفرات" بأنهما غير مناسبتين لظروف الخط الفارسي فيتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغكم بأن هاتين السفينتين بنيتا خاصة لهذا الخط .

"وصفحة ١٥ من الرسالة يأتي وصف هاتين السفينتين"

أما ما يتعلق بالسفينتين "تسيريرا" و "ميركوري" فيجب ألا تسحبا من الخط البلطيقي بتاتا .

وتخصص أماكن خاصة للحجاج المسلمين على كل سفينة في بداية موسم الحج وحسب القواعد والقوانين الصحية لسفن الحجاج . وقد نقل في الثلاث السنوات الأخيرة :

	١٩١١	١٩١٢	١٩١٣
على سفينة دجلة	١١٣٩ حاجا	----	٧٧٧ حاجا
على سفينة "الفرات"	----	١١٤٦ حاجا	---

أما فيما يتعلق بفتح خط سكة حديد بغداد خلال الـ ٣ - ٤ سنوات القادمة، وأن الأماكن المخصصة للركاب على هذه السفن ستفقد أهميتها فهذا موضوع سابق لأوانه لأن هذا يتعلق بالوضع الذي سيكون بعد الحرب .

وبالرغم من هذا يجب أن تكون على سفن الخط الفارسي أماكن مخصصة للركاب للدرجات الثلاث وذلك لوجود من يرغب في القيام بمثل هذه السفرات البحرية المليئة بالانطباعات المختلفة إلى هذه البلدان الغريبة الواقعة على الخليج رغم طول الطريق ومشقته .

سفينة مثل "تسيريرا" تستطيع القيام برحلة واحدة فقط في السنة في موسم التمر، ولنقل هذه الحمولة من البصرة فقط .

"٧ أسطر عن سرعة السفن "دجلة"، "الفرات"، "تسيريرا"، "تروفر" و "فيستا" .

"صفحة ١٧ من الرسالة وفي سبعة أسطر معلومات عن أجرة النقل البحري . وصفحة ١٧ - ٢٧ معلومات مفصلة عن التدابير المتخذة لإنعاش العلاقات التجارية مع جنوب بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين .

وفي النهاية يضيف المكتب الرئيسي قائلا : إلى جانب كل الإجراءات التي يجب أن تتخذ لتطوير العلاقات مع موانئ الخليج، يجب إعادة النظر في المعاهدات بين روسيا وتركيا، وبين روسيا وبلاد الفرس . فلا تتحمل هذه المعاهدات أي نقد في الوقت الحاضر . المعاهدة مع تركيا كانت قد عقدت ١٨٦٢، والسؤال مطروح عن فاعلية هذه المعاهدة التجارية . وربما كان من نتائج الحرب بين روسيا وتركيا إعادة النظر في مثل هذه المعاهدات القديمة .

نظرا لما ذكر أعلاه يعبر المكتب الرئيسي عن رأيه بأن سياسة التصدير المنتظمة بإمكانها أن تعطي للتجارة مع دول الخليج صفة ثابتة ومنتظمة ودائمة وهي صفة ضرورية للتصدير المنظم .

توقيع المدير

توقيع رئيس القسم التجاري

---

١٩ - الوثيقة مكتوبة بخط اليد . اخذت من الوثيقة المقاطع المتعلقة بالموضوع فقط .

ص ٩ سري

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

رقم ٢٢٩/١ ر

أوديسا ٢٨ آيار ١٩١٤

رقم الختم ١٤٩٥

تاريخ الختم ٢ حزيران ١٩١٤م

إلى الشركة الروسية للملاحة والتجارة في بطرسبورج

" في هذه الوثيقة الخسائر المتوقعة التي ستحدث بسبب الرحلات الست عام ١٩١٥"

ومنها وعلى صفحة ١٠ من الإضبارة .

أما فيما يتعلق بالدخل من الركاب فإنه وبصورة خاصة يتكون من نقل الحجاج المسلمين إلى الحج، لذا يجب أن نتوقع بأن زيادة عدد الرحلات سوف لا يؤثر على الدخل السنوي المأخوذ من ركاب الخط الفارسي .

وإذا كانت هناك زيادة في الدخل السنوي فهذا سيكون على حساب تخفيض ربح رحلاتنا الخاصة للحجاج .

وفي النهاية علينا أن نتوقع بأن حركة الحجاج المسلمين ستتجه أكثر وأكثر إلى بيروت على حساب التوجه إلى جدة، ولهذا يمكن أن ينخفض الدخل السنوي للخط الفارسي المأخوذ من الركاب رغم زيادة عدد الرحلات .

نظرا للآراء المعروضة، يعبر المكتب الرئيسي عن رأيه قائلا : يجب الحذر عند التخطيط للدخل المأخوذ من الركاب للرحلات الست المقبلة للخط الفارسي، ويجب أن يستند على أرقام الدخل السنوي للركاب، لا على معدل الدخل للرحلة الواحدة .]

وعلى صفحة ٤ من الإضبارة .

[يمكن أن تكون زيادة الدخل السنوي من الركاب أكثر واقعية لولا وجهة النظر المذكورة أعلاه، والتي تتضمن وعلى الأرجح تحسين خط سكة حديد بين بيروت ومراكز وجود الحجاج المسلمين، وهذا يصرف انتباه الحجاج عن طريق جدة ولهذا ستخسر الخطوط الفارسية الجزء الرئيسي من الركاب والذي يدر أرباحا لا بأس بها .]

توقيع نائب المدير

توقيع نائب رئيس القسم التجاري

---

٢٠ - الوثيقة صفحة ٢٩ - ٣٠ من الإضبارة

إلى قسم الملاحة التجارية ٢ حزيران ١٩١٤م

يشار في خطة الحفاظ على الخط الفارسي بعد أول كانون الثاني ١٩١٥ ألا يكون عدد الرحلات أقل من ٦ رحلات في السنة وعلى أن تكون السفن تجارية ولنقل الركاب في آن واحد .

ولهذا السبب وعلى أساس تجربة الـ ١٢ سنة من الملاحة في الخليج تصرح الإدارة ما يلي : تشير الإحصائيات لفترة استغلال الخط الفارسي إلى مقدار زيادة البضائع المشحونة، فقد نقلت خلال الخمس السنوات ما بين ١٩٠٤ - ١٩٠٨ حمولة تبلغ ٣,٧٣٨,٠٠٠ بود، وفي الخمس السنوات ما بين ١٩٠٩ - ١٩١٣ نقلت حمولة تبلغ ٤,٦٣٦,٠٠٠ بود ونعلم من مقارنة هذه الإحصائيات بأن التجارة ستنمو وتتطور . وعلى ...ف ذلك الأمر مع الركاب، يتكون الجزء الرئيسي من الركاب على الخط الفارسي مر الحجاج المسلمين، الركاب الذين يصعدون السفينة في موسم الحج من الموانئ الر...بية إلى جدة وبالعكس . ولكن هذه الحركة تغير اتجاهها ويتوجه القسم الأكبر من

الحجاج إلى بيروت لأنها أكثر راحة ولاختصار الطريق . وعلينا أن ننتظر وفي أقرب وقت قلة حركة الركاب على الخط الفارسي لا زيادتها . إن الرحلات الأربع تسد وبشكل واف بل وزائد حاجة حركة الركاب، لذا لا داعي للقيام بـ ٦ رحلات في السنة للركاب وعلى حساب الحمولة . وسنتوصل إلى الهدف المطلوب لو قامت رحلتان على سفن شحن من الرحلات الست المقررة، على أن تكون سفن الشحن ذات حمولة كبيرة .

وتطلب الإدارة من قسم الملاحة والتجارة أن يعيد النظر فيما طرحناه ونرجو أن يقوم بالتغييرات المناسبة في خطة الحفاظ على الخط الفارسي .

توقيع رئيس الإدارة

---

٢١ - الوثيقة صفحة ٤٨ - ٤٩ من الإضبارة   رقم ٩٤٤٩/ ب. ل ١٥

الشركة الروسية للملاحة والتجارة

اوديسا ٦ تشرين الثاني ١٩١٤م

رقم الختم ٢٨٥٠

تاريخ الختم ١٢ تشرين الثاني ١٩١٤م

إلى إدارة الشركة في بطرسبورج

مشيرا إلى رسالة الإدارة المؤرخة ٣٠ أيلول من هذا العام والمرقمة بـ ١٨٩٤ يتشرف المكتب الرئيسي بإبلاغكم خطة جدول الرحلات وخطة الملاحة على هذا الخط

توقيع نائب المدير

توقيع نائب رئيس القسم التجاري

ملاحة السفن لشركتنا على الخط الفارسي لعام ١٩١٥

يفترض القيام بـ ٦ رحلات حسب الجدول لعام ١٩١٥ على أن

تخرج	من أوديسا	من البصرة
الرحلة الأولى	٩ كانون الثاني	١ آذار
الرحلة الثانية	٢٥ شباط	١٥ نيسان
الرحلة الثالثة	٢٣ تموز	١٨ أيلول
الرحلة الرابعة	٥ آب	٢٤ أيلول
الرحلة الخامسة	٢٠ أيلول	٧ تشرين الثاني
الرحلة السادسة	٥ تشرين الثاني	٢٢ كانون الأول

عند تنسيق مواعيد خروج السفن بالشكل المذكور أعلاه يمكن تقدير الدخل الإجمالي بما يقارب ٤٢٠,٠٠٠ – ٤٥٠,٠٠٠ روبل خلال سنة وبدون حساب الأجرة بعدد الأميال، وإذا دخلت أجرة عدد الأميال حسب القانون المعمول به فالدخل الإجمالي سيكون بما يقارب ٥٤٠,٠٠٠ – ٥٧٠,٠٠٠ روبل .

الرحلة المربحة من بين الرحلات الست هي الرحلة الثالثة والرحلة الرابعة، لأنها تتفق مع موسم استيراد التمر من البصرة، وفي هذا الموسم تأخذ السفن في الخط المرجع حمولة ثانية وأجرة نقل بحرية جيدة في هذه الموانئ رغم المنافسة الشديدة . يشهد على ذلك عام ١٩١٢ – ١٩١٣م . وتتفق مواعيد هذه الرحلات مع فترة حركة الحجاج المسلمين من ديسا والقسطنطينية إلى الحجاز .

وتـ الرحلتان الخامسة والسادسة المكانة الثانية بين الرحلات وذلك لوجود حمولة من يا محاصيل التمر . أما الخط المرجع للرحلة الخامسة فينقل الحجاج الراجعين

من الحجاز، وسفينة الرحلة السادسة وهي في طريقها إلى الخليج تنقل الحجاج الراجعين إلى بندر عباس - لنجة - بوشير - المحمرة - البصرة .

أما الرحلات الخريفية، الرحلة الأولى والثانية فريعهما أقل . في هذه الفترة وعلى الأغلب حمولة الحبوب من البصرة إلى جدة والسويس . وفي هذا الموسم أجرة النقل البحرية قليلة .

نحتاج إلى ثلاث سفن للقيام بالرحلات الست مثل سفينة "الفرات" و "دجلة" وسفينة ثالثة "تسيريرا" بحيث تقوم كل من "الفرات و "دجلة" برحلتين وتقوم السفينة الثالثة برحلة واحدة .

أقيمت الحسابات الواردة على أساس إحصائيات السنين السابقة . أما كيف ستكون النتائج بعد الحرب، فهذا شيء سابق لأوانه .

ملاحظات عامة :

١ - تدخل كثير من عناصر اللغة السلافية القديمة في لغة هذه الوثائق .

٢ - ترجمنا إيران كبلاد الفرس أو بلاد فارس وهذا ما جاء في هذه الوثائق .

٣ - بوشهر ترجمناها بوشير طبقا لما جاء في هذه الوثائق .

الهوامش

١ - الوثيقة رقم ١٤ .

٢ - الوثيقة رقم ١٦ .

الوثيقة رقم ١٧ .

الوثيقة رقم ١٨ .

٣ - الوثيقة رقم ٥ ورقم ٦ ورقم ٧ .

٤ - الوثيقة رقم ١٧ و١٨ و١٩ و٢٠

٥ - الوثيقة رقم ٤ .

٦ - الوثيقة رقم ٨ .

٧ - الوثيقة رقم ١١ .

٨ - الوثيقة رقم ١٨ .

٩ - الوثيقة رقم ١٠ .

١٠ - وثائق الإضبارة .

جورجيا والعالم العربي
العلاقات التاريخية والثقافية
وآفاق توطيد هذه العلاقات في المستقبل

بقلم الدكتور :
جورام تشيكوفاني
رئيس جمعية العلاقات الجورجية العربية (جورجيا)

تعتبر جورجيا إحدى جمهوريات القوقاز التي كانت سابقا ضمن جمهوريات الاتحاد السوفييتي .

لها حدود مع كل من أرمينيا وتركيا وأذربيجان وروسيا كما تتفتح على البحر الأسود، عدد سكانها حوالي خمسة ملايين نسمة أغلبهم جورجيون بالإضافة إلى أقليات مختلفة الأصل من بينهم روس، وأرمينيون وأذربيجانيون وأسيتيون وغيرهم، كما توجد أقلية قطنت غرب جورجيا من قديم الزمن تسمى أبخازيا، عموما الديانة السائدة في جورجيا هي المسيحية، غير أن هناك منطقة ذات حكم ذاتي (أدجاريا) تقع غرب جورجيا على ساحل البحر الأسود، يعتنق سكانها الإسلام .

تتميز جورجيا بتاريخها القديم وثقافتها العريقة. وتعتبر اللغة الجورجية من أقدم اللغات العالمية، أما أبجديتها فتدخل ضمن الأبجديات الأصلية الأربع عشرة . أقدم أثر أدبي موجود بجورجيا حالياً يرجع تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي .

من مميزات طبيعة جورجيا أنها منطقة جبلية كما تمتاز بوفرة مياهها الطبيعية، ووجود غابات كبيرة، إضافة إلى جوها المعتدل والرطب. انطلقت حضارتها من الجبال حيث كانت تتمركز تجمعات دينية وعلمية .

عبر التاريخ عاشت جورجيا حروباً من أجل استقلالها، مما ساعدها على تطور ثقافتها وحضارتها .

تكونت وتطورت ثقافة جورجيا بفضل تداخلها مع ثقافات الدول المجاورة لها .

بدأت العلاقات العربية الجورجية في أوائل القرون الإسلامية: النصف الأول من القرن السابع الميلادي، بدأت علاقة سكان شرق جورجيا مع العرب، نتيجة لتداخل الشعب الجورجي مع نظيره العربي، صارت تتداول مجموعة من الكلمات العربية في اللغة الجورجية، كان دخول هذه الكلمات عبر اللغة الفارسية والتركية، من بينها مصطلحات جغرافية، وأسماء لها معانٍ اجتماعية ودينية وغيرها خلال الفتوحات الإسلامية، دخل العرب جورجيا، وصارت عاصمتها تحت حكم أحد أمراء المسلمين، في المصادر العربية تسمى جورجيا ببلاد "الكُرج" عاصمتها مدينة "تفليس". من المؤرخين العرب الذين وصفوا جورجيا وأعطوا معلومات عن علاقة جورجيا بالعالم العربي نذكر الطبري وابن حوقل وابن الأثير، والفارقي وياقوت وغيرهم . . . في مؤلفات هؤلاء المؤرخين توجد معلومات عن تاريخ جورجيا وجغرافيتها. ويوجد لتفليس عدد من النقوش العربية يرجع تاريخها إلى أوائل القرون الهجرية. مثلاً في السنوات الأخيرة عثر على حجر مكتوب عليه : "ثلاثة أميال من تفليس" بأحد الأحياء القديمة بالمدينة، وهذا يعني أن العرب خلال الفتوحات الإسلامية كانوا يقومون بتحديد المسافات عن

طريق إشارات عسكرية وجغرافية. هذا الحجر له أهمية كبيرة وتاريخية، لأنه النسخة الوحيدة التي يرجع تاريخها إلى القرن الأول الهجري .

بشمال القوقاز يعيش مسلمون ألفوا مجموعة من الكتب باللغة العربية في مختلف الميادين، في الدين والفلسفة والطب والنحو والقواعد . . ومن بين المؤلفين الإمام شامل زعيم الشيشان والذي توجد له رسائل باللغة العربية بمتاحف جورجيا وروسيا خاصة "متاحف بطرسبورج" .

وقد ذكر العربي المسيحي "مكاري أنتاكي" مؤلف القرن السابع عشر معلومات عن جورجيا، كما توجد معلومات عنها في مؤلفات المسعودي والإصطخري. والثقافة الموجودة بشمال القوقاز ثقافة إسلامية لها أهمية كبيرة في الحضارة العربية الإسلامية، ومن الضروري دراسة هذه الثقافة التي تعتبر ثقافة إسلامية عربية خارج العالم العربي، ومن اللازم التعريف بهذه الثقافة في الوطن العربي نظرا لأهميتها .

وفي جورجيا توجد مراكز علمية لدراسة العلاقات التاريخية والثقافية بين جورجيا والدول العربية، هذه المراكز هي : معهد الإستشراق لدى أكاديمية العلوم بجورجيا، وهذا المعهد يحمل إسم المستعرب الكبير المشهور الأكاديمي جورج إتسيريتلي، جامعة تبليسي (كلية الإستشراق)، ومعهد المخطوطات لدى أكاديمية العلوم، الذي توجد فيه مجموعة كبيرة من المخطوطات العربية المكتشفة بالقوقاز وآسيا الوسطى وجورجيا، وأيضا معهد آسيا وأفريقيا .

في هذه المراكز تبحث قضايا علمية متعلقة بالعلاقات التاريخية والثقافية واللغوية بين جورجيا والدول العربية، وأيضا قضايا مرتبطة بالتاريخ العلمي العربي، وتدرس قضايا الأدب العربي وعلاقته بالأدب الجورجي .

إلى جانب زعيم المستعربين بجورجيا الأكاديمي جورج تسيريتيلي (Gporge Tsereteli) نذكر أيضا البروفسور اليكسي ليكياشفيلي (Aleksi lekiashili) والبروفسور فلاديمير أخفليدياني (Vladimir Akhvlediani) والبروفسور تينا كفيلاشفيلي، والبروفسور كوتشا جباريدزي (Gocha Japaridze) والبروفسورأبولو

ســيلاكادزي (Apolon Silagadze) والبروفســور نانــا بورتسيلادزي (Nana Purtseladze)، وغيرهم يدرسون تاريخ واللغة والثقافة العربية .

الجورجيون المستعربون ألفوا عددا كبيرا من الكتب حول قضايا تهم مشـاكل العـالم العربي، كما يدرسون الثقافة العربية الموجودة خارج الوطن العربــي . . يوجـد في بعـض مناطق الاتحاد السوفييتي السابق بعض القرى خاصة بأوزبكستان مثل جوكاري وعـرب خانة وهما قريتان من بخارى يتكلم سكانهما بالعربي، وأصلهم عربي، وعددهـم ثلاثـة آلاف نسمة تقريبا، كما يوجد جنـوب هـذه الجمـهورة قريتـان همـا جينـاو وقامـاشي، سكانهما عرب يتكلمون بلهجة عربية، عددهم نحو ألـف وخمسـمائة نسـمة . ولهجتـا هاتين القريتين تختلفان عن بعضهما البعض كما تختلفان عن لهجات الوطـن العربـي . تسمى اللهجة الأولى بخارية والثانية قاشقدارية . اكتشفت هاتان اللهجتان في ثلاثينات هذا القرن. وقد بدأ دراستهما الأكاديمي البروفسور جورج تسريتيلي الذي كان يعمـل انـذاك بسانت بطرسبورج، إلى جانبه كان البروفســور فينيكـوف (Vinnikov)، وكـان مديـر هذه الدراسات هو الأكاديمي كراتشكوفســكي (Krachkovski) في الأربعينيـات عندمـا انتقل جورج تسريتيلي إلى جورجيا استمر في دراسة اللهجات العربية في آسيا الوسطى، وصارت جورجيا مركزا لهذه الدراسات، حتى الآن لازالت تدرس هذه اللهجات بمعهد الاستشراق بتبليسي. هكـذا صـارت جورجيـا مركـزا لدراسـة اللـهجات العربيـة بآسـيا الوسطى. وقد أصدر البروفسور فلاديمير أخفليدياني بحثا لغويـا عـن اللهجـة البخاريـة سنة ١٩٨٠، أما اللهجــة القاشقداريـة، فإنني أدرسـها الآن وكـانت رسـالة الدكتـوراه حولها .

* د. جورامتشيكوفـــــــاني *

رئيس جمعية العلاقات الجورجية العربية (جورجيا)


الأدب الموالي
١٧٨ـ الوثيقة

بداية العلاقات الأدبية الأذربيجانية ـ العربية

بقلم الدكتور مقدس بن علي

يرتبط تاريخ العلاقات الأدبية أوثق الارتباط بتاريخ الشعوب ذاتها . وتدل الدراسات في مجال العلاقات الأدبية بين شعوب العالم على أنها كانت موجودة منذ نشوء الأدب ابتداء من الأدب الشفوي . والدليل القاطع على ذلك مثلا ، تواجد التشابه في مضمون وأفكار وأبطال نماذج الأدب الشفوي العربي والأذربيجاني والنماذج المشتركة لهذين الأدبين العريقين في القدم .

لقد قطعت العلاقات الأدبية الأذربيجانية العربية شوطا كبيرا منذ قيام العلاقات والصلات بين شعبينا ووصلت قمة تطورها واتساعها في أيامنا هذه . ويعود تاريخ هذه العلاقات إلى نصف الثاني من القرن السابع عندما نت أذربيجان جزءاً لا يتجزأ من لافة الكبيرة ، إذ بدأ عدد كبير من الشعراء والأدباء الأذربيجانيين في تأليف قصائدهم وأشعارهم بالعربية[١] . ومعلوم أن عددا من الشعراء الأذربيجانيين قد عاشوا في الجزيرة العربية وخاصة في المدينة المنورة حيث انتقلوا إلى هناك بحكم الأسباب المختلفة بما فيها تواجد المقدسات الإسلامية ، ألفوا نتاجاتهم بالعربية . وتشتهر هذه المجموعة من

الشعراء بالموالين ونماذج الأدب التي وضعوها بالأدب الموالي . لقد وصلنا عدد كبير من مؤلفات أولئك الشعراء والأدباء بالرغم من أن معظمها أُحرق ودُمر نتيجة غزوات المغول والحروب الأخرى وكذلك حملات النظام الشيوعي ضد الإسلام وضد أي شيء مكتوب بالعربية وكأنه يقوم بدعاية للإسلام . ومعروف أن تأليف القصائد والأشعار بالعربية يتطلب ليس فقط إتقان اللغة بل والمعرفة العميقة بأوزان الشعر العربي والأدب وتاريخ العرب عموما .

ويعتبر موسى شهواتي من أول ممثلي الأدب الموالي حيث ألف أولى قصائده بالعربية سنة ٦٨٠م[٢] . وقد ألف هذا الشاعر شأنه شأن معظم الشعراء العرب لذلك العهد قصائد المدح والهجاء وذلك تبعاً للأسلوب التقليدي في الأدب العربي الكلاسيكي .

والي جانب موسى شهواتي يشتهر الشعراء المؤلفون الآخرون أمثال إسماعيل ابن يسار وابن العباس الأعمى وغيرهما بقصائدهم وأشعارهم العربية التي كانت منتشرة في مختلف أرجاء الخلافة العربية الكبيرة .

إن مدائح وأهاجي موسى شهواتي والقصائد السياسية لإسماعيل بن يسار وهو من مؤيدي حركة الشعوبية وقصائد وأشعار المدح لأبي العباس الأعمى للأمويين إنما هي خير نماذج للأدب الموالي وتعطينا صورة عن مستوي تطور الأدب العربي والحياة الاجتماعية لتلك الفترة التاريخية وخاصة لعهد الأمويين . وتتميز قصيدة موسى شهواتي الموجهة إلي الأمير سعيد بن خالد والتي يطلب فيها مساعدته لتزويجه من جاريته ومدحه لحمزة بن عبد ا الله لأجل تحسين وضعه المادي ، تتميز بأسلوب تأليفها الخاص ومضمونها الاجتماعي . وبحكم الأوضاع الاجتماعية السائدة آنذاك انتهج الشعراء الموالون أسلوبا يختلف عن أساليب الآخرين وكانوا يعتمدون على القوى السياسية المختلفة ، الأمر الذي وجد تعبيره في نتاجهم المتنوع . وعلى الرغم من اختلاف أساليب ومضامين قصائدهم وأشعارهم يتميز إنتاجهم " بالروح الأذربيجاني والفكر الأذربيجاني والذوق الأذربيجاني "[٣] .

كما أن الشعراء الأذربيجانيين قد هاجروا إلى الجزيرة العربية والمدينة المنورة وإلى العراق والبلاد الأخرى أيضـ

ووضعوا مؤلفاتهم بالعربية التي هي لغة الإسلام والقرآن الكريم والتي انتشرت في أرجاء الخلافة المختلفة .

وهناك اتجاه آخر لتطوير العلاقات الأدبية وهو إقامة العرب وبينهم الشعراء والأدباء في المدن الأذربيجانية الكبيرة الداخلة في الخلافة وتأليف إبداعاتهم المتميزة إلى جانب وصف بطولة جيوش الخلافة ووصف جمال طبيعة أذربيجان ورجالها البارزين من الشعراء والأدباء . فمثلا، كتب المؤرخ البلاذري يقول : " بعد فتح أذربيجان من قبل العرب وصلت إلى هنا أقوام كثيرة من البصرة والكوفة والشام وتملكوا قطع الأراضي وأقام معظم العرب في المدن الكبيرة مثل بردع وبيلاقان وقبله والمدن الأخرى في آران "(٤).

لقد حمل الشعراء والأدباء الأذربيجانيون المهاجرون إلى البلاد العربية، شأن زملائهم العرب المقيمين في أذربيجان، حملوا معهم نماذج آدابهم وفنهم وطبقوها في الظروف الجديدة . كما حمل العرب معهم إلى أذربيجان الخ..ة الغنية للشعر العربي وبالتالي حد..ل الاندماج المثمر للأدبين والـ..ارتين. ويطلق الأكاديمي بارتولد على المدن والمناطق التي كان يسكنها الشعراء والأدباء العرب والأذربيجانيون ويقومون بإبداعاتهم هناك ، يطلق عليها " مراكز نشوء الحضارة الإسلامية العامة "(٥).

وإلى جانب المؤلفات الأدبية وضع العلماء الأذربيجانيون المؤلفات العديدة في الدين والفلسفة والعلوم الطبيعية والصرف والنحو بالعربية أيضا وذلك لأن أي مؤلف بغير العربية لم يكن مقبولا آنذاك من قبل الحضارة الإسلامية العامة . كما أن المصنفين العرب كانوا يهتمون بدورهم بالأدب الأذربيجاني ويشيرون في مؤلفاتهم إلى أسماء الشعراء والأدباء الأذربيجانيين ومصنفاتهم الشهيرة. فمثلا ، يذكر أبو بكر أحمد البغدادي وأبو سعيد السماني وأبو محمد عبد الرحمن الاثنوي في مؤلفاتهم أسماء حوالي مائتين من العلماء الأذربيجانيين الذين وضعوا كلهم تقريبا مؤلفاتهم بالعربية . كما أن أبي تمام والبهطوري وعلي ابن جحم كرسوا مصنفاتهم العديدة للمواضيع الأذربيجانية المختلفة وخاصة حركة الخرميين . وبإمكاننا أيضا أن نجد " نماذج كثيرة من الأشعار المكرسة لحركة الخرميين بأذربيجان في مصنفات

وإبداعات الأدباء المؤرخين الشهيرين للقرون الوسطى، أمثال ابن الأثير والدينوري والمسعودي والمقدسي والطبري "(٦).

فليس من باب الصدف أن أبا الفرج الأصفهاني يذكر في مؤلفه الشهير " كتاب الأغاني " أسماء عدد من الشعراء الأذربيجانيين الذين كانوا يخدمون في قصور الخلفاء والملوك "(٧).

لقد اشتهر الشعراء الأذربيجانيون للقرنين العاشر والحادي عشر أمثال المغلصي والمراغي وباركويه وزنجاني ومنصور تبريزي وخطيبي أرموي والخطاط نظامي تبريزي وإسكافي تبريزي وخطيب تبريزي ، بمصنفاتهم العربية إذ وصفوا بمهارة عالية لوحات من حياة العرب المتنوعة. وحفلت قصائدهم بروح الشعر العربي الكلاسيكي .

ومع مرور الزمن وجدت هذه العلاقات المشتركة تطورها واتساعها اللاحقين وقدم ممثلو كل من الأدبين خدمة بارزة في إغناء الحضارة والأدب الإسلامي المشترك . ثم مع تطور العلاقات المتعددة الجوانب بين أذربيجان والبلدان العربية تعززت العلاقات الأدبية وساعدت على ترجمة نماذج الأدبين إلى الأذربيجانية والعربية ، الأمر الذي يستمر اليوم بنجاح أيضا .

عموما يعود تاريخ العلاقات الأدبية الأذربيجانية العربية إلى النصف الثاني من القرن السابع وقد وضع أساسها من قبل الشعراء الموالين الأذربيجانيين الذين عاشوا في الجزيرة العربية وخاصة في المدينة المنورة . كما أن الشعراء العرب الذين أقاموا في المدن الكبيرة الأذربيجانية وهم الآخرون ساهموا بقسط كبير في تطوير وتوسيع هذه العلاقات ، إلى جانب ترجمة نماذج الأدبين وزيارات الأدباء والشعراء ولقاءاتهم في الندوات والمؤتمرات الدولية والإسلامية والعلاقات الشخصية فيما بينهم، لكن العنصر الرئيسي كان ولا يزال هو العقيدة المشتركة والدين المشترك وكتاب الله الكريم الذي يوحد جميع مسلمي العالم وكذلك العادات والتقاليد المشتركة للشعبين الشقيقين الأذربيجاني والعربي .

الدكتور مقدس بن علي

باكو، معهد المخطوطات الشرقية التا
لأكاديمية العلوم الأذربيجانية

الهوامش:

١ ـ مالك محمود وف ، الشعراء الأذربيجانيون الذين ألفوا بالعربية . باكو ، عام ، ١٩٨٣م ، ص٥٠ .

٢ ـ فائق علييوف ، العلاقات الأدبية الأذربيجانية العربية . باكو ، ١٩٨٧م ، ص. ٢٠ .

٣ ـ الأكاديمي ضيا بنيادوف ، أذربيجان في القرون ٧ ـ ٩ . باكو ، ١٩٦٥م ، ص. ٦٥ .

٤ ـ تاريخ أذربيجان ، ج١ ، ص ، ١١ .

٥ ـ الأكاديمي ضيا بنيادوف ، المؤلف المذكور ، ص ، ١٧٢ ـ ١٧٣ .

٦ ـ مالك محمود وف ، بابك في الشعر العربي ، باكو ، ١٩٦٨م .

٧ ـ تاريخ أذربيجان ، ج ١ ، ص، ١٣٣ .

thinking. Islam, Arab seafaring, Ahmad ibn Majid were never abstract academic formulas for me but living realities. At least, I tried to bring about a broader understanding in this way.

I believe that science has a distinct social responsibility. Scholars as people having an opportunity to look more closely on some events should try to avoid traditional thinking and popular misconceptions which are still so vital to our life. They should bring out the truth about the subject of their study ignoring immediate, pragmatic or political considerations.

The Arabs have played a decisive role in the development of seafaring. It was the Arab pilot Ahmad ibn Majid who showed the way from Africa to India to the Europeans. Unfortunately, it was not that easy to convince traditional scholarship. Still, there is still so much left to be done in this direction.

Medieval Arab seafaring was the major theme of my academic activities. Its importance and significance enabled me to go through many difficulties during my life. I would be happy if the results of my studies will reach a larger international audience. I believe that Arab countries naturally will have a major interest in this topic.

Prof. Theodore Shumowski

St. Petersburg - Russia

from different languages into Russian which I have done all my life. Poems of Ahmad ibn Majid in Arabic can be found in the second volume of the "*Book of useful chapters*".

A linguistic analysis of the Arabic marine lexics in the Russian and other foreign languages can be found in my book "*Reflections on the subject of Western-Eastern Philology*". This book is also prepared for publication.

The major work of Sulaiman al-Mahri "*Assistance in the understanding of seafaring*" was prepared for publication in 1974 but has not appeared until now due to lack of funds.

Beyond my purely academic publications such as articles which I have discussed above and the critical editions of the "*Book of useful chapters*" and "*Three unknown charts of Ahmad ibn Majid*" I have published some books on this topic targeting more general readers. The more important of them were "*The Arabs and the Sea*" (1964). "*The Memories of the Arabist*" (1977). "*After Sindbad the Seafarer. The Oceanic Arabia*" (1986).

Around a year ago my poetic translation of the Quraan into Russian was published in Moscow. I believe that this translation will make the Islamic culture more understandable in Russia where so many religious groups live in everyday contact. I suppose that a lot of interfaith and political tension there, is a result of false interpretations of other cultures, first of all of the Islamic civilization.

My academic acti ies were always clo ly connected with my ge ral

his life-work, rued the fact that he had shown to the European travelers the sea route to India, "*oh, if only I had known what they are capable of !*" he says in one of his last descriptive charts. (This chart is kept currently in the St. Petersburg collection of rare manuscripts.) This heart-felt cry essentially alters the conception of the personality of Ahmad ibn Majid. His image was primarily formed on the basis of Ferrand's studies.

Recently I have written a book entitled "*The last lion of the Arab Seas*" dealing not only with the seafaring activities of Ahmad ibn Majid but also giving his analysis an individuality. He is described there not as an abstract pilot who led the ships of Vasco Da Gama but as a real human being with thoughts, feelings and lesires. I wrote this book to mark the 500th anniversary of the voyage of Vasco Da Gama. My purpose in this regard was also to throw new light on his discovery involving a direct participation of the Arab pilot. This book is based on all my work with major Arabic manuscripts concerned with Arab seafaring and various supporting sources. This book is currently prepared for publication.

Ahmad ibn Majid also wrote many poetic pieces in addition to his marine manuscripts. This poetry is concerned with different events in his life and different philosophical reflections. I have interpreted them in poetic from as well and included in my book of poetic translations. This book is entitled "*The human spirit*". In addition to the poetry of Ahmad ibn Majid it contains poetic translations

Arab navigation, continued the long tradition of the Middle East, which had started at the period of Babylonian and Phoenician seafaring expeditions. It facilitated economic and cultural relations between the different nations of the Indian Ocean. On the ships fastened with coir, Muslim merchants reached East Africa. Madagascar, India, Malacca, the islands of Indonesia, and the ports of South and Central China. They established numerous trade colonies in all these places. At the time of the Baghdad caliphate and later dynasties, before the first Europeans came East, the Arab sea trade led to the creation of a united Indian Ocean market which included the Moslem Mediterranean possessions.

In the Mediterranean the Arab rulers - from the Fatimids in the East to the Spanish Omayyads in the West - had powerful navies which on many occasions fought the armed forces of the Christian world. Military expedience led to constant technological improvements. Henri the Navigator, the prince of Portugal whose name is associated with the first geographical discoveries of the Portuguese in West Africa, made use of the experience of the Mediterranean Arab captains to improve his navigation instruments and charts. Arabian influence was also observed in the rigging of European caravels.

The subsequent penetration of the Europeans in India and the establishment of Western trade monopoly in the Eastern seas brought about the fall of traditional Ar[illegible] trade. Ahmad ibn Majid [illegible]r whom the steerage of [illegible]is country's merchant ships [illegible]as

Joao Barros, the 16th century historian, notes that when Vasco Da Gama showed the European navigation instruments to Ahmad ibn Majid "*the Moor was not even surprised*". The Arab pilot in his turn has demonstrated different complex instruments for the measuring the elevation of the sun and stars which were broadly used by the Red Sea navigators.

The high standard of the Arab navigation was a natural result of its long history. These were the Arab seafarers who invented a lateen which enabled the ships to sail against the wind. It significantly assisted the Europeans in their overseas voyages in the XV and XVI centuries.

Arabic marine literature ıas exerted even a greater nfluence in the East. It was particularly pronounced in the works of the Turkish navigators of a subsequent period.

Mankind owes to the Arab marine culture such concepts as admiral, arsenal, mizzen, cable, monsoon, galley, felucca, and anchor. Arabian astronomy has provided the basis for navigation under sails. It gave more than 200 names of stars to European astronomy. These include such well-known stars as Algol, Aldabaran, Altair, Arhamar, Betelgeuse, Vega, Mirzam, Riguel, and Famalhut. The Arabic designation of the astronomical degree "*'isba*" (finger) was adopted by the Europeans in the form of its Latin equivalent-"*pollex*". It corresponds to the early Portuguese "*pollegada*" ("*pulgada*"). The Arabian "*bandar*" is reflected in the Portuguese "*bandel*".

the orders of his master, whose name was mentioned once - Ahmad ibn al-Gamal. This circumstance gives a new perspective on his statements and actions.

Ahmad ibn Majid was the last and the most significant Arab seafarer.

In addition to extending the routes of his father - Majid ibn Muhammed and his grandfather- Muhammed ibn Amr, Ahmed ibn Majid initiated a significant advance in the theory of navigation. He introduced the ultimate scheme of the 32 rhombus in its application to the windrose and put into practice the magnetic needle in the open sea. He developed the system of moving on different tacks and brought up some new applications of astronomy for navigation. He also explained to the Europeans the significance of the regular monsoons in the Indian Ocean.

The major successor of Ahmad ibn Majid was Sulaiman ibn Ahmad of Mahra. Al-Mahri wrote five studies on the theory and practice of navigation. Both of them represented the unique Arab art of navigation. Professor Ignatius Kratchkovski wrote in this regard: "*In the books of Ibn Majid and even Sulaiman, both of whom lived and wrote mostly at the time of Portuguese rule, only Oriental sources and methods are used. No influence of Portuguese sources can be traced. In contrast, a reverse influence is strongly felt, since the very first advances of the Portuguese east of the Cape of Good Hope acquainted them with the experience of the Arabs. Their older works in this field bear clear traces of borrowing*".

The majority of his works are mainly descriptive charts of various routes. The "*Book of useful chapters*" was completed in 1490, eight years before the author's participation in the expedition of Vasco da Gama. Ferrand describes this book as the most brilliant and mature work of the Arabian seafarer.

As a matter of fact, by the time the author finished it, he had about 40 years' experience in sailing the vast expanses of the Indian Ocean. He spent fifteen years in writing this book. The most important event in the author's life after that was his participation in the voyage of Vasco da Gama. It was he who brought the Portuguese ships of Vasco da Gama direct through the Indian Ocean to India. The travel took 26 days. Soon after that the author died sometime early in the 16th century.

The work of the Arab pilot was glorified in the verses of the "*Os Luisiadas*" by Luiz de Camoes whose name had been familiar to the Russian reader since the 18th century.

"The helmsman steering the ship,
There was nothing untrue about him;
He sailed ahead showing the right course,
And this course was pursued with greater confidence
Than before"

(Canto VI, Stanza V)

Until now historians held that Ahmad ibn Majid had joined the expedition of his free will, being favorably disposed to the foreign travelers. The latest data provides the assumption that he was not a free man, as was formerly believed, but a liberated slave acting under

in detail by any European manual on navigation by sails.

The contents of the encyclopedia is interdisciplinary and the language is very complicated. De Slane, one of the prominent orientalists of the 19th century has abandoned the idea of working on this manuscript saying that "*its language was too verbose and abounding in technical terms intelligible only to the seamen of the Indian Ocean*". Indeed, it presents sometimes a genuine riddle and requires great effort to solve it .

The author's thoughts are at times half-concealed, technical designations are quite often implied and therefore omitted, and the language sometimes is not up to the classical standard. For this reason it is not always possible to give indisputable solutions. In this perspective the publication of the text of the "*Book of useful chapters*", collated with the both existing manuscripts and supplied with extensive notes presents a unique opportunity for a further analysis of Arabic marine literature.

This study of Ahmad ibn Majid enables us to reconstruct in general the outline of his life and work. He was born in 1440. His father and grandfather were also pilots, and came from Najd in central Arabia. They were mainly engaged in coastal navigation in the Red Sea.

Ahmad was born in Gulfar, a seaport in Oman. He worked on his father's ship while still a boy. In 1462 he wrote his first work "*Concise Course of principles of Navigation*". It already contained descriptions of different places lying outside the Arabian waters.

t shows the geographical ·ange of the Arab seafarers in he middle ages.

The list of marine terms :onsists of almost 1,000 words. It substantially supplements the existing lictionaries in this field and lenotes the high level of navigational expertise among he Arabs at this time.

The contents of the istronomical glossary equals n quantity the terminological ist of the specialized work on this subject of Abd al-Rahman al-Sufi.

The large number of iames and literary references lemonstrates the extensive :ultural background of the uthor. The text of the encyclopedia runs in prose nterspersed with 140 versified inclusions from one o nineteen lines each. The atter include verses of amous poets, such as Abu Nuwas or Al-Ahktal as well s those of less renown. Sometimes verses are anonymous.

Quotations from the other works of Ahmad ibn Majid constitute a special group. Usually they originate from his first book "*Concise course of the principles of navigation*" which was finished in 1462. The encyclopedia lists thirteen other books of Ahmad ibn Majid which are not mentioned in any other source. "*The Book of useful chapters*" gives only their titles and one or two lines of quotations from each of them. Thus Ahmad ibn Majid appears to be the author of 38 navigation manuals. Some of them did not lose their practical value for a long period of time. For example, Ferrand supposes that the descriptive chart of the Red Sea which constitutes the 12th and the last "*Useful chapter*" has not been excelled either in accuracy or

experienced yourself and saw with your own eyes" (f.59v). "*It is impossible to know about a land without visiting it*" (f.62r). Characterizing the art of navigation as a special sphere of human activity with peculiar methods of study, the author repeatedly emphasizes: "*This science is based on intelligence and experience, and not on tradition*" (f.16r), "*In this science experience is everything*" (f.48r), and "*Experience is something that cannot be excelled by anything*". These statements and a long series of similar ones were by no means declarative formulas but firm principles tested by life.

This stress on practical utility which justifies the existence of the resultant principles is one of the major philosophical dimensions of this work. Following Abd-al-Rahman ibn Khaldun, his older contemporary, Ahmad ibn Majid appears as a brilliant forerunner of the rationalist movement. Whereas such stories as that of Sindbad the Seafarer, or the "*Wonders of India*" by Buzurg ibn Shahriyar give primarily a romantic account of outward events, the "*Book of useful chapters*" depicts on its pages the grim, unvarnished everyday life of the sea as it really is. But there is also a place for romance in the difficult and dangerous life of a seaman dedicated to self-perfection.

The encyclopedia is a rich source of geographical astronomical and literary knowledge as well.

The toponymic glossar of this text constitutes a bod of 1,072 names, of whic many are unique, i.e. no confirmed by other histor sources. Especially elabo is the toponymy of Ma and the islands of Indon

rom secondary sources. For his reason descriptions have contained the defects of iction stories and their data ieeded verification. "*The* *ook of useful chapters*" was recisely authentic because it vas based from the eginning to the end on the ersonal experiences of its uthor.

The idea of verification y personal experience runs ll through the encyclopedia f Ahmad ibn Majid. It is this oncept which is the undamental difference etween the literature on avigation and works on eneral geography. It equires a complex ombination of professional kills and moral qualities rom a pilot. This notion is rought out in detail in the econd "*Useful chapter*".

A pilot must be aware of ll capabilities of his ship and of all the features of his route. He must be absolutely correct in his "*reading the book of the sea*"; he must be both humane and relentless. The additional sources denote that these requirements were similar in the Indian concept of a pilot. Such, for instance, was Boddhisatva from the city of Bharuccha and the port of Barygaza which became famous in the Hellenistic period. This pilot was mentioned in the well known book of Sylvian Levi concerned with the "*Ramayana*".

The main subject of the encyclopedia of Ahmad ibn Majid is a description of the practical conditions of navigation in the Indian Ocean. It provides primarily practical guidance in this area derived from the personal experience of the author. "*Knowledge.. rests only on what you*

10 The world's ten greatest islands -Arabia, Java, Madagascar, Sumatra, Taiwan, Ceylon, Zanzibar, Bahrain, Socotra, Ibn Gawan (in the Arab Gulf).

11.Monsoons and sailing.

12.A descriptive chart of the Red Sea.

According to Ahmad ibn Majid, navigation originated in the Biblical times -"*ships observing the course of the stars sailed the Red Sea as far back as the time of Prophets*" ("*Book of useful chapters*", ff. 14a-14b). This verse could remind the reader about the voyage to Ophir and the famous Phoenician-Egyptian sea expedition round Africa in the 16th century not to mention the earlier voyages to the Punt.

The first step was the Arc of Noah. The astrolabe was invented by the Prophet Idris; the lunar mansions and the stars connected with them were discovered by Daniel, and the magnetic inclination by David, "*because he had an idea of iron and its properties*" (f.5r). The last remark reflects the widespread tradition of perceiving David as a patron of metallurgy. This fact was mentioned also in Quraan.

Ahmad ibn Majid has mentioned the names of some outstanding Muslim pilots. The very first pages of the book demonstrate the characteristic features permeating the entire encyclopedia of the Arabian seafarer, namely, his reference to the accounts of other pilots to the traditional island. "*They are writers and not creators*", says the author about his predecessors.

He points out that they steered ships only on limited parts of the seas and received their information primarily

on the basis of two manuscripts known at the present time. The first one is a part of the collection of the Bibliotheque National in Paris and the other in the Library of the Arabian Academy of Sciences in Damascus.

The Paris manuscript (No. 2292 in de Slane's catalogue) was obtained by the Bibliotheque National in 1860. It was discovered by Gabriel Ferrand and Maurice Gaudefroy-Demombynes in 1912 and published by photo-type in 1920-1923. This manuscript dates back to 1576. "*The book of useful chapters*" equals in its volume the other 18 writings of Ahmad ibn Majid.

The Damascus manuscript was copied from the Paris manuscript and it is provided with more recent data. Its existence became known in 1921 from the report of Sa'id al-Karmi which was published in the bulletin of the Arabian Academy of Sciences.

"*The book of useful chapters*" was compiled between 1475 and 1490 by Ahmad ibn Majid. It covers in the basic text 176 closely written pages in small hand writing. It consists of twelve "*useful chapters*" with the following contents:

1. The origin of navigation and of the magnetic needle.
2. Professional and ethical requirements for the pilots.
3. The lunar mansions.
4. The windrose and the 32 rumbs.
5. Ancient geographers and astronomers.
6. The sea routes.
7. Observation of stars.
8. Navigation of a ship.
9. Different sea-coasts; three categories of pilots.

the XV-XVIth centuries" (1964),

"Arab seafaring in the age of Islam in the Mediterranean" (1964),

"Studies concerned with Arab seafaring in the XVth century" (1965),

"Who is Dabavkara?" (1965),

"The new problem in the medieval history of the Arabs" (1966), and *"Some elements of antiquity in the Arabic encyclopedia" (1966).*

All this work enabled me to provide a critical analysis of the *"Book of useful chapters on fundamentals and rules of the maritime science"*. Its diverse subject matter and the author's thorough treatment of each theme make the *"Book of useful chapters"* an encyclopedia of the 15th century Middle Eastern art of navigation.

This manuscript is a compendium of various navigation experiences of different nations living in the basin of the Indian Ocean, from East Africa up to Southern China.

This book which was published in 1985 in Russia consists of three major parts:

1. Introduction
2. Arabic texts with Russian translations and commentaries.
3. Indices.

The introduction provides a historical analysis of the navigation literature in Arabic. It draws a general outline of the development of the art of sailing by pre-Islamic and then the Moslem Arabs and sums up the impressions created by the text.

The Arabic text of the edition of the *"Book of u ful chapters"* has been prep ed

Museum of the Russian Academy of Sciences in 1819. In 1957 this document was published by the Institute of Oriental Studies of the USSR Academy of Sciences with a Russian translation, and a commentary by Prof. Shumowski.

This book attracted significant international interest. Thirteen reviews of this publication appeared in the different countries of the world. It was translated into Portuguese in 1960, twice into Arabic - in 1966 in Brazil and in 1970 in Egypt. The state of Kenya gave the name of Ahmad ibn Majid to one of the streets of the ports of Malindi.

The largest and the most significant work of Ahmad ibn Majid appeared sometime later. Its publication and critical analysis were preceded by a thorough research of the different elements of Arab Seafaring. My major publications in this regard were the following:

"Ibn Majid, The Arabic pilot of Vasco de Gama" (1948),

"Arabic navigation in the Middle Ages" (1957),

"Arabic seafaring prior to Islam" (1959),

"Arabic sailing directions as literary-historical sources of a new kind" (1960),

"Sindbad and Ahmad ibn Majid" (1961),

"Theory and practice in Arabic geography" (1961),

"The problem of identification of two Muslim maps in the Russian translation of "Safar-Name" by Nasir Khusrow" (1962),

"The beginning of research concerned with the Arabic sailing directions of

a new branch of Arabic philology. In addition to his analysis of the specific characteristics of these texts, Ferrand published a phototypic edition of both Arabic navigation manuscripts which he had discovered earlier in Bibliotheque National. His premature death prevented him from bringing out a critical edition of the major texts of the Arabic marine literature. His unique knowledge of African, Indian and Far-Eastern languages as well as his significant experience in studying parallel texts would have given him an excellent opportunity to do this work on a qualitatively new level.

A major result of his study was his identification of the more distinguished author of the two manuscripts discovered, the steersman Ahmad ibn Majid of Oman. This discovery made by Ferrand unexpectedly revealed a new aspect in the history of the epoch of great discoveries.

Still it was impossible to come to a well-grounded conclusion in this regard without a though analysis and comparison between the Paris manuscript (copies found in Damascus and Jeddah) and St. Petersburg (unique) manuscript. These are thirty writings of two seafarers -Shihabaddin ibn Ahmad ibn Majid from Oman (XV century) and Sulaiman ibn Ahmad al-Muhammadi from Mahra (XVI century).

From the beginning of 1930s the studies of Arabic marine literature were continued in Russia. In the middle of the 1920s I. Kratchkovski discovered three unique manuscripts of Ahmad ibn Majid, ıd supervised their fur er study. This rare manusc pt was received by the As ic

already from the beginning the 18th century.

Seven of these works which were considered to be the most important acted as a major source for the "*Muhit*", as Chelebi admits it himself in the preface to his encyclopedic work. For this reason, the traditional high value of this work attributed to it in Europe had to be reconsidered. G.Ferrand went so far as to deny any independent significance for this Turkish source in the history of geographic knowledge.

The comparison of various data which Ferrand found in the writings of Kutbaddin al-Nahravali, the Turkish admiral Sidi Ali Chelebi as well as the books of Portuguese historians Barros, Goes and Castanheda enabled him to conclude that Ahmad ibn Majid was a pilot of the first -"peaceful" expedition of Vasco de Gama to India on its way from Malindi (East Africa) to Calicut (West India).

An analysis of the manuscripts of Ahmad ibn Majid in this perspective gives a new interpretation of Portuguese medieval cartography. It appeared to be closely related to Arab sources. M. Bittner and W. Tomasek (Vienna) were the first who supposed this relationship.

They analyzed the encyclopedia of the Turkish admiral Sidi Ali Chelebi as well. It appeared that his works were only an intermediate version of the original Arabic navigation documents under way to the Portuguese.

The works of Ferrand concerned with the analysis of the various aspects of the Arabic manuscripts acted as a basis for Arabic thalassograhy which became

the existing traditions of trade, but on the contrary, brought together many significant ports of antiquity under the same rule. The most important among them were Ubulla, Siraf, Kish, Muscat, Aden, Alexandria and Almeria.

A further period of sea colonization enlarged the opportunities for Arab sea-trade. Muslim colonies emerged on vast territories from Africa to Indonesia and China facilitating the economic growth of the Abbasid Caliphate. Numerous uprisings and wars could not stop Arab seafaring which intensively developed up to the end of the XV century. After that the Portuguese took the place of the Arabs in the Indian Ocean. The Portuguese domination forced them to move back to the shores.

All through the 19th century the only important source of knowledge of the history of the Arabian art of navigation was the famous "*Muhit*" (Encyclopedia) by Sidi Ali Chelebi, the Turkish admiral of the 16th century. This source was discovered by Joseph Hammer-Purgstall in the 1820's. At that time Arabic geographic literature was thought, to contain mainly a description of overland itineraries. The accounts of the sea voyage were considered to have only an occasional and exotic character.

In the 20th century the situation changed. The manuscripts discovered in 1912 contained 18 works on the art of navigation written by Ahmad ibn Majid from Oman and Sulaiman ibn Ahmad from Mahra (in South Arabia). In fact, one of these sources has been kept in the Bibliotheque National without stirring any interest from 1860 and another one

and al-Maqdisi are among the most important in this regard.

Significant linguistic data also supports the idea of the particular importance of the sea for the Arabs. Numerous borrowings of the sea-related lexics in the European, African and Asian languages provide enough evidence of that.

Unfortunately, for a long time these accounts were considered unsystematic and insufficient to suppose any marked activity of the Arabs related to the sea. It was long considered that the Arabs were not sophisticated enough as to sail in the open sea.

In fact, the situation was quite different: First of all, the recent archeological data gives various kinds of evidence that Arabia was relatively a fertile territory in the III-IV centuries BC. It was linked with Babylonia, India and Egypt with a number of sea routes. "*The Periplus of the Erithrain Sea*" which was written in the First century AD and some writings of Ptolemeus give more detailed information about Arab seafaring. Its development was closely connected with the Phoenician and later Greek navigation bordering their spheres of influence.

Already at that time the Arabs were acquainted with the conditions of monsoons. This knowledge enabled them to undertake trade expeditions by sea up to East of Africa as well as to Malabar, Ceylon and Sumatra. The diversity of traded goods increased significantly over the next period but still the most important were gold, spices and slaves.

The introduction of Islam in Arabia and the expansion of the caliphate did not ruin

Following this tradition of thinking, one should believe that the sea which is circling Arabia did not link it to the continent but separated it from the rest of the world. For this reason, the geographical location has contributed to the uniqueness of the Arab nation. In this perspective isolationism could explain the different phenomena of Arabic culture such as the centrality of the camel in Arabic poetry as well as the lack of sea-related lexics in major dictionaries. It also helps us understand why the major Arabic sources in geography give detailed descriptions of land routes but mention only sketchily the sea. On many medieval Arabic maps China faces Abyssinia .

But what are the seven travels of Sindbad in this perspective? Is it a fairy tale helping to narrate the story of an adventurous merchant? What is the meaning of the numerous sea related accounts in Arabic literature? It is possible to find them in the "*Wonders of India*" written by the ship-owner Buzurg ibn Shahriar, in "*The Legends about China and India*" originating from Siraf and in the reports of Ibn Battuta about the port of Calicut. Interesting details can be found in the story about the pilot Maffan by al-Biruni, reports of al-Idrisi about the sea travel of the "tempted" ("mugarrun") in the Atlantic and in the memoirs of al-Mas'udi about his voyage from the coast of East Africa in the company of the two ship-owners.

In addition to that less known authors were also speaking about Arab endeavours in the sea. The writings of al-Nuwairi, Ibn Tuwair, Jahya from Antiokhia, al-Kalkashandi


EAFARING
tudies
he Arab Seas"

ANALYSIS OF ARAB

In Russian Oriental

Ahmed Ibn Majid "The Last Lion of

By

Prof. Theodore Shumowski

St. Petersburg - Russia

Arabs were traditionally considered in Western thought to be people attached to land and living primarily in deserts or in a number of rare oases. The major Arabists of the 19th century such as G. Reinaud and M. de Slane shared this opinion. M. Hartman, B. Carra de Vaux and Ignatius Kratchkovski were already writing about the dislike of the sea by the Arabs in the 20th century.

17 - Report on the first test trip to the Gulf made by the steamship Kornilov from the 3rd of February to 11th of May 1901.

18 - ibid.

19 - Meeting on 9th August, 1901.

20 - A letter to the board of administration of the RCSNT, 1st October, 1901.

21 - The Times. 21st December, 1901.

22 - Confidential memorandum signed by the manager of the department of trade navigation dated 19th February, 1902. N1198.

23 - 1 pood = 16.38 kg or 36 lb. Avoirdupois.

24 - Note directed to the Department of Commercial Navigation, 31st July, 1902.

25 - Note addressed to the Department of Commercial Navigation, 19th July, 1903.

26 - Report addressed to the administration board of RCSNT, 20th October, 1903. N32/PL II

27 - A memorandum to the Board of Administration of RCSNT, 10th November, 1903. N78.

28 - A letter to the Board of Administration of RCSNT, 16th July, 1904. N422/PL. III

29 - A note to the Department of trade navigation.

30 - A letter from the Russian Ministry of Foreign Affairs to the Administration Board of RCSNT, May 14, 1904. N873.

31 - A note of August 18, 1904.

32 - A letter to the board of administration of the Company of September 17, 1904 St. Petersburg.

33 - A letter to the board of administration of the Company of March 19, 1902.

REFERENCES

1 - Fund No. 107, inventory N1. 1856-1918.

2 - A civil rank in Tsarist Russia.

3 - Russkiye vendomosty, January 8, 1900.

4 - Memorandum of 16th March,1900 of the Russian Company of Steam Navigation and Trade.

5 - ibid.

6 - Report of the Russian Company of Steam Navigation and Trade of March 16, 1900 directed to the Minister of Finance of Russia. N448.

7 - ibid.

8 - ibid.

9 - ibid.

10 - ibid.

11 - Report of Romanov Vasiliy Alexeyevitch, 20th October 1900.

12 - ibid.

13 - Report on navigation in the Gulf.

14 - A letter from 27th October 1900, N2032 to His Excellency V.I.Kovalevskiy.

15 - Report of the Russian Company of Steam Navigation and Trade from March 16, 1900 directed to the Minister of Finance of Russia. N448.

16 - Russkiye vedomosti, 7th February, 1900.

1541	4470	Extraordinary Common Meeting of the shareholders on the agreement with the Government dealing with the maintenance of the line.	76	1902
1548	1418	Communication between the Black Sea ports and the ports of the Gulf.	87	1902
1549	1461	Communication between the Black sea ports and the ports of the Gulf.	91	1902
1577	2109	Communications between the Black Sea ports and the ports of the Gulf.	42	1903
1584	2113	Communications between the Black Sea ports and the ports of the Gulf.	49	1903
1590	2260	Communication between the Black sea ports and the ports of the Gulf.	57	1903
1607	1499	Communications between the Black Sea ports and the ports of the Gulf.	79	1903
1814	471	Regulation of the transportation of Moslem pilgrims.	49	1907

Appendix

The following list contains the titles of documents related to the above discussed issue, that are located in the Russian State Historical Archive and in the Navy Archive in St. Petersburg, Russia.

Vol. NN in the Navy Archive	Vol. NN	Subject	File No.	Year
1444	1341	Fixed-dates communications between the Black sea ports and the ports of the Gulf. Steamship 'Kornilov' see file N45/1901.	30	1900
1486	1052	Fixed-dates communications between the Black Sea ports and the ports of the Gulf. (Steam ship 'Korniloz' instead of 'Azov')	45	1901
1494	1042	Fixed-dates communications between the Black sea ports and the ports of the Gulf.	56	1901
1520	1175	Agreement for the maintenance of communication with the ports of the Gulf.	35	1902
1521	1467	Communications between the Black Sea ports and the ports of the Gulf.	40	1902
523	1425	Construction of two steam ships for the Persian Line.	42	1902
1528	4464	Fixed-dates communications between the Black sea ports and the ports of the Gulf.	50 the 3rd voyage	1[illegible]2

railroad communications in Russia and a well-timed delivery of goods and changes in the tariff scale of steam navigation.

It should be noticed, that in the beginning of the century kerosene was exported to the Gulf region, which sounds funny in today's situation. As the kerosene was one of the main goods exported to the Gulf, the Russian Ministry of Finance in its letter to the board of administration of the Company asked for information "about the freight of the kerosene (in tanks and boxes) from New York...to the Gulf (!!!), and from Batum till the places mentioned above.(33)

The war with Japan had a negative impact on trade relations between Russia and the Gulf and raised the costs of freight which went in favor of the other European trading powers - competitors to Russia.

Conclusion

In the beginning of the XX century the region of the Gulf gained much importance in the foreign policy of the Russia. The interest of the Ministry of Foreign Affairs coincided with the intentions of Russian traders and industrialists seeking new markets for domestic products. This should be also considered in the wider context of competition with other European industrial and colonial powers -Great Britain and France. The Fact that the line was subsidized by the Government shows the kind of importance given to this issue and its political consequences in Russia. Even the members of the Tsarist family took part in the organization of regular steam navigation to the Gulf.

Since from the very beginning the regular cargo steam navigation with the Gulf gained more political than commercial importance trade navigation was protected by the Russian warships in the region.

Besides that, of course, Russia considered the Gulf as a market for its domestic goods as well, especially of textiles. Among the products of the Russian industry exported to the Gulf there were textiles, meal, macaroni, tableware, grained sugar, kerosene, candles, glass and porcelain-articles and timber. The organization of the line demanded changes in the

Anyhow, the fourth voyage to the Gulf in 1904 was the last one that year and was planned to begin on the 1st of October. The ship had on board:

- 2,000 boxes of kerosene	44,350 poods
- 1,000 barrels of cement	10,000 poods
- granulated sugar	1,512 poods
- 66 skeins of ware	167 poods
- meal	180 poods
- tea	2 poods
- various goods	39 poods
- direct freight	1,923 poods
- in all	58,205 poods

The main office[32] Commercial Department	**Russian Company of Steam Navigation and Trade** **Odessa, September 17, 1904** **To the Board of Administration of the Company in St. Petersburg.**
	The Main Office has the honor to inform the board of administration that it received from the agent of the Company in Bushire a telegram with the information that the steamship Truvor on the 15th of September sailed to Bahrain (the island in the south-western part of the Gulf) on its way back to Odessa. **Though Bahrain is not specified in our agreement with the government, it seems that in this case the place was visited by order of the head of the expedition prince Amatuni, who was at that moment on his way back on board Truvor. There is no news in the main office about the sailing of Truvor from Basra.**
Director	**Signature**

Unfortunately among the available documents there is no more information concerning this visit.

Truvor came back to Odessa on the 24th of September 1904. It was the third trip to the Gulf in this year. Meanwhile it was considered that next time a steamship (Rostov) bigger than Truvor be sent to the Gulf, that could take, besides the unusual cargo, an additional 40,000 boxes of kerosene.

	steamer Truvor could pass its load to a neutral ship going to the Gulf and after that come back.
Head of the Department	**Signature**
Head of the Subdepartment	**Signature**

Meanwhile the Russian Company of Steam Navigation and Trade examined the possibility of freighting in Port Said another neutral ship, other than British - as main competitor, to carry the load to the Gulf in case of emergency.

At the same time, rumours about Japanese cruisers in the Red Sea spread again. Of course such rumors could not be checked and were in the interest of the competitors. In the note of 18 August 1904 directed to the board of administration of the Company it was stressed that in order to divert the Russian steamships Petersburg and Smolensk from the Red Sea the British spread rumors about an unauthorized ship at the latitude of Jidda and a Japanese cruiser in Singapore.[31] Finally after delays caused by slow loading, the ship Truvor sailed from Odessa heading for the Gulf and on the 6th of August passed Suez, and four days later -Jidda. Truvor followed its course and on August 21st came to anchor in Muscat and on the 30th of August -in Basra. On the way back the ship visited Bahrain which was unusual and was not stipulated in the plan of this trip:

In spite of the rumors and the real or hypothetical threats Truvor left Basra and after taking on board 1,300 tons of goods sailed for Odessa. Subsequently, at 25th of May Truvor safely passed Muscat, on 14th of July - Jidda and returned to Odessa.

Despite the dangers caused by the war between Russia and Japan to Russian commercial navigation in the Indian Ocean, it was planned to send Truvor to the Gulf again on July 25/1904. As usual the announcement in the newspaper were made, and the usual commercial freights received.

All this was also encouraged by the top officials of the government:

Main department of trade navigation and ports. **1st of July 1904** **department of Trade Navigation.**	**To the board of administration of the Russian Company of Steam Navigation and Trade.**
	In consequence of note of 13th of July, 1904, N 1245 dealing with the sailing of the steamship Truvor to the Persian voyage, the department of the society of navigation and trade, informed the Head manager of Trade Navigation that His Imperial Highness considered it as undesirable to cancel the next voyage to the ports of the Gulf. At the same time His Highness ordered that the board of administration of the society be informed that after arriving at Port Said the captain of the steamship should inquire about the pres ice in the Red Sea of the Japanese cruiser an in the case of the presence of the hostile shi he

Chairman	Signature
Member of the administration Board	Signature
Business manager	Signature
Book-keeper	Signature.

In 1904 the schedules for of navigation changed: 10th of April, 25th of July, and 1st of October. Additional changes were made in trade with the Gulf due to the outbreak of war between Russia and Japan.

Soon After the steamship Truvor sailed from Odessa (on the 1st of April 1904) the Russian Ministry of Foreign Affairs received information about the possible dangers of this trip. The company was immediately informed:

Ministry of Foreign Affairs

To the board of administration of the RCSNT. Top secret. Urgent. May 14/1904 N 873.

On the 14th of May Ministry of the Foreign Affairs received information concerning the possibility of capture of the steamship Truvor by the Japanese when it entered the waters of the Gulf. It seems that the rumors were spread by the British in order to neutralise Russian trade activity in the region.[30]

After receiving the information the Board of Administration insured the steamship against military threats substantially increasing the total sum of insurance.

The terms were determined in order to send in the first and second trips the steamship Truvor so that it could take more freight as more intensive movement in both directions was expected.

Meanwhile in November 1903 it was clear that Truvor could not take all the cargo. As a result there appeared a note dated 19/11/1903 sent to the Department of Commercial Navigation asking it to consider the possibility of sending one more cargo steamship to the Gulf - Diana with a displacement of 282,000 poods instead of Truvor's (138,000 poods).

On 18th January 1904 steamship Jupiter sailed from Odessa taking on board 189,143 poods of cargo to the Gulf.

In 1904 the navigation in the Gulf was still supported by the Government, a clear proof of which is the document quoted below:

14th February 1904[29]

To the Department of trade navigation.

According to paragraph 11 of the Agreement with the Department of Trade Navigation of April 29, 1903 the administration board of the RCSNT has the honor to ask the Department of trade navigation to make an order of payment for two hundred thousand roubles (200,000 r.) that are due to the company payable during January of the current year for covering maintenance costs for the steam line with Persia in 1904.

As usual the development of Russia's steam navigation in the Gulf aimed not only at commercial but political purposes as well that sometimes manifested in rather strange forms. In its letter to the administration board the main office informs about the demands of the Russian Consuls in the Gulf "...in order to combat the deep-rooted English language in the Gulf it is absolutely essential to publish the time tables in French." And that the Main Department "can not limit itself by French..." besides that the "Russian Company of steam navigation and trade on the Persian line is aimed to help the spread of Russian influence by the development of commercial relations and all that demands of us to take into consideration the conditions of the market and its customs and traditions."(28)

One of the obstacles faced by the Russian traders was the lack of information about current events in the region as a whole, and the current political and commercial situation. Moreover, it should be emphasized that there was no telegraph line between Russia and the Gulf . On the contrary, the main Russian competitors -The British were well-informed thanks to the telegraph line that existed at that time between the Gulf and Europe.

For 1904 the administration Board of the Company took into consideration the dates-yielding season and the pilgrimage in the Gulf ports and suggested the following time-table:

- the first voyage - sailing from Odessa on 15th January:
- 2 voyage - sailing from Odessa on 10th April
- 3 voyage - sailing from Odessa on 1st July
- 4 voyage - sailing from Odessa on 1st October

it was possible to send the ship Truvor to Gulf only on the 17th of July."[25] Nevertheless, Truvor left Muscat on the 13th of August, and on its way back on 19th of September passing through Jidda, and on the 2nd of October came back to Odessa.

Despite temporary difficulties the steam navigation developed further and the demands for transportation increased. So, in October 1903 Kornilov took on board :

- granulated sugar	79,432.32 poods
- kerosene	15,000 boxes
- cement	15,000 boxes
- meal	1,025 poods
- timber	320 poods
- various goods	410.01 poods
- all in all	114,094.17 poods

During this voyage it unloaded more than one third of the total cargo -35,250.05 poods in Muscat.[26] At that time Muscat seemed to serve as a transitional point between the Russian ports and the Arab coast of the Gulf (including Basra), an indirect witness of which could be the list of goods brought by Kornilov.

The cargo steam navigation, like before, was supported by the Russian Government. The Department of Commercial Navigation refunded the company expenses and the costs of passing the Suez Canal (for the last trip of Truvor, the sum was 11,512.96 franks).[27] Truvor came to Odessa from its last voyage on 14th of January, 1904.

ıvoid any relations with the English military ships and especially avoid giving them any information about their voyage," - says the memorandum.[22]

The third voyage. On the 15th of January 1902 Kornilov left on its third voyage. Meanwhile starting from 1902 besides Kornilov a new steamship -Truvor- began its navigation on the ine. It is known that on May 30, 1902 the steamship Truvor eft Odessa for the Gulf visiting on its way the following ports: Odessa - Constantinople - Smyrna - Jaffa - Port Said - Suez - idda - Djibouti - Aden - Muscat - Jask - Bender Abbas - Bushire - Basra. Normally Jidda was visited because of the pilgrims and in the case of their absence the ships only passed by it.

In the fourth test voyage Truvor had 26517 poods[23] on board, most of it timber. Besides that there were textiles, table - vare, meal, and macaroni. As before, the trip was subsidized by the government. In the Note directed to the Department of Commercial Navigation dated 31st of July 1902 the administration board of the Company "have the honour to ask he Department to order to pay fifty thousand (50,000) roubles hat are due to the Company for the subsidized voyage to the Gulf."[24] Truvor gained from this voyage 10,545 roubles 84 kopecks, i.e. some 20% of the subsidies.

During the fifth voyage the company extended the line till Basra and planned to develop it further till Baghdad.

In spite of the published timetables the trips were regularly delayed. So, instead of 12th of July the steamship Truvor left Odessa for the Gulf "because of strike of the stokers and sailors

Of course, Russia's activity in the Gulf was an object of concern for the British and during its first visit to the Gulf Kornilov was escorted by British warships. The correspondent of "The Times" wrote from Odessa: "The company has the assistance of the Russian Financial Department, whose object in adopting an aggressive commercial policy at the ports in the Gulf is primarily the development of Russia's export trade. What Russia wants and is determined to obtain is a firm hold on Persia's southern markets. ...Russia and her traders are quite prepared to face the initial losses in these transactions, with the conviction that their profits will come later on when the markets are won. The question of defending British trading interests in the Gulf is too serious.(21)

The popularity of the line in Russia rapidly grew. As a result the total freight for the second test trip made in August 1901 was much more than the one for the first trip. While the trip was favored with good weather, political circumstances sometimes created obstacles. From a confidential memorandum signed by the manager of the Department of Trade Navigation of February 19, 1902 we know that an officer of the British cruiser came to the steamship Kornilov and questioned the head of the crew checking his answers. That case was paid so much attention that the Russian Emperor was informed about the incident who made a resolution: to draw the attention of the concerned people. "Visiting Russian ships by English officers having no legal ground for it is a clear violation of our rights and gives a ground for the local population to believe that the British agreement is needed for the Russian ships to visit the ports of the Gulf. ...The commanders of Russian ships should

The city has a small bay that is enough only for several ships that cast anchor depending on the place, approximately ¼ mile from the shore... Sultan of Muscat to whom I had the honor to be presented regarded the new project with favor. The gun salute from Kornilov was returned by the Muscat fortress and for the first time a Russian commercial flag was raised over it."[18] Later on it was planned to increase the number of trips to four annually.

In the summer of 1901 a secret meeting was held in the Ministry of Finance aimed at discussing the results of the first test trip with a recommendation to develop trade relations with the Gulf in future.

The protocol of the secret meeting on the organization of steam navigation on Tigris and the establishment of regular navigation in the Gulf by the RCSNT runs as follows: "whatever may be the commercial results of these efforts, steam navigation with the Gulf has substantial political significance." Besides it was pointed out that "when establishing regular trips to the Gulf the question of the institution of agencies in the ports of the Gulf is on the agenda again."[19]

A big attention was paid to information about the coming trips. The announcements were published in Russian and foreign newspapers. So on the 1st of October 1901 the Company was informed that "the Great Duke Alexander Mikhailovitch wants us immediately to make an announcement about the trip to the Gulf next year in January." The resolution was: "to make the announcement demanded by his Imperial Highness."[20]

wool, leather, cotton-thread, carpets, dried fruits, dates, almonds, gum-arabic, silk, tobacco, attar of roses and horses. The import was presented by cotton and wool fabrics, weapons, kerosene, metal goods, tea, sugar, indigo coffee, dried lemons and pearl shells. It is interesting that among the imported goods the newspaper named petroleum. "Petroleum, only Russian, is consumed during the winter."(16)

The first voyage to the Gulf: The first test voyage was planned with the steamship Lazarev on the following route: Odessa - Constantipole - Beirut - Port Said - Suez - Jidda - Djibouti - Muscat - Bender Abbas - Linge - Bushire - Basra. At the last moment the steamer Kornilov substituted for the steamship Lazarev. The first test voyage, as well as the next trips were subsidized by the Russian government in the sum of 52000 roubles for each voyage, meanwhile only about 12440 roubles was received from the freight of goods and bookings. Kornilov left Odessa on the 3rd of February having on board besides the usual Russian trade goods, such as fabrics, timber and sugar about 7500 boxes of kerosene as well.

In the Report of the director of the commercial department of the company it was pointed out that: The Gulf line in the present time as well as in the nearest future can have only political importance, while the development of commercial relations demands a long time."(17) The report also contains a detailed description of the harbors visited by Kornilov and information important for navigation (depth of the fairway, pilots, sea-shore specifications, depth of the harbors, reefs, etc.)

About Muscat one can find the following information on the 3rd of March at 7 ½ in the morning we arrived at Muscat.

rather deep and the steamships anchor near the last fort in the Gulf approximately ½ a mile away from the palace of the Sheikh."[13]

It should be mentioned that the problem of the establishment of the line attracted the attention not only of the authorities of the government, but also of the members of the Tsar family (for example, of the Great Duke Alexander Mikhailovitch) - a fact that shows the importance given to this issue. So "His Imperial Highness the Grand Duke Alexander Mikhailovitch called up by telegram, the director of the Russian Company of Steam Navigation and Trade, Otto Lvovitch Raddov in order to discuss questions dealing with the establishment of the new line to the Gulf. The meeting in which the Minister of Finance took part decided to ask the administration board of the Russian Company of Steam Navigation and Trade to send one of its ships to the Gulf in Jan. 1901 loaded with the products of Moscow and Lodz factories, sugar timber, kerosene, and sweets."[14]

In case of success of the first voyage subsidized by the government the regular steam-line could have about 7-8 full trips between August and March. It was also planned to exploit this line for at least 15 years. So the intentions were very serious.[15] In the first years the line would be unprofitable and the losses should be covered by the government.

The newspapers of that time wrote that "...establishing trade relations with the Gulf Sea coast it is necessary not to neglect Muscat that has an excellent market. ...The annual trade turnover of the Muscat port is more than 4 million Marie Teres a thalers." The main article, of export from the Gulf were

example, demanding from Romanov extra payment for the ticket from Alexandria to the Gulf after they found out that he was a Russian. In spite of all difficulties, the journey was successful, and Romanov supplied the company with a detailed report that included a description of the important ports in the Gulf region. Besides that Romanov made notes about the life of the local population, trade and handicrafts. As for articles of trade, Romanov pointed out that "special attention is paid by the British to the export of oil products to the region. The demand for this grows year after year all over the sea-coast of the Gulf and India. Only that year petrol in the sum of about 8000£ was imported. Coal brought from England was also in use."[(11)] After visiting Kuwait Romanov wrote: "At the western coast of the Gulf approximately at latitude 28° N lies the small town Kuwait. The Sheikh of this town is well-disposed towards the Russians, though he is subsidized by the British who by all possible means curry favor with this Sheikh and patronize him. Kuwait and Linge are the trade harbors and places for goods storage on the Arabian coast. It is also a place of pearl-fishery and the pearl-shell are exported in big quantities to Marseilles." (Vasiliy Romanov, 20 October, St. Petersburg.)[(12)]

At the same time appeared the Report about navigation in the Gulf describing the sailing conditions there. There is no indication of its author but it seems to be based on the information received from other than Romanov's sources "There are no ports in the Gulf and contiguous to it is the Oma Gulf. The ships comes to anchor on the roadstead in Ja Bahrain and Bushire as far as 3 miles from the coast, in Ben Abbas 2 ½ miles, in Linge 1½ miles. In Muscat the sho is

10872 miles and will take, including the stops not less than 2 ½ months." Besides that -as it was stressed in the memorandum- there are two points in the Red Sea that are desirable for the Russian ships to visit: Jidda and Djibouti. The first one is the destination point for Muslim pilgrims from Russia and Bombay on their way to Haj; the second one is the head of railroad to inner Abyssinia."[9]

The board of administration of the Company decided that "it is obvious that maintenance of such a new line is impossible without the Government subsidizing." In the case of monthly communication the line needed 3-4 steamships simultaneously .

It was planned that in 1901, according to the time-table published in the newspapers, the RCSNT could organize four voyages to the Gulf and, starting from 1st January 1902 - establish the regular goods-and-passenger line. Of course it was impossible to do so without having detailed information about navigation, the ports and trade conditions in the Gulf. The memorandum pointed out that "...firstly it is necessary to send a special envoy who will check all the ports mentioned above taking into consideration the possibility of our ships visiting them, facilities for loading and unloading and getting the moorage and warehouses..."[10]

As a result, in the beginning of April 1900, on a commission from the Russian Anthropological Society and with the help of the Russian Company of Steam Navigation and Trade, the special envoy - Vasiliy Romanov made his adventurous and hazardous journey aiming at the investigation of the region of the Gulf and Shatt-el-Arab. It should be mentioned that the British authorities put obstacles in his way to the Gulf, for

Africa and China. ... This convenient moment, as Mr. Minister thinks, must be used. ... Mr. Minister of Finance agrees that this line in the beginning will have more political than commercial importance and cannot exist without government subsidy."[5] It was in 1900 when it was decided to establish a regular steam line between the Russian ports and the Gulf. The RCSNT had to carry this idea out, while the actual initiator was the Russian Government.

The project dealing with organizing a regular steam line between the Russian ports and the Gulf was sent to the board of administration of the RCSNT and studied carefully. Afterwards appeared the report[6] with the board's resolution on this issue. "In consequence of the suggestion to the Russian Company of Steam Navigation and Trade to establish a regular steam line between the Black Sea ports on one side and the Gulf on the other, the administration of the Company has the honor to inform that the Russian Company of Steam Navigation and Trade will be ready to assume the responsibility for the exploitation of this line."[7]

The Report mentioned above emphasized not only the commercial importance of the line between Odessa and the Gulf but as having political significance, i.e. "appearance of the Russian Flag" in this region, as well. Besides that, from the point of view of the Ministry of Finance "it would be in the interest of Russian trade to tie the above mentioned line with India".[8] It was planned that the steamers on the way to the Gulf would call at the following ports: Odessa - Constantinople - Port Said - Suez - Jidda - Djibouti - Aden - Bender Abbas - Jansy - Bender Bushire. The total length of the line "will b

occasionally visited the region before and according to the information available, as early as in 1897, the ports there were visited by the titular counsellor[2] Adamov but only the begining of XX century witnessed the establishment of regular trade relations between Russia and the Gulf.

By this time the Russian merchants already had rather active trade ties with the countries of the Middle East and the northern provinces of Iran - through Caucasus - meanwhile the southern flank of the trade - the Gulf was controlled by the British. So among the trade ships in the Gulf in the beginning of the XX century, 138 were British, 3 German, 1 Turkish, 1 Norwegian, and one from Holland.[3] Meanwhile by the end of the XIX - beginning of the XX century Russia had clear political, military and commercial interests in this region that determined the need of organization of a regular steamship trade line with the Gulf.

There were no Russian trade ships in the Gulf before, while the escalation of trade activity coincided with the growth of Russia's military presence, (in the 1900 Russian gunboat '*Gilyak*' visited the Gulf for the first time) that could witness first of all political, and then commercial interests there.

It was the most favorable moment for such plans as the attention of the British Foreign Office was attracted by the events in Africa and China. In the memorandum[4] of the Russian Company of Steam Navigation and Trade it was pointed out that " ...Mr. Minister of Finance holds that it is the most convenient time for the establishment of the Line, as at the moment it is less important to take into consideration the competition with England, which is engaged with the events in

navigation in the Gulf and the establishment of a regular steam navigation line between the Russian ports of the Black Sea and the ports of the Gulf. These are the original reports of Russian officials and diplomats, private and official letters, orders, memoranda, etc.- the Archives of the Russian Company of Steam Navigation and Trade (RCSNT)[1] located in the Russian State Historical Archive in St. Petersburg. Though the information provided by the documents dealing with Russian - Gulf relations in the XIX and the beginning of the XX century is more mosaic than systematic, it allows us to judge the significance of such ties in the Russian foreign policy and to have an idea about their development during this period.

In the above-mentioned documents the Gulf region is often associated with Persia and the terms "*the countries of the Gulf*" and "*Persia*" are sometimes mixed, and hence this peculiarity has to be taken into consideration.

The beginning of the 20th century witnessed the growth of Russia's national economy and because of that the development of its trade with the outer world demanded new markets for its national industry. The growth of Russia's political, economic and military influence was accompanied by a permanent and ever-growing rivalry with other European colonial states especially Great Britain. One example of this kind could be th establishment of the trade steam line between the Black S(ports and the ports of the Gulf. Though the Russians h.

SHIP NAVIGATION

ARAB GULF IN 1900-1904

By

O.I.REDKIN, ST. PETERSBURG

The documents that witness relations between Russia and the countries of the Arab Gulf in the beginning of this [illegible] almost unstudied and in [illegible] not been [illegible] special [illegible] als in the state [illegible] Russian [illegible] political [illegible] nothing [illegible]



The present report deals with the documents relating to the first experience of Russian

REGULAR STEAM

BETWEEN RUSSIA AND THE



We have preferred to earmark this issue to contain a major part of the papers presented in the seminar for two reasons : firstly; to implement the directive of the seminar that the papers presented be published in a special number, and secondly; to place before the readers a special folder dealing with Russian-Gulf relations in the 19^{th} century and the beginning of the 20^{th} century . We do not claim that that the papers presented fulfill all that we aspired for, nevertheless, they mark a beginning . They are very useful and open up windows on a world which had remained obscure so far; in fact, even an attempt to unravel it until recently was an impossible venture . We hope that this auspicious beginning will prove a fresh launching point for the scholars here and there in their attempt to discover material much of which has remained unknown. It will uncover what could have happened had Russian policies followed a different curve so that the path and the nature of treatment of certain issues could yield fruitful lessons . History is the best teacher and it will greatly help to know facts which throw light on blurred and cloudy sequences in history . An exchange of views will help in clarifying many landmarks whether for the scholars or for the decision-makers .

May God Grant Success

Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

in the eyes of the Muslims all over the world, with his firm faith in his Creator would present contradictions. This is where his genius shone in dealing with relations between the two countries on the patern of Mo'awia which made even the communists unveil their real face. They executed the only person who had undertaken to engineer Saudi-Russian relations and who spent all his life in trying to rectify, to the extent possible, the distorted image of the Russian bear, namely, Hakimov. (Hakimov was a Russian diplomat who rose to the position of an accredited minister and played a key role in forging relations with the Kingdom of Saudi Arabia. However, these relations ended as a result of the persecution of Muslims in the Soviet Union. The consular offices were closed in the two countries and finally Hakimov was executed in 1937 for his Islamic leanings).

Fifthly; the papers which were presented emphasized the fact that there were many archives in Russia and with Russian scholars which could benefit researchers, as I said, in highlighting many obscure facts. If the papers which were submitted dealt with more marginal aspects of various issues, nevertheless, they point out between the lines to major thrusts which could be presented. The meet also confirmed that the Arab historians and the Gulf archives have much to offer to benefit the Russian orientalists in their studies of an important epoch in the histories of both the Gulf and Russia.

Dear Reader!

Fourthly; the atheistic posture adopted by the former Soviet Union harmed the socialist economic doctrine more than it hurt the capitalist west. The Muslim east and the Christian west mobilized against the communist tide and that erected a formidable psychological barrier between the citizens of the east and west and the communist tide. This barrier was much more potent than the barriers erected by formal authorities. If the socialist theory found a few pockets of acceptance in the Christian west because of the weakness of religious faith in certain segments of society, the Muslim east deeply cast in its Islamic mould and its dedicated faith in Islam stood as a bastion against all attempts at brainwashing attempted in some areas. These attempts left superficial impressions and never filtered down to the people's ethos and the common psyche The Russian ideologues could never be convinced that whereas a westerner if offered a choice between bread and faith, would inevitably elect bread, the easterner would choose faith in his Creator always and every time even at the cost of bread. This explains the failure of the one and the only serious attempt by the Russians to establish relations with the Kingdom of Saudi Arabia. Although the Soviet Union was the first to recognize the late H.M. King Abdul Aziz Ibn Saud, this Arab Muslim leader was quick to realize by his political sagacity and scintillating intellect that the establishment of relations with Russia, whether in the form of a political treaty or an economic agreement, would be contrary to his feelings as an Arab Muslim leader. The Russian attitude to their Muslim population and the King's status as the guardian of the sacred places

Secondly; this reluctance and hesitation had no justification whatever except that the Soviet Union totally banked on its relations with the Ottoman State at a time when the Ottoman position on the Gulf States was wellknown, particularly during the days of its Caliphate when it got embroiled in its Balkan problems and in its struggle to preserve the remnants of the Ottoman Empire in Europe.

Thirdly; the political thinking of the Gulf leadership was independent, enlightened and farsighted. From the meetings held by Nicolai Begoyavlinski with the Late Highnesses Shaikh Isa Bin Ali and Shaikh Mubarak Al Sabah it appears that the Gulf leadership looked forward to the presence of other powers in the Gulf as a balancing factor which could give them greater freedom to react with the British who almost held a total sway over the region during the period. This consideration led H.H. Shaikh Isa Bin Ali to ask why there was no permanent presence of a Russian cruiser in the Gulf waters. This is also borne out by the care and attention received by the Russian scholar despite the obstacles placed in his way by the British. A Bahraini citizen, Mohammed Ibn Abdul Wahab, insisted on providing to him protection and all facilities for a comfortable stay and suffered materially while he confronted and combated British machinations against him. All this could not have been done by this Bahraini national without receiving the green light from the then Ruler of Bahrain, the Late Shaikh Isa Bin Ali in particular It was a political matter and this comes out clearly in the article on the scholarly errand of Nicolai Begoyavlinsky.

means at their disposal to crown their exertions with success . Fifteen scholars and researchers from among the Russian orientalists of both sexes participated in the proceedings of the seminar . They had with them a number of important research papers dealing with the subject of the seminar . The participants included the directors of the member centers of studies and documents of the General Secretariat as also a large number of scholars from Bahrain and outside interested in historical studies. Through the dialogue which ensued between the Russian orientalists and other interested participants as also through the papers which were presented or submitted to the seminar, many issues which had remained obscure and unknown to many got highlighted. Several questions which had eluded political thinkers over several decades during which international relations were forged between the Gulf States and certain world powers found their answers . It would be profitable to review here some facts which came to light in the course of the proceedings of the seminar .

Firstly; the erstwhile Soviet Union aspired for access to warm waters eversince the days of the Czar but this was never pursued seriously to make it a reality. At a time when the western powers were active in this field whether through missionary activity or diplomatic missions, the Soviet Union confined itself to sending four sailings primarily to convey the Russian Haj pilgrims to the sacred places while they carried some consumer items bartering them for certain regional products .

In the name of God, the Beneficent, the Merciful

A WORD ABOUT THIS ISSUE

THE BAHRAIN SEMINAR

AND LIGHT ON CERTAIN OBSCURE ISSUES

by

H.E.Shaikh Abdullah Bin Khalid Al Khalifa

During the period from 4 to 6 January 1997 Bahrain witnessed an important seminar focussed on "The Historical Relations Between Russia and the GCC States" ...The seminar was organized by the Secretariat General of the Centers of Studies & Documents of the Arab Gulf and the Arabian Peninsula; a Secretariat which I have the honor to preside over . It was hosted by Bahrain and patronized by H.H. Shaikh Isa Bin Salman Al Khalifa, the Amir of Bahrain, H.H.Shaikh Khalifa Bin Salman Al Khalifa, the Prime Minister, and H.H. Shaikh Hamad Bin Isa Al Khalifa, the Crown Prince who issued directives that all possible facilities be provided for it and special care be taken to look after the participants by placing all available

ENGLISH SECTION

CONTENTS

ARABIC SECTION

AL WATHEEKAH

Devoted to The Heritage, Thought and History of
Bahrain And The Gulf

Bahrain P B 28882

Telephone — Historical Documents Centre —
664854

All Correspondence to be Addressed to The Editor-in-Chief

AL WATHEEKA

A Half-Yearly Journal Published by

THE HISTORICAL DOCUMENTS CENTER

THE STATE OF BAHRAIN

ISSUE No. 32 - 16th YEAR

SAFAR 1418H - JULY 1997

IN THE NAME OF GOD THE BENEFICENT, THE MERCIFUL


CAL PERIODICAL
BAHRAIN
1997

الاثير: لغز الدهور

تحول صورته في اذهان العلماء والفلاسفة [1]

من نيوتن الى اينشتين

نشأ القول بالاثير عن حاجة الانسان الى تعليل التفاعل بين اجسام بعيد بعضها عن بعض . ولم تبدُ هذه الحاجة مُلِحّة الا بعد ما وضع نيوتن قواعد الجاذبية . ذلك ان وزن الجسم كان الى عهد نيوتن شيئاً مستمراً يتوقف على الجسم وحده دون اي جسم آخر . فلما بيَّن نيوتن ان وزن الجسم يمكن تعليله بالتجاذب بين كتلتي جسمين ، وان تطبيق هذه القواعد على القمر تعلّل حركتهُ سأل المفكرون كيف يتم هذا الفعل وليس بين الارض والقمر صلة مادية تصلح ان تكون وسطاً لنقل القوة الجاذبة . ومما لا ريب فيه ان انتقال الحرارة وغيرها من مظاهر الطاقة تحتاج الى وسط ينقلها

وقال احدهم : ايستطيع جسم من الاجسام ان يفعل حيث لا يكون الجسم نفسه . فكان الجواب المبني على الاختبار ان ذلك متعذر . فرغبةً في توحيد القوى الطبيعية ، قيل ان الجاذبية تفعل في الظاهر من دون وسيط ، ولكنها في الواقع تنتقل عن طريق وسط متصل يملأ الكون ، لا فجوة فيه ولا انقطاع ، ودعي هذا الوسط ، الاثير . ولكن لم يشر احد الى تصرف هذا الوسط في نقل القوة الجاذبة . بيد ان نيوتن لم يعلق بهِ شأناً كبير ، لانه كان يراهُ استنتاجاً محضاً ، لا عاملاً اصيلاً في نظريته في الجاذبية

***

وكانت الخطوة التالية في نظرية الاثير ، اخراج النظرية الموجية للضوء على يد العلاّمتين هوجنس وينغ . ومؤدّاها ان الضوء ظاهرة موجية ، ذات نبضات مستطيلة . وكانت هذه النظرية في حاجة الى وسط تنقل بواسطته طاقة الشمس ضوءاً وحرارة ، اذ المعروف ان ضوء الشمس وحرارتها يجتازان الفضاء بين الشمس وسياراتها ، فاذا كانا ضرباً من الامواج وجب ان يكون هناك شيء في ذلك الفضاء يستطيع ان يتموّج

وتلا ذلك تكهن العلماء بخواص هذا الوسط . فقيل اولاً انهُ شفاف كلَّ الشفاف اي ان الطاقة التي تخترقه لا تفقد شيئاً من قوتها ، والاّ لما استطعنا ان نرى النجوم والسدم القصية ، لأن ضوءها لا يتبدد في اختراق مسافات شاسعة من الاثير

---

(١) تلخيص مقالة نشرت في مجلة السينتفك اميركان

واول من أدخل الأثير في هذا الميدان من ميادين البحث كان العلامة ميشيل فراداي . وقد كان علماء الكهربائية يقولون حتى عهد فراداي بشيء دعوهُ الشحنة الكهربائية تستقرُّ على الجسم المكهرب وتؤثر في الاجسام المكهربة ، البعيدة عنهُ ، على نحو ما تؤثر الاجسام بعضها في بعض بفعل التجاذب . بل كانوا قد افرغوا تلك القوة الكهربائية في معادلات رياضية . ولكن فراداي لم ترقهُ فكرة التفاعل عن بعد . وقد أشار مكسويل في مقدمة كتابهِ (رسالة في الكهربائية والمغنطيسية) الى فراداي فقال : ان فراداي رأى بعين عقله خطوط القوة تخترق الفضاء ، حيث رأى الرياضيون مراكز القوة تتفاعل عن بعد . ففراداي رأى وسطاً حيث لم يروا هم الاَّ مسافةً . لذلك بحث فراداي عن مركز هذه الظاهرات في الافعال الحادثة في هذا الوسط »

وفي نظر فراداي كان هذا الوسط ينقل الكهربائية

ولما كانت القوى الكهربائية تنتقل في الفراغ فرض فراداي ان الوسط الذي تنتقل فيهِ هو الاثير ، وان خواصهُ تتغير بوجود المادة فيهِ ، وبهذا يعلل نقص القوى الكهربائية بين جسمين مكهربين اذا توسَّط بينهما لوح من الزجاج

وعلى هذا النحو كذلك فسّرت الظاهرات المغنطيسية

وبعيد ذلك جرّب فراداي وكار kerr تجارب ادخلت في روعهما ان الضوء والكهربائية والمغناطيسية تنتقل في الوسط نفسهِ — اي في الاثير

***

وأوحت مباحث فراداي الى مكسوِل البحث العظيم الذي تفرَّد بهِ ، فأثبت بالمعادلات الرياضية أنهُ اذا وجد وسط كالوسط الذي فرضهُ فراداي وجب ان يكون في الامكان احداث اهتزازات متساوية فيهِ قوتها قوة المجال المغنطيسي والكهربائي ، وتتصف بصفات الأمواج . وبعيد ذلك تمكن هرتز من توليد هذه الامواج الكهرطيسية (اللفظ منحوت من كهربائي ومغنطيسي) واثبت انها من قبيل الضوء وان الفرق الوحيد بين نوعي الامواج انما هو في طولها فقط

فنجم عن تجارب هرتز ان رسخت دعامة النظرية الاثيرية ولكن تحوّلت من ناحيتها الميكانيكية الى ناحيتها الكهربائية والمغنطيسية بل ان العلماء تطرفوا في هذا التحوُّل حتى لنرى هرتز يحسب المادة والاثير شيئاً واحداً وان المادة ليست الاَّ اثيراً قد اصابه التنويع . وقد قاده الى هذا الاعتقاد ما رآه من اختراق الامواج الكهرطيسية لأصناف مختلفة من المادة ، من دون ان يعوقها عائق ما

وكانت الحال على ما تقدَّم لما خاض الاستاذ لورنتز Lorentz الميدان فوفّق بمباحثهِ الرياضية ومعادلاته بين النظريات السائدة حينئذٍ وحقائق الخبرة الانسانية العملية ، فالأثير في نظرتهِ كان مجرداً من خواصه الميكانيكية القديمة . والمادة من خواصها الكهرطيسية . وما يرى في المادة من الظاهرات الكهرطيسية (خواص نقل الضوء والكهربائية والمغناطيس) لم يسند الى الذرَّات بل

معلم مصري ينظر في

تقرير هادو (١)

واصلاح التعليم في انكلترا

لعلي حسن الهاكع

عرف عن الانكليز عدم النزوع الى التغيير المفاجيء العنيف ، وها هي الثورات السياسية والاقتصادية تعصف بأنحاء العالم ، فلم ترحم قوماً ولم تسه عن امة الأ وعبثت بها ما عدا انكلترا . فهي الامة الهادئة العملية ، لا تزال أمنع من أن تستهويها فكرة او نظرية ، ولا تحترم الا الأمر الواقع والتجربة الناطقة . فاذا أخذت أي ناحية من نواحي حياتها السياسية والاجتماعية فلن تعثر الا على نمو بطيء وتعديل فوق تعديل . وكما يميل الانكليز الى التريث في الاخذ بالآراء الحديثة حتى يستبينوا قيمتها فانهم اذا ما أخذوا بها كانت يقيناً وديناً ، اذ يضعون قوتهم كلها في دعمها ولا يتراجعون قبل تحقيقها

لذلك لم يكن عجيباً أن ينبت هذا المجتمع الناضج اقوم الآراء وامتن الحجج . أليست انكلترا خالقة النظام النيابي ومنشئة العناية بالأبدان والألعاب ومبتكرة حركة الكشافة ؟ وانك اذا احتككت بأفرادهم في مجتمعاتهم او اطلعت على منتجاتهم العقلية وجدت فارقاً جلياً بين تفكيرهم وتفكير غيرهم من الامم حتى البارزة منها . وقد تجد في الصحف اللاتينية كالايطالية والفرنسية حماسة ولهيباً في اسلوب رشيق جذاب وفي الالمانية غزارة في العلم وتعمقاً في الفكرة . اما الانكليزية فهي لا تتعمق ولا تصخب وانما تبسط الحقائق المحسوسة بأسلوب عملي خال من الاسهاب والتجميل . ومن هنا كان الأدب الانكليزي غير متذوق كثيراً لدى غيرهم من الامم الحالية التي لا يشبعها الا السطحي الضحضاح من الادب الذي لا يحرك الا الغرائز الفطرية . وهذا لون من ألوان التسمم العقلي

ومن هنا كانت للآراء الانكليزية في مختلف ميادين النشاط العقلي قدر ممتاز بين خاصة المفكرين فاذا ما صدر الرأي في صحيفة او مجلة تناولته اسلاك البرق بالاهتمام لما عرف عن هؤلاء القوم من الأناة والتريث ووزن الحقائق . لذلك أحث قومي على التزود من الآراء الانكليزية الناضجة في مختلف الشؤون

وكرجل مرب يدهشني حقاً ان يصدر في عام ١٩٣١ تقرير لجنة — برآسة السير هادو Sir Hadow — كلفتها الحكومة لفحص حالة التعليم العام بانكلترا ، ثم لا نقرأ كلمة عنه في صحفنا . فبعد جلسات كثيرة عقدتها اللجنة واتصال مباشر بكبار علماء النفس والتشريح ورجال الاعمال اصدرت اللجنة تقريرين طافحين بزبد الآراء النظرية والعملية . وقد اخذت الحكومة فعلاً بجل ما جاء في التقريرين حتى اصبحت روح التقريرين هي المتسلطة في ميدان التربية الانكليزية

(١) Hadow Report

واعداد الجسم للمرحلة الانفرادية الثالثة في البلوغ عند ما يكثر استعداده للامراض المعدية الخطيرة كما أثبتت الابحاث التشريحية الاخيرة . ان عظام الكتف والحوض لا يتم نموّها ولا تحكم مفاصلها الاّ في سن ١٦ سنة تقريباً وبذلك يتبين الخطر من اجهاد الجسم في حركات عنيفة قبل بلوغ هذه السن. وقد اثبتت الابحاث أيضاً ضرورة الراحة الجسمانية وبخاصة بعد تناول الطعام ، وكيف ان الطفل يجنح بالغريزة الى جلسة التربع (Squatting)

ومما هو جدير بالذكر ان واضعي التقرير لزموا ، في المواضع التي لم يأت العلم فيها بجديد ،جانب الصراحة باقرار العجز عن المعرفة ، كتلك المفاجأة الهامة بالاقرار بعجز العلم الى الآن عن معرفة معظم التفصيلات عن المخ وأدوار نموه وعلاقته المحكمة بالاحوال النفسية والعقلية وحثه علماء التشريح والفسيولوجيا على توجيه عناية كبيرة خاصة الى هذه الناحية الرئيسية

ثم يلي فصل عن نموّ عقل الصبي في نفس الفترة مع التعرض المستمر لناحية التربية التطبيقية applied وهو يأخذ اجمالاً بالرأي الحديث الذي يقول بهِ الاستاذ Spearman وهو ان التفكير ادراكٌ للعلاقات .ويشيد بالتفكير الاستنباطي inductive فيقول بأنهُ اسهل للطفل من التفكير القياسي deductive . اي عكس ما هو مألوف . ثم يأتي فصل نفيس عن الناحية الذوقية aesthetic والعاطفية في الطفل ثم بحث يتناول علاقة المحيط بالصبي ومن ذلك يخرج الى بحث سن التخرج في التعليم الابتدائي وعلاقته بالتعليم الاولي من جهة والتعليم الذي يتلوه من جهة اخرى ، ويحث التقرير على ضرورة التعاون والاتصال الدائم بين القائمين بالتعليم في هذه المراحل بعضهم ببعض ، ويقرر بأنه مع التسليم بضرورة جعلها مدارس منفصلة احتراماً لطبيعة النشء المتباينة عنها في الاخرى ، فان النمو المستمر والانسجام يتطلبان هذا الاتصال ويتلو ذلك فصل في توزيع التلاميذ على الفصول وادارة المدارس

ثم ينساب الى فصل ممتع جمع بين العلم والتجربة القيمة عن ضعاف العقول مقسماً اياهم الى طبقات متفاوتة في الضعف ويرى ضرورة وضع الضعاف في فرق معزولة تحت عناية خاصة مبنية على دراسة للضعف العقلي من جانب القائمين بتدريسهم . ولم يكتف بذلك بل ابان اسباب ذلك الضعف وضرورة عزل الطلبة من مبدأ الدراسة وبذلك يُقتصد مجهود عظيم مع كل من الضعفاء والعاديين ويحسن توجيه الصبيان الى المهنة المقبلة . ويرى التقرير عدم الاقتصار على تخصيص فرق خاصة بل مدارس منفصلة للممعنين في الضعف العقلي اي الذين يقربون من البله idiocy

ثم يتلو ذلك فصل عن المنهج ثم فصل عن توزيع العمل واعداد المدرسين ثم فصل عن بناء المدارس واثاثها ووسائل الايضاح وبحث في الاخذ بالوسائل الحديثة من سينما وراديو الخ

ويلي ذلك فصل ممتع في الامتحانات وفيه يأخذ التقرير بأحدث الآراء من حيث الاخذ باختبار الكفاءة والمقدرة لا المعلومات Capacities not attainments وان يكون النقل على هذا الاساس . ويسمح بأن يعاد النظر بين حين وحين في حالة التلاميذ كأن ينقل تلميذ سبق تقرير اعادته . ونص

روح الصومعة[1]

في معترك الحياة المادي

سادتي :— تهجع روح الشعب دهراً او دهوراً ، ثم تستيقظ . ويلبث الشعب امينا مستقراً ثم تغمره اليقظة كموجة طاغية تدفعها ريح عاتية ، وتعصف بحياته المستتبة كفتنة مجتاحة ، وبنظامه المستقر كاعصار مكتسح . واذا الامة الهاجعة المطمئنة تتلظى بحمى الحياة شيباً وشباناً ، نساء ورجالاً تهب جذوتها من اشتباك النصال آناً او تقبس شعلتها من منائر الآداب وصروح العلم آونة اخرى

وشد ما اخشاه ايها السادة ، ان يمنعنا اندفاعنا في تيار الحياة العصرية ، والسير مع رياحها ، والاخذ بكل ما يثير ويدهش من بدائعها ، عن التريث للتأمل في هذه المظاهر . اهي تتصل باعماق النفوس وتنبثق من قراراتها ، فيلقنها الجيل الحاضر للجيل المقبل ، ويترك الآباء الامانة في اعناق الابناء ، ام هي مظاهر تطفو على وجه الحياة ، كالحباب على سطح الكأس ، ولا تتصل بجذورها ؟

ان قراءتي للتاريخ ، ولعبر العمران ، تدلني على ان المحك في كل ذلك هو امر واحد

المحك هو الحرية الروحية ، التي يدفعنا اليها اتساع افق النفس ، وسمو معاني الحياة ، والطموح الى غايات من الرفعة والنبل والجمال لا يشتاقها الا الانسان الكامل . ثم ان الحرية الروحية ، وما يلازمها من الحرية الفكرية ، أساس كل نهضة ، ولا اقول سياسية او اجتماعية او علمية ، لأن هذه المظاهر ، انما هي نواح لحقيقة خالدة ، ولا يمكن ان تجلى هذه الحقيقة ولا ان تكمل تلك النهضة الا اذا اندمجت هذه المظاهر بعضها ببعض واتصلت باعماق النفوس

قد يقال ان التفكير الحر يفضي الى تراخ هنا وانحلال هناك وانقلاب وفوضى هنالك . اما انا فأقول : لا تسألوا عما يفضي اليه التفكير الحر ، بل دعوه يسير ، يقاوم ويقاوم ، وتصطدم حريته بحريات اخرى ، وثقوا بأن النصر النهائي لا يكون الا للفكر الصحيح . فاصطدام الافكار ينقيه ، والاختبار يمحصه ، والتنازع على البقاء في عالم الفكر كالتنازع في عالم الاحياء ، يستبقي الاحسن والاصلح

وليس المقام مقام تحليل لنهضتنا الشرقية ، ولا هو مقام موازنة نبغي منه التعرف على مكانة هذا الركن الاساسي من اركان النهضات ، في حياتنا ، فأنا اعرف وانتم تعرفون اسماء عشرات من المفكرين الاحرار ، احياء واموتاً ، قد عانوا ما عانوا في سبيل هذه الحرية ، فلم يلينوا ولم تغمز لهم قناة . ان ذكريات هذا الاضطهاد الذي لقوا ، او تلك المقاومة التي وعّرت امامهم السبيل ، لن تذهب ادراج الرياح ، في امم تتوثب الى النور ، وتتلظى بحمى الابداع في ميادين الجهاد الانساني . كلا ورب الحق ! ان

---

(١) . من الخطبة التي القاها رئيس تحرير المقتطف على جمهور كبير من اعيان نابلس ووجهائها في لوكاندة فلسطين بدعوة من الوجيه قدري حافظ طوقان

تأسيس القاهرة

— ٢ —

بقلم الكابتن كرسويل استاذ الآثار الاسلامية بالجامعة المصرية
Capt. K. A. C. Creswell
ونقله الى العربية السيد محمد رجب بوزارة المعارف

﴿ اسوار القاهرة وابوابها ﴾ يمكن تتبع حدود سور جوهر في اكثر اجزاء دائرته بكثير من الضبط بفضل المعلومات التي امدّنا بها المقريزي ، ما عدا ذلك الجزء الواقع بين باب النصر وباب البرقية ، فاننا ليس لدينا تفاصيل عنهُ

ولما كانت الاعمال الاولية قد تمت في اثناء الليل وبعجلة كبيرة فقد لحظ في الصباح التالي لوضع الاسس ان هناك اضطراباً في تخطيط القصر وان الخطوط لا تسير على استقامة . وكانت هذه بلا شك حال اسوار المدينة ايضاً . ومع ذلك فقد كوّنت مربعاً منتظماً تقريباً تواجه اضلاعه الجهات الاربع الاصلية . فيواجه الجانب الجنوبي منهُ الفسطاط ويسير الغربي محاذياً للخليج . ويواجه الشرقي المقطم والشمالي الخلاء . وكانت هناك سبعة ابواب كما يلي :

ففي الجنوب باب زويله المزدوج الاقواس : وفي الغرب باب الفرج وباب السعادة : وفي الشمال باب الفتوح وباب النصر : وفي الشرق باب البرقية وباب القراطين الذي سمي فيما بعد بالباب المحروق

ولا يوجد الآن شيء من هذه الابواب ولكن يمكن تعيين مواقع الكثير منها بكثير من الدقة كما بين ذلك رافيس وكازانوفا

﴿ باب زويله الاول ﴾ يمكن تحديد موقع باب زويله الاول اعتماداً على ما رواهُ القلقشندي والمقريزي [1] من ان قسماً منهُ كان لا يزال موجوداً في عصره بالقرب من مسجد سام بن نوح . واذا اجتاز الانسان باب زويله الحالي وسار تاركاً مسجد المؤيد على يساره فانهُ يجد نفسه امام سبيل تركي من العهد الاخير (سمي مدرسة العقادين على خريطة مصلحة المساحة $\frac{1}{500}$) وفي ركن هذا السبيل القريب من باب زويله باب صغير لمسجد سام بن نوح وهو يعطينا نقطتنا المحددة لموقع باب زويله الاول

(١) « كان باب زويلة عند ما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح . فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذي بقي منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنة ان من مر به لا تقضى له حاجة . وقد زال هذا الباب ولم يبق له اثر اليوم » مقريزي جزء ٢ ص ٢٠٩

ويضع كازانوفا باب السعادة بالقرب من الطرف الجنوبي للسور الغربي لما رواه المقريزي من ان هذا الباب قد سمي باب السعادة تيمناً باسم سعادة بن حيان الذي قدم من مراكش بعد ان بنى جوهر القاهرة ونزل بالجيزة . فذهب جوهر لمقابلتهِ وتلا ذلك ان دخل سعادة بجيشهِ مدينة القاهرة من هذا الباب في رجب سنة ٣٦٠ (مايو سنة ٩٧١) وعسكر بها

ويرى كازانوفا ان سعادة لابدَّ قد عبر النيل الى الفسطاط على الجسر الذي كان مقاماً من المراكب ثم سار الى القاهرة من الجنوب ولدخوله من باب سعادة - الذي نعرف انهُ كان في الجانب الغربي — يرى كازانوفا ان هذا الباب لا بد كان قريباً جداً من الطرف الجنوبي لهذا الجانب

ولو كان سعاده بن حيان عازماً على دخول القاهرة من اول باب يلقاه في طريقهِ لكان هـذا الاستنتاج صحيحاً

ولكننا نعلم انهُ قد امتنع من الدخول من باب الفرج وهو اول باب يلقاهُ

لذلك فنحن لا نوافق كازانوفا على رأيهِ. اذ من الواضح انهُ قد اختار باب سعادة لانهُ اصلح الطرق الموصلة الى قصر الخليفة او الى القصور الاخرى التي كان يدعوه الواجب الى التوجه اليها

ولا يزال يوجد شارع يسمى درب سعادة يحفظ لنا ذكرى هذا الباب ونظراً لان هذا الشارع يسير موازياً للخليج من باب الخلق الى مسجد السلطان جقمق فربما كان موقع هذا الباب الى جهة الشمال بالقرب من هذا المسجد

﴿ باب الفتوح الاول ﴾ يقول المقريزي انهُ كان لا يزال يوجد في عصره من باب الفتوح الاول اجزاء من عقده وعضادته اليسرى وبعض أسطر من الكتابة الكوفية وان هـذه الأجزاء كانت على رأس حارة بهاء الدين من جنوبيّها دون جدار الجامع الحاكمي (١)

وقد بديء في بناء هـذا المسجد في رمضان سنة ٣٨٠ (نوفبر — ديسمبر ٩٩٠) وكان خارج أسوار ذلك العهد

ولذلك فباب الفتوح الاول لا بدَّ كان يقع قريباً من ركن هذا المسجد الغربي

﴿ باب النصر الاول ﴾ كان يقع باب النصر الاول قرب المكان الذي يشغله الباب الحالي . وقد روى المقريزي (٢) انهُ رأى جزءاً من جانبه المواجه للركن الغربي للمدرسة القاصدية حيث كانت توجد رحبة تفصل هذه المدرسة عن البابين الجنوبيين لمسجد الحاكم

وهذه المدرسة لا توجد الآن ولكن يظهر على خريطة القاهرة في عهد نابليون التي رسمتها البعثة العلمية سنة ١٧٩٨ مسجد يسمى مسجد الشيخ قاصد . فلذلك نرى ان موضع هذا الباب كان بشارع باب النصر قريباً من الركن الجنوبي لمسجد الحاكم . ويظهر ان تخطيط هـذا الشارع واتجاهه بقي على حاله ولم يتغير

---

(١) المقريزي جزء ٢ ص ٢١١ (٢) المقريزي جزء ٢ ص ٢١٠

التاسع عشر . وقد جمع كازانوفا ما ورد بالمقريزي عن هذا الباب . واني اذكره هنا مع تغيير يسير في الترتيب حتى يكون اقرب الى الوضوح والتسلسل المنطقي

١ — « ان خط باب القنطرة كان يعرف باسم المرتاحية والفرحية » وهذا الحي الأخير تبعاً للمقريزي هو نفسه سوق أمير الجيوش

٢ — «ويوصل سوق امير الجيوش الى باب القنطرة» ويخبرنا ابو المحاسن ان اسم امير الجيوش قد غير الى مرجوش فنستنتج من ذلك ان باب القنطرة كان يقع في النقطة التي يقطع فيها هـذا الشارع الخليج . ولا يزال يطلق على هذا الشارع الاسم الاخير أي مرجوش

٣ — « والى جانب باب الفتوح يقع طريق يوصل لحارة بهاء الدين وباب القنطرة » وهذا الحي تبعاً للمقريزي يقع بين باب الفتوح القديم وباب الفتوح الجديد أي بين السورين القديم والجديد . وفي الحقيقة يسير شارع بين السورين متجهاً الى الغرب من الركن الجنوبي الغربي لمسجد الحاكم حيث وضعنا باب الفتوح الأول

وأهم من ذلك انهُ يميل بزاوية قائمة عند طرفه الغربي ليلتقي بسوق مرجوش عند نفس النقطة التي قررنا انها كانت موضع باب القنطرة . وفي نفس هذا الموضع في الجانب الشمالي من نقطة اتصال الشارع بالخليج وجد باتريكولو اثناء عمليات الحفر التي باشرها منذ اثني عشر عاماً قاعدة البرج الشمالي للباب مع واجهة نصف دائرية شبيهة بالابراج التي تقع الى جانب باب الفتوح وباب زويلة

ويرى في القسم الخلفي من البرج الجزء الاسفل من سلم حلزوني والى الشمال منهُ وعلى بعد كبير من سطح الارض الحالي يوجد الجزء الاسفل من حائط حجري يسير شمالاً موازياً لشارع الخليج المصري او بمعنى آخر موازياً للخليج القديم

***

﴿ باب حديدي منقول من الفسطاط ﴾ لحظ ريتمر انهُ كما كان العرب مغرمين عند انشائهم مدناً جديدة في العراق بنقل ابواب المدن القديمة الى المدينة الجديدة فكذلك فعل جوهر حين انشأ القاهرة اذ نقل اليها باباً حديدياً من قصر الامارة بالفسطاط . ولكننا لا نعلم بالضبط اين وضع هذا الباب . ومن المحتمل ان جوهر كان يقصد بذلك ان ينافس المهدية التي كان لها كما روى البكري بابان من الحديد . وربما كان اشهر الامثلة لوضع ابواب حديدية للمدن هو ما يأتي : —

استولى الخليفة المعتصم على عامورية سنة ٢٢٣ هـ (٨٣٨م) بعد حصار دام ٥٥ يوماً سويت بعده المدينة بالارض ثم اخذ باب المدينة الى سرَّ من رأى وبعد ان هجرت سرَّ من رأى اخذ الباب الى الرقة . وفي سنة ٣٥٣ هـ (٩٦٤م) ارسله سيف الدولة الى القرامطة ليسد حاجتهم الى الحديد . ثم نسمع بعد ذلك ثانية انهُ استخدم في حلب . استخدمه الملك الناصر يوسف ٦٥٤ هـ (١٢٥٦م) عندما اعاد اصلاح باب قنسرين . وعند ما اخذ المغول حلب ١٢٥٨ كان هذا الباب اول ما

نهر الكوش بنهر مرغاب) مبنية جميعها بالطوب المستوي المحروق الكبير الحجم الذي مساحة الواحدة منهُ قدم مربع

وذكر أيوان سميث طوباً محروقاً مساحته ١١ بوصة مربعة بقلعة الفتح في سستان كما تكلم عن خزان في ناد علي مبني بالطوب الكبير الحجم. وتقول Lady Shiel ان معاقل ڤيرامين التي تبلغ مساحتها نصف ميل مربع ومحصنة بأبراج على مسافات قصيرة قد بنيت بلبن كبير الحجم. ومع انهُ لا يوجد اي شك في قدم هذه الامثلة فانهُ لا يمكن تحديد تاريخها بالدقة. ولكنها مع ذلك تدلنا على ان استعمال الطوب الكبير في البناء كان واسع الانتشار

***

ولنذكر الآن بعض الامثلة المعروفة التواريخ. فقد بنى السور الداخلي لمدينة المدائن بفارس (طيشفون) على اساس مكوَّن من مداميك من ثلاث طبقات من الطوب المحروق المطبوع عليهِ اسم بختنصر (٦٠٤—٥٦١ ق. م.) المأخوذ من خرائب بابل. وكان مقاس هذا الطوب ٣١ الى ٣٣ سم مربع ويتراوح سمكه من ٦ الى ٧½ سم

اما طوب السور الخارجي وبقية السور الداخلي فيبلغ حوالي ٣٦ سم مربع وسمكه ١٣ سم.

كذلك الطوب الذي استعمل في بناء ايوان كسرى بالمدائن الذي اثبت العلامة هرتسفلد انهُ من عمل شابور الاول (٢٤١—٢٧٢م) فان مقاسه ٣٠—٣٢ سم مربع وسمكه ٨ - ٩ سم وفي تل مسماي التي تبعد عن المدائن بمسافة يقطعها الراكب في ساعتين وجد الكومندر جون لبناً مساحة الواحدة منه ١٤ بوصة مربعة ونوعاً آخر كبير الحجم من المحروق في القهائن. وبالقرب من دستجرد وجد هرتسفلد سور مدينة مبنيًّا بطوب مساحتهُ ٤٢ سم وسمكه ١٣½ سم. كما ان اسوار مدينة بغداد المستديرة التي اسسها المنصور العباسي سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢م) قد بنيت بالطوب المجفف في الشمس وبعضه مربع طول كل ضلع من اضلاعهِ ذراع وزنتهُ مائتا رطل. وبعضه طوله ذراع وعرضه نصف ذراع

وقد بني السور المحيط بمسجد الرقة سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠ م) بلبن مساحتهُ ٤٣ سم مربع وسمكه ١١ سم

اما احدث الامثلة المعروفة لنا فتوجد بشرجاز في ميل نادري في مئذنة يرجع عهدها الى القرن الحادي عشر او الثاني عشر مبنية بالطوب المحروق الذي تبلغ مساحته ١٤ × ١٢ × ٢ بوصة

***

لذلك يمكننا ان نقرر اعتماداً على الحقيقة المعمارية الوحيدة المعروفة لنا عن سور جوهر — وهي حجم الطوب — ان هذا السور مظهر من مظاهر تأثر فن البناء في مصر بالفن الفارسي حيث ان الطوب الذي كان يستعمل بمصر الى ذلك العهد كان معتدل الحجم

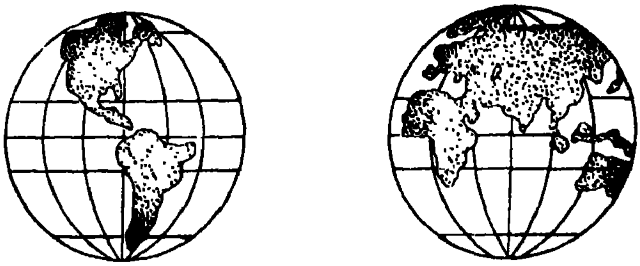
على النزعة لتجنب زيادة التهيج العصبي او كل ما يهيج الجهاز العصبي الى اكثر من طاقته الطبيعية . وعكسها كلمة Adience الدالة على النزعة او الاستعداد لاستبقاء الحالة المهيجة

والكلمات التي لا تفيد ترجمتها الحرفية شيئاً من معناها على الاطلاق لانها حددت تحديداً خاصاً في لغة مدروسة من المدارس السيكولوجية . فعبارة Absolute Factor التي تدل في لغة مدرسة Gestalt تعلم الحيوان اختيار احد شيئين لميزة يمتاز بها عن الآخر ، لا تفيد اي معنى اذا ترجمت حرفياً (العامل المطلق) ولذلك نرى ان تترجم (عامل التعلم المطلق) . ومثلها عبارة Problem Achievement الدالة على الطرق التي يتسنى بها للانسان ان يقوم بكل عملية أولى من نوعها . ويجب ان تترجم (مشكلة العملية الاولى) لان الترجمة الحرفية قاصرة . والصفات التي تلحق بالمصطلحات فتحدد معناها تحديداً خاصاً تحتاج الى شيء من التفسير فالفعل العادي Habitual Action يختلف عن الفعل الآلي Mechanical Action في ان الاول يقول بهِ الانسان من غير ضرورة بحكم تعوده القيام بهِ في احواله المناسبة كتدوير زنبرك الساعة كلما أخرجت من الجيب. والثاني يقوم بهِ الانسان بطريقة آلية من دون تفكير او شعور كامل بهِ لتعوده او اتقانه كربط الحذاء مع ان الكثير من الناس لا يفرقون بين الصفتين — عادي وآلي . وهذان بدورهما لهما معنى آخر غير معنى mechanistic و automatic

والكلمات الاخرى التي اذا ترجمت حرفياً لم تجعل المعنى غامضاً كالسابقة فحسب وانما هي قد تضلل القارىء . فنحن نطلق على الصورة الذهنية التي تحدث في العقل على اثر تأثره بمؤثر ما مدة طويلة after-image فاذا كانت مطابقة للاصل تماماً Positive او Homochromatic (من نفس اللون) اذا كانت لوناً. واذا كانت عكس الاصل تماماً negative وفي حالة الالوان تسمى مكملة Complementary فاللون الاخضر مثلاً يعطي بعد زواله صورة حمراء . ولا معنى لترجمتهما بالصورة الموجبة او السالبة اذ لا محل للحالة الايجابية او السلبية والأفضل ان نترجمهما بالصورة المتخلفة المطابقة او العكسية او المكملة

***

وكذلك اسماء الأجهزة والآلات التي تستطيع اللغات الافرنجية ان تضع لها كلمة واحدة ولها في الأصول اليونانية واللاتينية خير معين فالجهاز Algesimeter هو آلة قياس مقدار الألم اللمسي الناتج من ضغط الجلد بشيء مدبب . ولا نستطيع ان نختصر الترجمة فنقول مقياس الألم لان هناك جهازاً آخر كالسابق يقيس النهاية القصوى للألم اسمه Algometer والأفضل ان نسميهما باسميهما الافرنجيين الجيزمتر والجومتر. والكلمات التي لا يمكننا ترجمتها حرفياً كعبارة All-or-none التي تطلق على طائفة من الاحساسات الغشومة المختلطة غير المحدودة وهي تسمية يرتاح اليها العالم الفسيولوجي السير هنري هيداك اكثر من كلمة propopathic وخير ترجمة لها الاحساسات الغشومة



سير الزمان

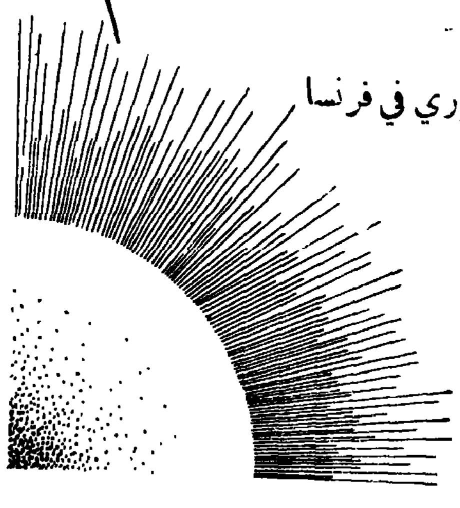
العوامل المعنوية ووحدة الامم

للدكتور شهبندر

سبل الانتعاش الاقتصادي

في بريطانيا

الاصلاح الدستوري في فرنسا





العوامل المعنوية

ووحدة الامم

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

﴿الفن والوطنية﴾ لا ادل على ان الوطنية شعور داخلي وفيض معنوي من التفاعل القائم بين الفن وحب الوطن ، فكم من وطنية خاملة ايقظتها عبقرية الشاعر وقومية ذابلة انعشتها ألحان المغنين ، وكم من فن ميت احيته الانتصارات في الحروب وادب صامت انطقته اعمال الابطال المجددين ، والفن من الاصل ميزة وطنية خاصة تتفرد بها الامة بل هو عصارتها والافراز الداخلي من غددها الصم الذي يوقظ انتباهها الى نفسها وشعورها بحوزتها ، في حين تكون العلوم والمعارف وقفاً على جميع الشعوب ، فنرى العامل الميكانيكي في الحجاز مثلا يتلذذ بدرس السيارة وتفكيكها والاطلاع على سرها كما يتلذذ العامل في سويسرا ولكنهُ لا يرى لذة في شعر السويسريين كما يراها ابناؤها . ذلك لان الفن نتيجة انفعالات الامة مما اصابها من الاختبارات الخاصة بها على ظهر سفينة الحياة ، فاذا كان البحر هادئاً كان الفن سهلاً سلس القياد والاَّ كان هائجاً مضطرباً تتخللهُ الانقلابات والثورات ، فلا عجب والحالة هذه ان يكون كبار اهل الفن من كبار الوطنيين وذلك للمهمة الروحية التي يقومون بها من الافصاح عن الهواجس التي تجول في افئدة الامة التي ينتمون اليها . قال الاستاذ (بايندر) وتتوقف عظمة اهل الفن على طاقتهم ان يقدموا للمجتمع موضوعات طفحت بانفعالاتها انفسهم وان يشرحوها للقوم من وجهة نظرة الشريك المساهم لا من وجهة نظر المشاهد المحايد ، يعني اذا اراد الفنان والاديب ان يفصحا عن مواهبهما خير الافصاح فعليهما ان ينتخبا الموضوعات المعاصرة جهد الطاقة ، وهذا هو سر الفن جميعاً ، وعليهما ان يعرضاها من الوجهة الوطنية لان روح الامة تتطلب الافصاح والتجلي بطريقتها الخاصة واسلوبها الممتاز

وحدث لنا اننا لما كنا في الولايات المتحدة في سنة ١٩٢٤ دعينا الى حفلة اقامتها بعثة هندوكية في احد مسارح نيويورك وفيها شنف مسامعنا اعضاؤها بمنتخبات روحية من اغاني (الفيدا) الشعرية الجيدة مع رقص مقدس غاية في الاحكام كانت تتوسل به الراقصة الى الآلهة الهندوكيين ، وكان الى جانبي عين من اعيان الاميركيين الحريصين على العرب ونهضتهم فقال لي اذا كان عندكم فن من الفنون الجميلة فهاتوه الى هنا لانهُ يكون خير دعاية تبثونها لقضيتكم ولاظهار العرى المعنوية التي تربط افراد امتكم بعضهم ببعض وتدلون الاجانب بواسطته على ما في بلادكم من الذخيرة الروحية الادبية . فاذا كان هذا فعل الفن في ايقاظ اعجاب الاجنبي بنا فما أحوجنا اليهِ في ايقاظ اعجابنا بأنفسنا — بوطننا وبجدودنا وبأوضاعنا وتاريخنا

﴿ الالم والوطنية ﴾ رأينا البلدان المغلوبة على امرها والخاضعة للمصالح الاجنبية والمعصوصة بمراشف الاستعمار تشعر بالكثير من الاشتراك في العواطف التي تغلي في صدور ابنائها . فاذا كان وراء هذا العامل السلبي القائم على الكراهية والنفرة من المستثمرين الطفيليين عوامل اخرى ايجابية من العوامل الوطنية التي عرضنا لها ازداد تأثيره فكان من اكبر الدواعي الى توحيد الجبهة ، لا جرم اننا رأينا المحنة التي تعانيها فلسطين من وعد بلفور الجائر مثلاً تحدث في الاقطار العربية الاخرى استياء يبلغ حد المشاركة ، وكذلك الحال في الظهير البربري الذي اعلنته فرنسا في المغرب الاقصى لفصل البربر عن اخوانهم العرب ، وقد امتلأت الصحف السيارة بالاحتجاجات على المستعمرين من أجله وعقدت الاجتماعات في شتى البلدان لاظهار الصخب والسخط مما دلّنا على شدة التماسك بين أبناء العربية . ومما لحظه علماء الاجتماع ان الافراح المشتركة هي مثل الدواعي المؤدية الى الشعور بالمجد تسبغ على الوطنية حلة من الزهو والابهة في حين تلقي عليها الآلام المبرحة ستاراً حالكاً من نكد وغم وتنفث فيها ما دعاه الاستاذ (باپندر) شعوراً تصوفيًّا من حيرة واسرار ، ويصاب أهل الآلام بمرض الاكثار من التشكي قد يبلغ حدّ (الهستريا) في المرأة العصبية مع اقلال من العمل يجعل صاحبه في حكم المقعد ، ولحظنا في بعض الأحيان افراطاً عظيماً جدًّا في التشدق بالعظمة المدفونة تحت الثرى والتمدح بالماضي والافاضة في ذكر محامد الجدود حتى ضاق صدرنا كما يضيق صدر كل احد بالفقير الحافي الذي يجعل ديدنهُ في الحياة التغني بما كان «المرحوم» جده من الاحذية ! وليس من مصلحة الامة في شيء ان نجعل المثل الاعلى للنشء الحديث الرضى بالانتساب الى العظماء فقط

اننا نمجد الآباء والجدود ونبني على محامدهم الصحيحة وطنيتنا الناهضة ولكننا لن نعبدهم ، ويكون فارغاً من كان خالياً من جميع المزايا الا ما يدعيه من كرم المحتد

ولعلّ الموسيقى العربية وما فيها من أنات وآهات وبكاء واحزان ورجيع وحنين هي المدرهُ المعبر عن الالم المتأصل في شعوب العالم العربي ، وقد ينحط هذا التوجع في بعض المغنين حتى يصير تخنثاً ويفقد جميع اسباب الرجولة ، ولم يصَبْ فننا الموسيقي بمصيبة أكبر من تلك البدعة المبتذلة الثقيلة المغنغنة الباردة التي يكررها المغني في كل محفل وهي « ياليلي » فليت شعري متى يزول الظلام عن الافق فيلمع الشرق بنور الفجر ليصيح المغني « يا نهاري » ؟ والالم نافع ما بقي حافزاً للعمل منبهاً لعزة النفس ولكنهُ متى صار اداة للتسول والاستجداء والاستعطاف وعلامة على القنوط فهو حشرجة الصدر ساعة الموت . وقد بقيت الموسيقى التركية الى السنين الاخيرة على هذا النمط ولكن الانقلاب السياسي الخطير الذي تناول تركيا من بعد الحرب اخذ يحدث اثراً ظاهراً في ألحانها فلا يمضي زمن طويل حتى تتخللها اصوات شديدة تردد اصوات قعقعة السلاح في صقاريه وكوك صنو ويتلألأ منها في صدور سامعيها لمعان ينعكس عن وميض سيوف الغازي وقنابله المتفجرة وقد عاب الاستاذ (باپندر) على اهل البلدان الضعيفة المرهقة استعمالهم التورية والتمويه في كلامهم

كتب الفرنسيين في تاريخ العلم والادب والسياسة تنسب كل اختراع او ابتكار او اكتشاف الى رجل من الفرنسيين حتى لو ان فرنسيًّا استبدل بتفاحة (نيوتن) رمانة مثلاً ما خجلوا ان ينسبوا اليهِ ناموس الجاذبية محتجين بأن الرمانة غير التفاحة ! وفي احد الكتب الجرمانية المنتشرة في الايدي كثيراً عبارة مضحكة عن ميزة اللغة الالمانية وفضلها على غيرها ذكرها الاستاذ (بايندر) وهي « ان الفرنسي يقبع في كلامه كما يقبع الخنزير والانكليزي ينخر من انفه نخراً ولكن الجرماني هو الوحيد الذي يتكلم » وسئل احد المبشرين وهو يستعرض المعجزات والخوارق الواردة في الكتاب المقدس وما لها من الشأن في تأييد دينه عن كرامات الاولياء في الاسلام فقال هذه من عمل الشيطان وأما تلك فمن عمل الرحمن !

لقد رجعت الى نفسي وحللت عقيدتي في التعصب فوجدتها تنحو هذا النحو من الاستهجان وهذا ما يجب ان يتصف به كل من كانت له نزعة علمية مجردة عن الهوى ، بيد انني ويا للاسف مرغم على القول بمنتهى الصراحة ان التعصب الوطني قد يكون العلاج الوحيد الذي ينقذ امتنا من براثن عبدة المادة من المستعمرين المستنزفين ، وانني اصف هذا الدواء على مضض مني كما يصفه كل طبيب غيري يرى مثل هذا الخطر المهلك محدقاً بالمريض الذي يداويه . لا جرم ان الامم المغلوبة على امرها تبالغ في شأن لغتها وعاداتها وتعاليمها وعقائدها وأدبها وفنها وعلمها وجال بلادها مبالغة تتجاوز المعقول في بعض الاحيان كما ذكرنا سابقاً وتنقب عن المستعمرين بمين مجهرية فتتذكر عيوبهم ومساويهم وتكرّه ابناءها بهم وبالروائح المنبعثة من اوضاعهم لان دواء الافاعي في نظرها جـ...ل الرجفة من منظر هذه الافاعي والخوف من انيابها غريزة طبيعية

وكانت كلمتا مؤمن وكافر في عصر التعصب الديني سبب رعشة عند الامم لما يحدث مدلولهما في الاذهان من النفرة المستنكرة ، وسترغم الدول الاوربية المستعمرة اهل البلدان المقهورة على جعل كلمة افرنجي في نظرهم سبب رعشة ايضاً لانها تمثل في اذهانهم تلك المغارم والمظالم التي شهدناها بام العين فلا يحق لاحد ان يجادلهم او يجادلنا بها . والبغض المتوارث يزداد شدة باستمرار الدواعي التي احدثتهُ وينتهي بالانفجار الخطير عند حدوث الشرارة الاولى

﴿ القناعة الاقليمية خطر على الارتقاء ! ﴾ لقد أيدنا في هذه المقالات « الجامعة العربية » تأييداً كليًّا وابتعدنا عن السياسة الاقليمية او الموضعية ابتعاداً كبيراً لسبب اجتماعي يعد في المقام الاول وذلك لما عرف عند علماء الاجتماع من ان الارتقاء يصير سيراً حثيثاً متى كان للافراد المتحدين وجهات نظر يختلف بعضها عن بعض وميزات خاصة متباينة في حد ذاتها ولكنها لم تبلغ في تباينها هذا حدّ النفرة او ما يدعو الى التفتت بل هي مشدودة برباط الوطنية الوثيق ، فاذا ما طلبنا تنظيم الشعوب العربية وتقريبها بعضها من بعض فلا نعني ابداً اننا نريد طبع افرادها على غرار واحد بل نريد ان يترك للفرد فيهـا مجال تظهر فيهِ ميزاته الخاصة ضمن الوحدة العقلية الاجتماعية الشـاملة ،

سبل الانتعاش الاقتصادي

في بريطانيا

بحث في تاريخ السنوات الثلاث الاخيرة

...

الانتعاش الاقتصادي الذي اصابتهُ بريطانيا في السنوات الثلاث الاخيرة ، مثل بليغ على مآثر الزعامة الحكيمة في عصر تكاد تكون آيتهُ الاضطراب والاخفاق اذ قلما يزور لندن زائر في هذه الايام من دون ان يحسّ بأنها مدينة لا تجثم على صدرها اشباح القلق والخوف من المستقبل . فلندن اكثر العواصم رخاء في العالم اليوم، يستطيع الاحصائي ان يثبت ذلك بالارقام تتناول الثروة العامة واتساع نطاق العمل ومقدار ما يستهلك من العروض . ولكن الزائر الاجنبي لا يحتاج الى برهان ، ذلك انهُ يحسُّ عند وصوله الى لندن بطمأنينة لا يحسُّ بها في العواصم الأُخرى . فانهُ اذا قدمها من برلين شعر بفرج يطلق لسانهُ في تناول المشكلات العامة بكلام هادىء صريح . واذا جاءَها من باريس نسي حوادث الشغب وانباء الارتكاب وشبح الاضطراب محوّماً على مجلس النواب . اما إذا أتاها من ناحية الولايات المتحدة الاميركية فانهُ يرى فيها أُمةً سمتها الطمأنينة والثقة بالنفس

الا أن لندن ليست نموذجاً لسائر المدن والمقاطعات البريطانية ، ففي شمال بريطانيا وويلز مناطق اكتسحها الفقر وغلب عليها القنوط. ولكن بريطانيا بوجهٍ عام اصابت انتعاشاً ملموساً ، أعاد أُلوفاً من العمال الى العمل ونثر عن جمرة الثقة رماد الاستكانة واليأس

من الاقوال الشائعة ان البريطانيين ادركوا هذا الانتعاش بتركهم القوى الطبيعية تفعل فعلها . ونحن لا ندري ولا المنجم يدري مدى ما كانت تصيبه بريطانيا من الانتعاش لو أنها حقيقة تركت القوى الطبيعية تفعل فعلها اي لو أنها امتنعت عن انشاء الحكومة القومية ، والخروج عن قاعدة الذهب ، وإحاطة أسواقها بحواجز جركية ، وخفض دخل المموّلين ثلاثين في المائة بعملية تحويل القروض ، وتشجيع الزارعة بتنظيمها وامدادها بالاعانات المالية

***

ان تاريخ الشعب البريطاني من سنة ١٩٣١ الى الآن شبيه بتاريخ رجل فرد من بعض الوجوه . فالرجل يحكم في شؤونهِ المختلفة احكاماً متباينة فيكون بعض احكامهِ غاية في الحكمة ويكون البعض الآخر اعتباطاً فتؤاتيه الاقدار فيدرك بهِ الامل المنشود كلهُ او بعضهُ . كذلك القرارات التي اتخذتها الحكومة البريطانية في خلال هذه السنوات الثلاث . فقد كان بعضها بالغاً منتهى الحكمة والحصافة ، وكان البعض الآخر مما آتتهُ الاحوال فاصاب الهدف . بل ان واحداً منها على الاقل كان اشبه بحال الفقير البائس أتى على آخر فلسٍ عندهُ ، ثم اصاب في ارضهِ كنزاً ثميناً

المال ، فأخرجوا نقودهم وسبائكهم وصهروا الاساور والحليّ ، وبعثوا بها جميعاً الى لندن

وادركت الخزينة البريطانية في الحال قيمة هذا الاتجاه . فأنشأت « حساب التسوية والمبادلة » لتجهّز الحكومة بالمال اللازم لشراء الذهب في الهند وافريقية الجنوبية . نعم كان لهذا الحساب غرض آخر هو منع سعر الجنيه الاسترليني من الهبوط كثيراً او الارتفاع كثيراً ، ولكن غرضهُ الاساسي كان شراء الذهب ، وقد حقق الغرض على أوفى وجهٍ ، لان المخزون من الذهب في انكلترا بلغ من نحو سنة أعلى ما بلغهُ في التاريخ . فذهبُ الهند أنقذ بريطانيا من موقفها العصيب

ولكن الهند ما كانت تستطيع ذلك لولا حدوث حدث آخر ما كان في مكنة أحدٍ ان يتنبأ بحدوثهِ . ذلك أنهُ لما خرجت بريطانيا عن قاعدة الذهب لم يدرِ أحدٌ ، هل ترتفع أسعار العروض بالنقد الورق او تهبط اسعار العروض بالذهب . فالتجاريب السابقة في فرنسا والمانيا وايطاليا كانت تشير الى هبوط اسعار النقد الورق اي الى ارتفاع اسعار العروض بعد الخروج عن قاعدة الذهب ، وهذا يفضي الى زيادة المطبوع من ورق النقد فالى التضخم النقدي . والراجح ان مكدونلد كان يرى هذا والاّ لما انشأ الحكومة القومية جاعلاً هدفها الاول الدفاع عن قاعدة الذهب ، ولما بثّ الخوف في طول البلاد وعرضها من تضخّم شبيه بتضخم النقد في المانيا سنة ١٩٢٣

الاّ ان الحوادث اتت على غير ما كان يتوقع . ذلك انهُ لما خرجت بريطانيا عن قاعدة الذهب هبطت اسعار العروض بالذهب، ولم ترتفع اسعارها بالنقد الورق . وجرت بلدان اخرى مجرى بريطانيا في التخلّي عن الذهب كأساسٍ للنقد واتخذت الجنيه الاسترليني اساساً لنقدها ، فاصبح الجنيه في اسواق العالم المالية اقوى من ان تسيطر عليهِ قوة الذهب . والانكليز يجملون لك هذه الحالة في قولهم ، انهم لم يخرجوا عن قاعدة الذهب ، ولكن الذهب خرج عن قاعدة الجنيه الاسترليني وكذلك احتفظ الجنيه بقدرتهِ الشرائية ، وفي الوقت نفسهِ خفض اسعار البضائع البريطانية بالقياس الى نقد الامم الباقية على قاعدة الذهب ، فنشطت تجارة الاصدار البريطانية . وهذا كلهُ كان من بواعث اقبال الهند على اخراج ذهبها المخبوءِ ، وابدال جنيهات استرلينية بهِ لجني الربح من الفرق فاستعادت لندن مقامها المالي بين عواصم العالم

***

قلنا ان « الحكومة القومية » الاولى انشئت في بريطانيا لانقاذ قاعدة الذهب . فلما اضطرت الحكومة ان تخرج عن قاعدة الذهب ، كانت نزعة التعاون القومي وتأييد الوزارة القومية ، قد استساغها الشعب البريطاني ، فاستطاعت الحكومة ان تتقدم الى البلاد في انتخاب عام احرزت فيهِ كثرة ساحقة . فكان لذلك أثر عظيم في الانتعاش الاقتصادي ، لان الثقة بالوزارة القومية مكّنت الشعب البريطاني من اجتياز تلك الايام العصيبة في اواخر سنة ١٩٣١ التي تلت الخروج عن قاعدة الذهب وما عقبهُ من القلق لما يكنّهُ المستقبل في ثناياهُ . فلما فازت الحكومة القومية بتأييد البلاد

كانت تمتاز في ذلك العهد بنقص في اسعار العروض لخروج الجنيه عن قاعدة الذهب . يضاف الى ذلك ان العالم حينئذٍ بدأ يلمس تحسيناً في التجارة العالمية ، فكانت النتيجة التي اسفرت عنها هذه العوامل — اي زيادة تصريف البضائع البريطانية في بريطانيا نفسها ، ورخص المصنوعات البريطانية لخروج النقد الانكليزي عن قاعدة الذهب والتحسّن الملموس في التجارة العالمية — ان زاد الطلب على مصانع بريطانيا ، فازداد الطلب على العمال وقلّ التعطّل . ولعلّ ابلغ مثل على هذا الانتعاش صناعة الحديد والصلب التي ضعفت حتى كادت تتلاشى ، لشدة المنافسة التي اصابتها من الصناعات التي تقابلها على البرّ الاوربي ، فأصبحت بعد التحوّل الجديد تنتج تسعين في المائة مما تستطيع انتاجهُ

على ان الحواجز الجركية ليست حافزاً كافياً للانتعاش الاقتصادي . بل ان الحواجز لا تجدي كثيراً الاّ في بلاد مستعدة ان تتخلى عن صادرها بقدر ما تتخلى عن واردها . ولا ريب في ان خروج بلدان كثيرة عن قاعدة الذهب سلب البضائع البريطانية بعض الميزة التي كانت تمتاز بها في سنة ١٩٣٢ . بيد ان الرأي السائد في بريطانيا الآن هو ان الحواجز افادت واذن فيجب الاحتفاظ بها . على ان ذلك لا يكفي . ولابدّ لبريطانيا من ان تعنى باعادة تنظيم صناعاتها ملاءمةً للنقص في صادراتها . فبريطانيا في الغالب ، تبيع ٣٠ في المائة من مصنوعاتها في الخارج ، ولكن الزيادة في ما تستهلكه السوق البريطانية بعد احاطتها بالحواجز الجركية ، لا يقرب من هذا ولا من نصفهِ . فالانتعاش الى درجة الرخاء ، عن طريق الحواجز غير مرجّح ان لم يكن متعذراً . وقد ترى بريطانيا قبل انقضاء زمن قصير ، ان هذا الحاجز سوف يصبح سلسلة من الابواب ، كل باب منها يمثل معاهدة تبادل تجاري مع البلدان التي يهم بريطانيا ان تعاملها

***

وعلى كل حال لا نستطيع ان نعلل الاّ جانباً من انتعاش بريطانيا الاقتصادي بالحواجز الجركية . وأما الجانب الآخر فيمكن تعليله بتلك العملية المالية العظيمة التي تعرف باسم « تحويل قروض الحرب » من قروض فائدتها ٥ في المائة الى قروض فائدتها ٣½ في المائة فوفّر على الخزينة دفع فائدة قدرها ١½ في المائة على مبالغ كبيرة من المال كل سنة . وقد كان لهذا التحويل اثر اجتماعي كبير ، الاّ ان نجاحهُ كان يقتضي ان ترضى طبقة المستثمرين البريطانيين — وهي غنية وذات حولٍ — بخفض دخلها من الاموال التي تثمرها في هذه القروض ثلاثين في المائة

كان مقدار دين الحرب الذي فائدتهُ ٥ في المائة ، الفي مليون جنيه . فكان على الحكومة اذا شاءت ان تنجح في عملية التحويل ان تدبر تدبيراً يمكنها من اقناع اصحاب السندات ، بأن مصلحتهم تحتم عليهم قبول التحويل . وهذا في ظاهره كان متعذراً ، اذ كيف تستطيع ان تقنع الناس ، بأن يقبلوا مختارين نقصاً في دخلهم يبلغ ثلاثين في المائة ؟ ولكن وزير المالية البريطانية المستر نفيل

كانت قد هبطت عند حدوث الازمة فاضطر أصحاب الصناعات ان يحولوا جانباً من ربحهم في الصناعة لتوفية خسارتهم في ما كانوا يجنونه من السندات. فلما تمت عملية التحويل، وجد أصحاب الصناعات ان قيمة سنداتهم قد زادت، فتمكنوا من تجديد مصانعهم او توزيع ارباح على مساهميهم . وهذا افضى بدوره الى زيادة الطلب على الآلات من صناعها من ناحية ، والى زيادة المال المتداول الناتج من توزيع الارباح على المساهمين ، من ناحية اخرى

وقد يتعذَّر على الباحث ان يعين نصيب الحواجز وعملية التحويل والتحسُّن الاقتصادي العام في انتعاش بريطانيا . ولكن يرجح ان نصف انتعاش بريطانيا الاقتصادي يعود الفضل فيهِ الى عملية التحويل في قروض الحرب ، وهو النصف الاهم، لانهُ ينطوي على بزور الانتعاش الصحيح ، حالة ان التحسُّن الناشيء عن الحواجز الجمركية : محدودٌ في أثره ومداه

***

اما انتعاش الزراعة البريطانية فلم يكن عاملاً اساسيًّا في الانتعاش العام ، مع ان مقدرة الزراع الشرائية قد زادت زيادة لا بأس بها . وانما يهمنا ان نشير اليهِ لأنهُ مرتبط بشخصية رجلٍ يقولون ان الدهر يعدُّ له مكان الصدر في سياسة البلاد نعني المستر ولتر اليوت وزير الزراعة . فهو رجل يميل الى التنظيم في شؤون الحياة القومية زراعية وصناعية وغرضهُ ان يجعل الجزائر البريطانية من الناحية الزراعية قادرة على كفاية نفسها بنفسها . ولتحقيق هذا الغرض نظم الزرَّاع البريطانيين حتى يتمكنوا من منافسة زرَّاع البلدان الاخرى التي تبيع منتجاتها في السوق البريطانية . ولا يخيفهُ ان يفضي عملهُ هذا الى ارتفاع اسعار الاغذية . فاذا قال لهُ دعاة التجارة الحرة ان تجارة الصادرات البريطانيـة تضعف اذا نقص ما تبيعهُ البلدان الزراعية في بريطانيـا ، ردَّ عليهم ان صناعة الصـادرات البريطانية تستطيع ان تبيع الفـلاحين البريطـانيين متى بدأ هؤلاء يجنون ربحاً من زراعاتهم . وقد انشأ المستر اليوت نظماً تعاونية للحاصلات الزراعية الرئيسية خاصة بتنظيم الانتاج والبيع وتعيين الاسعار. وما على جماعات الفلاحين الاَّ ان يأتوا اليهِ جماعة جماعة ويعربوا عن رغبتهم في وضع نظام خاص لكل جماعة منهم فيضع لهم مشروعاً ثم يعرضهُ على البرلمان ويفوز في الغالب باقراره. فالمستر اليوت اشبهُ ما يكون الآن بدكتاتور سوق الاطعمة في بريطانيا ، فانه اذا وجد مثلاً ان ما تصدرهُ الدنمارك الى بريطانيا من لحم الخنزير ينافس ما ينتجه الانكليز انفسهم منافسة قوية يصدر انذاراً الى الدنماركيين بوجوب نقص ما يصدرونهُ والاَّ طبَّق عليهم نظام الحصص ، فيفضي هذا في الغالب الى اتفاق ودي قائم على اساس من التبادل . ولهُ في بريطانيا معجبون كثيرون يرون فيهِ رئيساً للوزارة البريطانية في المستقبل . اما مقاوموه لجلُّ مقاومتهم لهُ تستند الى انهُ يعوق القوى الطبيعية عن ان تفعل فعلها . ولكن البريطانيين بوجهٍ عام يدركون الآن انهُ اذا تُركت القوى الطبيعية تفعل فعلها قضت على الزراعة في بريطانيا قضاءً مبرماً

فرنسا والاصلاح الدستوري

بحث تاريخي دستوري

في اكتوبر سنة ١٩٣٢ كتب المسيو غاستون دومرج مقدمة لكتاب اصدره الشيخ موريس وردينر عنوانهُ « المساوي الدستورية ومشكلة التنقيح » . قال فيها : — ان فرنسا تتوق الى السلم الداخلي توقها الى السلم الخارجي ، ورغبتها الشديدة هي ان تجد وسيلة تمكنها من تحقيق السلمين معاً . ان نتيجة من هذا القبيل لا يمكن الحصول عليها من دون تعديل شرائعنا الدستورية ، لانها هرمت كما تهرم كل الاشياء ، و يجب ان تعدل حتى تتلاءم مع الاحوال الجديدة السائدة في حياتنا العامة »

وقد يبدو للباحث ان اقل تعديل في الدستور الفرنسي ، يجعل النظام البرلماني ، اعلى مكانة وأصلح حالاً مما هو الآن . وموطن الضعف في النظام البرلماني الفرنسي ، انما هو في منح سلطة عظيمة لمجلس النواب . فرئيس الجمهورية ، هو من الناحية النظرية ، رئيس السلطة التنفيذية ولكنه في الواقع ليس الا صورة . ورئيس الوزارة هو رئيس السلطة التنفيذية الفعلي . ثم انه واعضاء وزارته مسؤولون امام مجلس النواب ، وفي السنوات الاخيرة اصبحوا مسؤولين امام مجلس الشيوخ كذلك

ومجلس النواب الفرنسي ، مؤلف من احزاب كثيرة ، قيل انها سبعة عشر حزباً في المجلس الحالي وقد تزيد . والفرق بين الحزب الواحد ، والحزب الذي إلى يمينه او الى يساره ، قد لا يكون إلا يسيراً ، ولذلك يقتضي انشاء الحكومات الفرنسية ، انشاء كتل مؤتلفة من طوائف من الاحزاب ، لها كثرة في المجلس . فاذا عرضت مسألة يختلف فيها رأي الاحزاب المؤيدة للحكومة ، استردَّ بعضها تأييده للحكومة فتسقط الوزارة ، فيعهد الى من يستطيع انشاء كتلة اخرى مؤتلفة من الاحزاب ، في تأليف الوزارة التالية . وهذا محتمل إلى حدٍّ ما . ولكن اذا عجز مجلس النواب عن ايجاد اكثرية مستقرة بعض الاستقرار تستند اليها الوزارات المتعاقبة ، تضطرب الحالة اي اضطراب ، وتعجز الحكومات عن تصريف شؤون الامة . وهذا ما حدث في مجلس النواب الفرنسي الذي انتخب سنة ١٩٢٤ ، وفي مجلس النواب الذي انتخب سنة ١٩٣٢ وفي الحالين ، كانت الاكثرية لاحزاب الميسرة — الاشتراكيين ، والراديكاليين الاشتراكيين — وفي الحالين كذلك انشأ هذان الحزبان ائتلافاً دعي « كتلة اليسار » Cartel des Gauches في خلال الحرب الانتخابية ، فاستطاعا معاً ان يفوزا بأكثرية المقاعد في المجلس . فلما اجتمع المجلس المنتخب فُضَّ الائتلاف ، لان الاشتراكيين يرفضون الاشتراك في حكومة اذا لم يكونوا وحدهم يستطيعون ان يؤلفوها من دون ان يستندوا الى تأييد حزب آخر . ولكنهم مع رفضهم كانوا يؤيدون الحكومات التي يؤلفها زعماء حزب الراديكاليين الاشتراكيين على شروط خاصة لكي يظلوا احراراً في استرداد تأييدهم متى شاءوا

وكانت حكومات الراديكاليين الاشتراكيين تستند الى احزاب الوسط او ما يليها من احزاب الميمنة ، اذ تفقد تأييد الاشتراكيين لها وكذلك كانت حكومات الراديكاليين الاشتراكيين — ومن



مملكة المرأة

ضامنات الحب

لحنا خباز

الحمية فى الأمراض

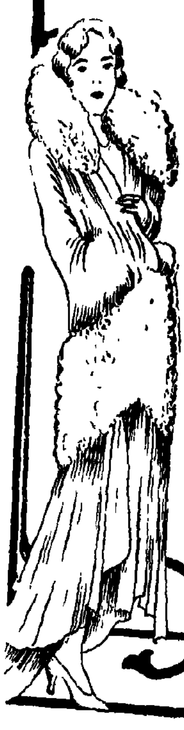
للدكتور عبده رزق

قصص الحياة — رجلٌ وغدٌ

وصايا للزوجين

الزوجة ونجاح الرجل







ضامنات الحب

وهي محاورة بين فتاة وأبيها

لحنا مبارك

..

الوالد : من ملك جوهرة حرص عليها . والحب اثمن جواهر الوجود . فيهمنا وقايته بما نملكهُ من ضامنات

الفتاة : الذي أفهمه يا والدي ان للحب آفات وان له ايضاً ضامنات . ولقد أحسنت في انك قدّمت هذه على تلك

الوالد : واول ضامنات الحب : تبادل المصلحة : وارجو انتتفق في الكل وان اختلفنا في الجزء

الفتاة : فهمتك يا والدي . فانك تؤسس العلاقات البشرية على المصلحة ، على جلالة قدر تلك العلاقات كالحب والدين

الوالد: ألا تعلمين يا عزيزتي ان المرء عبد مصلحته ؟ فاذا فقدت المصلحة زال الحب . فالمصلحة ، مادية او روحية ، هي ضالة الانسان ، ينشدها حيث يجـدها . فهو ابداً انتفاعي، في سياسته ، والمصلحة بعد كل حساب هي فوق كل عامل في الوجود . وفي حبه وفي دينه

الفتاة : مع ميلي للتسليم بذلك ، ارجوك ان تزيدني ايضاحاً

الوالد : هل رأيتِ الفلاح يدفن البذار في التربة ؟

الفتاة : مراراً

الوالد : فلو حكّمت النظر دون الاختبار لجزمتِ بأنهُ مجنون . لانهُ ينفق قوته عبثاً ؟

الفتاة : والحال انه يبذل القليل ليجني الكثير فهو ليس بمسرف

الوالد : هذا هوسنن الانسانية الاسامي: بذار واستغلال. ناموس عام في جميع الدوائر الانسانية ومنها:

١ً : الطالب في المدرسة : يقضي السنين الطوال ، وينفق بدر الاموال رغبة في احراز العلم ليتمكن من تحصيل الاموال والمراتب واللذائذ

٢ً : الوالدون : ينفقون كثيراً على اطفالهم . آملين انهم في مستقبل الزمن يكونون سنـداً لهم

٣ً : كذلك الشركاء ، والمتضامنون

الفتاة : وهل التدين ، ومحبة الله هو من هذا القبيل ؟

الوالد : الديانة حسب وضعها الاصلي هي اما رغبة في ثواب ،او رهبة من عقاب . فهي مذهب نفعي

الفتاة : اولا يوجد تدين لله ؟ لا رغبة في جنة ، ولا رهبة من نار

الوالد : لا اظن واليك نصوص التوراة ، وهي المرجع الديني الاسمى عندنا

الامريكية . هل من واحدة من هذه الدول تحب اختها « لله » ؟ . واذا كتب صحافي ان . فرنسا تحب بولونيا لله : افلا تضحكين ؟ . فلماذا تصدقين ان الفرنسي يحب البولوني لله ؟ افليس الفرنسي جزءاً من فرنسا ، وله طبيعتها ؟ فكيف يصح في الفرد ما لا يصح في المجموع ؟ والرأي الخطير هو هذا :

تتألف الدولة من الافراد ، فتعلن طبائعهم وصفاتهم . والحكم في الفرد وفي الدولة واحد . وكما ان المصلحة حافز حب الدولة وضامنها كذلك الحال في حب الفرد . هنالك مصلحة حفزت الى ذلك الحبّ وضمنته . فالمصلحة اول ضامنات الحب لذا قالوا : حبيبي من نفعني :

الفتاة : اراني يا بابا قد بدأت افتح عيني لنور الحقيقة . فالمرء نفعي في كل شؤونه حتى في حبه

الوالد : الحمد لله . فما قولك في من تزعم انها تحب مع ضياع المصلحة ؟

الفتاة : ارى انها مجنونة — بحسب قياسك —

الوالد : فالمصلحة اولاً . هذا هو الحكم العام . والحب ضد المصلحة ليس مبدءاً انسانيًا ، بل هو مرض نفسي

الضامن الثاني : عدالة الحب . والعدالة ضرورية . وذلك لاربعة اسباب

١ : اخلاقي : لا ثقة بالخائنين الظالمين

٢ : اقتصادي : الحذر من الخسارة

٣ : فنّي : فان الظالم قبيح والعادل جميل والجمال هو المحبوب

٤ : اختباري : عند التناهي يقصر المتطاول

فدرس الشخص يتقدم فتح القلب لحبه ابداً . ومن خالف هذا القانون جنى على نفسه . فالحب لاول نظرة ضلال مبين . والقانون هو امتحن اولاً ثم احكم . واحكم اولاً ثم احب . فالحب قبل الحكم ، وقبل المعرفة ، سخافة وجنون . نعم ان النظرة الاولى قد تقرع ابواب القلب . ولكنّ العقل لا يسلمها المفاتيح قبل التحقق من سلامة العواقب

الفتاة : ان كلامك هذا يا ابت يوافق رواية شهدناها بالامس في مسرح ديانا وقد استمطرت دموعي

الوالد : وخلاصتها ؟

الفتاة : شاب يتودد الى فتاة . فتمنعت اولاً قائلة له : انك بعد ان تنال مني تتركني . فأغلظ الاقسام انه لن يتركها . فاستسلمت لحبه الزائف . ولما ولدت ثمرة ذلك الحب ، قلاها وانكر حبه وابنته . ولما همت بأن تشكوه للحكومة ، وهو موظف ، وقد خشي سوء العاقبة ، عمد الى الحيلة . فتظاهر بالتوبة وعاد يتودد الى الفتاة . فعادت واستسلمت له كما في المرة الاولى . ولكن هذه المرة اوردها الحتف المريع فركب معها قصد التسلية . ولما بلغا وسط النهر تقلب ذلك الافعى في صورة انسان . والقى بها الى اللجج فماتت غرقاً ، وقد رأيتها تستغيث ولا مغيث

الفتاة : لقد احزنتني على روحي وعلى الحب وعلى بني حوّاء . ابهذا المقدار حبهم نحيف وبه يفخرون ؟

الوالد : مهلاً . فهنالك ضامن خامس للحب وهو ضامن وثيق

الفتاة : رجاء . فما هو ؟ . اني اراك نسفت الحب نسفاً

الوالد : مهلاً . هل تذكرين انك شربت من ينبوع صاف ؟

الفتاة : في لبنان لا في مصر

الوالد : وهل تذكرين العودة الى الارتشاف المرة بعد المرة ؟

الفتاة : اذكر ذلك ولي فيه سرور عظيم

الوالد : فلماذا لا يأسن ماء النبع كما يأسن ماء البرك ؟

الفتاة : لأن ماء النبع متجدد . وماء البرك غير متجدد ، بل هو راكد

الوالد : ذلك ما ارمي اليه

فتجدُّد اللذة هو ضامن ثبوت الحب . والحب ارتشاف من ينبوع فياض . اما اذا كان من بركة لا يتجدّد ماؤها . فالعاقبة وخيمة . لان الماء الآسن تعافه النّفس . هذا داء الحب الدفين

الفتاة : افصح عن مرادك . ماذا تريد بالتجدُّد هل تجدُّد الرغبة في نفس المحب ، او زيادة الكشف عما في المحبوب من مجالي الجمال ؟

الوالد : اريد هذا الثاني بالاكثر

للحب موضوعات واغراض . ولهذه الاغراض اثر في النفس . فاذا كان المحبوب غنيًّا في حقيقة الجمال . كان اعلان ذلك الجمال نبعاً فياضاً تتجدّد مياهه فلا يأسن . فيظل المحب منفعلاً انفعال القطار بتجدّد البخار . واذا انقطع البخار وقف القطار . واذا جمد المحبوب ذوت يانعات الحب في نفس من يهواه

واراني كدت المس الحقيقة الازلية وهي : الحب الخالد هو حب النفس : لأن الجسد يشيخ ويهرم ويذبل فالحب المرتبط بنضارة الجسد وريق العيون هو كالبخار في الجو . يظهر قليلا ثم يضمحل . اما النفس فلا تشارك الجسد في هرمه . بل تزداد صبوة وجمالاً كلما تقدّم المرء في السن . فلا تشيخ النفس الجميلة مع الزمان ، بل تتجدّد مجالي جمالها ونضارتها . فمن اهم ضامنات الحب ان لا يكون محصوراً في الظاهرات . فزعازع الحب وآفاته كونه سطحيًّا . وليس للسطحيات حظ من الخلود . ان الخلود حظ اعمق اعاميق الوجود

الفتاة : شكراً لك يا بابا . فقد رأيت الحب غير ما كنت اتوهمه قبلاً

الوالد : ولسوف ترين اكثر مما رأيت الآن . فليس ما امليته على سمعك الساعة الا قطرة من يم او قليلاً من جم

فراحة العضو المريض اذن بالحمية عن السوائل والجوامد تتركان له والحالة هذه الوقت اللازم لاصلاحه وإعادته الى حالته الاصلية . أما مدة الانقطاع هذه فتختلف باختلاف طبيعة القيء الدموي : ففي السرطان أو أمراض الكبد مثلاً لا يتطلب النزف الدموي بوجه عام أكثر من يومين او ثلاثة لاراحة العضو ، بينما في قرحة المعدة تكون مدة الاراحة اطول . وعند ما يكون النزف شديداً يمتنع المريض عن كل طعام مدة تتراوح بين الثمانية ايام والاثني عشر يوماً وفي خلالها يحقن كل ساعتين او ثلاثة بـ ٢٥٠ غراماً من الماء الفاتر (المغلى قبلاً) مضافاً اليهِ ٢ بالالف من ملح الطعام منعاً لجفاف انسجة الجسم . ومن الحكمة ألاّ يزيد عن ذلك مقدار الماء المذكور في كل مرة خشية من تهييج غشاء المعدة المخاطي وحصول فعل عصبي عكسي ينشأ عنهُ افرازات العصارة المعدية الحامضة في مقادير وافرة ومعلوم ان افرازات هذه العصارة تكون زائدة في حالة وجود قرحة في المعدة

واذا ما اعترى المريض دوار او اغماء يخشى منهما على حياته فيعمل له حينذاك حقنة صغيرة شرجية بالماء مع قليل من الكنياك . اما اذا استمرَّ القيء رغماً عن ذلك فيستحسن أن يغذَّى بالحقن المغذّية

أما التقيوآت الاخرى فأشدها خطراً هي التقيوآت الناجمة عن التسممات البولية Urémie وهي كثيراً ما تؤدي الى الوفاة في أيام قليلة . اما في ما عدا هذه فالتقيوآت بوجهٍ عام تهدأ بسهولة بالراحة التامة للمعدة ويساعدها على تحسين الحالة سريعاً منع المريض عن كافة الاطعمة

وهناك حالات اخرى من التقيُّؤ ، وهي لجائية ، لا علاقة لها بالهضم فيجب ان نخشى إذ ذاك من وجود فتق مختنق . فالالم المحلي الذي يسببه هذا الفتق ، لا سيما عند المرأة ، يكون احياناً خفيفاً جدًّا والمريض لا يشعر بهِ ولا يشكو منه ، حتى اذا اقتضت الضرورة بعدئذٍ العلاج الجراحي ولم يبق مفرٌّ منهُ يكون الوقت قد فات

أما تقيّوآت الحمل المستعصية فتتطلب في بعض الحالات ايضاً منعاً تامًّا عن الاطعمة وذلك لمدة بضعة أيام ، والاكتفاء في خلالها بحقن ٢٠٠ غرام من الماء المالح (٥ بالالف) مرة كل ثلاث ساعات

٢ — الاطعمة السائلة وظروف استعمالها

ان هذه الحمية للمريض يمكن ان تقتصر على الحليب . فالحمية المائية ليست الاّ مداواة اضطرارية تستعمل في احوال خاصة ولا يمكن ان تدوم اكثر من أيام قليلة لكنها ذات فوائد لا ينكرها باحث واستعمالها المذكور يكون عادة في الساعات التي تعقب المنع التام عن الاطعمة ، وكواسطة أيضاً لتعويد المعدة الرجوعَ الى الطعام . كذلك في الزائدة المعوية والالتهاب المعوي الصفراوي . او وقت ابتداء الامراض المعدية والتسمم البولي

فعلاج الزائدة المعوية ينحصر في الامور الثلاثة التالية : (١) وضع كيس ثلج على مكان الألم ، (٢) حقن مورفين تحت الجلد (نصف سنتغرام) مرتين الى ثلاث يوميًّا ، (٣) الاقتصار على شرب الماء أثناء الستة أو العشرة الايام تقريباً ، اي طيلة وجود الالم الموضعي الحاد ، وانه لا مانع في هذه

وبين الامراض التي ترتاح بنوع خاص الى استعمال اللبن الحليب يجب ان نذكر بعض امراض المعدة والقلب والاوعية الدموية والكليتين والمثانة ومن هذا نفهم ان الحليب لا ينجح في كافة امراض المعدة ، وكما انه يفيد في حالة ازدياد العصارة المعدية الحامضة تكون فائدته معدومة بالعكس وقت نقص هذه العصارة لا سيما في الاختمارات المعوية . اما الحالات التي يجب الاقتصار فيها على الحليب فيعطى المريض كل ثلاث ساعات ، من الساعة ٧ صباحاً الى ١٠ مساء ، نصف لتر حليب يؤخذ بجرعات صغيرة في مدة نصف ساعة وذلك لمدة عشرة ايام تقريباً . لكن في قرحة المعدة قد تطول
١ هذه المدة الى الثلاثة الاسابيع والشهر و الشهرين ايضاً حتى اذا زال الالم يضاف الى الحليب ملعقة او ملعقتان من الدقيق الغذائي ويغليان قبل الاستعمال وافضل طريقة لتحمل شرب الحليب بسهولة تكون باضافة قدر ملعقة حساء (شوربا) من ماء الجير الى كل كأس من الحليب او نحو ١٠٠ غرام من ماء الجير في الاربع والعشرين ساعة

***

أشرنا فيما تقدم الى منافع اللبن الحليب ايضاً في بعض امراض القلب والاوعية الدموية ، لكن تطبيق هذا الاستعمال هو هنا عمل معقد يحتاج الى شرح واف لا يتسع لهُ هذا المقام . اما في امراض الكلى فشهرة تلك المنافع لا ينازعهُ عليها منازع لانه العلاج الممتاز في كافة التهاب الكلية الحادة : فيؤخذ منه اذ ذاك حتى ثلاثة لترات يومياً وتستمر الحال على ذلك مدة ١٥ الى ٣٠ يوماً، ويستحسن ان يضاف اليه ، ابتداء من اليوم الخامس عشر ، قليل من الدقيق الغذائي ليصير بشكل ثريد غير مملح . لكن في التهابات الكلية المزمنة قد فقد الحليب شيئاً من مكانته الممتازة منذ ان عرفت فوائد التغذية غير المملحة Regime dechlorure وفي هذه الحالة يعطى المريض يومياً قدر لتر حليب مع بعض الخضروات وقليلاً من اللحم غير المملح

ولا يفوتنا ايضاً ذكر منافع اللبن الحليب في التهابات المثانة خاصة وقت ابتداء التهابها الحاد على ان يكون تناوله باعتدال .. لأن الافراط في شرب السوائل من شأنه ان يسبب تمدد المثانة ويزيد في التهابها . وخلال مدة استعمال الحليب يمكن للمريض ان يأخذ مشروبات ملينة مدرة للبول : كالخطمية وغيرها ، ثم بعد عشرة ايام من ذلك يبدأ بمداواة سبب الالتهاب

٣ — تقليل الاطعمة الجامدة والسائلة

ان الاطعمة على انواعها قد تكون خطرة على صحة الانسان سواء من جهة مقدارها ام من جهة نوعها . وفي حالة المرض بنوع خاص هناك شرطان مهمان لا بد من العمل بهما : اولاً انتخاب ما يوافق من تلك الاطعمة . ثانياً عدم الافراط في تناولها . فالمواد الغذائية المعروف انها غير مضرة تعرّض المريض لعواقب غير محمودة حينما تؤخذ مقادير كبيرة منها . وكما ان الافراط في تناول الاطعمة الجامدة يتعب القلب والجهاز الهضمي ، كذلك الافراط في تناول الاطعمة السائلة يتعب

قصص الحياة — ٢

رجلٌ وغد

إ في حياة كل امرأة حدثة تفوق سائر الحوادث في حياتها خطراً وأثراً في نفسها .
وقد شرعت احدى المجلات النسائية الانكليزية تنشر قصص الحياة هذه من دون تنميق او تعديل خلا تغيير الاسم الصحيح ، فرأينا ان نختار لقراء المقتطف ما تحلو قراءته او تجل فائدته ، ففي بعضها فوائد تستطيع نساؤنا ان تقتبسها وفي بعضها مهاو تستطيع نساؤنا ان تجتنبها وفيها على الحالين .اح من حياة المرأة العربية يحسن بنسائنا الاطلاع عليها والقصة التالية مبنية على ان الفرار او تزوج الرجل اكثر من زوجة واحدة جريمة يعاقب عليها في القوانين المسيحية إ

أتملكينَ من وقتكِ خمس دقائق تفرغين فيها لقراءة قصتي ؟ اذن لنازعتكِ بعد قراءتها عاطفتان ، عاطفة المقت او عاطفة الرثاء لحالي . ولست اجد في ايهما ما يخفف عني. ولكنك في الحالين لا تستطيعين ان تضرّي بي ، لانني عدت لا اقيم وزناً لآراءِ الناس . فقد كنت فتاة من اللائي يتصفنَ « بالبراءة » فجلب عليَّ العار والبؤس رجلٌ لاخلاق له ، فحوّل الحلاوة في كأس حياتي الى مرارةٍ ، ومحا آية الغبطة من شبابي

التقيت بتريفور في لندن ، فأحببتهُ وتزوجتهُ في خلال شهر واحد . لم اجد فيهِ عطفاً خاصًّا عليَّ ، ولا تجاوباً خاصًّا بين روحهِ وروحي ، ولكن استرعى عنايتي بهِ ما بدا في تصرّفهِ من كمال الرجولة والخبرة ، ثم ما كان ينطوي عليهِ تودُّده اليَّ من شباب ملتهبٍ واغراءٍ قويّ

كنت وحيدة في لندن . وكان يبدو لي ان جميع من ارى من الناس لهم معارف واصدقاء يخففون عنهم ألم الوحدة والعزلة ، او بيوت يأوون اليها فيجدون فيها الدفء والراحة . اما انا فلم يكن لي الاَّ غرفة باردة آوي اليها بعد عملي ، ولم يكن لي اصدقاء احدثهم او اختلف معهم الى دور الصور المتحركة او الملاهي او النزه الخلوية

وفي ذات ليلةٍ ذهبت لأتناول الشاي في دكان حلواني قرب المكتب الذي اعمل فيهِ وجلست الى مائدةٍ من دون ان انظر الى اثنين جالسين اليها . ثم التفتُّ فاذا احدهما رجل ، كان قد تردد على المكتب في الايام الاخيرة ، فبسم لي فرددت بسمتهُ بمثلها . كانت عيناهُ زرقاوين وفي وجههِ ملامح ذكرتني بوالدي . وكان يجيد الحديث ، وفي كلامهِ رنةٌ تقربهُ اليك ، فشكرت في ذات نفسي المصادفات التي منحتني ، بعد ما اشقتني بوحدتي ، صديقاً يملأ ذلك الفراغ في نفسي

فحاولت ان احدثهُ ، بعد ما توثقت معرفتنا ببعض ما يقع لي وما كنت احسُّ بهِ قبل تعرفنا ، ولكن جوابهُ الوحيد كان تقبيله اياي ، لكي أنسى ما قاسيتهُ من ألم في الأيام السابقة . فاذا حاولت الآن ان أتذكر الحديث الذي كان يدور بيننا في تلك الأيام ، ذكرت انهُ قلما فاه بشيءٍ عن حياتهِ الخاصة الاَّ انهُ مقيم في اميركا الجنوبية وانهُ قادم لانكلترا في رحلة خاصة بعملهِ

وصايا للزوجين

للزوجة

١ — لا تكوني مسرفة فكل رجل يرغب في ان يكون مستقلاً استقلالاً ماليًّا وهو لذلك يفقد كل لذة في العمل وكسب المال اذ وجد ان ما يجنيه بعرق جبينه ينفق من دون حساب — ٢ — إحفظي بيتك نظيفاً مرتباً لان في البيت النظيف المرتّب يجد الرجل المتعب راحة وطمأنينة — ٣ — أعني بهندامك لان المرأة التي لا تتقن هندامها ولا تعنى بمظهرها الا عند الذهاب الى زيارة الاصحاب او دور الصور المتحركة تغري زوجها بالافتتان بغيرها — ٤ — لا تبدي اهتماماً بما يوجهه اليك الرجال من العناية الخاصة فكثيراً ما توغر الغيرة والريبة قلب الرجل من دون سبب الا عناية المرأة بثناء الرجال وعبارات التودُّد والثناء المألوفة التي يفوهون بها — ٥ — لا تقاومي زوجك اذا شاء تأديب اولادكما وكان التأديب معقولاً — ٦ — لا تقضي وقتاً طويلا عند والدتك — ٧ — لا تقبلي نصحاً من أهلك او جيرانك في مسائل تتعلق ببيتك قبل ان تتأملي في امورك وتخاطبي زوجك في شأنها بصراحة تامة فأنت وزوجك شريكان والرأي الصالح وليد المباحثة الهادئة الصريحة — ٨ — شجعي زوجك على الدوام ونشطيه واعربي عن اعجابك بما يجيده — ٩ — كوني بشوشة — ١٠ — لا تنسي ان الامور الصغيرة كبيرة الشأن فكوني حذرة واعمدي في معاملة زوجك الى وسائل العطف والاغراء فالرجال يكرهون ان يقادوا ولكن يسرّون ان يمنحوا ما يطلب منهم بكلمة لطيفة ترافقها بسمة حلوة او ألقة في العينين

للزوج

١ — لا تكن بخيلاً مقتّراً ، فللزوجة حقٌّ في ان تحصل على ما يقوم بنفقاتها وهي اذا دعت الحال قادرة ان تقتصد الى درجة لا تصدّق — ٢ — لا تتعرّض لشؤون المنزل الخاصة بالزوجة ، فهي افضل منك ربة بيت واحكم — ٣ كن بشوشاً لان الرجل المقطب الحاجبين يشقي زوجتهُ وقد يدفعها الى البحث عن الهناءة في غير منزلها — ٤ — لا تجرح شعور زوجتك فالمرأة في الغالب تكون سريعة الانفعال واقرب من الرجال الى التأثر بكلمة قاسية واحدة — ٥ — لا تتوقف عن اظهار محبتك لزوجتك بمظاهر مختلفة بعجلة تبتاعها لها او علبة حلوى او حلية صغيرة او كلمة لطيفة — ٦ — لا تجفو في كلامك معها فهي ندّتك لا خادمك — ٧ — لا تسكن مع اهلها ولا مع اهلك بل انشئا بيتاً مستقلاً — ٨ — لا تسكن في منزلك عائلة اخرى — ٩ — اعنَ بهندامك ولا تقضي يومين من دون حلق ذقنك — ١٠ — انصف اولادك فاذا لم تنصفهم انحازت اليهم عليك

الزوجة ونجاح الرجل

كتب احد الكتاب في مجلة اميركية قصة صريحة عن حياته الزوجية بيَّن فيها كيف حالت زوجتهُ بينهُ وبين النجاح التام باستسلامها لاهوائها وضيق نظرها ، وذيَّل قصتهُ بذكر خمس طوائف من الزوجات يُقعدن رجالهن عن ادراك غاياتهم البعيدة

الاولى — المرأة التي لا تبقى زوجة بعد ان تصبح امًّا فينحصر اهتمامها باولادها وتلهو بذلك عن زوجها وعن مشاركته في الشعور والرأي والاهتمام بعمله

الثانية — المرأة التي تبقى ابنةً لوالديها بعد ان تتزوَّج اي ان افكارها تبقى منحصرة في اقاربها لا تفكّر الاّ بهم ولا تهتمُّ الاّ باموره ولا تعمل الاّ برأيهم . فكل رجل بالغاً ما بلغ من الوداعة والمسالمة ، يتململ حينما يرى ان رأي غيره سائد في بيته لا رأيهُ وان زوجتهُ تهتمُّ بسواه ولو كانوا اقاربها الادنين اكثر من اهتمامها به وبراحته وبشؤونه بوجه عام

الثالثة — الزوجة التي تريد ان تبقى حيث هي . على الرجل ان يقطن حيث مجال العمل والكسب متسع امامه . وزوجته يجب ان تكون جنباً الى جنب معهُ حيث يرحل وحيث يحلُّ . فالمرأة التي ترفض ان تلحق بزوجها او ترغمهُ على البقاء في مدينة دون مدينة ، او مدينة دون قرية ، مهما تكن الاسباب التي تبعثها على ذلك تضع العراقيل في سبيله وتحول بينه وبين ادراك النجاح الذي يسعى اليه في سبيلهما معاً

الرابعة — الزوجة التي تقابل زوجها بغيره من الرجال فتراهُ مقصراً عنهم . وهي لا تعلم ان كل رجل يختلف عن سائر الرجال وان ما هو موطن ضعف في الواحد قد يكون موضع قوة في الآخر . اما الزوجة الحكيمة العاقلة فتدرس خلق زوجها وتعلم ان سرّ نجاحه رهن معاونتها وحثها اياهُ على الاجتهاد والمثابرة ، واغتباطها بما يصنع وفرحها بكل فوز يناله ، وسعيها لحمله على احترام نفسه وثقته بها ، بما تظهره من احترامها لهُ واعجابها به

الخامسة — الزوجة التي تريد ان تبقى عائشة مع زوجها في دائرة ضيقة من المعارف والاصدقاء وذلك مخالفٌ لما هو معروف عن اسباب النجاح التي منها ان مبلغ نجاح الانسان يكون على قدر ما يحيط به من المعارف والاصدقاء ، وان اتساع دائرة الاصدقاء يزيد اختبار الانسان ويوسّع أفق نظره الى أمور الحياة

اذا أردت ان يكون ما تصنعينهُ من الهلام Jelly مختلف الألوان فلوِّني كلَّ جزء منهُ على حدة باللون الذي تختارينهُ وقطعيه قطعاً غير منتظمة ، واحشكي هذه القطع جميعها في قالب واحد واصنعي قليلاً من هلام الليمون باللبن بدل الماء وصبيه في القالب فوق أجزاء الهلام المختلفة الالوان فتلتحم بعضها ببعض ويصير منهُ هلام مختلف الالوان

دراما وطنية

بطلتها سيارة نقل

الفن والحث الوطني لا يجتمعان. كذلك يقول بعض النقدة. وحجتهم في ذلك ان الفن اذا خرج من نطاق الاعراب الفني عن خوالج النفس وأثر البيئة او الطبيعة فيها الى ميدان العظة الخلقية أو الحث القومي، أصبح نوعاً من الدعاية. والدعاية ابداً مشوبة بالغرض. غير ان القطع الفنية، لابد ان تصوّر او تردّد في الحانها والوانها اوكلماتها او قسماتها حالة العصر الذهنية والادبية والاجتماعية الذي انجب أصحابها. فاذا كان بعضها مما يثير الشعور الوطني ويوقظه، أو يحث على ضرب معين من السلوك الاجتماعي، وكان ذلك عن طريق الايحاء والرمز، تعذّر اخراجه من ميدان الفن وحصره حصراً مطلقاً في ميدان الدعاية

تقدم هذه الكلمة توطئة لدرامة حديثة، قد تكون فتحاً جديداً في ميدان الادب المسرحي مع انها تعيد الى الذهن في الوقت نفسه درامات الاغريق الاقدمين من ناحية اخراجها. وهي درامة ايطالية، اخرجتها جماعة الفاشستيين الجامعيين في مدينة فلورنسا. والغرض منها دعاية لاريب فيها، للنظام الفاشستي. ولكن الدعاية فيها تجيء عن سبيل الايحاء والرمز في الغالب. بطلها او بطلتها سيارة نقل، واستعمال هذه السيارة ينطوي على رمز بديع تتلخص فيه المثل الروحية العليا التي ترنو اليها ايطاليا في بعثها العجيب. بل ان اساليب هذه الدرامة الحديدة وأثرها في العين والاذن، يصح ان يكون فاتحة تحوُّل جديد في هذا الضرب من الادب او الفن. فهي تنصرف عن الكلام — الاّ اليسير منه — الى الاصوات والالوان فتؤلف من ذلك وحدة فنية متناسقة، غرضها بيان فضل الفاشستية على ايطاليا الحديثة

مثّلت هذه الدرامة في الساعة التاسعة من احدى امسيات الربيع العطرة وحضرها عشرون الف مشاهد. وكان مؤلفها الساندور لاستي، قد اختار قطعة مخضلة من الارض في جوار فلورنسا، مساحتها نحو ٣٠٠ متر مربع، امامها نهر الأرنو، ووراءها آكام توسكانا ترصعها قرى الفلاحين. وجعل مقاعد المشاهدين امام النهر، يتطلعون عبره الى الساحة التي تجري عليها حوادث الرواية وتتوالى. وكان المشرفون على اخراجها قد حفروا في هذا المسرح الفسيح، خنادق كخنادق الحرب، وانشأوا طرقاً وعرة كطرقها، واقام المؤلف في غرفة صغيرة تشرف على الساحة وحوله جماعة من الكهربائيين جعلوا يديرون مشاهد الرواية بالوسائل الكهربائية. والغرض منها عرض ثلاثة مشاهد على الجمهور كل مشهد منها يمثل دوراً في تاريخ ايطاليا الحديث

فالمشهد الاول مشهد معركة من معارك الحرب الكبرى على نهر البياڤي بين الايطاليين

١

وعند مايخلو الميدان يظهر فيه اعضاء البرلمان وهم يلغطون ويتنازعون ثم يحمى بينهم وطيس الجدال فيقتل بعضهم بعضاً، ومن ورائهم رجال الماسون يدسون للدولة الدسائس

وبعد قليل تعود السيارة مخترقة الميدان أمام المعمل . فيقف سائقها في مقعده وينادي فتردد الآكام التوسكانية نداءه بعد ما تضخمهُ الابواق . ومما يقوله : لقد خسرت ايطاليا مائة وثلاثين مليوناً في حاصلاتها الزراعية في المنطقة المجاورة لروما فقط بسبب دكتاتورية الاشتراكيين ، واقوالاً اخرى من هذا القبيل

لقد اسدل ستار الليل الكثيف على الميدان . وقد انتهى الفصل الثاني . وشعور الجماهير قد بلغ درجة الغليان . فاذا كانت الفترة الثانية ، زاد غليان الشعور بالموسيقى الفاشستية تعزفها الجوقات ، وبطوائف من شبان الفاشست منبثة بين الصفوف تنادي على اعداد من جريدة البوبولو ديطاليا تاريخ ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٢٢ ، وهي النسخة التي اعلن فيها موسوليني انهُ تقلد زمام الامر في الدولة . ثم تظهر طيارة على ارتفاع يسير توزع المنشورات الفاشستية ، فيعجز الجمهور حينئذ عن كبح جماح شعوره وحماسته

اما المشهد الثالث فيمثل دور التعمير وهو فصل يسوده السكون والطمأنينة . فالعمال يعملون في ظل النظام الفاشستي بهدوء ، في المعامل وبسلام مع اصحابها . هوذا الحقول حافلة بالفلاحين والمزروعات فيها تبشر بخير وفيض وجماعات الفاشستيين في كل مكان ينظمون ويعلمون وطوائف الشبان والشابات من الفلاحين يرقصون رقص الطرب في الحقول

المشهد مشهد زراعي . لقد رُدِمت خنادق الحرب ، ومهّدت الطرق الوعرة ، وظهرت المحاريث الحديثة تشق الارض وتعدها للزرع ، وجففت البطائح القديمة الوبيئة

ان عمل التعمير سار على قدم وساق بحماسة ولا حماسة الجيوش في الحرب والسيارة B. L. ١٨ التي كان لها شأن كبير في الحرب الكبرى ، وفي دور الانتقال من الفوضى الى النظام ، لها شأن كبير كذلك ، في دور التعمير . ها هي تظهر من جديد على المسرح الطبيعي ، تحمل للفلاحين ادوات الزراعة واكياس السماد . ولكن طال عليها القدم فهي تسير في طريقها متعبة ، لطول ما قاسته في خدمة بلادها . واذ هي تحاول الوصول الى جماعة من الفلاحين ، تطلق نفَسها الاخير وتقضي في الميدان . عند ذلك ينزل سائقها ويرديها في حفرة كان العمال قد حفروها في تمهيدهم طريقاً جديدة ، ويهيل عليها التراب ، لكي تعود الى الارض التي نبتت منها وكافحت في سبيلها . نعم قضت البطلة في خدمة بلادها ، ولكن السيارات الجديدة القوية آتية وراءها لتتم العمل الذي بدأت

وكذلك تنتهي الرواية بهذا الرمز الوطني البديع

رحمة الله عليها

لاوسكار وايلد

[عني محمود محمد شاكر بنقل هذه القصيدة نقلا حرفياً وتوخى علاوة على ذلك ان يكون في الترجمة العربية شيء من الايقاع الموسيقي المعهود في الشعر المرسل باللغات الاجنبية]

خفف الخُطا إنها قريبٌ تحت الضريب (١)

واخفض الصوتا انها تكادُ تسمعُ النبتا وهو ينمو

وفرعها الجثلُ يلمعُ كالتبر خبا به الصَّدا

تلك التي كانت غريرةً طفلةٌ قد ضمَّها الترابُ

زنبقةٌ كانت بيضاء كالضريب ما علمت يوماً

بأنها انثى فشبَّ عودها في رقة ولين

هذا هو التابوت والحجر الصلدُ يقسو على الصدرِ

دعني انا وحدي اعذب القلبا فإنها ترتاح

صَهٍ صَهٍ صَهٍ لن تسمع الغناءْ ولا حنين الناي

كلُّ مُنى حياتي مدفونة هنا سُنُّوا عليها التُّربْ

(١) الضريب : الثلج

الشباب والشيخوخة

لروبنصن جفرز — شاعر اميركي معاصر

زَكِّ دمَ الشباب الفائر ما بدا لك، فإن السعادة لا تتحقق لأحد الأحين يخوض الحياة في الشباب والدم الفوّار . . . . الى شتائها حيث يسع الرجل ان يتلبث ويتذكر ما مضى

في الشباب والدم الفوّار فتنةٌ وجمالٌ، ومثل ذلك في السكينة

في بحر الشباب جزرٌ عارضةٌ ، ولكن الكبر كلُّهُ جزيرة وقمةٌ عاليةٌ

وفي الكِبرَ وهنٌ غير قليل ، ولكنّ الشباب جميعه حمّى دائمة

لأن تلفتَ في سكينة الى آثار صنع الله مملوءَ القلب بالمحبة ، اجدى عليك فيما ارى من ان ترتضع ثديَ الأمِّ او ثدي الحبيبة

. . . . لن تجد فيما تملك ابقى عليك من الذكرى

ولكني حين ابلغ تلك الجزيرة الغبراء واعلو قمتها فكل المنى ان تكون بعيني منازل احبابي الاقدمين — ببحورها وجبالها ، فامدّ الطرف متأملاً في بحر الموت بظمأ ابلغ من ظمأى الى الكبر

إن الذي يشتدُّ بهِ الظمأُ الى الحياة لهو اشدُّ بعدُ ظمأً الى الموت

[افرغها في القالب العربي محمود محمد شاكر]

قطعة من الشاهنامة

من كتاب « بيران »

أحد قوّاد الترك الى « كودرز » أحد أمراء الفرس

ميرزا عباس خان الخليلي صاحب جريدة « اقدام » الفارسية اديب يجيد اللغتين الفارسية والعربية وله في المقتطف مقالات نفيسة في شعراء الفرس وقصائد تلمس فيها صور الفرس الشعرية الزاهية . وقد نظم في اوقات فراغه وايام تشريده السياسي جانباً كبيراً من شعر الفردوسي وأتحف المقتطف بهذا المقطع وقد قال في الكلمة التي صحبته : «ولا اشير الى حكمة شاعرنا في ذم الحرب وحب السلم والحنان بأكثر من قولي انه ما ترك لاحد من شيء وما نظمي بحجة ولكن « الشاهنامه » أعظم دليل على ذلك»

أنذروا « بيران » بالموت وما ... من يد الموت مفرٌّ لو درى
فانبرى يحتال حقناً للدما ... ودعا كاتبه كي يسطرا
قال : فابدأ حامداً رب السما ... واستعذ بالله من شر الورى
أنا ارجوكَ الهي كرما ... وفؤادي معلنٌ ما استترا

ان تبيد الحرب من لوح الوجود
وتزيل الضغن عن قلب الجنود

انت يا « كودرز » ان شئت الخصام ... فترَوَّي من دم الترك التراب
فاحسبنْ انك قد نلت المرام ... ثم سدت الخلق من شيخ وشاب
ثم عمّرت طويلاً الف عام ... بعد ذا قل لي الى اين الذهاب ؟
ويك قد جندلت من قومي الكرام ... كلَّ ندبٍ فهو نهبٌ للحراب

كم عن الابدان فرّقت الرؤوس
ويك فاخشى الله واليوم العبوس

باب المراسلة والمناظرة

إرشاد لغوى

« في كل جزء كلمة »

الاستاذ عبد الرحيم بن محمود غني عن التعريف لان قراء المقتطف يذكرون له مباحثه النفيسة في « نظامنا الاجتماعي » و « تاريخ الغناء العربي » ومساجلاته الادبية واللغوية مع كبار علماء اللغة مثل المغفور له الاستاذ الشيخ محمد الخضري والاستاذ اسعد خليل داغر والاستاذ مصطفى جواد وغيرهم . وها هوذا يقدم لقراء المقتطف سلسلة جديدة من مباحثه اللغوية الدقيقة نرجو ان يعيروها عنايتهم العظيمة

(قـدَمِيّة)

نرى الترك وهم مسلمون ينقون لغتهم مما يزينها ويزيدها ثروة أى من الألفاظ العربية ويكتبون صحفهم وكتبهم بحروف لاتينية ولم يخترعوا حروفاً يصطلحون عليها لتدل على استقلالهم اللغوى كتابة كما استقلوا نطقاً . فطلقوا الحروف العربية لأنها غير تركية فهل الحروف اللاتينية تركية ؟! لا . لا . وإذا أرادوا أن يتقربوا من الدول الغربية باستعمال حروفها فأوربا وأمريكا لا يشعران بأن هذه الحروف المرسومة على طريقتهم وسيلة للتعارف والتقرب. وللترك لغتهم وللغربيين لغات متقاربة وبينها وبين التركية بعد المشرقين والمغربين . « عمرك الله كيف يلتقيان » ولكنّ الغلوّ فى القومية جعل القوم يتركون كل شىء حتى القرآن والآذان !! — وليتهم تركوا الحروف أو أبقوها على ما كانت عليه ولهم فى دولة الفرس ودولة الأفغان أسوة حسنة فانهما دائبتان فى استعمال الحروف العربية على حين أن الشعوب الغربية تتقرب اليوم إلى العرب ولغتهم . والمستعربون منهم فى تكاثر وإن كان أكثرهم لا يدينون بدين العرب على أننا نرجو لتركيا حياة حرة سعيدة دائمة

وإذا كان الترك قد غلوا فى قوميتهم فقد غلونا نحن المصريين فى هجرنا كثيراً من ألفاظنا العربية الفصيحة وقد وصلنا أقلامنا بالغربيات الغربيّات — وبنات شفاهنا أولى بمصاهرة أقلامنا

فأطباؤنا وهم من خيرة المتعلمين وصحفيونا وهم من نخبة المتأدبين وأساتذتنا وهم من صفوة المربين وأبناؤنا وهم من نجباء الناشئين المتعلمين يجب عليهم أن يتحسسوا من الألفاظ العربية ويعملوا على إذاعتها بألسنتهم وأقلامهم ولاسيما فيما له اتصال بأعمالهم فعليهم أن يذكروا (القدميّة) التي استعملها اجدادنا القدامى بدلاً من ڤزيت ويذيعوها بوسائل الإذاعة كلما اقتضاها المقام

فإن اللفظ ڤزت (visit) الانجليزى واللفظ ڤيزيت (visite) الفرنسى هما وليدا الفعل اللاتينى ڤيزيتارى (visitare) ومعناه يذهب ليزور فالطبيب يسعى إلى المريض« وسعيه زيارة » فيتعرّف مرضه فيعرفه بأعراضه . والقدميّة — المنسوبة إلى القدم — هى اللفظة الجديرة بهذا المعنى .

وقد استعملها أطباء العرب من قبل كما أخبرني صديقي الطبيب اللغوي محمد عبد الحميد بك مدير مستشفى الملك الآن وقد أثبتها في معجمه اللغوي الطبي العربي المرتب ترتيب الحروف العربية والافرنجية ولما يطبعه . وقد أطلعني عليه مخطوطاً « وأنا معه »

وإطلاق اللفظ الأجنبي المذكور ڤزت أو ڤزيت على الأجرة هو إطلاق مجازي لأن الذهاب بالقدم أو ما ناب عنها كالسيارة إلى المريض تلزمه الأجرة وكذلك يقال في القدمية المستعملة بمعنى الأجرة التي يستحقها الطبيب جزاء سعيه إلى المريض لاكتناه مرضه ومعالجته فقد أطلق العرب المتحضرون (القدميّة) وأرادوا لازمها أي الاجرة أو يقال إنهم أطلقوا القدمية التي هي سبب لاستحقاق الاجرة وأرادوا تلك الأجرة — وللمجاز المرسل علاقات — فتخيّر منها أهداها إلى سبيلاً . واجعل المقام عليها دليلاً

فإذا قيل ما قولك في الطبيب الذي يسعى اليهِ المرضى في مستوصفه فهل تطلق على الأجو التي ينالها من المرضى قدميّات أيضاً على أنهُ لم يسر اليهم بقدم ولا بسيارة ونحوها قلت نـ لأنهُ سار من منزله إلى مستوصفه ليستقبل مرضاه فلهُ الأجر على ذلك لأنهُ ما سعى سعيه حي المستوصف الاّ لأجل مرضاه وما قصد بذلك الاّ القصد من وقته والتيسير على نفسه وعليهم بجد كثير منهم في المستوصف وقد لا يستطيع أداء هذه الخدمة في ذيّاك الوقت فنفعه إياهم ؛ مجتمعون اكثر من نفعه لهم وهم متفرقون والأجر الذي يناله من المريض وهو في المستو أقل منه وهو في منزله — فالقدمية محققة في كلتا الحالين —

ولا يقال إن العرب في حضارتها العباسية والأندلسية قد نقلت معنى اللفظ اللاتيني المذكور نقلت معنى وليده الفرنسي أو الانكليزي فقالت القدميّة لأن هذا المعنى مما تقضي بهِ الحياة المتمـ في الامم كلها ولو تطابق اللفظان أيضاً في المعنى حقيقة ومجازاً في تلك اللغتين العربية واللاتينية كما تقـ

ومما يجب أن أوجه إليه أنظار القرّاء أن المعنى اللاتيني العام قد خصص عند الانكليز والفرنسـ ونحوهم فإني بالبحث في المصادر الموثوق بصحتها رأيت الفعل اللاتيني ڤيزيتاري (visitare) ومـ (يذهب ليزور) لصداقة أو لحب استطلاع أو للفحص عن مرض مريض أو لأي غرض كـ الشرح — فتخصيص القدميّة بسعي الطبيب إلى المريض أو إلى المستوصف لتشخيص المر وعلاجهم المستوجبين الأجر قد وافق أيضاً تخصيص الإفرنج (ڤزت أو ڤيزيت) بذلك أيـ وليس ذلك بسرقة بل هو من باب اتفاق الخواطر فليت شعري هل كان شيطان العرب والا واحداً ؟ ! فأرجو أن نعمل على إحياء لغتنا في مشارق الارض ومغاربها فننقيها مما يشينها ولا يز لأن مغاص المفردات والأساليب العربية قد زخر باللآلىء الثمينة فلنغص عليها فنستخر « وإن أجهدتنا » ونقلّدها أجياد الصحف والمجلات ونلسّنها الناطقين بالضاد في كلّ البلاد

لغة الضاد كاد يقضي علينا   في زمانٍ فيه التّغني تقدّم !!

اذ الاول فرسي الاصل ، والثاني أقام بفارس ، وكتب لابني (ميكال)

هذه ناحية مما لا نوافق الدكتور عليه ، ونعتقد ان الاعجاب بعمله الجليل لا يمنعنا ان نجهر بذلك ، كما لا نعتقد ان ذلك الاعجاب يحول بيننا وبين ايراد المسائل الآتية : —

١ — يأخذ الدكتور على مؤرخي الأدب العربي ما رآه غضاً من قيمة الادب الجاهلي ، ويقول في صفحة (٣٣) من الجزء الاول (لقد اتفق مؤرخو المسلمين ومؤرخو اللغة العربية وآدابها على ان العرب لم يكن لهم وجود ادبي قبل النبوة) ، ثم يستطرد في ذلك حتى يقرر ان للعرب قبل النبوة حياة ادبية تسمح لهم بفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه ، ثم يغلو في ذلك حتى يقرر (ان القرآن نص جاهلي) ثم هو الى جانب هذه الغيرة المتقدة ينفي ما أثر من النثر الجاهلي حتى خطبة (قس بن ساعدة)

ونحن نوافق الدكتور على ان للعرب قبل البعثة ادباً له قيمته ، وانهُ لولا ذلك لما خوطبوا بذلك الكتاب الكريم الذي امرهم ان يتدبروا آياته ، ونقرر للدكتور ان مؤرخي الادب العربي لم يناقضوا ذلك ، بل قرروه بالعبارات الصريحة التي لا تحتمل تأويلاً ولا تكذيباً ، هذا (ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ) يقول بصدد الكلام في اعجاز القرآن (بعث الله محمداً صلى الله عليهِ وسلم اكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً ، واحكم ما كانت لغة ، واشدّ ما كانت عدة) وهؤلاء اصحاب (المجمل) من الأساتذة المعاصرين يقولون (والامة العربية كغيرها من الامم القديمة الراقية لها ادب ممتع ، فيهِ الشعر الرائع ، والنثر البليغ) الى غير ذلك مما قرره مؤرخو الادب في القديم والحديث ، اما القول بأن القرآن الكريم (نص جاهلي) فنقول نسمح لنفسنا برده ، مهما يكن في هذا التعبير من التجوز ، ومهما يكن له من اثر في الحكم على الآداب الجاهلية ؛ وحسب العرب دليلاً على سموّ ملكاتهم ، وحياة آدابهم ان خوطبوا من الله بذلك الكتاب المجيد ، وان فهموا مقدار بلاغته ، وسمو عبارته ، فاعترفوا بها ، وحسبهم بعد هذا ما أثر لهم من النثر الرصين ، وان قلّ المأثور منهُ ، لعوامل لا تخفى على الباحثين ، وبعد فلا يكفي للحكم بانتحال كل النثر الجاهلي ان يشك الباحث في بعضه ، وقد نسلم للدكتور بوضع بعض ما نسب الى بعض الكهان ، ولكنا لا نوافقهُ البتة على نفي خطبة (قس بن ساعدة) التي رويت بطريق واضح لا سبيل الى الطعن فيهِ والتي سمعها النبي عليهِ الصلاة والسلام من (قس) في سوق عكاظ قبل البعثة ، كما روى ذلك ابو الفرج في (الاغاني) بسند صحيح عن (ابن عباس)

٢ — ردّ الدكتور (في صفحة ٦٩ من الجزء الاول) على المسيو (ديموميين) غضه من قيمة ما نسب من الخطب (لعلي كرم الله وجهه) ، وهذا رأي له مكانته ، ولكن صديقي الدكتور يعتمد في ردهِ على قول الجاحظ (ان خطب علي وعثمان كانت محفوظة في مجموعات) وما ارى هذا كافياً في النفي الذي قام به الدكتور ، وقد يكون لديه وجوه اخرى اقوى من كلام الجاحظ ، فاذا يمنع ان يكون كلام (علي) كرم الله وجهه مجموعاً في صحائف ثم يزيد فيهِ من اراد المزيد ؟

٣ — قرر الدكتور ان عدة مقامات (بديع الزمان) خمسون لا (اربعمائة) معتمداً على دليلين

المجرب طبيخ نتائجه حتى تتفق معها ثم نوجه الطلاب بالاسئلة المرتبة المتدرجة نحو الطريق التي يوصلهم الى النتائج بأنفسهم ومعرفة تطبيقها والكتاب مليء بها . وبعد ان ينتهي المجرب من الكتاب كله نعطيه مفتاحاً مستقلاً نلخص فيه اهم القواعد والنتائج المقطوع بصحتها ليقابل به نتائجه

ولعلّ الكاتب لم يقرأ مقدمة كتابنا . وقصدنا ايضاً ان يتأخر المفتاح عن الكتاب ستة شهور و لعله لاحظ ان كل ما في الكتاب وضع لغرض خاص من نوع الورق والكتابة المقلوبة والهوامش التي في بعض الصفحات وليست في البعض الآخر واختلاف بنط بعض السطور عن الأخرى . وكنا نرجو كذلك ان لايترجم كلمة Subject بموضوع لأنها تأتي بهذا المعنى في الانشاء ومواد الدراسة فقط اما في علم النفس فتدل دائماً على المجرب أو الذات او الشخص او الفاعل أما الموضوع فترجمة Object . والكلمة لم ترد في كتابنا بهذا النص كما قد يفهم القارىء

ولا يسعنا بعد هذا الا ان نقدم جزيل الشكر وعظيم الامتنان لحضرة الكاتب المحترم ونرجو ان يكون لكتبنا المقبلة نصيب من ملاحظاته القيمة نظلة الحكيم ومظهر سعيد

المقتطف في اللغة

كنا قد شهدنا بعض الكتاب في الصحف يخطىء كلمة « المقتطف » زاعماً ان الفعل « اقتطف » لا وجود له في اللغة العربية ، معولاً في ذلك على عدم وجود الكلمة في معاجم اللغة ، وليس الامر في ذلك كله يرجع الى المعاجم ، اذ ان هناك كلمات كثيرة سقط على مؤلفيها ان يلتفتوا اليها ، فلم تحظَ منهم بتدوين

من هذه الكلمات « اقتطف » التي نحن بصددها ، فقد رأيتها في بيت للاعشى وهو :

لما امالوا الى النشاب ايديهم ملنا ببيض فظل الهام يقتطف

من قصيدتهِ التي مطلعها :

لو ان كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما اخطأهم الشرف

وقال ابن رشيق في مستهل العمدة « اما بعد فان احق من جنى ثمر الالباب واقتطف زهر الآداب . . الخ »

وقال الحريري في مقامته الرملية « حتى خلت ان الجن اختطفته او الارض اقتطفته . . الخ »

فها نحن ألاء نرى الكلمة عريقة في العربية مقتطفة من دوحتها ، ودليلنا قول الاعشى ، وناصرنا ومعزز دليلنا استعمال الحريري وابن رشيق ، فليس ثمة مجال لتخطئة « المقتطف » الذي هو اسم مفعول من « اقتطف »

فالمقتطف — وان لم تقتطفه المعاجم — مقتطف من اللغة العربية ومن ثمراتها الطيبات

عباس حسان خضر

ذلك الاضطراب انهُ يدأب دأبه في تطبيق نظريات جماعة من علماء الغرب على عادات العرب الاولى . فالذي قاله في مساواة العرب يتطلب المراجعة، والذي قاله في اسباب المهر يقتضي التحقيق، واما الذي قاله في «المفاخرة» فغير وافٍ . وما ضرَّ الاستاذ شتيلة لو قصر موضوعه على الزواج لهذا العهد في الشام (١) . فوالله لو فعل لكان عزز لباب بحثهِ ونحّى عن كتابهِ مواطن الضعف

مقدمة ابن خلدون

٢٢٦ ص من القطع المتوسط

Les Prolégomènes d'Ibn Khaldoun Editions Geuthner, Paris.

هل هنالك حاجة الى تعريف ابن خلدون ، ذلك العَلَم ؟ ان قراء المقتطف يعرفون عنهُ الشيء الكثير ولاسيما ان مقدمتهُ متداولة والمباحث عنهُ مستفيضة متداركة بالعربية واللغات الاوربية

وبعد فان مقدمة ابن خلدون في المحل الاول عند علماء الفرنجة . وقد فطن المستشرقون الى عظمة شأنها ورفعة مكانتها من زمان . فقلبوا النظر فيها واشادوا بذكرها وقد نقلها (البارون دي سلان) الى اللغة الفرنسية حوالي سنة ١٨٦٠ . فاقبل العلماء من مستشرقين وفلاسفة واجتماعيين واقتصاديين على المقدمة يبحثونها ويستمدون منها آراء ويوازنون بينها وبين غيرها من المؤلفات التي تجرى مجراها حتى اصبحت نسخها عزيزة ندرة

واليوم عزم ناشر فرنسي على طبع ترجمة المقدمة مرة ثانية . فظهر الجزء الاول وسيليه الثاني والثالث ومثل هذا العزم يدل على أن مكانة ابن خلدون ما تزال في صعود وكيف لا تكون كذلك وهو مرسل طائفة من الآراء العصرية في الاجتماع والاقتصاد . ثم ان في طيات مقدمته ما يسمونهُ اليوم « الفكر الحديث » ذلك الفكر الذي اخذ بهِ علماء النهضة الاوربية وبلغ بهِ (ديكارت) الى الغاية المثلى . ومن دعائم هذا الفكر : نبذ النقل وتحليل الوقائع وتعليل الحوادث . فكأن عقل ابن خلدون صفوة عقول العلماء الاقدمين وباكورة عقول العلماء المحدثين

سلمان باك والمقدمات الروحانية في الاسلام الايراني

تأليف لويس ماسينيون ٥٢ ص من القطع المتوسط

Salmân Pâk et les prémices Spirituelles de l'Islâm Irânien par Louis Massignon.

اشتغل الاستاذ لويس ماسينيون (عضو المجمع اللغوي الملكي) بالتصوف زماناً حتى اصبح العالم الثقة بهذا الفن، واليهِ تنصرف الانظار فيهِ وعنهُ تؤخذ مسائله . وها هوذا يؤلف رسالة في منشإ

(١) ليس للاستاذ شتيلة ان يجدد لنا الشام . فان الشام La Syrie شيء غامض وبخاصة من بعد دخول فرنسا بلاد سوريا .

[illegible] وانكسار شوكتها بما بين جنبيها من المناقضات الاقتصادية . والظاهر ان صاحب الكتاب [illegible] هذا المذهب الاخير

[illegible] هذا الكتاب وان يعمل لبث العدل في الهند ونشر الوفاق فيها لينشىء بعض المشكلات واعظم هذه المشكلات شأناً مسايرة الاسلام لمذهب (كارل ماركس)

هذا وان في ثنايا الكتاب ما لا يشرح الصدر ، ذلك ان المؤلف لا يخفي ان السبب في استحكام الشقاق بين الهنود والمسلمين يرجع — آخر الامر — الى نزاع ديني (ص ١٤٠) مستور على الغالب

الدراسات الاسلامية

تأليف جودفروى دومبابين — ١٠ ص ٤٠ من القطع المتوسط

Les Etudes Musulmanes (La Science Française)
par Gaudefroy Demombynes, chez Larousse, Paris.

هذه رسالة صغيرة تبسط للقارىء تاريخ الدراسات الاسلامية في فرنسا منذ القرن السابع عشر حتى اليوم . وتمتاز هذه الرسالة بالجمع بين الاجمال والاستيعاب في اسلوب سهل مشرق . ولا غرو ان تأتي هذه على ذلك النحو من الحسن ، فان صاحبها من أولي العرفان ومن ذوي البسطة في فن الاستشراق

التاريخ العام للفنون (الفن القديم)

Histoire Universelle des Arts (L'Art Antique)
Librairie Armand Colin, Paris, 1930.

ان الدراسات التي تتعلق بالفن من بنايات وتصوير ونحت ونقش وما اليها قد بلغت في السنين الاخيرة مبلغاً عظيماً . وذلك يرجع الى ان علماء الاجتماع انتهوا في مباحثهم الى ان الفن من اكبر الدلائل على عقلية الامم

والكتاب الذي نحن بصدده يبحث عن منشأ الفن وقدمه . ففيه فصل طويل عن آسيا ومصر يمتد من التاريخ الغابر حتى سنة ٣١٠٠ قبل المسيح اي في الزمن الذي لم يكن الحكم بين يدي الأسر . ثم فصل يمتد من سنة ٣١٠٠ الى ٢٠٠٠ ثم آخر من سنة ٢٠٠٠ الى ١٠٠٠ ثم آخر من سنة ١٠٠٠ الى [illegible] المسيح . اذ لكل من هذه المدد خصائص تذهب مذهبين احدهما مصري والآخر آسيوي . ثم [illegible] ملتقى هذين المذهبين

[illegible] الكتاب يبحث عن روما واثينا اذ يفرغ من آسيا ومصر . وان بحثه ليمتد في الزمان [illegible] . وخيرما في هذا البحث الاخير مقابلة بين اتجاه فن الرومانيين واتجاه فن الاغريقيين [illegible] الآثار والظواهر على اختلاف انواعها

وطليس ويسر بلطس وبويدة وبوية . الا ترى انهما اضطرّا في تعريب ما يأتي على الصورة الآتية Viperidae و Viperinae فبردية وفبرينية لكي يميزا بين الفصيلة والعشيرة واني افضل تعريبهما كما يأتي فبريدة وفبرينة وذلك للتمييز بين الفصيلة والعشيرة وهو بحث دقيق جدًّا قد لا يلذ لعامة القراء

ومما يؤخذ عليهما في التعريب هو انهما عرّبا Naja haje ناغة حية فان هذا الحرف الذي عرّباه بالغين هو ياء اي انهُ Naia haie وكثيراً ما يكتب كذلك فيجب ان يعرب بالياء كما فعل صاحب دائرة المعارف فانهُ عرّبهُ بالياء وحوّله عيناً وكتبه ناعية ونقل ذلك عنه المؤلفان ولا أدري لأي سبب كتبه صاحب دائرة المعارف بالعين فقال ناعية ولعله ظنّ اما خطأً او صواباً ان اصل الكلمة ناعية فهذا الاسم الجنسي ليس لاتينيًّا في الاصل ولعلّ اصله ناعية فكتب باللاتينية على هذه الصورة كما تكتب كلمة يسوع Jesus واحياناً Iesus فيقال يسوع ويوسف وبايازيد وهلليويا وامثال هذه الالفاظ وهي كثيرة . وعلى كل فانهُ لو كان لفظ هذا الاسم الجنسي كالجيم فانهُ ينبغي كتابته بالجيم لا بالغين ولكنهُ ليس جيماً بل ياءً فينبغي ان يقال في تعريبه ناية او ناعية

الترجمة — ترجمة الانواع حسنة جدًّا وانما اخالفهما في بعضها مثل Carinata , Carinatus في ص ١١ فانهما ترجماها بالقاعي ثم عادا في ص ٤٥ وترجماها بالجؤجؤي وهو الصواب فهذه الكلمة نسبة الى Carina وعربيتها الجؤجؤ وهو من الطائر والسفينة الصدر اي انهُ هذا الشيء الناشز فيهما ويكون في صدر الطائر واسفل السفينة الى صدرها . كذلك اخالفهما في ترجمة Class فقد ترجماها بالفصيلة ولا اعلم احداً ترجمها كذلك فالفصيلة هي Family وعليه جمهور المؤلفين في مصر والشام وهي التي سماها المؤلفان بالعائلة وهذه عامية ويفضل اهمالها . ومما أخالفهما فيه ترجمة Blindworm snakes ص ٨ فقد ترجماها بالحيات العمياء وافضل الحيات العمي لجمع اعمى واصم وابكم واحمر وابيض عمي وصم وبكم وحمر وبيض ومثله جمع عمياء وصماء وبكماء وحمراء وبيضاء فيقال الحيات العمي والصم والكريات الحمر والكريات البيض . وفي سورة البقرة « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ » الآية فان قيل هذا للعاقل وللمذكر قلت قد جاء في غيرها لغير العاقل وهو . . . . « ومن الجبال جُدَدٌ بيض مختلف الوانها وغرابيب سُودٌ » الآية . واني لا انكر انهُ يجوز ان يقال حيات عمياء لكن العرب لم يقولوا قط الحيات او الافاعي الصماء . بل قالوا الصمّ فلو وصفوا الحيات بالعمى لسموها بالعمي قياساً على الصمّ

تحقيق اسماء الحيات — لا ارى تحقيقاً دقيقاً في اسماء الحيات فقد ذكرا حيات في اميركة واسترالية ووضعا لها اسماء عربية فصيحة وردت في كلام العرب ولا دليل عندنا على ان العرب كانوا يعرفون اميركة او استرالية قبل تدوين لغتهم فاذا كان هذا الوضع استعارة لهذا الغرض فلا بأس به ولكن ينبغي ان يشار الى ذلك لكي يعلم انهُ استعارة او انهُ احياء لالفاظ مهجورة لا يعرف ما هي فاما المرجع في مجمع اللغة العربية علماء محققون لا يجوز عليهم مثل ذلك فورود كلمة فصيحة في كتب اللغة لا يكفي لوضعها اسماً لنوع من الحيات بلا تحقيق دقيق . واذكر ان عالمين من علماء هذا المجمع

[illegible] واقدم هذا الكتاب النفيس الى الجمهور مثلاً باهراً من التخصص العلمي في الشرق [illegible] ابناء العربية انتفاعاً قائماً على أساس علمي صحيح . اه

ولكن [illegible] لا يمنع ان ابيّن اوجه النقص منها استعمال الحية والثعبان والافعى كأنها الفاظ مترادفة [illegible] اسماءها العلمية في محلها فقوله الثعابين في عنوان الكتاب ينبغي ان يكون الحيات فالحية اسم عام يشمل الثعابين والافاعي فالثعابين عادة الطوال من الحيات والافاعي القصار ومن امثلة الثعابين هذه الحية المعروفة بالحنش الاسود وهي طويلة جداً اما الافعى فقصيرة ومن الخطإ الفاحش ان بعض الجرائد تكتب احياناً انهُ قتلت افعى طولها خمسة امتار فالافاعي في الشام ومصر قصار لا تكاد الواحدة تبلغ المتر الواحد في طولها ولكنها سامة جداً . ومما يؤخذ عليه قوله الثعابين العمياء واظن لو قال العمي كان اصلح وقوله الزواحف واظن لو قال الزحافات بصيغة المبالغة كان اصلح وقد وقعتُ نفسي بما يشبه هذا الخطأ فقلت القوارض وكان ينبغي ان اقول القراضات وهذا بحث طويل لا متسع له هنا

هليوبوليس امين المعلوف

الغذاء والمطبخ والمائدة

لحياتنا العائلية

تأليف بسيمة زكي — ثلاثة اجزاء — مجموع صفحاتها ٦٥٠ — مطبعة وديع ابو فاضل

هذا الكتاب دليل عملي لسيدة البيت في صنع مختلف الوان الطعام والفطائر والمربيات ، ومرشدٌ صحي لتغذية الطفل والمرضى بالبول السكري وغيرهم ممن يحتاجون الى الوان خاصة من الغذاء . فالجزء الاول خاصٌ بالفطائر الحديثة ولكنه يحتوي على مقدمة مسهبة في الغذاء وما يجب ان يشتمل عليهِ من العناصر ومقدار ما يحتاج اليهِ الانسان كل يوم منها وتلخيصٌ حسنٌ في الجهاز الهضمي والنقود المتصلة به. ثم يليهِ فصل عام في المائدة وترتيبها والاستضافة على مائدة الافطار والغداء والعشاء وآداب المائدة . ثم كلام عام على الفطائر والمواد التي تصنع منها والقوالب التي تفرغ فيها والموازين والمكاييل المختلفة . ويلي ذلك عشرات من الوصفات للبسكويت والكعك والبودنج. وكل وصفة تحتوي على مقادير دقيقة للمواد التي تتألف منها وطريقة خلطها وطبخها وما الى ذلك ، بحيث لا تحتاج سيدة البيت الا الى يسير من العناية والدقة في اتباع التعليمات لتفوز بالنتيجة المتوقعة والجزء الثاني يشتمل على الطبخ الحديث والوان الطعام القومية . وفيهِ مقدمة كذلك في اصول الطبخ [illegible] واجهزة المطبخ الحديث ومواد الطبخ من لحم وسمك وطير وحبوب وما شا كل . [illegible] يشتمل على وصفات لصنع الحساء (الشوربة) والصلصة والوان المكرونة والبيض و[illegible] والسلطات وما يصنع من لحوم العجول والبقر والضأن والطيور والارانب. و[illegible] وصفات للالوان القومية المختلفة التي اشتهرت بها المانيا وفرنسا وايطاليا والنمسا [illegible] الفصل الاخير بفن تقطيع اللحوم والطيور على المائدة والادوات

باب الأخبار العلمية

رحلة جوية الى فلسطين [1]

قد يكون من قبيل الامتهان لعقول القراء ان نقول اليوم ان الطيران ارتقى او انهُ آخذ في الارتقاء، وبوجه خاص لان الصحف تشير في كل فرصة سانحة الى فعال الطيارين وآثارهم العجيبة في السرعة والتحليق وقطع المسافات الطويلة. فاجتياز المسافة بين لندن وملبورن في أقل من ثلاثة أيام من قبيل المعجزات، وسرعة الملازم آجلو الايطالي عند قطعه ما معدّله ٤٤١ ميلاً في الساعة، تكاد تقرب من سرعة الصوت، وعلى ذلك فقد لا يدهشهم ان تجتاز الطائرة الخاصة بشركة مصر للطيران المسافة بين الماظه واللد في ثلاث ساعات

ولكن يجب عليَّ ان انبه الى ان هناك فرقاً كبيراً بين الطائرات التي تصنع للسباقات، ويطير بها الطيارون لغرض خاص، كالتفوق في السرعة او طول المسافة من غير وقوف او غير ذلك، والطائرات التي تصنع لتنظيم خطوط الطيران التجاري وهي التي يعتمد عليها في امانة جانبها ودقتها في المحافظة على مواعيد القيام ومواعيد الوصول وراحة المسافر في اثناء الطيران. فهذه الطائرات تصنع في الغالب لتكون «وسطاً ذهبياً» جامعاً بين اهم مميزات الطيارة — وهي سرعة الانتقال وقواعد الاقتصاد في ما تنفقه من وقود وما يجب ان تتقاضاه من الركاب

وطائرات شركة مصر للطيران جامعة لهذه المميزات على اوفى وجه

***

لقد اتيح لي من قبل انْ اقطع المسافة بين لندن وباريس مراراً بالطائرة فلم القَ في رحلاتي السابقة من راحة في السفر، او عناية ولطف من قبل رجال الشركة في مكاتبها المختلفة اكثر مما لقيت في رحلتي الاخيرة بين مصر وفلسطين. فقواعيد العمل في جميع تفصيلاته مضبوطة لا تتقدم دقيقة ولا تتأخر دقيقة. وعبارة الرجال من سائق السيارة الى سائق الطائرة الى رجال المكتب جميعاً عبارة كلها لطف وادب. حتى ولو جفا كلامك قليلاً على غير قصد منك. بل ان سائق الطائرة نفسه يهتم بالركاب في اثناء الطيران، فيكتب على قطعة من الورق احياناً اسم المكان المحاذي للطيارة على الارض وسرعتها وعلوها، لان حديث العهد بالطيران لا يستطيع ان يتبين جميع هذه الحقائق من مراقبة الخارطة

---

(١) دعي رئيس تحرير المقتطف الى القدس لالقاء محاضرة في نادي جمعية الشبان المسيحية فيها فاختار ان ... [illegible] ... رحلته الجوية

[illegible] ، لأننا وقفنا في بور سعيد لنزول سيدة وصعود مسافر قادم من بورسعيد الى مصر . وقد حلقت الطيارة اذ كانت محاذية لغزة الى علو ٧٥٠٠ قدم فرأيناها كأنها تحتنا مع أن بعدها عن الشاطىء ليس يسيراً

***

وطيارات شركة مصر للطيران التي تسير على هذا الخط نوعان احدهما يحمل ستة ركاب والآخر يحمل ثمانية . وقد قيل لي انه ينتظر قريباً وصول طائرة تحمل ستة عشر راكباً

ولكل طائرة محركان قوة كل منهما ١٣٠ حصاناً ، احدهما كاف للطيران بها ولكن بسرعة اقل ، فاذا تعطل احدهما في اثناء الطيران كان الآخر كافياً لاتمام الرحلة ، او على الاقل للنزول على الارض من غير تعريض الطائرة وركابها لخطر ما . ولكن هذا التعطيل لا يحدث ، لان العناية كبيرة جداً بالمحركات وامتحانها قبل كل سفر

***

اما المقاعد فغاية في الراحة ، وهي من النوع الذي يتحرك ظهره ليستطيع المسافر ان يتمدد قليلاً اذا شاء . واذا كان صوت المحرك يزعج المسافر فله قطن يضعه في اذنيه ، ولكن صوته لم يزعجني قط ، فقرأت واكلت وتفرست في الاماكن التي مررنا فوقها وصوت المحركات لا يحرمني من كل ذلك ولا احس منه بأي شيء بل اذا شئت ان تقف في الطائرة منحنياً — لان سقفها لا يزيد علوه على متر ونصف — [illegible] غير النافذة التي قربك على المشاهد المختلفة كان لك ذلك من دون ان يؤثر عملك في موازنة الطيارة على شريطة ان تكون في مقعدك عند ما تهم بالنزول على الارض .

ولتهوية الطيارة طريقة بديعة تستطيع ان تدخل لها الهواء من ثقب انبوب بالقدر الذي تريده

وقد يسأل القراء عن الدوار فأقول لهم انني لم احس في وقت ما بشيء منه ولا راودتني نفسي عليه ، ولا احسّ به احد من الركاب في الرحلتين وان الطائرة كانت اثبت جداً في الجو من القطار او السيارة التي تسير في طريق غير تامة الاستواء . ولولا اعلام من الغيم احياناً وقرى وحقول مررنا فوقها لما عرفنا ان الطيارة تتحرك على الاطلاق — فذكرني بذلك بصندوق اينشتين العظيم — والطائرة مع ذلك تسير بسرعة مائة ميل في الساعة

وهذا الخط منتظم ثلاثة ايام في الاسبوع هي الاثنين والاربعاء والجمعة . تطير الطائرة في كل من هذه الايام من الماظة في الساعة الثامنة والربع صباحاً الى فلسطين وتغادر مطار اللد في الساعة الواحدة والنصف من اليوم نفسه عائدة الى الماظة . ولا اعرف مواعيد الوصول الى حيفا او القيام منها لأن حيفا نهاية هذا الخط ولم أطر اليها . اما اجرة السفر فستة جنيهات في الرحلة الواحدة و ١١٤٠ قرشاً ذهاباً واياباً وهي لا تزيد على اجرة السفر بالسكة الحديد علاوة على انك توفر وقتاً وتعباً ونوماً في القطار وغباراً في الصحراء

استدراك

في الصفحة ٥٠٩ س ٧ كلمة (الآذان) باللد وصوابها (بالمعنى)

تطلب من مكتبها «ادارة المطبعة المصرية» بشارع الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة بمصر

ص

٢٠ القاموس العصري انكليزي عربي (طبعة ثانية)
٢٥ « « « « (طبعة ثالثة)
٢٥ « « عربي انكليزي (طبعة ثانية)
٣٥ « المدرسي عربي انكليزي وبالعكس
٢٠ قاموس الجيب عربي انكليزي وبالعكس
١٠ « « عربي انكليزي فقط
١٥ « « انكليزي عربي فقط
٧٠ « سقراط سبيرو عربي انكليزي (باللفظ)
٥٠ « « « انكليزي عربي (باللفظ)
١٠٠ « « « « « وبالعكس
١٠ التحفة المصرية لطلاب اللغة الانكليزية (مطول)
١٢ الهدية السنية لطلاب اللغة الانكليزية (باللفظ)
١٠ الف كلمة الماني (لتعليم الالمانية بسهولة)
١٥ في اوقات الفراغ (للدكتور محمد حسين هيكل بك)
١٠ عشرة ايام في السودان « « «
١٢ مراجعات في الادب والفنون للاستاذ عباس العقاد
١٥ روح الاشتراكية (لغوستاف لوبون) وترجمة (الاستاذ محمد عادل زعيتر)
١٥ روح السياسة « «
١٠ الاراء والمعتقدات « «
١٠ اصول الحقوق الدستورية « «
٢٠ الحضارة المصرية (لغوستاف لوبون)
١٥ حضارة مصر الحديثة (تأليف كبار رجال مصر)
١٠ الحركة الاشتراكية (رمسي مكدونلد)
١٥ ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء
٨ اليوم والغد (الاستاذ سلامه موسى)
١٠ مختارات « « «
٨ نظرية التطور وأصل الانسان « «
٢٠ اناتول فرانس في مباذله للامير شكيب ارسلان
١٥ الدنيا في امريكا (للاستاذ امير بقطر)
١٠ المرأة الحديثة وكيف نسوسها (عبدالله حسين)
١٠ جريمة سلفستر بونار (اناتول فرانس)
٥ المرأة بين الماضي والحاضر
٥ مركز المرأة في شريعتي موسى وحورابي
١٥ حصاد الهشيم (للاستاذ ابرهيم عبد القادر المازني)
١٠ قبض الريح (« « « « «)
٥ نسمات وزوابع شعر منثور مصور
١٠ رسائل غرام جديدة (سليم عبد الواحد)
٥ الفريد في الادب العصري (مخائيل سيمة)
٥ حكايات الاطفال ، اول (مصور بالالوان)
٥ « « ثان « «
٥ « « ثالث « «
٥ الكاتب طبعة منقحة لاسعد خليل داغر

١٠ التربية الاجتماعية (للاستاذ علي فكري)
٥ خواطر حمار (الاستاذ الجمل)
٥ التعليم والصحة للدكتور محمد بك عبد الحميد
١٥ الحب والزواج (للاستاذ نقولا حداد)
١٥ ذكراً وانثى خلقهم « « «
٥٠ علم الاجتماع (جزآن كبيران « «
١٥ اسرار الحياة الزوجية « «
٣٠ الامراض التناسلية وعلاجها للدكتور فخري
٢٠ المرأة وفلسفة التناسليات « «
٢٠ الضعف التناسلي في الذكور والاناث «
١٥ الزنبقة الحمراء (للاستاذ احمد الصاوي محمد
١٠ تاييس « « « «)
٥ مكايد الحب في قصور الملوك (اسعد خليل داغر)
١٠ القصص المصرية (٨٠ قصة كبيرة مصورة)
١٠ مسارح الاذهان (٣٥ قصة كبيرة مصورة)
١٢ رواية اهوال الاستبداد ، مصورة
١٠ « فاتنة المهدي ، او استعادة السودان
٨ « الانتقام المذب (اسعد خليل داغر)
٥ « فقر وعفاف (للاستاذ احمد رأفت)
١٢ « باريزيت ، مصورة (توفيق عبد الله)
١٢ « غرام الراهب او الساحرة المجدورة
٧٥ « روكامبول ، ١٧ جزء (طانيوس عبده)
٢٥ « ام روكامبول ، ٥ اجزاء «
٢٠ « باردليان ، ٣ اجزاء «
٢٠ « الملكة ايزابو ٤ اجزاء «
٢٠ « الاميرة فوستا ، جزآن «
٢٠ « عشاق فنيسيا ، جزآن «
١٦ « الساحر العظيم ٤ أجزاء «
١٦ « كابيتان ، جزآن «
١٦ « الوصية الحمراء ، جزآن «
١٦ « بائعة الخبز «
١٢ « فلمبرج ، جزآن «
١٠ « فارس الملك «
١٠ « ضحايا الانتقام «
٨ « المرأة المفترسة «
٥ « المتنكرة الحسناء «
٥ « مروضة الاسود «
٥ « شهداء الاخلاص «
١٦ « دار العجائب جزآن (نقولا رزق الله)
١٠ « فرنسوا الاول « «
١٠ « الجنون فنون « «
٨ « حورية « «
٨ « الفلامان الطريدان « «
[illegible]